

التراث العربي



مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

التراث العربي

مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب - دمشق

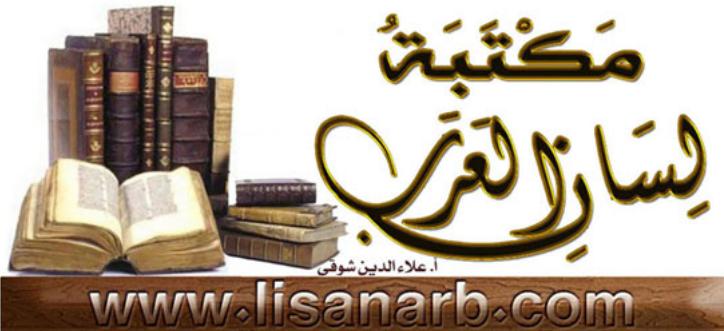
المددان : ٢٥ - صفر ١٤٠٧ تشرين الأول « أكتوبر » ١٩٨٦ - السنة السابعة
٢٦ - جمادي الأولى ١٤٠٧ كانون الثاني « يناير » ١٩٨٧ -

المدير المسؤول:
علي عقلة عرسان
رئيس التحرير:
د. عبد الكريم اليافي
أمين التحرير:
عبداللطيف أرناؤوط
هيئة التحرير:
د. عبد الهادي هاشم
د. إبراهيم الكيلاني
د. نشأت الحمارنة
د. عدنان درويش



ترسل المواد والراسلات الى العنوان التالي:

المدير المسؤول - اتحاد الكتاب العرب ، مجلة التراث العربي ، دمشق ، ص.ب : ٣٢٣٠ - ٢٤٤٢٩٩ - ٢٦٦٣٢٩





المواد المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها

الاشتراك السنوي

٣٦ ل.من للأفراد والدوائر الرسمية داخل قطر

٦٠ ل.من أو ما يعادلها للبلدان العربية مع أجور البريد

٨٠ ل.من أو ما يعادلها للبلدان الأجنبية مع أجور البريد

■ الاشتراك يرسل حواله بريدية او شيئاً او يدفع نفداً الى : (ساحب مجلة الموقف الالكتروني)

المحتويات

- بهاء الدين العاملی ونکرة المتصل والمنفصل
د. عبدالکریم الیافی ٧
- اسالیب القرآن الکریم فی معالجة النفس الانسانیة
د. محمد فتحی الدینی ٢٢
- عودة الى موسيقى « القرآن »
د. نعیم الیافی ٥٧
- قراءة في فكر ابن جنی من خلال « الخصائص »
محمد ولید حافظ ٧٢
- تکملة لتحقیق « بدیع القرآن »
د. میرلوحی فلاورجانی ٨٦
- الشعر العربي الحديث والتراث « القرآن الکریم دراسة في التناص »
د. عبدالتبّی اصطفیف ٩٧
- کتاب في التعريب و « المغرب » بتحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي
صلاح الدين الزعبلاوي ١٠٤
- من شعر الشیخ عبد الحمید الزهراءوی
جمعها وقدم لها : عبدالله نبهان ١٣٤
- احمد أبو خليل القباني « الموسيقی »
جبراٹیل سعادۃ ١٤٥
- الاسطول الفاطمی
التواتی بویکر ١٥٨

- **السوط والحب !**
- ١٧١ نديم العسامي**
- **ماني الموسوم من أشهر الناس .. ولكن!**
- ١٧٣ عادل العامل**
- **وهج البردة**
- ١٨١ هند هارون**
- **تراثنا مطبوعاً**
- ١٨٩ سروان عطيه**
- **آداب التربية الإسلامية العربية**
- ٢١٠ محمد صالح بربشلي**
- **منافع الأغذية ودفع مضارها - لأبي بكر الرازى**
- **تحقيق : حسين حموي**
- ٢٢٢ عرض : حسان الكاتب**
- **أبواب دمشق**
- ٢٣٩ نادية الفزى**
- **استدرك على ديوان « ديك الجن »**
- ٢٦٤ خير الدين شمسى باشا**
- [] **ابن البيطار - ضياء الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد**
- **محمد أمين الميدانى**
- **كتب تراثية وفكرية**
- ٢٩٠ فاطمة عصام صبرى**
- **نشاطات في خدمة التراث**
- ٣٠٤ اعداد: عبداللطيف ارناؤوط**
- **رسالة من اتحاد الكتاب العرب الى الكتاب والأدباء والأصدقاء في العالم**
- ٣٢٥**

بهاه الدين العاملي وَفِكْرَةُ الْمُتَصِّلِ وَالْمُنْفَصِلِ

د. عبدالكريم اليافي

بهاه الدين العاملي عبقريه من عقريات العصارة العربية الاسلامية بزغت من بلاد الشام وتقلبت كالكوكب الذي في ربوع العالم العربي والاسلامي الواسعة . فقد ولد محمد بن حسين بن عبد الصمد في بعلبك سنة ٩٥٢ هـ = ١٥٤٧ م من أسرة عربية الأصل ترجع في نسبها إلى العارث الهمданى صاحب أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه . وكانت قبيلته حيئاً من اليمن . وتوفي بهاه الدين بأصفهان سنة ١٠٣٠ هـ أو ١٠٣١ هـ = ١٦٢٢/١٦٢١ م عن عمر يناهز الثامنة والسبعين قضاه في العلم والعمل والعبادة والسياحة . ونقل جثمانه إلى مدينة مشهد فدفن فيها .

تاريخ وفاته مختلف فيه ويقع هذا الاختلاف في مجال سنة واحدة . واكثر المحققين على أنه سنة ١٠٣٠ . ولكن روی أيضاً عام ١٠٣٥ هـ . وحسبنا هنا ملاحظة واحدة عابرة على هذه الروايات وهي أنه من المرووف في علم السكان أن الأرقام التي تنتهي بالصفر أو الخمسة ذات جاذبية خاصة بحيث تقترب منها الأعمار فتراءكم عندها .

عاش بهاه الدين في النصف الثاني من القرن العاشر والربع الأول من القرن الحادى عشر الهجريين أي في النصف الثاني من القرن السادس عشر والربع الأول من القرن السابع عشر الميلاديين ، وهو عهد ذو أهمية كبيرة عند المؤرخين ، هو عهد الملوك العظام من أمثال السلطان العثماني سليمان القانوني (ملك في سنة ١٥٢٠ حتى وفاته سنة ١٥٦٦) ، وصلت جيوشه فحاصرت مدينة فينـة

عاصمة النمسا عام ١٥٢٩ ، والشاه عباس الأول الصفوي في ايران (ملك من سنة ١٥٨٧ حتى وفاته عام ١٦٢٩) ، والسلطان المغولي جلال الدين محمد شاه أكبر في الهند (ملك من سنة ١٥٥٦ حتى وفاته عام ١٥٥٥) ، والملكة إليزابيث الأولى في إنكلترا (ملكت من عام ١٥٥٨ حتى وفاتها عام ١٥٣٣) ولويس الرابع عشر في فرنسة اتحل زهراً لقب الملك الشمس (حكم بعدهم بقليل من سنة ١٦٤٣ حتى وفاته عام ١٧١٥) .

شهر هؤلاء الملوك والسلطانين يحب العلم والاهتمام بالعلماني وتحسين مرافق الدولة كما شهدت إليزابيث بالتشجيع على التجارة وعلى الاستثمار البغيض . في ذلك العهد نشأ بتلك الدول علماء وفنانون كبار . نشأ في إنكلترا فرنسيس بيكون صاحب الطريقة التجريبية (١٥٦١ - ١٦٢٦) التي أفاد فيها من مضمون التراث العلمي العربي ، والشاعر شكسبير (١٥٦٤ - ١٦١٦) وفي فرنسة الفيلسوف روني ديكارت (١٥٩٦ - ١٦٥٠) والراهب الرياضي غاسندي (١٥٩٢ - ١٦٥٥) والشاعر المسرحي كورني (١٦٠٦ - ١٦٨٤) . وقد ولد مولير في سنة ١٦٢٢ أي في عام وفاة بهاء الدين العاملي تقربياً . وفي إسبانيا الكاتب المشهور سرقانتس صاحب دون كيخوت (١٥٤٧ - ١٦١٦) والمصور الكبير فيلا سكينز (١٥٩٩ - ١٦٦٠) وفيألمانية الفلكي كبلر (١٥٧١ - ١٦٣٠) وفي إيطالية الفيزيائي والفلكي غاليليو (١٥٦٤ - ١٦٤٢) .

وفي بلاد العرب والإسلام كتاب وفلسفه ومؤلفون ومؤرخون وعلماء يضيق هذا الحديث عن تعدادهم منهم بـل في طليعتهم بهاء الدين العاملي والفيلسوف الإسلامي الكبير صدر الدين الشيرازي محمد بن ابراهيم (وفاته عام ١٠٥٩ هـ / ١٦٤٩ م) ونعن هنا ذكرنا أمثلة على المبادرات الأجنبية المعاصرة دون حصر ولا استقصاء .

لقد كان عهد تلك الدول جميعاً في اقبال ابيان تلك الحقبة .

بلغ نجم الدولة العثمانية الأوج في زمن سلطانها سليمان القانوني ثم لم يُعَتمَ أن مال إلى الانحدار بعده ، وبدأت الظروف تتصعب وتتسوء ولا سيما في البلاد العربية ومنها بلاد الشام ، فقد أهملت هذه الربوع وغدت الولاية تسمى عليها وهي موطن العاملين دون اختيار الجديرين والمصلحين . « تعاقب على

دمشق خلال القرن العادى عشر الهجرى واحد وثمانون واليأ وعلى حلب
تسعة وأربعون واليأ فكان الوالى لا يتمكن من الاصلاح ان اراده وقلبه متصلق أبداً
بثبات منصبه ، والغالب أنه لا يتوفى على غير جمع المال بالطرق المتنوعة ليوفي ماعليه
من المقرر لجماعة الاستانة من الأموال . وكان الولاة يبتاعون الولاية ابتكعاً
والمزايد الأكبر هو الذي توسد اليه » (خطط الشام ج ٢ ص ٢٣٤) . وروي
أن السلطان مراداً في عهد العاملى أمر « أن يكتب الى أحمد باشا كوجك والي
الشام بأن يدفع الى السلاحدار باشاعشرين ألف ليرة وببقى في منصبه فاضطر
والى أن يؤدى المبلغ . ومن أهم أدوات التخريب في هذا القرن خروج جند
الانكشارية عن حد الاعتدال وكثرة اعتدائهم على الرعية يستطيعون على
أموالها وأعراضها ويملئون شرفها وينذللون أعزتها وهم القوة القاهرة
وأذاهم لاحق بالكبير والصغير » (المرجع نفسه) .

وقد روى المؤرخون فيما رواوه أنه في سنة الف هجرية أمر قاضي دمشق
مصطفى بن سنان بقيام النواب من المحاكم وأغلاق أيوا بها فاغلقت أسواق البلد
كلها . وسبب ذلك أن الدفتردار محمود أرسلانى من ابن الأقرع بخمسة عشر ألف
دينار وولاه على يعلبك بدل ابن العفوش فأدى ذلك الى خراب يعلبك
(مسقط رأس العاملى) ظاهرها وباطنها ورحل أهلها عنها حتى تطلعت الأحكام
الشرعية وعطا بها ابن الأقرع وأتباعه وصادر الناس مصادرة ليوفي بها المال الذى
التزم به للسلطة (خطط الشام ج ٢ ص ٢٣١) . ثم ان أرباب النفوذ وطائفة
من العلماء في البلاد كانوا فاسدين متفرقين متسلقين للولاة والحكام . ولو كانوا
صالحين متعاونين لما استطاع العكما و الولاة أن يفلعوا شيئاً ، ناهيك بالشعب
يعاني أصناف العسف والضفط والاستغلال .

كذلك بلفت الدولة الصفوية أوجهها بزعامة الشاه عباس الذي كان أعظم
ملوكها . على أن العداء كان مستحکماً بين الدولة الصفوية الشيعية والدولة
العثمانية السنّية وجرت حروب شعواء بينهما مع أن مُثلَّهما الدينية من ينبع
واحد . وقد استعان الشاه عباس ببعض الضباط الانكليز لينظموا له جيوشه
ويناوش بها الدولة العثمانية . والغريب في هؤلاء الملوك المسلمين أنهם يستعينون
بأعدائهم على أبناء ملتهم . وفي عام ١٥٩٨ هـ / ١٠٠٧ م نقل الشاه عباس

العاصمة من قزوين الى اصفهان واحتضنها بعنتية فائقة وسرعان ما زخرت المدينة بالنشاط والفنون والصناعات . وعني الشاه بالثقافة الأدبية والفنون والعمارة وبناء القصور والمزارات وتقريب العلماء واجتذابهم وان ظلت الأحوال الداخلية يغامرها الفساد والارتشاء . ثم ترددت تلك الأحوال في الداخل والخارج تردياً سريعاً بعد وفاته .

ولم تكن الدولة المغولية في الهند في عهد سلطانها شاه أكبر ي أقل احتفالاً بالعلم وأهله وبالعمارة وضبط أحوال الرعية بل كانت أعلى شأنها في هذه الميادين . كان هذا السلطان الذي يكاد يعرف القراءة والكتابة مشغولاً بالعلم والفلسفة متفهمًا لمسائلهما عميق الادراك لقضاياها . كان يجمع العلماء من مختلف المذاهب لعله يستطيع توحيدها فيجمع الشعب المتفرق على منهج واحد ويريح الناس من تشتيتهم أدياناً ونحلاً وطوائف .

كان عهده عهد حرية وتسامح وتعظيم للتفكير في وقت كانت أوروبا تجتاحها عواصف مدمرة من التصبب اذ كان الكاثوليكي يفتكون بالبروتستانت في فرنسة ، والبروتستانت يذبحون الكاثوليكي في انكلترة ، ومحاكم التفتيش تنكل ببقايا المسلمين واليهود في اسبانية ، ورجال الكنيسة يحرقون جمهرة من العلماء بتهمة الهرطقة في ايطالية .

في هذا الاطار التاريخي ظلت بلاد الشام بما تأثرت فيها من علم و Mage واماكن مقدسة مطمح الباحثين والسائرين والملماء . وبهذه الصورة التي عرضناها نتفهم تقلب بهاء الدين العاملی في ربوع البلاد العربية والاسلامية حتى انه قضى في سياحته كما يذكر الرواة نحو ثلاثين عاماً أضاف في هذه السياحة الى علمه خبرة واسعة بتصوف الدنيا وحوادث الزمان . على أن رواية سياحته وتغيراته هذه ان شك فيها بعض الباحثين فهي عندنا مقبولة اذا اعتبرنا محل اقامته موطنه الأول بعلبك وموطنه الأخير اصفهان لأن السياحة والهجرة لا بد فيها من النظر الى محل الاقامة الذي وطئ السائح المهاجر عزمه على البث فيه .

لقد نشأ بهاء الدين في بيت علم وأدب ودين وتقوى ، والده حسين بن عبد الصمد عالم فقيه رياضي شاعر ، ومن المعروف في العصر الحديث وباعتماد الاحصاء أن

النوابغ في بيوتات معروفة بالعلم أكثر احتمالاً منهم في غيرها ، اذ ينشأ الفتى في تلك ثمرات العلم والمعرفة دانية قطفها لديه ، فلابد من أن يفيد من هذا الجو العلمي وأن يتذوق حلاوته ويدرك علو درجات أصحابه . لقد كان هذا الأب الفاضل حريصاً على تغريبيج ولده في المدرسة الأولى مدرسة البيت خير تغريج سواء في الأخلاق الحميدة والذرايا الرشيدة وفي قرض الشعر والتفتح على عالم الرياضيات والعلوم وحب آل البيت، شأنه في ذلك شأن غالبية العلماء في ذلك الوقت اذ كانوا موسوعيين متبعين في علوم شتى ، وكان العلم في ذلك الزمان النامية المثلث للانسان المسلم ، وكانت قيمة المرء فيما يحسن من علوم لا فيما يملك من مال ومتاع ، هذا الى وجود رعاع من الولاة والحكام لا هم لهم الا جمع العطام وتكميل المال العلال والغرام .

ولم يكفل الفتى يتعرّف حتى جمع الى حب العلم والتبحّر فيه حب السفر والسياحة ، شأنه في ذلك شأن أبيه ، ويظهر أنه رافق أباه الى قزوين وكانت في ذلك المهد عاصمة للصفويين وشهدت حركة علمية واسعة ، ثم سافر أبوه الى هراة وتركه . ونجد في شعر الفتى الناشيء رغبة في اللحاق بأبيه . وقد أصيب في قزوين برمد تطاول أمده فاز عجه يذكر ذلك في أرجوزته الطويلة :

بُلْيِيتُ' في قزوينَ وقتاً برمدَ مُقرحٍ للقلب من فرطِ الْكَمْد
يُمْنَعُ من صرفِ النهارِ فيما يرضي اللبيبِ العاذقِ الفهيمَا
من بحثٍ أو تلاوةٍ أو ذكرِ أو درسٍ أو عبادةٍ أو فكرٍ
ولم يكن من عادتي البطالة لأنها من شيمِ الجهةَ . . . الخ
ولكنه لم يلبث أن لحق بهراة التي أحبها فوصف طبيعتها ومرافق الحياة فيها
وصفاً بدليماً في تلك الأرجوزة نفسها .

ان بهاء الدين لم يسجل أحداً ثالثاً سياحاته الطويلة التي استمرت ثلاثة عقود كما سلف آنفًا ولا أزمانها ولكننا نجد لبعضها من أخبارها منثورة في ثانياً تأليفه وفي روایات معاصريه ومؤرخيه . فلقد زار بلاد الشام كلها تقريراً والقدس وتركيا العثمانية ومصر والعباز كما أنه لم يترك ناحية من نواحي المملكة الإيرانية

الا زارها ولا سيما بعد أن تلقاء الشاه عباس ومكّن له في دولته وقرّ به منه وغدا رئيساً في دار السلطنة بأصفهان وشيخ الاسلام فيها . وقد رافق هذا السلطان في سياحاته وحرر به فزار خراسان وأذربيجان وأرّان وديار الكرج .

ويذكر المؤرخون أن البهائي كان مطربوا على حب الحرية ومجافاة التصنّع والتتكلف ، مشغوفاً بمظاهر البساطة في الحياة ، حسن الاختلاط بالناس ، محباً للخير ، ميالاً إلى التصوف السليم إلى جانب علومه الواسعة . ولا أستطيع أن أملك نفسي دون ذكر هذه النادرة في علاقاته بأقرانه ، فقد حُكِي أن الشاه عباس ركب يوماً إلى بعض منازلاته وكان البهائي والداماد (شهر السلطان) في موكيه إذ كان غالباً لا يفارقهما وكان الداماد عظيم الجثة والبهائي نحيفها ، فرار الشاه أن يعتبر صفاء الغواطس بينهما فقال للداماد وهو راكب فرسه في مؤخرة الجموع وقد ظهرت عليه آثار الاعياء والتعب والبهائي في مقدمة الركب : إلا تنظر إلى هذا الشيخ كيف تقدم بفرسه ولم يمش على وقار كما تشي أنت ؟ فقال الداماد : أيها الملك ! إن جواد الشيخ قد استخفه الطرف عن ركب فهو لا يستطيع الثاني . إلا تعلم من ركبه ! ثم قال للبهائي : يا شيخنا إلا تنظر إلى هذا السيد كيف أتعب مركبك بجثمانه الثقيل ؟ والعالم ينبغي أن يكون مرتاضاً مثلك خفيف المؤونة . فقال البهائي : أيها الملك إن جواد الشيخ أعياناً بما حمل من علمه الذي لا يستطيع حمله العجال . فعنده ذلك نزل الشاه عن جواده وسجد لله شكراً على أن يكون علماء دولته بهذا الصفاء . وهكذا يسعد الزمان وأهله بامتثال هؤلاء العلماء المتعاونين على حين نجد في العصر الحاضر من الهم بطرف من العلم يتقطع ويطأول الذرا العالية . هذا وكان البهائي واثقاً بنفسه عارفاً قدرها وهو القائل :

إبني امرؤ لا يدرك الدهر غايتها
ولا تصل الأيدي إلى سبر أغواري
أخطب أبناء الزمان بمقتضى عقولهم كيلا يفوهوا بإنكاري

ومع هذا فقد كان في قراره نفسه يؤثر التفرغ للعلم والتخلي للعبادة واعتزال الملوك والبعد عن المناصب لأن بلاط الحكم لا يخلو من دسائس ومن حسد ومناومة وأطماع ومنافسة . وقد كتب يحاسب نفسه أي حساب ويحنُّ إلى

وطنه العربي على الرغم من الصرف التي اعتورت هذا الوطن : « لو لم يأت والدي قدّس الله روحه من بلاد العرب ولو لم يختلط بالملوك لكتن من أتقى الناس وأعبدهم وأزدهم . لكنه طاب ثراه آخر جنبي من تلك البلاد وأقام في هذه الديار فاختلطت بأهل الدنيا واكتسبت أخلاقهم الرديئة واتصفت بصفاتهم ثم لم يحصل لي من الاختلاط بأهل الدنيا الا القيل والقال والن زاع والمجدال ، وأآل الأمر أن تصدى لمعارضتي كل جا حل وجسر على مباراتي كل خامل » .

نقول : هذا شأن كل مبرز في العلم والمعرفة سليم القلب طيب السريرة . أما ما جاء في كتاب الكشكوك من احتماض ومن شعر خليع لابن حجاج أحياناً فجعل ذلك على التفكه وعلى الرغبة في اجسام القلب والترويع عن النفس الدلوب في العمل الجاد . ويبدو لنا أن البهائي كان مجاملًا في حياته للعكما وللجهال شأنه في ذلك شأن العلماء الذين يتعامون الشرور والاضطهاد ما استطاعوا ولكن لم يكن راضياً عن الأحوال الداخلية التي كانت في بلاد الاسلام . ان بيت الشعر السالف :

أخلط أبناء الزمان بمقتضى عقولهم كيلا يفوهوا بانكارى

دليل على ما نذهب اليه من وصفه بالمجاملة . ولذلك يحسن بمطالع كتبه وأشعاره في جانب ما زخرت به من فوائد جمعها أن ينتبه الى ما أدبه فيها من فقرات وحكم ومواعظ . ففي الجزء الثاني من الكشكوك (ص ٢٦٧ تحقيق طاهر أحمد الزاوي) وردت رواية عن علي بن أبي رافع الذي كان على بيت علي ابن أبي طالب رضي الله عنه في شأن اعارةه بنته عقداً عارية مضمونة مردودة بعد ثلاثة أيام . فهذه موعضة للولاة والحكام . وفي الجزء نفسه موعضة للمتنفذين وهي أنه « مر ديوجانس الحكيم بشرطي يضرب لصاً فقال : انظروا الى لص العلانية يضرب لص السر » . وعندنا أن قصيده في اللغة الفارسية التي يصف فيها شاباً تقيناً صالحًا قتل أنه الفاسدة لا تفهم الا على أنها رمز يهيب مؤلفها في أغلبظن اهابة خفية بالشعب للثورة على الحكم الفاسد والا فان قتل الأم لا يجيئه عقل ولا شرع . انه في ذلك يجري على نسق الشعراء اليرانيين الذين تقدموه باعتماد الرمز في أشعارهم لافادة مقاصدهم (منطق الطير مثلًا لفرید الدين العطار) .

من أجل دراسة أفكار العامل والبيان علومه الواسعة لا بد من العمل قبل كل شيء على تجميع تراثه الفكري الواسع الذي ينافس تسعين مؤلفاً ورسالة وعلىطبعه ونشره. ونحن في موضوعنا «المتصطل والمتفصل في فكر العامل» اعتمدنا نبدأ قليلاً منشورة في كتاب «الكتاب المقدس» وحده لأن «المخلة» لا تشتمل على شيء منموضوعنا . ولم نستطع أن نطلع على رسالته الموسومة بالجواهر الفرد التي تهمنا في هذا الموضوع . وقد راجعنا إلى جانب ترجماته وما رواه المؤرخون عنه كتابه «خلاصة الحساب» الذي في المكتبة الظاهرية نسخة منه مطبوعة على العبر ، وكذلك عثينا على شرح ممتاز ولكنه وجيز لكتاب العامل «تشريح الأفلاك» ولم نعثر على الكتاب نفسه وعجبنا لهذه الأفكار الجيدة التي في الشرح حول سقوط الأجسام في الغلاء وسقوطها العري في الهواء وعلى شؤون جاذبية الشمس والشوايات والسيارات والأقمار بحيث تسبقاً مثيل له كلام نيوتن الذي ينسب إليه الكشف عن الجاذبية وقوانينها .

وكم يسعدنا حين نقرأ مسرحية لشكسبير أو لشاعر فرنسي مثل كورني وراسين ومولير أو مقالة لفينيسوف وعالم مثل ديكارت أن نجد الطبعات الكثيرة المحققة مع الشرح ومع الدراسات الكثيرة لكل منها . وكم يُؤسفنا في المقابل حين نريد أن نفتتح عن كتاب الجواهر الفرد للعامل ولبعض رسائله العلمية إلا نجد لها أثراً أيّ أثر في مكتباتنا العامة أو الخاصة . أوَّاهْ كم نشعر بالمرارة وكم يحزّ في النفس أن الأموال العربية والإسلامية الطائلة تذهب هدراً في حروب مدمرة بين الأخوة والأشقاء ، وكان من الممكن أن يصرف عشر مشارها في خدمة التراث العربي والإسلامي لتجلّى صاحفته وتصقل صفاتيه ، هذا إلى جانب مئات الآلاف من القتلى والمشوهين وهم في ريعان الشباب ومخايل القوة والعطاء .

أما موضوع المتصطل والمتفصل فهو حديث فكري فلسطي علمي طويل ومتشعب نعرض خلاصته عرضاً واضحاً لنبرز المعية الشيّخ البهائي في إطار هذا الشأن . وكما أن العالم الفيزيائي يستطيع أن يحلل سناً كوكب متوجّح بمقاييس الطيف ليعلم ما يشتمل عليه الكوكب من عناصر ، كذلك نستطيع أن نتبين من وراء فكرة واحدة وهي فكرة المتصطل والمتفصل مثلاً مدى تعمق البهائي في علم الحكمة . قضية

المتصل والمنفصل تبحث في الرياضيات وفي الفيزياء وفي الكيمياء . ومعنى المتصل أن الخط مثلاً قابل للانقسام غير المتناهي ، وكذلك السطح والمادة . ومعنى المنفصل أن الخط أو السطح والمادة يتألف كل منها من نقاط أو أجزاء دقيقة محدودة وأن الانقسام يقف عند هذه الأجزاء فهو متنه فالمتصل والمنفصل لفظان شاع استعمالهما في التراث العلمي العربي وانتقل إلى اللغات الأجنبية على طريق الترجمة فيقال في اللغة الانكليزية والفرنسية مثلاً للمتصل *continu, continuous* وللمنفصل *discontinu, discontinuous* وثمة لفظ ثالث "الحق بهما وهو *discret*" بمعنى المنفصل أي المتقطّع يطلق على بعض العوادث أو النقاط المفردة . اتصال الخطوط والسطح والأجسام والطاقة والضوء أو انفصالها شغل المفكرين منذ قديم الزمان وقد عرضنا في أكثر من موضع من كتبنا ومقالاتنا هذه القضية فلا نفيض فيها بل نكتفي بعرض بعض المفارقات واللمع الفكرية في تاريخ الفلسفة والعلم لنصل إلى موقف البهائي .

الانفصال في المادة عُرف في كلا المذهبين نيايا وفايشيشيكا عند براغمة الهند القدماء . ولقد نوه لوقيبيوس وديمكريطس ثم أبيقورس عند اليونان بأن المادة تتالف في النهاية من أجزاء لا تتجزأ . ولكن المعلم الأول أرسطو اعتمد الاتصال والانقسام اللامتناهي . وقد ضحك زينون الإيلي من فكرة الاتصال حين صوّر الخلف في فكرة العركة المتصلة فمثل أخيلوس ذا القدمين الخفيفتين يلحق بسلحفاة . فلو كان الطريق متصلة أي مؤلناً مما لا نهاية له من الأجزاء لكان أخيلوس كلما قطع نصف المسافة بينه وبين السلحفاة مثلاً ووصل إلى النقطة التي كانت بها السلحفاة لزم أن تكون السلحفاة قد قطعت مسافة ما . وهكذا لا يمكن له أن يلحق بها منطقياً مع أن الواقع بلوغه مكانها . ولما جاء المفكر الروماني القديم لوقيبيوس انضم إلى أبيقورس في تنويعه بانفصال المادة .

وثارت هذه القضية في التراث الإسلامي . فالاعتقاد بوجود الجزء الذي لا يتجزأ مذهب فريق واسع من المسلمين وهم غالبية المعتزلة وجمهور المتكلمين . وربما كانت آراؤهم بادئه بدء صادرة عن دوافع دينية . ذلك أن آباء الحسن الأشعري أخذ هذه النظرية عن سابقته من المعتزلة واعتمدتها في دعم اتجاهه الديني اذ حصر التناهي في المخلوقات والأشياء المحدثة وترك اللاتهائي الله . لقد

ورد في القرآن الكريم : « وكل شيء أحصيَناه في إمام مبين » وورد فيه أيضًا « وأحصى كل شيء عدداً » ولا يتم هذا الأحصاء إلا بماله نهاية . وعاود الفكرة تلميذه القاضي أبو بكر الباقياني وأتباعهما من المتكلمين .

وكان العرب المسلمين يقولون للأجزاء التي لا تتجزأ الجواهر الفردة والذرات . وقد تسربت فلسفة أرسطو الطبيعية إلى التراث الإسلامي وهي قد أنكerta الذرات فلا غرو أن نجد بين المترتبة من أنكر وجود الذرات أيضًا . وأبرز هؤلاء إبراهيم النظمان . ورد على النظام بمثل المفارقة التي نوأ بها زينون وذلك أن الماشي الذي يقطع مسافة متناهية يقطع ما لا نهاية له لأن هذه المسافة تتقبل القسمة إلى غير نهاية . ولكن النظام تخلص من هذه الصعوبة بالطفرة ويعتبرها أن الجسم المتعرك لا يمس . أجزاء المسافة التي يقطعها بل يصير إلى مكان دون أن يمر بالذي قبله .

وفي تاريخ التراث العربي الإسلامي صور متعددة لهذه القضية التي كانت تلوح للمفكرين وتشغل عقولهم . فالشيخ الرئيس ابن سينا من أكبر ممثلي الفلسفة الماشائية (فلسفة أرسطو وتلاميذه) . وقد قالوا إن الجسم كم متصل وفرقوا بين الانقسام بالفعل والانقسام بالقوس فأجازوا الثانية إلى ما لا نهاية وأنكروا الأولى .

ولما تعاور أبو الريحان البيروني وابن سينا جاء في السؤال الرابع الذي سأله البيروني ابن سينا في الرد على المعلم الأول : « لم استثنع أرسطو طالبيس قول القائلين بالجزء الذي لا يتتجزأ ؟ » وقد دشر البيروني بالصعوبة التي تكمن في القول بالجزء ولكنه وجد صعوبات أكثري في القول المقابل فأشار إلى أن « القول بأن الجسم يتتجزأ إلى ما لا نهاية أشنع . » ثم يسأل كيف التخلص من حرج كلا الموقفين . ويجيب ابن سينا أن أرسطو انا أراد الانقسام بالقوة ولكن البيروني يلزم منه اذ ذاك بمشكلة أن لو قسمت الأبعاد انقساماً غير متباين لوجب أن يساوي قطر المربع أحد أضلاعه لأن كليهما ينقسم إلى ما لا نهاية . ويبعدو من هذا أن النظرية تجاوزت الميدان الديني وغدت قضية مطروحة في الفلسفة الطبيعية عند مختلف المفكرين من مثل الفلسفة الماشائية ومن المستقلين البارزين

أمثال البيروني وهبة الله أبي البركات البغدادي ومن علماء الدين أمثال فخر الدينrazzi . وقد عرض هذا المفكر العلامة فخر الدين في كتابه «المباحث المشرقية» مختلف المذاهب في هذا الشأن مع براهين كل فتنة على مذهبها بحيث تتجلّى صعوبة كلا الموقفين وحرجهما . وورث العلم والفلسفة هذه المشكلة في العصور الحديثة وتوزّعها الباحثون على اختلاف مذاهبهم فلاسفةً وفيزيائين وكيميائين . ولا يمكن في هذا العرض السريع جلاء تلك المذاهب . ولكن لا بد من الالاماع بعضها ثم تحقيق ما أفضى إليه العلم في هذا الشأن . يذكر الفيلسوف الانكليزي برتراند راسل في كتابه *portraits from memory and other essays* الذي ترجمه أحمد ابراهيم الشريف بعنوان «العقل والمادة» وراجعه الدكتور ذكي نجيب محمود مثلاً عجيباً على الاستفراق في الفلسفة وهو لقاؤه للفيلسوف اليوغسلافي برانسلاف بترونييفك سنة ١٩١٧ وانهماك هذا الفيلسوف في مشكلة المجزء والمذرة منصرفًا عن الأحداث الخطيرة الجارية . يقول رسل : «وكان الصرب في ذلك الوقت قد نجحوا في الانسحاب الكلي الرائع أمام الغزاة الألمان وكانت متشوقة لأنّ أعرف القصة منه لأنّه شاهد عيان ، ولكنه لم يرد إلا أن يبسط رأيه في أن عدد النقط في المكان محدود وأنه يمكن تقديره حسب اعتبارات مستمدّة من نظريّات العدد . فكان هذا الاختلاف في الاهتمام من جانب كل منا مدعاة لحديث على شيء من العجب والغرابة . قلت : «أكنت في الانسحاب العظيم؟» فأجاب : «نعم ! ولكن لا ترى أن طريقة حساب عدد النقط في المكان هي ...» فأقول : «أكنت ماشيأ على قدميك؟» فيقول : «نعم، ان عدد هالا بد أن يكون أولياً» فأقول : «آلم تعاول أن تحصل على حسان؟» فيقول : «بدأت على ظهر حسان ولكنني سقطت من على ظهره ، ولا يمكن أن يصعب علينا أن نعرف أي عدد أولي هو .» وعلى الرغم من كل محاولاتي لم أستطع أن أحصل منه على أكثر من هذا القدر عن موضوع تافه (!) كالعرب العالمية، وأحسست بالعجب بقدرته على الثنائي بعقله عن حوادث وجوده الجسمى » .

أما في العلم الحديث فقد كان الاتصال أول الأمر من صفات الفيزياء الابتدائية التي سادت في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . فالمكان متصل والزمان مستقل عنه وهو متصل أيضاً . ولكن العلماء بالتدریج

ولا سيما في الكيمياء اضطروا إلى التخلّي عن فكرة الاتصال في مجالات تجاريّهم وتأملاً لهم . غدوا يتصرّرون المادة تتألّف من ذرات ولكن تصوّرهم كان مبهماً اضطروا إليه اضطراراً بسبب القوانين الكميّة لاتّحاد المناصر البسيطة بعضها ببعض كقانون النسب المحدودة لبروستوقانون النسب المضاعفة لدالتون وبسبب اعتبارات العالم الإيطالي أفعو غادرو لعبّجوم متساوية من الفازات تعتمي على عدد متساوٍ من الجزيئات وبالتالي من الذرات دون أن يستطيعوا بشكل من الأشكال أن يروا الذرة أو الجزيء ولو باقوى المجاهر . حتى انهم حسّبوا بطريق غير مباشر عدد الجزيئات الحقيقية فيما دعوه بالجزيء الفرامي (سمى هذا العدد عدد أفعو غادرو وهو يساوي 6×10^{23}) . وحسبوا أن الذرة لا تنقسم ثم رأّهم أن الذرة التي يدعونها في لغاتهم بالأتوم أي ما لا يتجزأ قد تجزأ ، وأن بناءها يشتمل على كهارب تدور حول نوى تتّالّف من أوّيلات وأوّيمات (بروتونات ونترونات) وكذلك على أجزاء أخرى دقيقة اعتبروها جمِيعاً نهاية المادة . وكذلك الأمر في الضوء وبعد اعتباره موجياً متصلًا نظر إليه على أنه يتّالّف من جسيمات دقيقة هي ما دعوه بالفوتون . ورأوا أيضاً أن الطاقة عند تبادل المادة والاشعاع لها إنما يحصل التبادل بصورة منفصلة . ولكن العلماء أنفسهم في الوقت نفسه كانوا مضطرين إلى الحفاظ على فكرة الاتصال لأنهم قرّروا بالأجزاء الدقيقة أمواجاً ذات مقدار رياضية والمواج يفيد الاتصال . وكذلك رأوا أن تلك الأجزاء الدقيقة يؤثّر بعضها في بعض تأثيراً متصلًا ضمن مساحات في المكان تجاذبية وكهرطيسية وما إلى ذلك . فالاتصال والانفصال بدأوا جانبيّن متّقاً بين لحقيقة واحدة . فدعا العلماء هذا الاقتران المقابل بالتنامية . ولن泥土 هذه التنامية الاشكال نظريّاً للحيرة التي يحيط العالم بها بدلاً من أن تحيط به .

مثل هذه الحيرة أو التنامية . نجد ها عند بهاء الدين العاملي . لقد كانت فكرة المتصل والمنفصل تشغل تفكيره اذ يتبدّى أحد الجانبيّن فيها تلو الآخر . فهو يعتقد فقرة في كتاب «الكشكوك» يبرهن فيها على ابطال الجزء فيقول : «ما سمع بخاطر جامع الكتاب تفرض دائرة مركبة من الأجزاء وتخرج فيها خطين مارقين من المركز بين طرفيهما جزء واحد من معين الدائرة فهما متقطّعان على

المركز فالانفراج الذي بينهما قبل التقاطع اما أن يكون بقدر الجزء أو أكثر أو أقل والكل باطل لاستلزم الأول كون المقاطعين متوازيين والثاني كون المتقاربين في جهة متباعدین فيها والثالث الانقسام » . (طبعة ١٩٦٦ ج ٢ ص ٢٠). ولكن في الكتاب نفسه يذكر لنفسه برهان على امتناع اللاتاهي فقد ورد في اثبات الجزء قوله : « ليس لشيتي الجزء حجة أقوى من حكاية وضع الكرة على السطح المستوي اذ لو انقسم موضع الملاقة لوصل من طرفيه الى مركزها ليحدث مثلث متتساوي الساقين ويخرج من ملاقة القاعدة عمود الى المركز . فالخطوط الثلاثة الخارجة من المركز الى المعيط متساوية لأنها كذلك ويلزم أن يكون أطوال الساقين أكبر من العمود لأنهما وتران القائمتين وهو وتر العادتين » (ج ٢ ص ١٤٥ - ١٤٦) .

وفي الكتاب نفسه أيضاً برهان آخر على امتناع اللاتاهي يسهل الرجوع اليه (ج ٢ ص ٥١) ويدرك المؤلف برهاناً ينسبه الى السيد السمرقندى على امتناعه (ج ٢ ص ١٩٧ - ١٩٨) ويناشئه . وهذا يدل فيما يدل على أن العاملى كان مُدمن الفِكَر في قضية اثبات الجزء أو نفيه . تارة يثبته وتارة ينفيه . فهو في هذه الحيرة العلمية يبدو في صف العلماء العديدين اذ كان هؤلاء العلماء يلحدون على التناقض بين هذين الوصفين المترتدين عند دراستهم للظواهر الميكروفيزيائية : يلوح فيها الاتصال فيغنى الانفصال او يلوح الانفصال فيغنى الاتصال ، فكانهما وجهان لعملية واحدة لا نراهما معًا . وان قصارانا أن نرى الوجه الواحد تلو الآخر .

وليس معنى كلامنا أننا نقبل برهانين بهاء الدين العاملى في هذا الشأن ، ميهات ! ذلك أن أساليب البحث والبرهان العلميين قد تبدل تماماً حين تجاوز العلماء مقاييس الظواهر الفيزيائية في السلم الانساني وبلغوا فيما دعوه بالميكروفيزيا شفا المادة والطاقة أي نهاية أطرافهم . ومع ذلك فهم يتساءلون هل الكهرب أي الالكترون وحبة النور أي الفوتون قابلتان للانقسام أولاً ؟ وهم يستشفون الجواب من أشكال المعادلات الرياضية التي تفيد صيفها كلاًًاً منها .

المهم هو أن تسجل قلق عالم كبير مثل بهاء الدين العاملى تجاه هذه القضية . وهو يشبه قلق العلماء المعاصرين وان كانوا نرى أدلة وأدلة أمثاله قدیماً من

العلماء في غاية السداقة . ولكنه يبدو أحصن موقفاً وأعمق فكراً وأنفذ ذكاءً حين يتعدد بين الجانبين كأن كلاً من الجانبين يتم الجانب الآخر على حد اصطلاح فلسفية العلوم المعاصرة . بل إن هذا القلق الفلسفى حول الاتصال والانفصال، حول الانقسام اللامتناهى أو الانقسام المتناهى جعل العاملى يُدخل هذه المشكلة في بعض الغازى التي كتبها تشيسياً للتفكير .

وصفوة القول أن بهاء الدين العاملى فقيه صوفى نعوى لغوى أديب راوية شاعر مهندس رياضي فلكى . وકأنما عناء القائل :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

نعم لقد قل أن تجتمع هذه الصفات العلمية والأدبية عند الغربيين ، وإن كنا نجدها أحياناً مجتمعةً ومؤتلفةً عند أعلام يارزين في الحضارة العربية الإسلامية بفضل الإسلام وحثّه على طلب العلم والمعرفة والحكمة . من هؤلاء الأعلام من نحن في صدد تكرييم ذكراءه . بل فوق ذلك كله نجد أنه يمثل في شخصه التعاون العميق بين العرب والإيرانيين في تجسيد القيم الرفيعة وفي ظل سلام العلم والمحبة . إن التأمل في مزايا هذا العلم المميزة وخصاله الفريدة يجعلها تسري في خفاء ويعاطف عميق إلى التأمل . ولما كان شاعراً جعلني أتفق بهذه الأبيات التي تلخص حياته وتحيي ذكراه :

فيما لفتى المعلوم العبرى
وشعر رائقٍ والفارسى
تقول عناق أمٌ للصبيِّ
مسير النور في الأفق القصىِ
وهدى من أدبٍ وضىٍّ
كما ازدان النوانى بالعلىِّ
ثمار تواضع القلب النقىِّ
وصوفياً وذا خلق رضىٍّ
وحب الألِّ مع حبَّ النبيِّ
حضارة عالمٍ باعِ غوىٍ

شدا كل المعلوم وفاق فيها
 وبالعربيٍّ نمَّقَ كلَّ شرِّ
لساناه تعانقتا ائتلافاً
له الكشكوك والمخلة سارا
ما كزان من علمٍ ووعظٍ
يزينان التراث على غناه
وما الأسماء ان حقَّقتَ الا
فيما لك عالماً وأديب عصر
تنهى الفضل والعرفان فيه
وتلك حضارة " فاقت سمواً



سمى فيها الشقيْ مع الشقيْ
عن الأقصى وعن حقَّ جليْ
تَنَمَّرَ مُمْعِنًا في كلِّ غيْ
وتاهت في الضلالِ المُنْجَهِيْ
هواء مع الأخْسَ مع الدنِيْ
على ساحِ الوجودِ الْيَعْرَبِيْ

حضرَةَ عالِمٍ لا خُلُقَ فيها
ليسترقا منازلنا ونُقْصِنِي
اذا صار الشقيْ رئيسِ قومٍ
قوى قد غطَرَتْ وطفَتْ عَنْتُوا
كان الدهر بعد هداه أمسى
لهاها الله من دنيا تَمَادَتْ

★

صروحَ المَجَدِ والعِيشِ الْهَنِيْ
أواصرُهَا من الدينِ السُّنَّيْ
وضَمَ الصَّفَّ والشَّمَمَ الْأَبَيْ
لدى الْبَاسَاءِ كالرَّكَنِ الْقَوِيِّ
زَهَتْ بالفارِ والزَّهْرِ الْجَنِيْ
وتعلَوْ في الفَدْوِ وفي العَشِيْ
الْيَسِ النُّورِ غَايَةِ كُلِّ حَيِّ
فاكِرِم بالثَّرَى العَطَرِ الزَّكِيِّ
رفِيفَ النَّجَمِ في اللَّيلِ العَتَيِّ
يقرَبَنَا مِنَ الْمَوْلَى الْعَلِيِّ
ويَبْقَى نُورُ قَلْبِ لَوْذَعِيْ

★

سَنْشِيْ لِلْمَلاَقُدَّمَا وَنَبَنِيْ
وَمَا أَحْلَى التَّعَاوُنَ في شَعْوبِ
وَلِيُسْ يَتَمْ الا بِالْتَّصَافِيْ
أَخَاكَ أَخَاكَ انْ أَخَاكَ حَقَّا
اذا اوْطَانُنَا ضُمِّنَتْ عَرَاهَا
ترَى الرَّايَاتِ تَخْفَقُ في رَبَاهَا
يُشَعِ النُّورُ حَلَوْا مِنْ حَمَاهَا
وَتُزَكِيْ كُلَّ مَكْرَمَةِ ثَرَاهَا
أَمَانِ لِلْقُلُوبِ تَرَفُ فيَهَا
لَعْمَرِيْ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ عَلِمْ
وَمَا شَخْصُ الْفَتَى الا خِيَالِ

★ ★ ★

نَظَرَتْ اَلِيهِ مِنْ طَرَفِ خَفَيِّ
سوِيْ مِنْ كَانَ مِثْلُ الْعَامِلِيِّ
سَلَاماً عَادِلَاً في كُلِّ حَيِّ
اَلِيْ مَجَدُ النَّبُوَةِ وَالْوَلِيِّ
فَكَنْ لَيْ مَسْعَداً في كُلِّ شَيِّ
زَكَا بِرِعايَةِ اللهِ الْفَنِيِّ
وَعَزَّيْ بِاَنْتِسَابِيِّ لِلْوَصِيِّ

أَتَيْتُ مُنَوِّهَا بِسَنَا بَهَائِيِّ
وَلَا يُسْطِيعُ انْ يُسْوِيْ سَنَاهِ
لَعْلَ الله يَكْلُونَا وَيُضَفِيْ
سَلامَ اللهِ وَالآيَاتِ تَهْدِي
الْهَمِيْ اَنْتَ تَلْعَمُ ضَمَفَ حَالِيِّ
وَمَا عَبْدُ الْكَرِيمِ سَوِيْ فَقِيرِيِّ
حَبِيبِيِّ كُلُّ مَعْبُوبِ لَدِيِّهِ

عبدالكريم اليافي

أساليب القرآن الكريم



مُعايَنةِ النفس الإنسانية

- ٣ -

د. محمد فتحي الدرّيني

منهج البحث موجهاً ومفصلاً

١ - مقدمة

- ب - الفرق العاسم بين « الرجاء والأمانى » في المفهوم القرآنى ، مصدرًا ، ومفهوما ، وحکما .
- ج - المعنى العقائدى، في الإسلام ، لا ينفصل عن العمل الديني ، وصلا للدين بالدنيا .
- د - تحذير القرآن الكريم المؤمنين ، أن يميلوا عن سنن الله تعالى الثابتة المطردة ، والنافذة أثارها - منذ القدم - في الأولين ، بسبب من الفحولة ، أو عامل الاستهواء ، والاغراء ، من قبيل من يتبعون الشهوات في كل عصر ، أو بداعى الرغبة في التعلل من تبعات رسالة التكليف ، ارسالا للنفس على عواهنتها ، أو التلهي بالأمانى الكوادب ، والتعلل بالأوهام ، على مasicياتي تفصيله ، وبيان وجه الاستدلال عليه .
- ه - القرآن العظيم ، وتقويته لمعنى النفس الإنسانية ، وتعبيتها روحاً في مواطن الجهاد القتالي ، تنفيذاً لمقتضيات سنته العامة المطئرة في هذا الوجود ، وتجنيباً للإنسان من اعتسافها .
- و - القرآن العظيم ، اذ يزجي في النفس الإنسانية المؤمنة ، روح البشري والترجمية ، يقرن ذلك بالتوعية ، والتبصير ، بعقاتق الوجود ، وسنن الله تعالى التي يتبعها في الحياة والأشياء ، ويقنهما على منطق طبائع الأشياء ، من خلال ما جاء به من « بصائر » لتكون على بيته من أمرها ، في كل ما تأتى به ، وما تذر ، وما تتخد من « مواقف » حاسمة ، في تقرير المصير .

ذ - يقف القرآن العظيم ، النفس الإنسانية على مسار التاريخ الإنساني الطويل، بل والموغل في القديم ، يستحضره ، من خلال التجارب الحيوية الواقفية التي مرت بها وعانتها الأمم الخالية ، تستهدي بـأعوام الموتة في توجيهها ، ثمرة لآثار وسنن الله المتحكم فيها .

ح - يرسم القرآن العظيم ، المنهج الأقوم الذي ينبغي أن تسلكه الإنسانية جماء ، في مسارها الطويل ، لو ثابت إلى رشدنا ، واستهدفت المصلحة الإنسانية العليا ، للبشرية كلها – وقد أعدد لها الله تعالى أعداداً خاصاً لذلك ، لتمكنها من التنفيذ ، والإداء ، مرشداً إلى موضوعية قيمه ، وانسانية ممثله ، وعلمية مبادئه ، وشموليّة مفاهيمه ، ومقدراً تغيير ظروفها ، بقوله تعالى : « إن هذا القرآن يهلي للتي هي أقوم » لكنه يحذر – في الوقت نفسه – من غرور الأوهام ، وحدّر الأماني ، ليصُرّ بما جاء به من بصائر وبيّنات من الهوى والفرقان ، ويوقف الوعي للدّات ، ويهدى إلى السنن العامة التي تقوم عليها حقائق هذا الوجود ، منذ نشأة الخلق الأول .

ط - شرع القرآن العظيم ، الوسائل العملية التي تعتبر من أصل تعاليمه ، في توهين القوى المعنوية للعدو ، ومنها ، وجوب المبادرة بـمهاجمته اذا تعينت خير وسيلة للدفاع ، وتتبشع في كافة مواقعه التي لا يزال بها ، أو اعتصم ، لمواصلة مقاتلته ، وتعزيز التوانى عن اللحاق به ، حيثما توقف ، أو استشعار الوهن في مجابهته ، وهو أصل عيّد مقرر في هذا الكتاب العزيز ، بصرىح النص .

ي - نهي المقاتلين عن التوانى عن المبادأة بالهجوم ، اذا تعينت خير وسيلة للدفاع ، يشمل – لزوماً عقلياً – نهיהם عن أن يتبعوا لأسباب الوهن التي يبنها العدو من خلال وسائل اعلامه ، أن تتسرب إلى نقوتهم ، أو أن يخدعوا بها عن أمرهم ، ليُردّ على العدو قصده من التغذيل ، والتثبيط ، والتوهين ، ومحاولة تحطيم البنى المعنوية للمجاهدين .

ك - معالجة القرآن للنفس الإنسانية ، بالقيم الروحية ، ذات أثر بالغ في امكانية تحقيق الصلاح الذاتي ، توصلاً إلى مهمته الكبرى من الإصلاح العالمي ، وتفسير ذلك .

ل - الأصل أن الإنسان الفرد ، لا يمكن أن يساهم في تحقيق حضارة إنسانية إذا كان هو نفسه ، غير متحضر إنسانياً ، وسييل ذلك هو اعتبار القيم العليا الخالدة ، في المقام الأول .

م - أقام الإسلام الدليل البيّن على صدق تلك « الحقيقة » من « فطريّة الوحدة الإنسانية تمهدًا لتحقيق مهمته من الإصلاح العالمي فنجد تلك « الحقيقة » – في منطقه القرآنى – « معتقداً » بـبصريح النص القاطع ، فضلاً عن أنها مما يكتب على العقلاة ، والعلماء ، والمتكلّرين ، بعده ، واتكاله .

ن - تصيلاً للمعنى الانساني العام في المجتمع البشري ، اعتبر الاسلام التمييز بالعنصر ، أو اللون ، أو اللغة ، تقضى لانسانية العضارة ، فضلاً عن أن هذا التمييز ، يشكل افتئاتاً صارخًا على مكونات الفطرة ، ومقوماتها ، وخصائصها ، التي برأ الله الناس عليها ، مما يحول بالآخرة دون امكان تحقيق منهجه العام في الاصلاح العالمي .

ص - تكوين الانسان معتقداً ، على أساس من القيم الروحية الموضعية المطلقة ، ذواثر بالغ في مدى تشكيل أبعاد تصوره للحياة والاحياء ، وأن عناصر هذا «المعتقد» ومفاهيمه الكبri - بما هي المنطلقات الأساسية للنشاط الحيوي في كافة أنواعه ، ومناجيه ، توجيهها ، وتحديد مسار ، ولا سيما على الصعيد الدولي - من أهم العوامل المؤثرة في امكانية تحقيق مبدأ الاصلاح العالمي الذي نادى به الاسلام منذ نزوله على الأرض وحيا ، وتفسير ذلك .

ع - القيم الروحية ضرورة حيوية لتحقيق مقتضيات الاصلاح العالمي ، بدليل أن كثيراً من ساسة الاستعمار في العالم ، وفي عصرنا هذا ، يوجه خاص ، لا يعوزهم «الضمير» ولكنه معطل الأحكام ، لغلبة الهوى والأثرة ، فضلاً عن أن هذا «الضمير» يتاثر حتماً بعوامل شتى ، من البيئة ، والنشأة الأولى ، والتقاليد ، والعادات السائدة ، والأفكار الضالة المنشقة عن تظريات سياسية أو اجتماعية فاسدة ، مما يفسد عليه تصوره ، أو يعتقل أحکامه .



أساليب القرآن الكريم في معالجة الفساد الإنسانية

مقدمة :

انتهينا في البحث الأنف ، إلى تقرير «حقيقة يقينية» قد أصطلها القرآن الكريم ، مؤداتها : أن «الإنسان» بمعناه الاستفزازي العام - أفراداً وشموباً وأيماً ، وفي ضوء الحكمة القرآنية - قد خلق للأمل ، والعمل : أشرفه ، وأحسنته ، وأجوده ، تميزاً حياً وأقيماً ، عن أمهات الفضائل التي صدق بها ابتداءً - عقلًا وقلباً - مصداقاً لقوله - عز وجل - : «فاما من أعطى ، واتقى ، وصدق بالحسنى» اذ لا يجزئ التصديق بها ، دون تحقيق معانيها ، وتنفيذ مضمونها - تعاملاؤسلوكـ بل ترى القرآن الكريم ، يقدم «العطاء» في الذكر ، على التصديق ببراعته ، في منطق الآية الكريمة التي تلوانا ، في حين أن «التصديق» أو «الاعتقاد» سابق في الوجود على العمل ، ذلك ما يقتضي به طبائع الأشياء ، والستن المطردة في الحياة ، وإنما قدم القرآن ما من شأنه التأخير - لكونه أثراً ، أو مسبباً للاعتقاد - اهتماماً بشان العمل والعطاء ، وحثا للناس على الاستجابة لمقتضى إيمانهم ، اذ كثيراً ما يقع «التناقض» بينهما لدى كثير منهم - تهاوناً أو انحرافاً - وبهذا ، جعل القرآن أمر التصديق بالحسنى - وهو إيمان الحق ، وما يقتضيه من الفضائل - جعل ذلك اعتقاداً سلوكياً ، لا اعتقاداً ذهنياً أو وجداً معرفياً ، حتى يكون للاعتقاد ما صدق «عملي» في موقع الوجود ، ولیكون «السلوك اعتقادياً» أيضاً ، بمعنى أن لاقية لسلوك مهما كان حسناً ، اذا لم يكن نابعاً أصلامن عقيدة صحيحة ، حتى اذا كان السلوك اعتقادياً ، كان ذا قيمة انسانية بالضرورة ، وهذا - في نظر العقل والشرع - هو الشأن في كل حيٍ سوريٍ ، الأمر الذي يؤكدهما تبدى لك آنفاً ، من أن حقيقة الرجال القرآنيـ في ضوء ما قررنا من السلوك الاعتقادي ، والاعتقاد السلوكـي - لا مكان فيها «للأمانىـ الكواذب» عرية عن العطاء المطلق ، مقوتاً بصدق الاعتقاد ، لصربيع ما تلوانا ، وبذلك يميز القرآن العظيم - كما ترى - تميز أحاسينا ، بين كل من «الرجال والأمانىـ» مصلراً ، ومفهوماً وحكماً ، وهو ما نتناوله بالبحث والتفصيل فيما يلى .

الفرق العاسم بين كل من الرجاء والأمانى ، في المفهوم القرآنى ، مصدراً ، ومفهوماً ، وحکماً .

١ - أما مصدراً ، فلان الرجاء في الله عزوجل ، وحسنظن به ، نابع من معين العقيدة نفسها ، معموداً بالعمل ، أساساً له ، أو شرطاً فيه ، بصريح منطق النص - كما أثربنا - فكان «الرجاء» لذلك ، أمراً عقائدياً ، فصلاً عن كونه عملاً ايجابياً بناءً منتجاً ، في آن معاً .

اما آية كونه عقائدياً في المقام الأول ، فذلك لأنَّ أمرَ تستلزم مطبيعة الاعتقاد نفسه ، والایمان بوجوده سبحانه ، استلزم اماماً حتمياً ، اذ ليس من المتصور عقلاً ، ان يكون ثمة اعتقاد ، او ايمان صادق باله عن وجـل ، دون رجاء فيه ، او حسنظن به ، او أمل مستبشر في عونه ، ونصره ، وغفرانه ! والاكان «الاستغناء» عن الله تعالى - والمياد يالله - وهو سبب شقاوة الحياة ، كما بيننا ، ولأنَّ «الاستغناء» لا يجتمع مع صدق الاعتقاد ، للتنافي .

يدل على هذا ، أن القرآن الكريم جعل التضرع اليه سبحانه - ولا سيما ابان الأزمات والضوانق والمحن - آية صدق العبودية له ، مصداقاً لقوله عز وجـل : «فاحذنهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ! » وقوله سبحانه - في وقعة بدر الكـبرى ، حين ادلهم الخطبـ، وعظمـت الكوارث ، واشتـد القـتـال ، وحـمى الوطـيس - يصف حال المؤمنين في موقفهم الحاسم : «اذ تستغـيثـونـ ربـكم ، فاستجـابـ لكم » فـكـانتـ «الاستجـابةـ» وهي النصر - عـقبـ الاستـغـاثـةـ ، لأنـها دـلـيلـ حـقـيـقـةـ العـبـودـيـةـ اللهـ جـلـ شـاهـهـ ، بل تـرىـ القرآنـ الكريمـ ، يـعنـىـ عـلـىـ الـذـينـ لـاـ يـتـضـرـعـونـ إـلـيـهـ ، وـقـتـ الشـدـةـ ، وـلـاـ يـلـجـاؤـنـ إـلـىـ رـبـهـ ليـكـشـفـ ماـ حلـ بـهـ مـنـ أـرـزـامـ ، فـيـ مـثـلـ قولـهـ تـعـالـىـ : «فـمـاـ اسـتـكـانـواـ لـرـبـهـ ، وـمـاـ يـتـضـرـعـونـ ! » وـلـاـ رـبـ ، أـنـ الـاسـتـكـانـةـ اللهـ سـبـحانـهـ ، وـالـلـجـوءـ إـلـيـهـ ، تـضـرـعـاـ ، مـظـهـرـ لـلـعـبـودـيـةـ الصـادـقةـ ، وـلـاـ مـرـيـةـ أـنـ الـعـبـودـيـةـ مـنـ صـمـيمـ الـاعـتـقـادـ بـوـجـودـ الـعـبـودـ ، وـحـسـنـ الـظـنـ بـهـ ، وـذـكـرـ دـلـيلـ كـونـ الرـجـاءـ - وـالـتـضـرـعـ أـبـلـغـ مـنـ الرـجـاءـ مـعـنـىـ - اـعـتـقـادـيـاـ فيـ المـقامـ الـأـولـ .

هـذاـ ، وـفـيـ الـحـدـيـثـ الـقـدـسـيـ فـيـمـاـ يـرـوـيـهـ الرـسـوـلـ يـتـبـعـهـ عـنـ رـبـ الـعـالـمـينـ : «أـنـاـ عـنـدـ حـسـنـ قـلـ عـبـدـيـ بـيـ » فـكـانـ الرـجـاءـ - وـحـسـنـ الـظـنـ بـالـهـ أـسـاسـهـ - دـلـيلـ صـدـقـ الـإـيمـانـ ، وـمـظـهـرـ الثـقـةـ المـظـلـىـ بـهـ جـلـ وـعـلاـ ، فـكـانـ - كـماـ بـيـنـاـ - نـابـعاـ مـنـ الـعـقـيـدـةـ ، وـأـمـارـةـ عـلـىـ صـدـقـهـ ، وـرـسـوـخـهـ ، ثـمـ هوـ - آخـرـ الـأـمـرـ - مـنـاطـ الـابـلـاءـ فـيـهـ ، لـمـاـ تـلـوـنـاـ ، بـخـلـافـ «الأـمـانـيـ» فـيـ الـمـهـمـوـمـ الـقـرـآنـيـ ، وـبـيـانـ ذـكـرـ :

أـنـ مـصـدـرـ «الأـمـانـيـ» - كـماـ عـلـمـتـ - غـرـورـ الشـيـطـانـ ، وـإـيـعـاءـ الـاسـتـهـوـاءـ ، لـصـرـحـيـ منـطـقـ النـصـ الـقـرـآنـيـ : «يـعـدـهـمـ ، وـيـمـتـيـهـمـ ، وـمـاـ يـعـدـهـمـ الشـيـطـانـ إـلـاـ غـرـورـاـ» فيـرـثـ ذـكـرـ ذـلـكـ فـيـ «الـإـنـسـانـ» ، اـغـتـارـاـ بـوـعـدهـ ، بـعـاملـ «الـاسـتـهـوـاءـ» .

هـذاـ ، وـقـدـ يـكـونـ بـ الـاسـتـهـوـاءـ بـعـاملـ الـفـرـيزـةـ الـعـبـيـاءـ ، وـإـيـعـاءـ مـنـهـ ، وـتـزـينـ ، وـأـيـاـ مـاـكـانـ ، فـالـاـغـتـارـ ، وـالـاسـتـهـوـاءـ الـنـفـسيـ، هـمـ مـصـدـرـ «الأـمـانـيـ» الـكـوـاـذـبـ ، مـاـ لـاـ يـمـتـالـيـ

«الرجال» الایجابي في مفهومه القرآني بصلة، لأن منبه «المقيدة»، «الصحيحة»، والوعي النفسي بحقائق الوجود، ولذا كان «الاغترار» بجميع مظاهره، معرّماً قطعاً، لأنّه سبب «الففلة» عن تلك الحقائق، ويسمّي «الغافل» في ميدان العيادة العملي، لأمررين :

أولهما : أنه ضربٌ من الاستباع لخطوات الشيطان - استهواه واغراء - وهو معرّم بالنص ، لقوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا، لا تتبعوا خطوات الشيطان ، ومن يتبع خطوات الشيطان ، فانه يامر بالفحشاء ، والمنكر»^(۲) ولقوله عز وجل : «يعدُّهم وينهُم ، وما يعدهم الشيطان الا غرورا»^(۳) ولقوله تعالى : «الكبير من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والفاجر من اتبَعَ نفسه هواها ، وتنمَنَ على الله الأمانى»^(۴) .

ثانيهما : ان مواطن الاغترار بالأمانى الجوفاء ، أو مظائنه - كما يقول الإمام الشاطبى^(۵) - قد جاء فيها «التغويف» في القرآن الكريم على نحو «اغلب وأشد» ، وعلّى ذلك بأن ذر المفاسد أكدر^(۶) ، فكانت «الأمانى» اذن وكما ترى من المفاسد الواجب درءها قطعاً ، وذلك آية «العزم» التي تفسر لنا شدة التغويف القرآنى من الوقوع فيها ، بما هي أوهام ، أو رؤى حالمات ، أو غفلة عن الواقع العى للمجتمع الانساني ، وعن سنن الله فيه !

وعلى هذا ، يتبيّن لك الفرق حاسماً بين مفاسدة الأمانى ، وبين عقائدية الرجال والأمل في الله تعالى ، مصلحاً ، على ما يقرره القرآن الكريم ، كما رأيت .

ب - وأما من حيث «المفهوم» و«الحقيقة» ، فالرجال - بما ورد في القرآن الكريم معقوداً بالعمل الصالح ، او بساط الشرط بالجزاء - كما قدمنا - يتضمن معنى «ايجابياً» قوامه الأمل المستبشر معقوداً بالعمل الجاد الصالح : «الأمل في الله تعالى - فرعاً عن الإيمان الصادق - والاستبشران بوعده ، عز وجل ، والاستيقان بإنجاز ما وعد ، والوفاء به ، مصداقاً لقوله سبحانه : « ومن أوفى بعهده من الله !! فاستبشروا ببِيْعِكُمُ الَّذِي بَايْتُمْ بِهِ»^(۷) ، على أن هذا المفهوم القرآني للرجال ، ليس استبشراراً خالصاً ، بل هو مشوب بالخشية من الله وقاراً ، لايُمان المسلم بعثمانة لقائهم به يوم العساب ؟

يرشدك الى هذا ، صريح قوله عز وجل: «والذين يتوتون ما آتوا ، وقلوبهم وجلة ، أنهم الى ربهم راجعون»^(۸) . وقوله تعالى في تضمينه «الرجال» ، معنى الخشية «ما لكم لا ترجون الله وقاراً»^(۹) ، فلم يخلص الرجال - كما ترى - لمعنى الاستبشران :

هذا ، ويستقر معنى الخشية في مفهوم «الرجال» في القرآن الكريم بتاكيد حلول أجل هذا اللقاء ، حتى ، في مثل قوله تعالى: «فَنِنَ كَانَ يَرْجُو لِقاءَ اللَّهِ ، فَانْ أَجَلَ اللَّهُتَ»^(۱۰) . على سبيل التاكيد ، من دخول اللام على خبر أداة التاكيد . على أن هذا هو شأن الإيمان نفسه ، من أنه دائِر بين الأمل والخشية ، على ما يقرره القرآن الكريم ، وبيان ذلك :

حقيقة الایمان نفسه دائرة بين الخوف والرجالء .

يقرر الإمام الشاطئي (١) هذه الحقيقة بقوله : « ومن هنا يتصور للعباد ، أن يكونوا دائرين بين الخوف والرجالء ، لأن حقيقة الایمان دائرة بينهما » .

والأدلة قد وردت في هذا الموضوع ، من قوله تعالى : « ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون (١١) » و قوله عن جل جلاله : « ان الذين آمنوا ، والذين هاجروا وجادلوا في سبيل الله ، أولئك يرجون رحمة الله (١٢) » و قوله جل شأنه : « أولئك الذين يدعون ، يبتغون الى ربهم الوسيلة ، أليهم أقرب ، ويرجون رحمته ، ويغافلون عذابه (١٣) » .

ج - وأما من حيث « الحكم » أو الوصف الشرعي ، فإن الرجال الإيجابي العامل - سواء أكان مسبوقاً بأداء أمانة التكليف ، وإنفاذ تعاليم الرسالة ، وتحقيق مثلها العليا ، في الواقع البيوي المعيش ، أم كان مقتضى ذلك ، أم لاحقاً له ، وبما هو فرع عن المقيدة الصحيحة ، وأماراة على صدقها ، كما بيئاً ، فإن هذا الرجال الإيجابي العامل ، مفروض و « مستجاب » من قبل الله تعالى ، بمقتضى وعده ، ولكنها جارياً على سنن ثابتة هومن وضع الله تكويناً ، ولكونه - آخر الأمر - من اللوازم العتيمة للايمان نفسه ، كما بيئاً ، اذ لا يتصور خلواً للنفس الإنسانية المؤمنة ، من الأمل المرجو في الله تعالى سمعقة ، ورحمة ، وعوناً ، وانعاماً ، وتوفيقاً ، ونصرة - حتى اذا خلت من هذه البواعث والأمال ، كان مردة ذلك الى احد امرتين ، او كليهما :

أ - ضعف الثقة به سبحانه ، او الاستفهام عن الله - والعياذ به - وهذا ليس من صدق الایمان في شيء ، بل هو مما ينكره !

ب - لمكان اليأس والقنوط ، او مظنته (١٤) والخوف من عدم الغفران ، للسراف في الشر والاثم ، وهذا قرين الكفر ، كما أسلفنا ، بصريح قوله عن جل جلاله : « انه لا ييأس من روح الله ، الا القوم الكافرون » .

اما مجرد « الاماني » باطراح التكليف ، والتعلل من أعباء الرسالة ، كفراً بها ، وتكتديباً لها ، او تهاؤنا في أمرها ، او تلبياً واغتراراً بالحل المني - فتلك - على النقيض من الرجال المقادئي الإيجابي - تشكل موقفاً سلبياً تجاه حقائق الوجود ، ومنافية بيئته للوضع الصريح للحياة الإنسانية التي وضعها الإسلام فيه ، تساوها مع فطرتها ، فكانت غفلة عن سنن الله الثابتة النافذة ، او اعتسافاً لها ، وملهاة صارقة عن مقتضياتها ، ومضيعة للحياة ، وسبباً في حسارة الآخرة ، كما قدمنا ، ومن هنا كانت هذه « الاماني » محرمـة قطعاً ، للأدلة التي أشرنا .

وتؤسـسـ على هذا ، فإن ايمان المرء وحده - في شرعة الاسلام - لا يُعفيه من المسئولية عن نفسه ، وعن غيره من الأفراد والمجتمع أيضاً ، التزاماً بأداء التكاليف ، وتحقيقاً للتكافل الإنساني الملزم ، ولا يمسـهـ بالتالي من توقيع الجزاء الوفاق على ما فرط

في جنب الله ، وتنكب سننه الثابتة في وضعها الشرعي العام – أخلالاً وتعطيلًا – إذ لا ينفع نفسها أيمانها ، دون تعبير عملي واقعي عنده ، ليتم الابتلاء فيه ، فذلك بتعمل أعباء التكاليف وأذانها على الوجه الأكمل – وفي حدود السعة والاختصاص – بجهاد مستمر أبداً ، وكذا دائب لا يفتر – ليقترب من مستوى المثل العليا ، وأنهات الفضائل – تكملة للنفس ، وتنمية لها ، وأداء لتكاليفها ، إن لم يكن في وسعه بلوغه ، مهما طال جهاد الإنسان العام ، وكذا عبر الأجيال المتعاقبة ، لقوله تعالى : « يا أيها الإنسان ، إنك كاذب إلى ربك كدحا ، فملأقيه » (١٥) أي دنياً وأخرى !

يرشد إلى هذا ، أن كذاب الإنسان ابتلاء وجه ربه الأعلى ، يتطلب زماناً طويلاً ، وعملاً جاداً ، وعطاءً كثيراً ، إذ عبّر عن هذا المعنى قوله تعالى : « ولسوف يرضي » دون الاكتفاء بسين التسويف (١٦) .

على أن مفهوم « الابتلاء » في القرآن الكريم – بما هو غاية الحياة الإنسانية – ليس مقصوراً على العقائد – وإن كانت هي النقطة الأساسية للسمى المسؤول ، والإحباط العمل – بل الابتلاء معنى شامل بابعاته ، للعقائد والشائعات العملية أيضاً ، بصربيع النصوص ، فالإسلام عقيدة وشريعة معاً ، والتکلف والإبتلاء شامل لهما ، والشريعة بوجه خاص ، قوامها تکاليف تستهدف تشديد الحياة الإنسانية على سنن ثابتة ، ودعائم راسخة ، هي عين سنن الفطرة ، لتبلغ أرفع مستوى من المعاني الإنسانية ، والمثل الرفيعة ، في كل عصر وبيئة ، عدلاً مطلقاً ، واحساناً، ومساواة ، وحرية ، وأخوة ، وعزّة وسيادة ، ومنعة وصلاحاً ، وتزكية ، وايشاراً وأصالحاً، وجهاداً بالأنفس والأموال ، وتسامحاً ، ورحمةً وحضارة إنسانية ، بل وتحريراً للمستضعفين المقهورين في الأرض ، ولو لم يكونوا يديرون بدين الإسلام ، ولا تربطنا بهم رابطة من الوطنية ، أو اللغة ، أو الدم ، أو الدين ، محققاً لأصول الظلم والمدوان والبغى في الأرض ، وليس ثمة من ايجابية – في التصور أو الواقع – أقوى أثراً ، وأشمل محتوى من هذه المعاني والمثل العليا الرائعة حقاً ، فيما نرى ، فدل ذلك قطعاً على أن الإيمان وحده دون أداء التكاليف لا يعفي من المسؤولية ، تلك حقيقة من العقائق المستقرة في شرع الله ودينه !

على أن هذا الأصل العظيم – من العمل والأمل – لا يتناهى – كما بياننا – ومقتضى المفقرة الشاملة ، على الرغم من اطراح العمل فترة ، أو اقتراف العاصي ، إذا تمت الآنابة إليه تعالى كما في قوله عز وجل : « قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقطعوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم » (١٧) ، وأنبأوا إلى ربكم .. الآية « لاختلاف العالين ، وبيان ذلك :

إن هذه الآية الكريمة ، مسوقة لمقصد بيان ، هو معالجة النفس الإنسانية وهي في مقام اليأس ، أو مفنته ، واحتمال وقوعه ، على ما يرشد إليه سبب نزولها الذي يكشف عن المراد منها (١٨) ، دون أن يخدع هذا السبب من شمول حكمها ، إذ العبرة بعموم اللفظ

لا بخصوص السبب » حيث ترى القرآن الكريم في هذا المقام ، لا يني بيت في النفس الانسانية روح التبشير والاطماع والتوجيه ، حماية ووقاية لها أن تتردى في حماة القنوط ، أو تسترسل فيه بعد الواقع ، لأن «القنوط» موت معنوي مبيد - كما أسلفنا - بخلاف «مقام الاسترسال في الهوى والشهوات» اعتماداً على «المعنى» على الله تعالى في القرآن ، عجزاً ، وحيناً ، واغتراراً بالأمانى المجردة، دون اثابة صادقة اليه عز وجل ، أو توبة نصوح ، أو عقد للزم على استئناف حياة جديدة ، قوامها «عمل ايجابي صالح» يقترب به إلى الله زلفى ، حيث ترى القرآن الكريم - في مثل هذا المقام - يؤكد وجوب «الجزاء» على الامعان في اجتراح العاصي ، والاصرار على انتهاك العرمات ، ايقافاً للنفس الانسانية من غفلتها ، وتبيضاً لها بمال أمرها ، لقوله تعالى : «ليس بامانكم ، ولا أمانى أهل الكتاب، من يعمل سوءاً ينجز به، ولا يجد له من دون الله ولباً ولا نصيراً»(١٥) .

ج - المعنى العقائدي في الإسلام ، لا ينفصل عن العمل الدنيوي ، وصلا للدين بالدنيا .

وعلى هذا ، فالمعنى العقائدي - كما ترى - لا ينفصل عن العمل الدنيوي ، بل هو روحه وملأ أمره ، إنفاذًا لرسالة الله في الأرض ، ووصلًا للدين بالدنيا ، وتفسيراً للوجود الإنساني فيها ، بل العمل الدنيوي - بشتى صوره ومتاحيه - هو المظاهر العملي الواقعي للمعنى الديني ، وتجسيده حي له ، حالة الأداء والتنفيذ ، فلا فصل - كما ترى - بين الدين والدنيا ، وفي هذا من الدلالة البينة على أن المعنى العقائدي في الإسلام ، حقائق وجودية ، تنفيذاً وما لا ، وليس مجرد تجريدات ذهنية ، أو فلسفية شاملة ، او ترافق فكري ، او مفاهيم ميتافيزيقية - كما يقال - ليس لها « ما صدقات » في الواقع العيوي للمجتمع الإنساني ! اذا لا يجوز شرعاً ، الاجتزاء بالمعنى العقائدي دون العطاء المطلق الذي يعبر عنه تعيراً واقعاً حسياً وأميناً - كما بياناً - فكانت العقائد - في الإسلام - سلوكية ، والسلوك اعتقادياً - كما ترى - وهذا سنتن الله ثابت ونافذ في الحياة الإنسانية ، منذ النشأة الأولى ، لقوله تعالى : « سنت الله في الذين خلوا من قبل ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً » (٢٠) لينهض بالوضع الصحيح للحياة الإنسانية ، وهي - على التتحقق - سنت الفطرة التي فطر الله الناس عليها - كما أسلفنا - لا تبدل لها ، ومن هنا يشكل تمطيلها ، او الاخلال بها ، او الخروج عليها ، نقضاً لطبيعة الفطرة نفسها ، ولن يتحقق عمل للإنسان خيراً في حياته ، ولا صلاحاً في أمره ، اذا جاء على النقيض من طبيعة فطرته ! ؟

وعلى هذا ، يتبع لك ، أن « التعمير » أو « الإيجاب » أو الأمر والنهي في الإسلام ، لم يكن تعكماً ، ولا اعانتا ، وإنما هو تدبير الهي للحياة الإنسانية ، وتوجيهها إلى ما تقتضيه طبيعة فطرتها ، وما تستلزمـه مقولية ، سنت هذا الوجود !!

د - تحذير القرآن الكريم المؤمنين ، أن يميلوا عن سنت الله تعالى الثابتة المطردة ، والنافذة آثارها - منذ القيم - في الأولين ، بسببـ من الغفلة ، او عامل الاستهواه والأغراء ،

من قبّل من يتبعون الشهوات في كل عصر ، أو يدعّى الرغبة في التعلّل من تبعات رسالة التكليف ، ارسالاً للنفس على عواهنتها ، أو التلهي بالأمانى ، والتّعلّل بالآوهام ، على ما سيأتي تفصيله ، وبيان وجه الاستدلال عليه .

هذا ، وأرشدهم — سبحانه — تطهيرأ لهم من رجس الأمم المخالفة السابقة ، وتوبّة منه — تعالى — عليهم ، ردًا لاعتبارهم — أقول من أجل ذلك كله ، أرشدهم إلى وجوب أن يستأنفوا مع الإسلام — حياة انسانية جديدة عاملة أملة ، ومتزنة مدينه الأقوم ، وسائلة سوء السبيل ، لتُبَرِّئ بذلك عن خصائص فطرتها ، ولتتبّوا مركزها الصحيح الذي أعدّ الله لها ، مستينة — لإنجاح سعيها ، وبلغة غايتها المرسومة لها — بما تزخر به مواطن العبر من التجارب الإنسانية الواقعية مع هذه السنن ، عبر القرون ، بما هي غنية بالعظات البالغة ، وعناصر الاسترشاد الموجّهة ، معايير الدليل القاطع ، على صدق تلك السنن التاريخية ، وحقيقة آثارها ، بوضع الله تعالى ، قصدّه سبحانه ، إلى إيقاظ الوعي الإنساني ، وتبصيره بالحقائق الاجتماعية والكونية الثابتة ، وتفليب جانب «الحكمة» والنّظر المقلّى الرشيد على منازع الهوى والشهوة وعوامل الاستهوان والتّفريز ، وإلى التّقليد والمحاكاة العياء ، تمهّيناً لهم من الاستواء على جادة الحق ، وتجنب موقع الميل والانحراف ، باجتراح المخاصي ، وانتهاك العرمات ، وممارسة البغي والمدوان على الشعوب الأمنة والمستضعفة في الأرض ، واقتراف صنوف الاجرام الدولي في حقّهم ، استلاباً للثروات ، وابتلاء الاستعلاء في الأرض والميّمتة الدولي ، ظلماً وعلا ، مما حذر القرآن الكريم من انتهاء سبيله — سياسياً وعسكرياً — في مثل قوله تعالى : « ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ، ليذيقهم بعض الذين عملوا ، لهم يرجعون » (٢١) وقوله تعالى الذي يصفّ خصائص المتدلين ، وال مجرمين دولياً ، بوجه خاص : « و اذا تولى سعي في الأرض ، ليفسد فيها ، ويهلك العرش والنسل ، والله لا يحبّ الفساد » (٢٢) مما تعرّثت ، بل انتكست به الحياة الإنسانية في مسارها التاريخي الطويل ، فأفضى بها ذلك حتّى إلى الغرور عن طبيعة فطرتها ، ووضعيّة الإنساني الرشيد ، حيث كان الهبوط ، والتدني ، والارتکاس ، واستشراء الظلم والفساد في الأرض ، ومعاناة أسباب الشقاء ، واضطهاد حبل الأمن والسلم العالمي ، مما اتّخذ مظهراً في العروب الشرسة الضاربة المدمرة التي تمتّ بسبب قوى إلى عهد البدائية الأولى ، ولكن على نحو أكثر وحشية ، وأظهرت ببربرية ، بفضل تطوير أدوات الفتك والتدمير ، ولا سيما في هذا القرن المشرين !

يؤكّد هذا ، بل ويؤصله ، قوله تعالى : « يريده الله ليبين لكم ، ويهديكم سنن الذين من قبلكم ، ويتوّب عليكم ، والله علیم حکيم ، والله يريده أن يتوب عليكم ، ويريد الذين يتبعون الشهوات ، ان تميلوا ميلاً عظيماً » (٢٣)

وتفصيل ذلك ، أن القرآن الكريم اذ يذّكر المؤمنين ، أن يمتنعوا ما وضعه الله تعالى من السنن الفطرية الثابتة ، والمطردة ، والنافذة آثارها في الأولين ، منذ النّشأة الأولى ، لقوله تعالى : « سنة الله في الدين خلوا من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلًا » (٢٤) أو يميلوا

عن حقائق القيم الإنسانية ، والمثل العليا الموضعية الثابتة الملقة التي هي من مقتضيات الفطرة الإنسانية وسنها ، أو يملاها ميلاً يخرجهم عن طبيعة فطرتهم ، أقول ان القرآن الكريم اذ يفعل ذلك ، يحضر لهم صوراً من الماضي الإنساني المريق في القدم ، وما وليه ، تاريخاً حافلاً بالتجارب الإنسانية ، يحضره أمام النظر العقلاني ، في كل عصر - تدليلاً منه على صدق ما يبصر به من حقائق ثابتة مطلقة ، بما هي تجارب حيوية واقعية للأمم السابقة ، أثراً لتعاملهم مع تلك السنن ، ووفقاً لطبيعة مواقفهم منها - سلباً أو إيجاباً - وأرثدهم إلى وجوب استغلال مواطن العبرة منها ، بما هي مادة خصبة للدرس والبحث والاستنتاج والاعتبار ، لقوله تعالى : «لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب»^(٢٥) . وقوله عز وجل : « قد خلت من قبلكم سنن ، فسروا في الأرض »^(٢٦) .

هذا ، وانما عرض ذلك ، تبياناً لعلاقة تلك السنن التاريخية ، وتبصيراً بآثارها المتممية ، كما أشرنا ، لأنها تجارب واقعية حقيقة ، لا وهمية : « ما كان حدديثاً يُفترى »^(٢٧) (ما يتضمن توجيهها قوياً للمؤمنين ، أن يفيناوا إلى تلك السنن الثابتة إذا ما انعرفوا عنها ، كيلاً يصيبهم ما أصاب السابقين من تكبدهما ، لأن قصد الشارع من الإلزام بها ، عملاً ، تعليم عباده المؤمنين ، روحياً ، ونفسياً ، ومادياً - مما الثالث به الأمم المختلفة من رجس حين اتبعوا الشهوات - ايثاراً لها على حقائق القيم وأصول الفضائل - والارتفاع بهم إلى مستوى إنسانيتهم ، وتجنيبهم ما قد آل إليه أمر أولئك من سوء المصير في وجودهم الدنيوي ، وهو المعنى بقوله عز وجل : « والله يريد أن يتعوب عليكم » .

هذا ، وتعتقل حقائق السنن الالهية ، وإيادها في الوجود الإنساني التي أشرت تلك التجارب الواقعية الفنية بالعبارات والمعطيات ، واستخلاص عناصر الاسترشاد منها ، إنما يتم عن طريقين :

أولهما : **النقل العقلي** ، والبحث العلمي الموضعي العر ، مما ينهض بالحكمة ، لقوله تعالى : « ويعلمهم الكتاب والحكمة »^(٢٨) .

الثانية : تعصين النفس الإنسانية بالتزكية عن طريق تعاليم الوحي الالهي : « قد أفلح من زكاها »^(٢٩) (أن تؤخذ بتأثير اغراء أو استهواه الذين يتبعون الشهوات في كل عصر ، افتتانها بها ، واستجابة لمنازع الهوى في المطاعم المادية القريبة العاجلة والخاصة ، وتحللاً من أعباء التكاليف التي لا تتفق وتلك المطاعم والأهواء ، ليخرجوا بالحياة الإنسانية عن الوضع الصحيح الذي وضها الإسلام فيه .

هذا ، ويستخلص من موقع **هذا** « التعذير » الحقائق القرآنية التالية :

أولاً - وجوب تغليب جانب الحكمة ، والنظر العقلي الرشيد ، كيلاً تتتحكم في النفس الإنسانية ، شهواتها ، وتهيئن عليها أهواها ، ففسد على العقل منفذ التفكير الموضعي العر ، أو تمطل أحکامه ، فيكون حينئذ ، « الميل » العتني عن سنن الحياة الإنسانية الفطرية السوية ، وحقائق مثلها ، وقيمهما الموضعية الخالدة ، ويفضي إلى سوء المصير .

ثانياً - واقعية هذه السنن التاريخية التي تنتظم الحياة الإنسانية منذ القدم ، وعبر أحقابها المتطاولة ، مما جهد القرآن الكريم في إيقاظ الوعي الإنساني بعاقبته وأبعاده، كيلا يستفرغ الاستهواه ، أو تنتابه الففلة ، أو يستبد به الوهم والاغترار ، أو يتربى الإنسان معه - آخر الأمر - في مهاري القنوط عجزاً ، وحيناً .

ثالثاً - حتمية آثار تلك السنن الالهية الثابتة بوضع الله تعالى ، تكويناً : « سنة الله في الذين خلوا من قبل ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً »^(٣٠) قوله تعالى : « سنة الله في الذين خلوا من قبل ، ولن تعد سنتَ الله تبديلاً »^(٣١) قوله سبحانه : « سنتَ الله التي خلت في عباده ، وخسر هنالك الكافرون »^(٣٢) .

هذا ، وقد كانت تجارب الماضين - بما هي ثمرة حسية واقعية لتلك السنن ، وفقاً للطبيعة موافقهم منها - ايجاباً أو سلباً - برهاناً ساطعاً على صدقها ، وحقيقةيتها وحتميتها آثارها ، وهذا يفسر لنا السر في كثرة ورود النصوص والأمراء بوجوب التناس العبرة من تلك التجارب ، ترشيداً للسمعي الدنوي على مقتضى من الحكم ، والنظر المقللي ، والبحث الملبي ، ليخلص إلى القياس المنطقي الإجمالي في المحسوسات ، بعد البحث والنظر ، أي « اعتبروا أنفسكم بهم ، حتى إذا عملتم عملاً لهم ، وسلكتم مسالكهم ، وسكنتم في مساكنهم ، فلما وعلوا ، أصابكم ما أصابهم » ومتذانع من مجاوزة حال النفس إلى حال النير ، أو العكس ، مقارنة وقياساً - كما ترى - وهو ما تقتضي به الحكم والتعقل ، وعمق الإدراك ، وصواب التقدير .

رابعاً : السنة الالهية الثابتة ، والنافذة في الخلق منذ القدم ، قدرٌ مقدور ، بوضع الله تكويناً ، بمقتضى نصوص الآيات التي تلونا ، وهي تقضي بأن الففلة عن مآل التخلع من أمانة التكليف ، وأطراح رسالة الوجود الإنساني ، والافتتان بالشهوة والهوى والتمهي بالأمناني الكواذب ، ميلاً عنها ، أقول تقضي بأن الففلة عن مآل هذا التخلع تؤدي - لامحالة - إلى الخروج بالحياة الإنسانية عن وضعها الفطري الصحيح ، والتسبب في انتكاسها ، مما يعقب المذلة والهوان والشقاوة في الدنيا أولاً ، جزاء وفاقاً ، فضلاً عن خسار الآخرة ، ووقائع التاريخ ، وتجارب الأمم ، أصدق شاهد على ذلك .

هـ - القرآن العظيم ، وتفويته لمعنى النفس الإنسانية ، وتعبيتها روحاً في مواطن العهد القتالي ، تنفيذاً لمقتضيات سنته العامة المطردة في هذا الوجود ، وتجنيها للإنسان من اعتسافها .

ليس عسراً على الباحث في أي القرآن العظيم التي تتعلق بتقوية النفس الإنسانية ، وتغيير طاقتها الكامنة ، وإيقاظ غرافي ملకاتها وقدراتها ، أن يلحظ ، أن هذه التقوية ، والتعبيبة ، والإيقاظ والاستئثار « تبدو - أكثر ما تبدو - في مواطن الجهاد القتالي ، ومجابهة أموال المreau المر العاتي ، بين العق والباطل ، ليحملها على « الشبات » في

تحمل مشاقه ، والصبر على لاؤاته ، على الصعيد الدولي ، بوجه خاص ، حيث ترى القرآن العظيم ، يبيت في خلدها ، أن هـذا الجـهـاد المستـبـسل في مـجاـبهـةـ المـدـوـ ، دـفـماـ لـمـدوـانـهـ ، وـازـالـةـ لـأـثـارـهـ ، وـاسـتـرـدـادـاـ لـماـ اـغـتـصـبـ منـ العـقـ عنـةـ ، انـ هـذـاـ الجـهـادـ المـسـتبـسلـ فيـ سـبـيلـ ذـلـكـ ، هوـ منـ «ـ صـمـيمـ التـقـوىـ »ـ المـتـورـعـةـ ، باـعـتـبارـ آنـ الجـهـادـ -ـ فـيـ مـنـطـقـ القرآنـ الـكـرـيمـ -ـ هوـ التـبـيرـ الـعـلـىـ الـوـاقـعـيـ عنـ «ـ التـقـوىـ »ـ ، وـصـدـقـ الـعـبـودـيـةـ ، شـهـ جـلـ وـعـلاـ ، أوـ بـالـأـحـرـىـ ، هوـ الـأـمـارـةـ الـظـاهـرـةـ الـيـقـنـيـةـ عـلـىـ تـفـلـقـ الـقـيـدـةـ فيـ أـعـمـاقـ الـنـفـسـ الـإـنـسـانـيـةـ ، تـرـىـ ذـلـكـ بـيـئـاـ فيـ مـثـلـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ «ـ أـحـسـبـ النـاسـ آـنـ يـتـرـكـواـ ، آـنـ يـقـولـواـ آـمـنـاـ ، وـهـمـ لـاـ يـفـتـونـ ، وـلـقـدـ فـتـنـاـ الـدـيـنـ مـنـ قـبـلـهـ ، فـلـيـعـلـمـنـ آـنـ الـدـيـنـ صـدـقـواـ ، وـلـيـعـلـمـنـ الـكـاذـبـينـ (٣٢)ـ »ـ فـالـفـيـضـ الـحـاسـمـ بـيـنـ الصـدـقـ وـالـكـذـبـ فيـ الـاعـتـقادـ -ـ كـمـاـ تـرـىـ -ـ هوـ الـجـهـادـ ، اـمـضـاءـ لـسـنـتـةـ الـابـلـاءـ !ـ

هـذاـ ، وـمـاـ لـرـيبـ فـيـهـ ، آـنـ سـبـحانـهـ يـعـلـمـ مـاـ تـكـنـ ؛ـ الـأـنـفـسـ ، وـمـاـ تـخـفـيـ الصـدـورـ ، وـعـلـىـ هـذـاـ ، فـانـ سـبـحانـهـ يـعـلـمـ مـاـ سـيـكـونـ مـنـ الـمـكـلـفـ قـبـلـ وـقـوعـهـ ، وـلـكـ الـآـيـةـ الـكـرـيمـةـ جـاءـتـ لـتـفـيدـ تـقـرـيرـ سـنـةـ الـابـلـاءـ عـمـلاـ ، لـبـرـيـ الـمـكـلـفـ نـفـسـهـ ، مـاـ يـصـدـرـ مـنـ وـاقـعـاـ ، وـلـيـقـيمـ آـنـ تـعـالـىـ الـعـجـةـ عـلـيـهـ مـنـ وـاقـعـ تـصـرـفـهـ ، قـطـلـاـ الـعـبـائـلـ الـمـاذـبـينـ :ـ «ـ قـلـ فـلـلـهـ الـعـجـةـ الـبـالـغـةـ »ـ وـلـقـولـهـ عـزـ وـجـلـ :ـ «ـ بـلـ الـأـنـسـانـ عـلـىـ نـفـسـ بـصـيرـةـ ، وـلـوـ أـلـقـىـ مـعـاذـبـهـ (٣٤)ـ »ـ وـتـرـىـ هـذـاـ الـاقـرـانـ بـيـنـ الـاعـتـقادـ وـالـجـهـادـ ، مـبـثـوـثـاـ فيـ مـوـاضـعـ كـثـيرـةـ مـنـ الـقـرـآنـ الـعـظـيمـ ، تـرـسيـغـاـ لـهـذـهـ سـنـةـ الـمـاضـيـةـ فـيـ الـأـمـ ، فـيـ مـشـلـ قـوـلـهـ سـبـحانـهـ :ـ «ـ آـنـمـاـ الـمـؤـمـنـوـنـ الـذـيـنـ آـمـنـواـ بـالـهـ وـرـسـوـلـهـ ، ثـمـ لـمـ يـرـتـابـواـ ، وـجـاهـدـواـ بـأـمـوـالـهـ وـأـنـفـسـهـمـ فيـ سـبـيلـ اللهـ ، أـولـئـكـهـمـ الـصـادـقـوـنـ (٣٥)ـ »ـ وـقـولـهـ عـزـ وـجـلـ :ـ «ـ وـالـصـابـرـيـنـ فـيـ الـبـاسـاءـ وـالـضـرـاءـ ، وـحـينـ الـبـاسـ ، أـولـئـكـهـمـ صـدـقـواـ ، وـأـولـئـكـهـمـ الـمـتـقـونـ (٣٦)ـ »ـ فـامـارـةـ الصـدـقـ عـلـىـ الـأـيـمـانـ وـالـتـقـوىـ ، هـوـ الصـبـرـ عـلـىـ اـحـتـمالـ أـهـوـالـ الـحـربـ ، وـالـتـرسـ يـافـاتـهاـ وـكـوارـثـهاـ ، لـأـنـهـاـ مـنـ أـشـدـ مـنـوـفـ الـبـاسـاءـ وـالـضـرـاءـ ، فـتـكـأـ وـتـدـمـيـرـأـ .ـ وـعـلـىـ هـذـاـ ، فـالـقـرـآنـ الـمـطـلـيـمـ يـوـقـطـيـنـ الـنـفـسـ الـإـنـسـانـيـةـ كـامـلـ وـعـيـهاـ بـعـقـائقـ الـوـجـودـ ، وـيـبـصـرـهـاـ بـالـشـنـنـ الـاـلـهـيـةـ الـمـاضـيـةـ فـيـ الـعـيـاـةـ الـإـنـسـانـيـةـ ، وـلـاـ سـيـماـ يـعـلـقـ بـتـقـرـيرـ مـصـيرـهـ فـيـ الدـنـيـاـ أـوـلـاـ ، وـيـلـفـتـهـ الـفـتـاـقـوـيـاـ ، إـلـىـ آـنـ الـجـهـادـ الـقـتـاليـ ، وـالـثـبـاتـ فـيـ مـوـاطـنـهـ .ـ وـالـصـبـرـ عـلـىـ كـوارـثـهـ ، هـوـ (ـ الـمـاصـدـقـ)ـ لـلـأـيـمـانـ وـالـتـقـوىـ ، وـلـهـذـاـ كـانـ الـجـهـادـ ذـرـوـةـ سـنـامـ الـإـسـلامـ ، كـمـاـ جـاءـ فـيـ الـعـدـيـدـ وـذـرـوـةـ سـيـانـهـ الـجـهـادـ »ـ فـلـاـ يـجـزـئـ الـإـسـلامـ بـالـأـيـمـانـ وـحـدهـ فـيـ تـدـبـيرـ الـعـيـاـةـ الـإـنـسـانـيـةـ عـلـىـ وـجـهـ هـذـهـ الـأـرـضـ ، كـمـاـ تـرـىـ ، وـانـ كـانـ هـوـ الـمـنـطـلـقـ الـأـسـاسـيـ لـلـسـعـيـ الـمـسـنـوـلـ عـنـ اـقـامـهـاـ ، اـذـ الـإـسـلامـ لـاـ يـعـرـفـ الـفـصـلـ بـيـنـ الـمـعـتـقـدـ الـدـينـيـ ، وـوـاقـعـ الـعـيـاـةـ الـإـنـسـانـيـةـ ، تـوـجـيهـاـ وـتـدـبـirـاـ ، سـاـ يـدـلـ عـلـىـ آـنـ عـقـائـدـهـ عـمـلـيـةـ حـيـوـيـةـ اـيجـاـيـةـ سـلوـكـيـةـ ، بـدـلـيلـ ماـ قـدـمـناـ ، مـنـ رـبـطـهـ الـأـيـمـانـ وـالـتـقـوىـ بـالـتـكـلـيفـ وـبـعـيـعـاتـ الـجـهـادـ ، رـبـطـاـمـ حـكـمـاـ وـعـلـىـ آـسـاسـ أـدـاءـ الـتـكـلـيفـ ، وـالـنـهـوـضـ بـعـيـعـهـ الـجـهـادـ ، يـكـونـ تـقـوـيـمـ الـاعـتـقادـ ، حـقاـوـصـدـقاـ ، اوـ زـيـنـاـ وـنـفـاقـاـ ، فـنـدـاـ الـاعـتـقادـ الـعـقـ -ـ كـمـاتـرـىـ -ـ آـنـمـاـ سـلـوكـاـ عـلـيـاـ ، بـلـ «ـ مـوـاقـفـ كـبـرـىـ حـيـوـيـةـ حـاسـمـةـ مـجـسـيـةـ لـأـرـقـىـ مـاـ يـتـصـورـهـ الـعـقـلـ مـنـ الـقـيـمـ الـإـنـسـانـيـةـ ، بـالـعـطـاءـ الـمـطـلـقـ ، وـالـإـيـثارـ الـمـبـعـثـ مـنـ الـنـفـسـ الـإـنـسـانـيـةـ ، سـجـيـةـ وـحـيـةـ عـارـمـةـ ، تـضـمـلـ أـزـاءـهـ كـافـةـ الـاعـتـبارـاتـ

المادية العارضة ، بحيث تبلغ حد التضخيّة بذات النفس ، فضلاً عن المال ، بل والتلّهف على « الاستشهاد » في سبيل المثل العليا التي آمنت بها ، بما أطلق القرآن الكريم عليهما « كلمة الله » وأنها هي « العليا » معنى ، وقيمة ، وجوداً ، يستميت في سبيلها المجاهد ، ليُنفي ما قد حاصل بأمة من ظروف قاسية ، وما نزل بساحتها من كوارث ، حفاظاً على عزة كيانها ، وسُؤدد وجودها الدولي ! ! ولأنّم للامسان العز ، بعد هذا ، وجهاً من التضخيّة والفداء ، أشرف ولا أبلى ، ولا أسمى ، في سبيل الحق الذي آمن به ، والمعتقد الذي أشربه روحه لتحقيق عزة وجوده !!

سنة الجهاد القتالي رسالة ، وثيقة الصلة بسنة التغیر وسيلة .

هذا ، وسنة الجهاد القتالي في الإسلام ، رسالة ، وثيقة الصلة بسنة التغیر وسيلة ، لقوله عزَّ شأنه : « ان الله لا ينفير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ومقتضاهما : أن تغيير الله تعالى أحوال الناس ، واعانتهم عليه ، وتيسير سبله لهم ، انا هو رهن بتغييرهم هم أولاً ، لما بأنفسهم ، سنة الهبة مطردة ، مما يجعل للإرادة العرة ، والاختيار الانساني ، الدور الأصيل في تحقيق التغيير واقعاً ، والقرآن العظيم صريح الدلالة على ما أولى الإرادة الإنسانية العرة من قيمة كبيرة ، وأثر فعّال ، في التدبر والتصرف في مصير الأمة ، سياسياً ، وعسكرياً ، واقتصادياً ، واجتماعياً ، وعلمياً ، لإطلاق النص ، مما ينفي « أصل العبرية » في عقائد الإسلام نفياً قاطعاً ، تقريراً لمبدأ المسؤولية والابلاء ، عدلاً .

و - القرآن العظيم ، اذ يزجي في النفس الانسانية المؤمنة روح البشري والترجية ، يقرن ذلك بالتوبيخة والتبيير ، بعاقبتِ الوجود ، وسنن الله تعالى التي يثنا في الحياة والاحياء ، ويقفها على منطق طبائع الاشياء ، من خلال ما جاء به من « بصائر » لتكون على بيته من أمرها ، في كل ما تاتي به وماتذر ، وما تتخد من « مواقف » حاسمة في تقرير المصير !

وتفصيل ذلك ، أن القرآن العظيم ، اذ يبيّن في المجاهدين روح البشري والترجية ، نصراً ، أو استشهاداً ، وفطراً بنعيم الآخرة - وهي خير وأبقى - تراه - في الوقت نفسه - يقرن ذلك ، بايقاظ « الوعي » في النفس الانسانية ، وتبييرها ، بعاقبتِ العيادة ، وسنن الوجود ، وأثارها العتيبة ، بجعل الله تعالى ، على سبيل المثال - يبشر بالنصر المبين ، على أنه « وعد منه تعالى لعباده المؤمنين المجاهدين الصادقين في جهادهم ، بل هو « حق » قد قطعه الله تعالى ، وأوجبه على ذاته العلية : « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » وبقوله جل ثناوه « ان تنتصروا الله ، ينصركم ، ويفتيث أقدامكم » فقد جعل النصر المبين على الأعداء ، معقوداً بنصر شرائمه ، ومبادئه ، وسننته في الوجود ، عملاً ، وإلتزاماً واداعاً ، عقد الشرط بالجزاء ، كيلاً يستهانوا بذاتهم الوهم ، أو يخالفها خدر الأمانة ، أو تستفرغها غفلة أو عمایة عن مكونات الواقع ، فتبسج في متأهبات من الأخيلة والتصورات ، أو تستأثر بها منازع الهوى والأثرة ، اسرافاً في المادة والشهوة وحب

الذات ، فتتعرّف عن ممَدَّلة الطريق ، وعماتقتضيه حقائق القيم ، عمداً ، أو جعداً ظاهراً مع استيقان النفس الانسانية بحقائقها ، وسمو مضمونها ، وبالغ اثراها ، مكابرة ، وافتئاتاً ، لقوله عز وجل : « وجحدوا بها ، واستيقننها أنفسهم ، فلما وعلوا^(٣٧) » انسياقاً وراء منازع الأهواء ، أيَا كانت صورة الهوى التي نزعت إليها ، من العصبية ، أو العنصرية ، أو الطائفية ، أو حب الهيمنة والاستعلاء على الشعوب المستضعفة المقهورة في بلادها ، انتهاياً لغيراتها ، وثرواتها ، تجد هذا بيّناً في مثل قوله عز شأنه : « قد جاءكم بصائر من ربكم ، فمن أبصر نفسه ، ومن عمي فعلها^(٣٨) » وقوله تعالى : « هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون^(٣٩) » ومن تلك البصائر ما ينتظم الوجود الانساني من سُنْنَة هي عن السنن التي انتظمت الأمم الخالية ، قدراً مقدوراً ، من نشأة الخلق الأول ، مصداقاً لقوله عز جل : « سُنَّةُ اللهِ فِي الدِّينِ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِ ، وَكَانَ أَمْرُ اللهِ ، قَدْرًا مُقْدُورًا^(٤٠) » وفي هذا المعنى يقول الإمام الشیخ محمد عبده ، ماتبه : « يصرح الكتاب أن الله في الأمم والأکوان ، سُنَّتَا لَا تَبَدِّلُ ، وَالسُّنَّتُنَّ هِيَ الطِّرَاطِنَةِ الثَّابِتَةِ التي تجري عليها الشُّعُونُ ، وعلى حسبها تكون الآثار ، وهي التي تسمى شرائع ونوميس ، .. والذى ينادي به الكتاب ، أن نظام الجمعية البشرية ، وما يحدث فيها ، هو نظام واحد لا يتبدل ولا يتغير ، وعلى من يطلب السعادة في هذا الاجتماع ، أن ينظر في أصول هذا النظام ، حتى يرد إليها أعمالها ، ويبني عليها سيرته ، وما يأخذ به نفسه ، فإن غفلَ عن ذلك ، فلا ينتظرون إلا الشقاء^(٤١) »

وعلى هذا ، فلا يملك أحد جهد سُنَّةِ اللهِ تَعَالَى فِي الْخَلْقِ ، أو انتكار آثارها فيهم ، كما لا يملك أحد لها تبديلاً : « فَهُلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا سَنَّةَ الْأَوَّلِينَ ، فَلَنْ تَجِدْ لَسْنَةَ اللهِ تَبَدِّلًا ، وَلَنْ تَجِدْ لَسْنَةَ اللهِ تَحْوِيلًا^(٤٢) »

هذا ، وقد تمثلت هذه السنن وأثارها ، في الواقع التاريخية الثابتة ، فغيرت مسار التاريخ في عهد الرسالة الحمدية ، وما تلاها من العصور ، بل غيرت معلم الجغرافية السياسية للعالم الوسيط ابان انتهاجها ، والسير على مقتضاتها باخلاص وتجدد ٠

ز - القرآن العظيم ، اذ يملاً النفوس الإنسانية أملاً مستبشرًا ، ووطيداً ، تقوية لمعنوياتها ، ولا سيما في مواطن الجهاد القتالي ، ويوقظ وعيها بما جاء به من « بصائر » ليصقرها بمكونات الواقع ، وسُنَّةِ الْوَجُودِ ، وأثارها فيه ، كما نوهنا ، تراه يقفها أيضاً على مسار التاريخ الإنساني الطويل ، يستحضره ، من خلال التعبار العيوبية الواقعية التي مرت بها ، بل وعانتها الأمم الخالية ، ل تستهدي بالعوامل المؤثرة في توجيهها ، ثمرة لأثار سنن الله فيها ٠

تبين بجلاء ما قدمنا آنفاً - فيما نحسب - ان القرآن العظيم ، اذ يملاً النفوس الإنسانية ، أملاً مستبشرًا يشيع بين جنباتها ، ورجام واثقاً في الله تعالى ، وعداً رفاهة المون ، والتوفيق ، والنصر في الدنيا - فضلاً عن الأجر المظيم في الآخرة - ليسوغها على أشد

ما تكون صلابة وعنتوانا في مواجهة العيادة ، بأخذاتها ، وصروفها ، وأرذانها ، ثم يبصّرها بحقائق هذا الوجود ، لتكون واقية ، وعلى بيته من أمرها ، في كل ما تأتي به وما تذر ، لأن خوارق العادات ليست أصلاً من أصولنا ، بعد الأنبياء والرسل ، ولتتبين منطق طبائع الأشياء ، وما يسلكها من سُنن ثابتة مطردة آثارها ، كيلا يغزّها ما ينزل بساحتها من كوارث فواجع ، لأنها كانت – كما بینا – على وعي من ارتباطها بأساليبها ، أقول ان القرآن العظيم ، اذ يتخد هذا المنهج القويم في مواجهة النفس الإنسانية ، ترجية ، وتبشير ، وتوعية وتبصيراً أيضاً ، تراه يقف النفس الإنسانية – في الوقت نفسه – على مسار التاريخ الإنساني الطويل ، يستحضره ، من خلال التجارب العية الواقعية التي عانتها الأمم الماضية ، لستهني بالعوامل المؤثرة في توجيه وقائمه وأحداثه ، سواء عن طريق «القصص الواقعية» التماساً للعبرة ، بعد تعلقها ، وامعان النظر في الأساطير الكامنة وراء أحداثها ، لقوله عز وجل : «لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الآباء ، ما كان حديثاً يفتري» (٤٢) أم كان من خلال الاشارة الى ما ينتظم العيادة من سنن الهيبة مطردة ، حتمية الآثار – كما قلنا – لقوله جل شأنه : «يريد الله لبيّن لكم ، ويهديكم سُنن الذين من قبلكم» (٤٣) «تمكيناً لها من أن تتخذ» مواقف «حيوية حاسمة ، على ضوء من هذه العبر المستخلصة ، وأثار تلك السنن الماثلة في تجارب الماضين ، سواء أكانت تلك الآثار سلبية أم إيجابية ، تبعاً لطبيعة «الواقف» المتقدمة ، واتجاهاتها ، ولا سيما ما يتعلق منها بالقضايا الكبرى المصرية ، فتلخص ، أن أي القرآن العظيم الذي تتعلق بتقوية النفس الإنسانية ، وتعيتها ، معنوياً ، وروحياً ، وباستماراة كوامن ملكاتها العليا ، وتجغير طاقاتها الفطرية ، تبدو – أكثر ما تبدو – في مواطن الجهاد القتالي ، حلاً لها على «الثبات» في ميدان المراجع المرّ العاتي ، وتحمل لوازمه ، ونتائج الطبيعية ، من الكوارث ، والفواجع ، لأن هذه النتائج ، من مستلزمات القتال ، وسنة الله فيه ، ولذا أشار القرآن الكريم الى أنها «قدر مشترك» بين المجاهد وعدوه ، لقوله تعالى : «ان تكونوا تالمون ، فانهم يالمون كما تالمون» (٤٤) والفارق هو أنكم : «ترجون من الله ما لا يرجون» (٤٥) فالرجاء في الله تعالى في النصر المفعم به قلب المؤمن بربه، قوة نفسية، وطاقة روحية هائلة ، لا تنفصل أبداً عن القتال المستحبت في سبيله ، وابتغاء مرضاته، والا كان خواء ، وضرراً من الأمانى الكوابذ ، وليس «ال takoal» عن هذا المعنى الأخير بعيد.

هذا ، واذا كان الجهاد – كما قدمنا – من صميم «القوى» لصریح قوله تعالى : «والصابرين في اليأس ، والضراء ، وحين اليأس ، أوئلک الذين صدقوا ، وأولئک هم المتقون» (٤٦) فإنه – في الوقت عينه – أماره، ومظهره يبین على صدق الایمان ، ورسوخ العقيدة ، بل هو مما تقضي به سنة الابتلاء التي هي الغاية الفخرى من هذا الوجود الانساني على وجه هذه الأرض ، لقوله تعالى: «تبارك الذي بيده الملك ، وهو على كل شيء قادر ، الذي خلق الموت والعيادة ، ليبلغوك أیشكم أحسن عملاً» فالابتلاء هي السنة الماضية في الأناسي منذ نشأة الخلق الأول ، قدرًا مقدوراً ، لقوله عز شأنه : «سُنّة الله في الذين خلوّا من قبل ، وكان أمر الله قدرًا مقدوراً» (٤٧)

ومن هنا ، تدرك ، أن القرآن الكريم ، يربط العقائد – ومن أجله ثمراتها التقليلية – بالتكليلية بوجه عام ، والجهاد بوجه خاص ، وصلة لحقائق الدين بنظام الدنيا ، وصلة عضوية واقعياً محكماً ، بحيث يكون أداء الثانية ، واقامتها ، دليلاً بيئياً على صدق الأولى ، أو مظهراً محسداً لضمونها ، ومقتضياتها ، حتى لا تبقى تلك العقائد مجرد تجريدات ذهنية فلسفية لا صلة لها بالواقع العيوي ، وتدبر شؤون الأمة ، بما يتحقق مصيرها ، ولتقييم العجة البالغة على المكلفين أنفسهم من واقع تصرفهم في حياتهم ، وما كانوا يتغذون من « موقف » حيوية حاسمة ، تجاه أحداث عصرهم ، ومصائر شعوبهم ، وبذلك حسم القرآن العظيم ، الفرق بين الرجاء الإيجابي العامل العاد المثير للبناء ، وبين التواكل ، أو الأماني الخرواء في النصر ، أو في الحياة بعامة ، مجرد عن اتخاذ الأساليب العملية المناسبة والفعالة من الاستبسال في الجهاد ، وخاصة ، وأداء التكاليف ، واقامة العيادة الإنسانية المثلثى بعامة .

ح – القرآن العظيم ، اذ يرسم المنهج « الأقوم » الذي ينبغي أن تسلكه الإنسانية جماعاً في مسارها الطويل لو ثابت إلى رشدتها ، واستهدفت المصلحة العليا للبشرية كلها سوقة أعدها الله تعالى أعداداً فطرياً خاصاً لذلك ، لتمكينها من التنفيذ والأداء ، مرشداً إلى موضوعية قيمه ، وانسانية مثلك ، وعالمية مباداته ، وشمولية مفاهيمه ، ومقدراً تفشر ظروفها ، يقوله سبحانه : « إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم » يعذر – في الوقت نفسه – من غرور الأوهام ، وخداع الأماني ، ليبصر بما جاء به من بصائر ، وبينات من الهدى والفرقان ، ويوقظ الوعي للذات ، ويهدي إلى السنن العامة التي تقوم عليها حقائق هذا الوجود ، منذ نشأة الفلق الأول .

هذا ، وترى القرآن العظيم ، ينص صراحة ، على أن « أمانى المرء » التي تحمله على التواكل ، والاغترار ، والاسترخاء – بما هي خلوٌ من العطاء ، والتفضيالات الجسام عند الاقتناء ، ولا سيما في مواطن البأساء والضراء ، وحين البأس ، أي دون جهاد مرضٍ ، وتحمله لأشد مشاق القتال ، أقول ان تلك الأماني ليست من السنن الالهية في شيء ، بل « الأماني » المجردة ، أوهام وأخيلة ، أوهي من غرور الشيطان ووعده ، لمناقضتها لسنة الحياة نفسها ، ولكنها مضادة لراد الشارع من وضها ، ومفضية – آخر الأمر – إلى نتائج عكسية ، وأن المبني على آلة الأماني ، مجرد من تبعات التكاليف بعامة ، والجهاد وخاصة ، يطمس في نفسه « أصول المسؤولية الكبرىٰ » عن مصير أمته ، ويتجاهل ستة أحراز النصر لها في جهادها الواسع مع عدوها ، وأن النصر – في منطق القرآن العظيم ليس هبة تعطى ، وليس ثمنه مجرد أمنية تطوف بالخيالة ، أو دعاء يتضرع به ، أو أمل سانع في سماء الأوهام ، والرؤى الحالة ، بل « النصر » – في شرعة الإسلام – باهظ التكاليف في الأنفس والأموال ، بما يتطلب من النفس الانسانية أن تستفرغ كافة طاقاتها ، وتبذل من ذات نفسها ، وتتصبر في مواطن المحن صبراً يكاد يشارف على ما يشبه اليأس ، ولكن لا يقع فيه ، لقوة إيمانه ، اذ « النصر » – كما تصوره الآيات الكريمة – وان كان من عند الله تعالى القوي العزيز الحكيم ، غير أنه « مطلب عزيز » لا يناله الا اولو العزم ، ولو

كانوا من الرسل !! حتى ليكاد الجهاد من أجل الظفر بالنصر ، يذهب بصير المؤمنين ، ويأتي على رباطة جاثهم ، وقوة عنفوانهم ، بل قد يحمل – لشدة مأساه ، وكوارثه – على الدخول في مداخل تشبه « الاستيئاس » لفروط ما كان الرسول نفسه عليه السلام وأصحابه يتحملون من أحوال ، ويعلنون من ويلات ورهاق ، بعد هذا جلياً ، فيما تبرهن عنه الآية الكريمة من قوله عز شأنه : « **مَسْتَهُمُ الْبَاسِاءُ وَالضَّرَاءُ، وَزَلَّلُوا** ، حتى يقول الرسول ، والذين آمنوا معه ، متى نصر الله(١) !! » .

هذا ، والتعبير عن « زلزلتهم » بصيغة الماضي ، تأكيد للوقوع ، هذه هي سنة العيادة ، وتلك آثارها الحتمية ، قدر مقدور ، لا تبديل له ، وقد جاءنا من نبا الدين من قبلنا ، منن سلكوا سبيلها ، والتزموا بها التزاماً طوعياً أيامانياً صادقاً ، فاجتنبوا ثمارها جنحياً بعد تمرس شديد بآفات الجهاد ونتائجها ، احراراً للنصر المؤزر ، ما يدل على أن من ابتفى « نصراً » من غير هذه الطريق ، أو دون سلوك هذه السنة الثابتة المطردة في الحياة والأحياء ، فلن يعرّفه أبداً ، لأنه في غفلة عن سُنن الله التي أقام عليها هذا الوجود الانساني ، تفسيراً له ، نشأة واستمراراً ، ومصراً ، وقد يتصدر القرآن العظيم بعقائده ، ليستهدي بها ، إذ الأسباب التي وضعتها الله تعالى في أيدي المؤمنين ، ينبعى اتخاذها ، لتحقيق ما يرجون ، ولترتبط عليها مسباتها ، بارادة الله تعالى وجمله ، ونظام شرعه في كونه ، وفي حياة المخلوقين على السواء ، مما يدل دلالة قاطعة على أن من يضاد الله تعالى في سُنته ، كمن يعصي الله في شرعه .

هنا ، واتخاذ « مواقف » مناقضة لسنن الله تعالى ، ثم المكوف على التبني ، أو الانعطاف على النفس – اقتاعاً لها ، بان الله تعالى سيتولى نصرها – هو محاولة للتخفيف من أعباء التكاليف التي أوجبها الله تعالى لاحراز النصر في شرائعه ، وبمبادئه ، فضلاً عن عقائده ، ولا ريب أن التخفف منها منافق لمنطق النص الصريح رأساً ، في مثل قوله جل وعلا : « **وَلِيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مِنْ يَنْصُرْهُ** » أي في شرائعه وتعاليمه وبمبادئه وسننه الثابتة ، لأن هذا هو المعنى المراد ، والا فما تزال لا يفتقر الى من ينصر ذاته العلية ، وإنما المراد انفاذ كل أولئك عملاً وأداءً .

هنا ، وقد جاء الربط – كما ترى – بين نصر الله تعالى للمؤمنين ، في كافة شؤون حياتهم ، لا في الجهاد القتالي فحسب ، لاطلاق النص في منطق الآية ، وبين نصرهم هم أولاً لشرائعه ، وسننه عملاً وقوعاً ، وأفرغه في صورة قسم ، للتأكيد ، « **وَلِيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مِنْ يَنْصُرْهُ** » وله تعالى بار يقسمه ووعده ، دون ريب ، وقد أكد الله تعالى هذا الربط أيضاً في صورة أخرى ، **سَنَّةٌ ثَابِتَةٌ مِنْ سَنَنِهِ فِي الْوِجْدَوْدِ** ، هي صورة الشرط والعزاء ، في مثل قوله تعالى : « **أَنْ تَنْصُرُوا اللَّهُ يَنْصُرُكُمْ وَيُبَيِّنُ أَقْدَامَكُمْ**(٢) » .

وعلى هذا ، فلن يكون ثمة جزء ايجابي اذا غاب شرطه ، ذلك من بدائه العقل والشرع ، لأن مثل هذا الارتباط بين الشرط والجزاء ، قد جرى الأسلوب القرآني على اعتباره « **سَنَّةٌ الْهِيَةٌ ثَابِتَةٌ مَطَرَّدَةٌ** ، حتمية الآثار ، يجعل الله تعالى ، ووضعه تكتيماً ،

لا تنتقض ولا تتغلف ، فكانت نظاماً الهيأة الإنسانية عليه ، ليؤتي ثماره ، والا كان النقيض !! وهذا ما يقتضيه منطق طبائع الأشياء أيضاً ، فضلاً عن منطق الشرع ، اذ لا يُعقل في موقع الوجود ، أن يتم نصر "مؤزر دون جهاد قد تم اعداده وعدّته ابتداءً" ، وانطلق المجاهدون بداعٍ عقائد صحيحة ومثل علياً ، هي روح العمل القتالي ، وغاية أمره ، والا كان مجرد اقتتال على منافع مادية ، وتتکالب عليها ، كما هو الشأن في شريعة الفاب ، وما أمون ! لأن هذا التناکاس ، وتقهره إلى عهد الجاهلية الأولى ، حيث كانت «القوة» هي التي تتحكم في العلاقات بين الناس ، ليصبح ما تعلمه القوة الفاشية ، وما تنتهي إليه ، هو «العدل» المزعوم ، مما يرفضه العقل ، والوجدان ، والضمير ، والدين : «أفحكم الجاهلية ببغون ، ومن أحسن من الله حكماً ، لقوم يوقدون(٤٢)»

لهذا ، ترى القرآن الكريم ، يعتبر «الأمانى» على الله في تحقيق النصر ، دون أن يأخذوا أنفسهم بسنّة الجهاد القتالي التي أرساها القرآن العظيم بصريح نصوصه في مواضع شتى ، مصوّفة في أسلوب قسمى تارة، أو شرطي تارة أخرى – كما بينا – اعتبر هذه الأمانى مضيعة للحياة ، وملهاة صارقة عن الوقوف على حقائق الإسلام في هذا الوجود ، بل قد أشار إلى أن هذا التمنى الألوجى – ومنه التواكل – من سمات الكفر ، بصريح قوله عز شأنه : «ذرهم يأكلوا ، ويتقنعوا وينتهي لهم الأمل ، فسوق يعلمون(٤٣)» .

هذا ، ولا يخفى ما في تدبیل الآية الكريمة بقوله تعالى : «فسوف يعلمون» ، ومن التهديد ، مما يدل على أن التلمي بالآمال والمنى الكواكب منشأه الكفر ياهه تعالى ، وشرعه ، وسننه .

ط - شرع القرآن العظيم ، الوسائل العملية التي تعتبر من أصل تعاليمه في توهين القوى المعنوية للعدو ، ومنها ، وجوب المبادرة بمحاجمته ، اذا تعينت خير وسيلة للدفاع ، وتتبّعه في كافة مواقعه التي لاذ بها ، او اعتصم ، لمواصلة مقاتلته ، وتحريم التوانى عن اللحاق به ، حينما وجد ، او استشعار الوهن في مواجهته ، وهو أصل عتيد مقرر في هذا الكتاب العزيز ، بصريح النص ، تفصيله فيما يلي :

ان من أصل مبادئ القرآن العظيم ، فيما يتعلق بهذا الصدد ، اعني بالجهاد القتالي ، ما قرره ، من وجوب المبادرة بمحاجمة العدو ، والنهي عن التوانى عن مبادرة العدو بها ، اذا تعينت هذه المبادرة بالمحاجمة خير وسيلة للدفاع ، حسب الأحوال ، ومقتضيات الظروف ، ومعطيات الخبرة العسكرية ، مما تعلمه طروراً «الموقف» .

هذا ، وقد حرم الله تعالى التقاous عن مواصلة مقاتلة العدو ، وتبعي مواقعه التي لاذ بها ، او اعتصم ، بعد شن الهجوم عليه ابتداء ، اشاعة للرعب في صفوفه ، واحباطاً لخططه المدبرة قبل تمكنه من تنفيذها ، وصدأ له عن التمكن من المبادرة بالهجوم علينا ، اتقاء لشره ، ودفعاً لمدواه قبل الواقع ، ولاريء أن هذا من قضايا العقل والدين ! !

هذا ، ومناط حكم وجوب شن الهجوم على العدو ابتداء^١ ، وتتبّعه حيثما ثُقْفَ ، هو « العداء السافر » بما هو شعور حاد جارف يقتضي بعم من الفيظ الذي من شأنه أن يحمل العدو على تبييت نية العلوان ، بل والمبادرة به ان استطاع ، وتنفيذ كل خطة ترمي إلى تحقيق ذلك كلما واتته الظروف ، وهذا أمر « واقع » لا سبيل إلى تجاهله ، أو إنكاره ، ومن هنا ، كان الأمر بالمبادرة بمحاجمته ، بنص الكتاب العزيز ، وتعريف التقاوئس عنها ، معاملة له بتفيض قصده ، وأحاطاً لسعيه ، وافتاداً لخططه عليه ، ولأن هذا « الهجوم المبتدأ » قد تعيّن أنه خير وسيلة للدفاع ، على ما افترضنا .

أما النص المرجع الذي ينهى بوجوب المبادأة بمحاجمة العدو ، فذلك في قوله عز شأنه : « ولا تهنووا في ابتغاء القوم ، فإن تكونوا تالمنون ، فإنهم يالمون كما تالمون ، وترجون من الله ما لا يرجون »^(٤) .

ووجه الدلالة ، أن « الابتغاء » في متنطق الآية الكريمة يعني « الطلب » وطلب العدو لغة ، هو مبادأته بالهجوم مقاتلة وجاء النهي صريحاً بمنطق النص ، عن التوانى والاسترخاء عن النهوض ببعض هذه المبادأة ، والنهي عن الشيء ، أمر بضدِّه ، والأمر يفيد الوجوب ، وهو وجوب شن الهجوم ابتداء ، يؤكّد ذلك ، سياق الآية الكريمة من حيث على تحمل أرزقاء العرب ، وكوارثها : « فإن تكونوا تالمنون ، فإنهم يالمون كما تالمون » وهذا القدر المشترك من الآلام ، بين المجاهدين وعدوهم ، لا يكون الا في ميدان القتال !

ي - نهي المجاهدين عن التوانى عن المبادأة بالهجوم يشمل نهיהם عن أن يتبعوا لأسباب الوهن أن تتسرّب إلى نفوسهم .

على أن النهي عن التوانى عن المبادأة بالهجوم يشمل - فيما يشمل - نهיהם عن أن يتبعوا لأسباب الوهن أن تتسرّب إلى نفوسهم ، لاضماع قواها وملكتها ، وعزمها ، لأن يُصيغوا إلى ما يبيّه العدو من خلال وسائل اعلامه - من عوامل « التشبيط » و « التخديل » في إطار ما يسمى « العرب النفسية » ليفت في عضدهم ، أو يُقدمهم على مواصلة القتال ، تهيباً وضيقاً ، أو أن يُخدعوا بها .

والنهي عن الشيء نهي عن لوازمه ، كل ذلك مشمول بقوله عز وجل : « ولا تهنووا في ابتغاء القوم » مما يدلّ قطعاً على أن الشارع الحكيم ، قد قصد تدمير القوى النفسية للعدو أولاً ، وتحطيم بنية العسكرية بهذه المبادأة ، والمتابعة ، للتغلب عليه ودحره !

تشير أي القرآن العظيم ، إلى أن مقصد الشارع الحكيم ، من الجهاد القتالي ، هو مواصلة مقاتلة العدو ، حيثما ثُقْفَ ، وفي كافة مواقعه ، بعد المبادأة بمحاجمته ، بما يكون المجاهدون قد أعدوا له من الغطاء العلمية العربية المدروسة ، وبما تملّيه الخبرة والتجربة العملية في كافة فروع الاختصاص العربي ، نتيجة للاحاطة بظروف

«الموقف» ومقوماته ، ومستلزماته ، «والموازنة» الدقيقة بين قوى الطرفين ، ومدى امكانياتهما ، وبما أعد المؤمنون من صنوف «القوة المrhبة» من أقوى الأسلحة ، فتكاً ومضاءً ، بل وعلى أرفع مستوى بلغه العصر في تصنيعها وإيداعها ، وباقصى جهد مستطاع استئصالاً لشافة العدو ، اذ ليس المقصود منه مجرد اشعال نار الحرب ، ارتياحاً ، ايا كانت مآلاتها ونتائجها !

يرشدك الى هنا ، وجوب المبادأة بالهجوم الساحق على العدو ينص الآية الكريمة التي تلوها ، وتتبع مواقعه حيثما ثُقْفَ ، للقضاء عليه نهايًّا ، في مثل قوله عز وجل: «واقتلوهم حيث شفقتُمُوه»^(٥٥) وتشتيت شملهم ، وتشريد من خلفهم ومن يناصرهم ، في مثل قوله عز وجل: «فشردَ بهم من خلفهم»^(٥٦) وأوجب الثبات العنيد في مواطن القتال ، مما عظمت الكوارث ، وأحلولكت الفواجع ، وأدلهتم الخطوب ، لقوله عز وجل: «ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يُغلب فسوف تؤتيه أجرًا عظيمًا»^(٥٧) حيث قدّم الاستشهاد على النصر - كما ترى - ما يوحى بأن المجاهد الحق هو من يضع نصب عينيه ، احتمال الموت ، قبل احتمال الظفر بالنصر ، ثم حرم عليه التولى من الزحف عند المواجهة والبقاء الجماعي : «يا أيها الذين آمنوا ، اذا قيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأذبار»^(٥٨) واعتبر التولى من الرحى من الكباش ، ومواقف الاتم الكبرى ، وان التولى بييء بغضب من الله مصيراً ، فالمؤمن الحق لا يعرف الجبن او التور الى قلبه سبيلاً ، اذ لا يجتمع في قلبه ايمان وجبن ولا ذلة ، فكانت «الاستماتة» في القتال ، أولى ثمرات عقيدة الاسلام ، كما ترى .

واما اعداد القوة المrhبة ، فلقوله عز شأنه : «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الغيل ، ترهبون به عدو الله وعدوك»^(٥٩) ومعلوم أن «عنصر الإرهاب» لا يتأتى وقوعه في نفوس الأعداء ، الا اذا كانت القوة المعدة لدى المجاهدين ، أقوى مضاءً ، وأشد فتكاً ، مما يملك عدوه من قوة ، ولكل عصر نوعية أسلحته ، وأدواته القتالية ، ومعداته التي أنتجهها مستوى العلم التجاري في فيه !

ان عنصر «الإرهاب» في منطق الآية الكريمة : «ترهبون به عدو الله وعدوك» هو مناط الاستدلال على وجوب تطوير الأسلحة المعدة ، ليبلغ أعلى مستوى من النوعية ، مضاء وقوة وتفاذاً ، مما أنتجه العلم في كل عصر ، حتى اذا تخلفت نوعيته ، فلن يتاتي «الإرهاب» الذي هو الغاية من الاعداد .

اما الدليل على أن الشارع قد قصد تمييز قوى العدو النفسية ، وتهجين معنوياته ، فذلك لأن الشأن في المبادرة بالهجوم الساحق ، وعلى كافة الواقع العربية للعدو ، برأ وجوه وبحراء لاطلاق النص : «ولا تنهوا في ابتلاء القوم» أقول : ان الشأن في مثل هذا الهجوم الساحق ، أن يشيع «الترويع» في صفوفه ، ومنذ «الترويع» شامل ايضاً ، لشمول مواقعه ،

فكان أشد وقعاً على النفوس ، وأفتك بقوامها من « الإرهاب » الذي مبعثه ، مجرد اعداد القوة قبل الهاجمة ، بصريح قوله عز وجل: « ترعبون به عدو الله ، وعدوكم » فهو «إرهاب» منشؤه اعداد القوة قبل استخدامها - كما ترى - بخلاف « التروع » بالقوة المهاجمة فعلاً .

وعلى هذا ، فإن تدمير « القوى النفسية » للعدو ، سواء بالترويع بالمبادرة الهجومية ، أم بالارهاب باعداد القوة على أرفع مستوى من المضاء ، والتفاذ ، مقصد شرعي قطعي ، وحقيقة من الحقائق التي تتضمنها العلاقات الدولية في الاسلام زمن العرب .

هذا ، ويتناول النص - ولكن بمعقوله - سائر وسائل « الدعاية » على اختلاف أنواعها ، وطبائعها ، مما ينبع منها في الاعلام في الدولة ، اذا يعتبر من « جزئيات » ذلك المقصود الشرعي العام ، أو من لوازمه .

وتفصيل القول في « تاصيل » هذا المبدأ في الجهاد القتالي ، يتجلی في النقاط التالية:

أولاً : لقام النهي الصريح عن التوانى عن طلب العدو « ولا تهنو في ابتغاء القوم » والنهي عن الشيء ، أمرٌ بضدِّه ، كما قدمتنا ، وهي مبادأة « الهجوم » والبيدار اليه ، والأمر يقتضي الوجوب ، فكانت المبادأة بالهجوم مفروضة .

ثانياً : ما يفيد منطق الآية التي تلوانا ، من استواء المجاهدين وأعدائهم ، في تحمل أزياء العرب وأوزارها ، لأنها « نتائج » طبيعية للعرب وحشية ، فكان ما يعانيه المجاهدون ويلاتها ، ماثلاً لما يعانيه العدو من ذلك ، وقد أكد القرآن العظيم هذا « المتن المشترك » في أكثر من موضع ، من مثل قوله سبحانه : « ان يمسكم قرح فقد مس القوم قرح » مثله « (٦٠) » وهذا ما يؤكده قوله عز شأنه : « ان تكونوا تالمون ، فانهم يألون كما تألون (٦١) » فلا مizza اذن ، ولا فضل لفريق على فريق في تحمل مشاق القتال ، لأنه قدر مشترك ، اذا أرzaء العرب نتائج طبيعية لها ، والا ما كانت حرباً .

هذا ، ولا سبيل الى التغفف مما تقضي به طبائع الأشياء ، وفي هذا من تهويين وقع آثار الجهاد على نفوس المجاهدين ما فيه !! حملنا لهم على المبادأة بالهاجمة ، وتشجيعها عليها ، واغراءها بها ، والاغراء بالشيء فرع عن ثبوت أصله شرعاً بلا مراء .

ثالثاً : وما يؤكد هذا الأصل أيضاً ، من الوان الاغراء به ، والحمل عليه ، ان القرآن العظيم ، اذا يقرر منطق طبائع الأشياء ، من وجوب الصبر على احتمال ما هو نتائج طبيعية للغرب ، وأهوالها ، وحتمية الاشتراك في ازياءها ، يوحى الى المجاهدين - في الوقت نفسه - بأنهم أولى من العدو بتحمل آثار هذه المبادأة ، وكوارتها ، ذلك ، لأن « العدو » اذا كان يشتراك في تحملها ، ويصبر عليها ، وهو مبطل ، ظالم ، ومعتد ، فلأن يعتملها ،

ويصبر عليها ، المؤمن العق ، من باب أولى، ذوداً عن قيمة ، وحقه ، ووطنه ، وتحقيقها لعزة وجوده ، واستخلاصاً لجذور المدوان والقليل والبني ، ومحنة لأسباب الفساد في الأرض !

ومؤدي هذا ، أنه ينبغي ألا تتصف نفوس المجاهدين ، أو تتواتي مهمهم عن المبادأة بشن الهجوم على العدو ، ما دامت عداوته سافرة ، ونواياه ظاهرة ، وخططه واضحة .
رأينا : ان القرآن العظيم ، لا يبني بيُث في نفوس المجاهدين روح الاستبشار بالنصر المؤزر ، أو الشهادة : « ومن يقاتل في سبيل الله ، فيقتل أو يغلب ، فسوف نؤتيه أجراً عظيماً (٦٢) اغراء لهم بالاقدام على المبادأة بالهجوم ، قبل أن يبادئهم العدو بمهاجمة ديار الاسلام ، ولأن دفع الضرر قبل الوقوع ، أولى وأجل من معالجته بعد الواقعه ، وقد يطول أمد آزاله آثاره .

ترى ذلك بيُثنا فيما جعله الله تعالى ، فيصلا حاسماً بين المجاهدين وعدوهم ، من الترجية والاطماع والبشرى في الآية التي تلتنا : « وترجون من الله ما لا يرجون » أي من نصر الله لكم ، بحكم ايمانكم ، وجهادكم واستبسالكم في سبيل الحق الذي أمنتتم به ، ونهوضكم بالمبادرة بالهاجمة فعلاً ، أو ما ترجون من الظفر بنعم الآخرة بالنسبة الى من كتبت له الشهادة ، لأنها احدى العسرين : النصر او الشهادة ، وهو أمر لا يرجيه العدو ، بل لا يخطر بباله ، لانتفاء أصل الرجاء لديه ، أولاً اعتبراه من نوازع اليأس الذي هو قرين الكفر ، لشدة ما يلقى من يأس المجاهدين واستبسالهم في ميادين القتال ، مما أفقده « الرجاء » أو « الأمل » في النصر ، وفي هذه تقوية لروح المجاهدين ، واستشارة لفواقي طاقتهم ، لمبادأة الهجوم ، وتبييس للعدو في الوقت نفسه - لتدمير معنوياته ، وإياماً ما كان ، فإن افتقاد عنصر الرجال في نفسية العدو ، فرع عن فقد أصله ، وهو الإيمان ، ومن فقد الأصل ، فقد كل ثمراته .

الخير باسلوب القرآن الكريم ، يرى أنه اذا يربط وقائع ماضي البشرية ، بأحداث حاضرها ، ابان نزوله ، ليستحضرها في أذهان المؤمنين ، ويجلبها بصائرهم ، ثم يشير إلى ما نجم عن ذلك كله من ثمرات ونتائج حاسمة ، تراه يوجه إلى ما ينبغي أن يكون عليه أمر مستقبلها ، منهاجاً إلى وجوب تفادي أسباب الانحراف الذي يورث الشقاء الدنيوي ، فضلاً عما يؤول إليه مصيرها في الآخرة ، أقول : ان القرآن الكريم ، اذا يسير في أسلوبه البياني على هذا المنهج من الربط والتوجيه ، فانما يقصد بذلك الى ايقاظ العقل ، ليقوم بيدوره في التفكير والبحث والتأمل في تلك الواقعه والأحداث ، للوقوف على ما يسلكها من نواميس هذا الوجود ، لاستخلاص المفاز المعيق الذي يمكن ورائها ، وهو ما يطلق عليه القرآن الكريم ، كلمة « العبرة » التي هي على غاية من التسطر والأهمية ، نتناولها فيما يلي بایجاز :

الأول : اثارة قدرات الانسان ، وملكاته ، لادرارك وجوه النشاط البشري ، ودوره وتأثيره في هذا الوجود ، والنتائج العتيبة التي تمثلت على مسرح الحياة بحيث تُرى بالعين المجردة ،



لأنها واقعة تحت العين، بل ان القوم قد خاضوا غمارها ، بأنفسهم ، ربطة للماضي الموجل في القدم ، بالحاضر الشاهد ، كانه يقول لهم : إن كنتم لم تشهدوا ! وقائع التاريخ السعيف الذي استحضره لكم ، وأقسى وقائمه عليكم ، فعليكم أن تفكروا في الواقع الماثل أمامكم ، وعلى مرمى من أبصاركم ، لتوقتوا بصدق البداً الذي تجنون شماره اليوم بأيديكم ، فان في هذا لعبرة لكل ذي بصر ، فضلا عن ذي البصيرة ، يقول سبحانه عقب بيسان حال الأقدمين ، في هذا الشأن قوله يصف لنا الآية الكبرى المستخلصة من غزوة بدرا : « لقد كان لكم آية في فتنتين التقتا ، فتنة تقاتل في سبيل الله ، وأخرى كافرة ، يرونهم مثلهم ، رأي العين ، والله يؤيد بنصره من يشاء ، ان في ذلك لعبرة لأولي الأبصار » (٦٤) .

هذا ، وقوله تعالى : « ان في ذلك لعبرة لأولي الأبصار » أي من يسير استخلاص العبرة ، ولا تفتقر الى طول تأمل ، وتفكير ، لأنها بادية للميان ، مما يدل – بالمفهوم المخالف – على أن الذي يتناول عن ذلك ، فليس من ذوي الأبصار ، بل هو في عمى أو ضلالة ، يتعثر بها ، أو يشقى في هذا الوجود ، مصداقا لقوله سبحانه : « ومن اعرض عن ذكري ، فإن له عيشة ضنكًا ، وتحشره يوم القيمة أعمى ، قال رب لم حشرتني أعمى » وقد كنت بصيرا ، قال كذلك ، أتنك آياتافتسيتها ، وكذلك اليوم تنسى » (٦٥) .

وفي هذه الآية الكريمة – كما ترى – اشارة الى أن نسيان الآيات – في شرعا وكونه وسُنته الثابتة – سبحانه – يتحقق من تshireع أمر ، وتوجيهه ، وعبر مستخلصة من وقائع التاريخ – قديمه وحاضره – وما لاتها التي استلزمها جريان سنن الله تعالى عليها ، أقول : ان نسيان ذلك ، والتفا苟 عنه ، عمى فكرية وعقلية ونفسية تستلزم عمى أخرى ، اذ الجزء من جنس العمل : « قال رب لم حشرتني أعمى ، وقد كنت بصيرا ؟ قال كذلك ، أتنك آياتتنا ، فنسيتها ، وكذلك اليوم تنسي » (٦٦) أي تلقى وطرح في مصير معتم !

هذا ، الواقع أن ما عبّر عنه القرآن من التفا苟 أو الاعراض عن آيات الله باطلاق ، شرعا ، وتوجيهها ، وهداية ، وستنا كونية ، عبّر عن التناول عن كل أولئك بالنسيان ، إنما هو – في ضوء المفاهيم القرآنية – نسيان للذات الإنسانية نفسها ، لفقدانها الوعي الكامل المستبصر لكيانها ، وشخصيتها المعنوية ، يؤكّد هذا المعنى قوله عن وجل : « نسوا الله فنسفهم » (٦٧) .

ولا ريب أن هذه « مشاكلة لفظية » والا凡ان الله تعالى لا ينسى ، وهو سبحانه لا يعزّ بـ عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، وإنما المقصود من النسيان ، الضياع ، والعسر ، مصداقا لقوله تعالى : « والمغرر الانسان لفي خسر ، الا الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات وتوافقوا بالحق ، وتوافقوا بالصبر » (٦٨) فمصيره في الدنيا أن يغدو مضيئا منسيا ومهملا في زوايا التاريخ ، يعاني صنوفا من الذلة ، والشقاء ، وقد ان الذات والشأن ، والوجود المعنوي ، ومصيره في الآخرة على هذا الوزان ، كما قدمنا ، اذ وحدة المصير يستوجهها وحدة السبب ، عدلا ، وجاء وفاقا .

يرشدك الى هذا التوجيه الالهي في مثل قوله سبحانه : « ولا تكونوا كالذين نسوا الله، فانسهم أنفسهم » (١٩).

هذا ، واني اذ اذكر « الانسان وسميه الدنيوي » ، وموافقه تجاه رسالة خلافته في هذا العالم ، سلباً او ايجاباً ، فانياً اقصد «الانسان» بمعنى الاستغراقى العام ، افراداً ومجتمعات ، وشعوبياً ، وأمماً .

الثاني : وجوب تبيّن «الأصول العامة» التي تنتظم تلك الواقعية بنتائجها الحتمية ، مستخلصة من جزئيات تلك الأحداث ، كل طائفة منها متشابهة في طبيعتها ونوعيتها ، ترتب على مقدمات متشابهة أيضاً طبيعية وظروفاً ، من حيث البواعث ، والقصود ، وما تتخذ من الوان السعي ، والنشاط ، والفاعلية ، وما يستلزم ذلك كله من (الآثار المادية الظاهرة التي هي من مدركات العس تجسلت على ارض الواقع ، وتعكمت في مجرى التاريخ اثراً لسنن الله فيها ، مما يقيم البرهان الساطع ، والجعة البالنة ، على صدق تلك الأصول العامة في مقتضياتها ، اذ ليس ثمة أدلة على صدق الأصل العام من تحقق آثاره ، صدق لقوة نفاذة ، واستحالة تخلفه ! وهو ما يطلق عليه القرآن الكريم « ستة الله » « أمر الله ، قدرًا مقدر ، لقوله جل شأنه : « ستة الله في الذين خلوا من قبل ، وكان العزيز - قدر - مقدر ، لقوله عز وجل : « يزيد الله ليبين لكم ، ويهديكم سنن الذين من قبلكم » (٢٦) النساء .

يوضّح هذا ، مما يتصل بموضوعنا ، بل ويؤكده ، ما تجده صريحاً في آيات متتالية ، من سورة آل عمران ، قد جمعت فيما بينها «وحدة الموضوع» حيث تزى القرآن الكريم ، في مثالنا الذي أوردهنا ، يربط ما كان من آل فرعون ، بل والأمم الذين من قبلهم ، في التاريخ الموجل في القديم ، يربط كل أولئك بما كان من مشركي قريش ، في وقعة بدر الكبرى في عهد النبوة ، وما آل اليه أهل جمیعاً ، ماثلاً تحت سمعهم وأبصارهم ، ربطاً محكماً ، ليقيم الدليل البین ، على أن وحدة السبب تستوجب وحدة المآل ، لامحالة ، ولا يعني بالستة الالهية العامة الماضية النافذة الا هذا المعنى ، وبيان ذلك :

انه فيما يتعلق بالأمر الأول ، تجد القرآن العظيم صريحاً في مثل قوله تعالى : « كذائب آل فرعون ، والذين من قبلهم ، كذبوا بآياتنا ، فاخذهم الله بذنبهم ، والله شديد العقاب » (١١) آل عمران .

واما فيما يتعلق ببرقعة بدر الكبرى ، مما يلي هذه الآية الكريمة التي تلوانا آنفنا ، فتجده صريحاً أيضاً في قوله تعالى : « لقد كان لكم آية في فتنة التقى ، فتنة تقاتل في سبيل الله ، وأخرى كافرة ، يرونهم مثليهم رأي العين ، والله يؤيد بنصره من يشاء ، ان في ذلك لعبرة لأولي الأ بصار » آل عمران / ٣ .

ولا ريب أن شدة العقاب ، تؤذن بعظم أسبابه . هذا ، وتأويل الآية الأولى ، أن « الدأب » – كما يقول الإمام الطبرى (٧١) . هو في الأصل العمل المستمر ، ويعنى الإمام الطبرى ، أنه صار شأنًا ، أو عادة مطردة متحكمه فيها وفيمن قبلهم من الذين ترسّموا خطاهم ، وساروا على سنتهم ، من تكذيبهم بآيات الله الدالة بيراهيئها الدامنة على العقيقة الكبرى لهذا العالم ، وارتباطه بالاوهية خلقاً وتدبیراً ومصيراً ، وهو تكذيب بعد قيام العجة ، مما يعتبر مکابرة أو عناداً دافعاً إلى التنكوص عن أداء آمانة التكليف ، وهي رسالة الاستخلاف في هذا العالم ، عمراناً ، وحضارة إنسانية ، واقامة للحق والعمل فيه ، وتحقيقاً واقعياً لنموذج العليا ، والفضائل ، والقيم الروحية ، بحيث تصير أوضاعاً قائمة في المجتمع ، وتكتذيبهم أيضاً بما يتصل بتلك العقيقة الكبرى لهذا العالم ، من أن الحياة الدنيا فيه موصولة بالأخرة ، مما يفسر غائية الأولى تفسيراً ينفي عنها معنى العيش ، والشدة ، واللامقولة ، كما يستبعد عن الفكر الإنساني ما يشل طاقاته ، من فكرة الفناء الأبدي الرهيب ، لقوله تعالى: « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً ، وأنكم إلينا لا تُرجعون » (٧٢) .

هذا ، ولا ريب ، أن التكذيب بعد قيام العجة الدامنة – كما قلنا – مکابرة بل كفر . لا يسوّغه منطق إنساني سليم ، ومن هنا ، عوجلوا بالعقوبة من أخذهم نكالاً ، واهلاكم جراء وفاق .

هذا في التاريخ الموجل في القدم ، والذي رويت لنا وقائمه تواتراً ، فضلاً عن ثبوط صدقه في قصص القرآن الكريم : « إن هذالهو القسم العق (٧٣) ولقوله تعالى : « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ، ما كان حديثاً يُفترى ولكن تصديق الذي بين يديه ، وتفصيل كل شيء ، وهدى ، ورحمة لقوم يؤمّنون » (٧٤) .

أما فيما يتعلق بوقعة بدر الكبرى بوجه خاص ، ففيما تلونا آنفاً ، من قوله تعالى : « لقد كان لكم آية في فتنتين التقتا ، فتنة تقاتل في سبيل الله ، وأخرى كافرة » تجد ربط هذا الحاضر المشاهد في ساحة القتال ، في عهد النبوة ، بالماضي السعير ، كما نوهنا ، فإذا كان النصر المؤزر للثلة المؤمنة على قلتها ، عدداً وعندما ، فإن ذلك أكبر مظهر حسني لإنجاز وعد الله تعالى فيهم « ومن أوفى بهمده من الله » وتفسير ذلك :

أن ذكر الطائفتين ، مقرّونه احدهما بصفة منافية لصفة الأخرى ، من الإيمان والكفر ، فيه إشارة بيّنة إلى أن « الإيمان » نفسه ستة كونية لا تتخلّف آثارها فيمن أخذها بعها ، وعلى شروطها ، وأن عداته تعالى في ترتيب ثمارتها لا تتخلّف البتة ، وآية ذلك ماثلة عياناً في هاتين الفتنتين ، والإيمان بتعات جسام ، وأولها الجهاد والتقدّم في سبيل انفاذها ، لتصون أركان وجود العزة ، وان الاستفادة والضراعة إلى الله تعالى ، ولا سيما في أشد المواقف حرجاً ، وإبان الأزمات المصيبة الحادة العقدة – مما يحقق معنى « العبودية » لله تعالى خالصة مخلصة لا بد أن تتدخل عقيبها العناية الربانية أجزاء تلك المواقف

بالاستجابة التي تعني النصر والتاييد : « اذ تستغيثون ربكم فاستحباب لكم » وهي استغاثة أعقبتها الاستجابة ، وقد تأسوا فيها برسول الله ، لما رأى من رقة حال أصحابه ، فقرأ ، وجوها ، وحفاء ، بل وعريانا ، فضلا عن قلة العدد والعدة ، حتى جاش فزاؤه الشريف عليه يجذب بالضراعة والدعاء : « اللهم انهم حفاة ، فاحملهم ، وعراة فاكسسهم ، وجائع فاشبعهم ، وعاله » فاغنهم من فضلك ، مما يقطع بأنه قد كان لعون الله تعالى ومدده مكان في قيمة بدر الكبرى ، لا يمكن انكاره ، وهو ما عبر عنه القرآن الكريم بابلغ عباره وأروعها في قوله عز وجل : « ولقد نصركم الله بيبر ، وانتم اذلة » (٧٥) على سبيل الامتنان ، وسيظل وقمهاعميقا في النفوس المؤمنة الى يوم القيمة .

هذا ، وتجد ذلك يبيّنا أيضا في بث « روح الثبات » من الفيب في نفوس مؤلاء المؤمنين ، وتفوية معنوياتهم ، مصداقا لقوله سبحانه : « اذ يوحى ربك الى الملائكة ، اني معمك ، فثبتوا الذين آمنوا » ذلك ، لأن من لم يتغمد للعرب امانتها الكاملة ، لا بد ان يدخله شيء من الوهن النفسي ، وهذا واقع في موازين البشر وتقديراتهم ، مدلولا عليه في العوار الذي دار بين الرسول عليه وبين أصحابه مؤلاء ، حيث قالوا : « يا رسول الله ! ما خرجنا لقتال ، انا خرجنا للمير (القافلة التجارية) ملا » أخبرتنا أنها العرب ، فنفعنا لها عذتها ، وتأمبا لها امانتها (٧٦) » ولقد قرر القرآن الكريم هذا المتن ، وأنهم انما خرجوا للاستيلاء على الأموال الوفيرة التي تمواج بها القافلة التجارية المقبلة من الشام الى مكة ، وهي غير قريش ، عوضا عما استولى عليه كفار قريش من أموال المهاجرين وديارهم في مكة ، أقول : لقد أكد القرآن الكريم هذا المتن بقوله تعالى : « واذ يتعدكم الله احلنى الطائفتين ، انها لكم ، وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم (٧٧) – أي تودون « القافلة » لا جيش قريش المدجج بالسلاح ، والالقاء به ، لمقاتلته ، وقطع دابر الشرك ، ولكن تدبّر الخالق جل وعلا ، قد تبدى في اراداته التقام الفريقين للحرب ، وأن العبر انما كانت وسيلة للاغراء بهذا الالقاء في ساحة القتال ، ليحق الحق ، ويُبطل الباطل ، وهو المتن الذي اتبّعه سبحانه الآية التي تلونا آنفـا بقوله عز وجل : « ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ، ويقطع دابر الكافرين ، ليحق الحق ، ويُبطل الباطل ، ولو كره المجرمون » (٧٨) ووصفهم بالاجرام ذو صدى بعيد في حكم أسرامهم ، على ما سيأتي .

تدبر الهي قد تجلى في هذه « الارادة والمشيئة العليا » التي اتجهت على خلاف ما اتجهت اليه اراده هذه الطائفتين المؤمنة ابتداء ، بل ان الرسول نفسه عليه لم يخرج الى هذه العرب ، ولم يسع اليها ، او يقصدها ، بل أخرجه الله تعالى اليها اخراجا ، ودون ان يعلم بما يكون من أمرها باديه الأمر ، مصداقا لقوله عز وجل : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ، وان فريقا من المؤمنين لكارهون ، يجادلونك في الحق بعدما تبين ، كانوا يساقون الى الموت ، وهم ينظرون (٧٩) »

وعلى هذا ، فقد اتجهت رادة الله تعالى الى تحقيق التقام هاتين الطائفتين في مواجهة قتالية ليحسم امرا يتغير به مجرى التاريخ ، وهو أسمى مقصد ، وأعظم اثرا في حياة البشرية كلها ، حتى كانت قيمة بدر الكبرى كما أسمها القرآن الكريم بحق « فرقانا »

في قوله تعالى : « وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ، يَوْمَ الْفُرْقَانِ ، يَوْمَ التَّقِيَّةِ الْجَمِيعَنِ ، وَالشَّعْلِيَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدِيرٍ(٨٠) وَيَوْمَ الْفُرْقَانِ هَذَا هُوَ يَوْمُ وَقْتِ بَدْرِ الْكَبْرِيَّ ، بِاجْمَاعِ الْمُفْسِرِينَ(٨١) حِيثُ فَرَقَ بِهِ اللَّهُ تَعَالَى - جَلَّتْ قَدْرَتِهِ - بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، أَوْ هُوَ - فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ - فُرْقَانُ حَاسِمٍ بَيْنَ جَاهِلِيَّةِ يَادِتٍ ، وَبَيْنَ حَضَارَةِ انسانِيَّةٍ وَعَالَمِيَّةِ قَدْ ابْتَدَأَتْ ، لِتَاخْذَ مَسَارِهَا فِي الْحَيَاةِ الْبَشَرِيَّةِ إِلَى الرَّزْمِ الْمُقْدَرِ لِبَقَاءِ هَذَا الْعَالَمِ !

هذا ، وفي تَذْيِيلِ الآيَةِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي تَلَوْنَا آنَفًا ، يَقُولُهُ تَعَالَى : « وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ » اِيَّامَ قَوْيٍ بَانَ هَذَا الْفُرْقَانُ الْعَالَمُ ، لَمْ يَكُنْ اُمْراً هِيَّا ، وَلَا سَهْلاً ، وَلَا سِيمَا اَذَا لَاحَظَنَا ، أَنَّ الْطَّائِفَةَ الْمُؤْمِنَةَ - بِسَيِّفِهِ الرَّسُولِ يَعِيشُ - لَمْ تَكُنْ تَعْصِدُ الْعَرَبَ ، بَادِئَ الْأَمْرِ ، وَأَنَّ فَرِيقَةَ مِنْهُمْ كَانَ كَارِهًـ لَهَا ، وَأَنَّمَا أَخْرَجُوا إِلَيْهَا اخْرَاجًا بِتَدْبِيرٍ مِنْهُ تَعَالَى ، بِصَرِيحِ قَوْلِهِ تَعَالَى الَّذِي تَلَوْنَا آنَفًا : « كَمَا أَخْرَجْتَ رِبَكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ، وَانْ فَرِيقَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِكَارَهُونَ(٨٢) وَلَهُنَا لَمْ يَتَاهُوا لِلْعَرَبِ أَهْبَطَهَا ، بَادِئَ الْأَمْرِ ، كَمَا أَسْلَفْنَا ، فَلَمْ تَتَوَفَّ لِدِيهِمْ مِنْ أَسْبَابِ لِأَمَّةِ الْعَرَبِ ، وَعَدْتَهَا ، وَعَتَدَهَا ، مَا يَضَاهِي أَوْ يَدْنَانِي قَوْدِ الْعَدُوِّ ، فَاخْتَلَلَ بِذَلِكَ « تَوَازِنَ الْقُوَى » اِختِلَالًا يَبْيَّنُ ، وَلَهُنَا ، كَانَ هَذَا « الْفُرْقَانُ الْعَالَمُ » مُفْتَرِّأً أَشَدَّ الْاِفْتَقَارِ إِلَى مَدَدِ مِنَ الْغَيْبِ ، مِنْ عَوْنَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَقُدْرَتِهِ وَتَشْبِيهِ ، وَالْأَمَّا كَانَ لَهُنَا التَّذْيِيلُ مِنْ مَعْنَى ، وَقَدْبَدَتْ مَظَاهِرُ ذَلِكَ كُلِّهِ ، حُسْنَيَّةً ، مَجَسَّدَةً عَلَى أَرْضِ الْمَرْكَةِ ، يَشَانِدُهَا الْفَرِيقَانُ كَلَامَهَا ، لَوْقَعُهَا بَيْنَ طَهْرَانِهِمْ ، مَا يَقْطَعُ بَانِ صَلَةِ « الْغَيْبِ » بِالْعَيَاةِ الْبَشَرِيَّةِ ، أَمْرَوْاقَعَ وَمَشْهُودٌ ، بِعِيَثٍ يَكْنُونَ التَّوْلُ - بِصَدَدِ مَوْضِعِنَا - بَانَهُ لَوْلَا الْغَيْبُ وَالْقَدْرَةُ الْاَلَهِيَّةُ، لَمَا كَانَ هَذَا النَّصْرُ الْمُؤْزَرُ ، لَأَنَّ تَقْدِيرَاتِ الْبَشَرِ ، وَمَوَازِينِهِمْ ، لَا تَتَنَجَّعُ تَحْقِيقَ ذَلِكَ « الْفُرْقَانُ » الْعَالَمُ بِالْطَّلاقِ ، لِاِخْتِلَالِ تَوَازِنِ الْقُوَى اِخْتِلَالًا يَبْيَّنُ - كَمَا أَسْلَفْنَا - مِنْ حِيثِ الْقُوَى الْمَادِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ ، بَادِئَ الْأَمْرِ . « كَانَا يَسْاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظَرُونَ(٨٣)

يُؤَكِّدُ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى : « فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ، وَمَا رَمَيْتُ إِذْ رَمَيْتُ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى(٨٤) وَلَكِنْ مِنْ حِيثُ تَحَوَّلَتْ اِرَادَةُ الْاِسْتِيَّالَامَّ عَلَى الْفَنِيَّةِ إِلَى اِرَادَةِ الْقِتَالِ ، بَعْدَ أَنْ اَخْذَ الرَّسُولَ يَعِيشُ مُشَوِّرَتِهِمْ فِيهِ ، بَلْ إِلَى اِرَادَةِ الْعَالَمَةِ لِلتَّفْصِيَّةِ وَالتَّفَانِيِّ ، نَصَرًا لِلَّهِ تَعَالَى فِي شَرِعِهِ وَدِيَنِهِ ، وَطَمِئِنًا فِي نَسِيمِ جَنَّتِهِ، كَانَ المَدْدُ الْاَلَهِيُّ وَالْمَوْنُ الْفَيْبِيُّ الَّذِي اَتَجَهَّ بِهِ حِيثُ اَجْهَتِ الْاِرَادَةُ الْعَالَمَةُ لِلْطَّائِفَةِ الْمُؤْمِنِ الْمَاهِرِيِّينَ وَالْاَنْصَارِ ، وَهُنَّا حَقَّتْ كَلْمَةُ رِبِّكَ ، اِنْفَادَا لِسْنَتِهِ وَوَعْدَهُ ، فِي قَوْلِهِ سَبِيعَهُ : « وَلِتَدْسِبِقَ كَلْمَتَنَا لِبَعْدَنَا الْمُرْسَلِينَ ، اَنْهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ، وَانْ جَنَدُنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ(٨٥) » مَا يُؤَكِّدُ مَا قَرَرْنَا آنَفًا ، مِنْ اَنَّ الْاِيمَانَ نَفْسَهُ اَذَا اَنْخَذَ بِهِقَّةَ ، وَشَرْوَطَهُ ، وَبِتَعَاطِهِ الْجَسَامَ ، بِالْخَلَاصِ وَتَفَانَ ، هُوَ بِذَاتِهِ سَنَتَهُ الْهَيَّةِ كَوْنِيَّةٍ ثَابَتَهُ حَتَّمِيَّةُ النَّتَائِجِ ، وَرَدَ تَاكِيدَهَا بِالْاَسْلُوبِ الْبَيَانِيِّ الْبَلِيغِ عَلَى مَا سَيَّاَتِي بِيَانَهُ ، وَانَّ مَدَدَ اللَّهِ الْعَلِيِّ التَّدِيرُ ، مِنَ الْغَيْبِ ، مَلَازِمُ لَهُذِهِ السَّنَةِ، يَتَجَهُ حِيثُ تَتَجَهُ اِرَادَةُ الْعَالَمَةِ الْمُؤْمِنَةِ، وَيُؤَكِّدُ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى : « اَنَّ اللَّهَ لَا يَغْيِرُ مَا بِالْعَوْقُومِ حَتَّى يَغْيِرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ(٨٦) .

هذا ، وَيُؤَكِّدُ اِتجَاهَ اِرَادَةِ الْعَالَمَةِ لِلْطَّائِفَةِ إِلَى الْقِتَالِ ، بَعْدَ اَنْ كَانَ الْهَمُّ مُنْصَبَّتَهُ عَلَى الْاِسْتِيَّالَامَّ ، مَا جَاءَ فِي اِسْتِشَارَتِهِ يَعِيشُ لِلْمَاهِرِيِّينَ وَالْاَنْصَارِ مِنْ كَانُوا مَعَهُ

في بدر حيث قام أبو بكر الصديق ، فقاتل وأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب ، فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو ، فقال قوله المشهورة : « يا رسول الله ، امض ما أراك الله ، فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بني اسرائيل موسى : « اذهب أنت وربك فقاتلا ، أنا ه هنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا » ، أنا معكما مقاتلون فوالذي يعنى بالحق ، لو سرت بنا إلى بيرك الفماد (موضع بناحية اليمن) لجأتنا معك من دونه ، حتى تبلغه ، فقال له رسول الله ص خيراً ، ودعا له به (٨٧) هذا موقف المهاجرين !

غير أنه ص أراد أن يستوثق من أمر الأنصار ، حيث كان بينهم وبين رسول الله ص عهد على أن يحموه ويدافعوا عنه ، وعن دعوته ، كل من داهمه في « المدينة » ولم يكن المهد شاملًا للالتزام بالدفاع عنه ص خارجها ، فلتفق يستطلع رأي الأنصار ، و موقفهم من العرب ، فقال : أثيروا عليَّ أيها الناس - وهو يريد الأنصار - حتى إذا كان موقفهم من العرب ايجابياً ، فقد اتعددت الارادة العامة للمهاجرين والأنصار على السواء ، فبرز سعد بن معاذ رئيسهم ، وقال : « والله لكأنك تريديننا يا رسول الله ؟ قال : أجل ! قال : فقد أمنا بك ، وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيتك على ذلك عهودنا ومواثيقنا ، على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت ، فنحن معك ، فوالذي يبعثك بالحق ، لو استعرضت بنا هذا البحر فغضته ، لخضناه معك ، ما تختلف ميئاً رجل واحد ، وما تذكره أن تلقى بنادعونا ناغدا ، أنا لصيبر في العرب صدق في اللقاء ، لعل الله يرثيك منا ما تقر به عينك ، فسِرْ على بركة الله ، فسِرْ رسول الله ص يقول سعد (٨٨) »

هذا ، ولا مرية أن المقصود بقوله تعالى « كلامتنا » في الآية الكريمة التي تلوانا آنفاً « ولقد سبقت كلامتنا لمبادنا المسلمين انهم لهم المتصوروون ، وان جندنا لهم الغالبون (٨٩) » هي وعده سبحانه ، بل سنته فيما اتجهت أرادته لنصر الله ودينه وشرعيه ، على النحو الذي رأينا في موقف كل من المهاجرين والأنصار ، وقد كان « النصر » والفلة في وقته بدر الكبرى ، مظهراً حسناً ومشهوداً ، لصدق هذا الوعيد ، بل آية كبيرة لأولي الأ بصار في ماتين الفترين يوم التقى بنص الكتاب العزيز ، وهي سنة نافذة في رسول الله وجنته ، بل جاء التاكيد لهذه السنة التي تشتمل بحكمها القادة والأئمة من المسلمين ، اذا أخلصوا الله دينهم ، والا ما كان لوجوب استخلاص « العبرة » في بدر اي معنى ، قلت : جام التاكيد لهذه السنة بالأسلوب القرآني البليغ من دخول « لام التاكيد » ، على خبر اداء التاكيد « انهم » فاجتمع تاكيدان قاطعان ، لنفذ هذه السنة ، ولعمية آثارها ، في كل من قوله تعالى « انهم لهم المتصوروون » « وان جندنا لهم الغالبون » .

ك - معالجة القرآن الكريم للنفس الإنسانية بالقيم الروحية ، ذات اثر بالغ في امكانية تحقيق الصلاح الذاتي وصولاً إلى مهمته الكبرى من الاصلاح العالمي ، وتفسير ذلك :

لا مراء أن « الانسان » من حيث عناصر تكوينه ، وخصائصه الذاتية - بما منح من الملكات العليا ، والفرائض الدنيا ، فطرة - لا يتغير على الدهر ، قوله تعالى : « فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لاتبدل لخلق الله (٩١) » فالانسان هو الانسان ، أني كان ، ذلك لأن

تلك المقومات والخصائص ، أو الملكات والغرائز ، من سنن الفطرة ، على ما أشارت إليه الآية الكريمة، غير أن «الإنسان» من حيث هو كائن حي ، مفكّر ، ذو ارادة حرة ، يتغير من حيث وجوه نشاطه الفكري ، وألوان سعيه الدنيوي ، وطبيعة ما ينشئه من علاقات بينه وبين أفراد مجتمعه الذي يعيش فيه ، وما يتغذى من «مواقف» حيوية حاسمة ، مما يعتبر أثراً لعوامل عدّة : بيئية ، وتيارات ذكورية ، وسياسية ، واجتماعية ، وقيم إنسانية رفيعة .

هذا ، ومن الثابت ، أن «القيم» والمفاهيم الكبرى ، والقواعد الفكرية او العقائدية التي تعتبر منطلقات أساسية لنشاط الإنسان ، قد تبلغ من الرسوخ في أعماق النفس الإنسانية – اعتقاداً واقتناعاً – بحيث تنازع الوراثة أثيرها .

ومما لا ريب فيه ، أن وجوه النشاط الإنساني – المادية والمعنوية – تعتبر مظهراً لطاقاته ، وقدراته ، وانعكاساً لبواعثه ومشاعره ، وما يجري في وجوداته ، تحت تأثير ما استقر في عقله ونفسه من قيم ، وما تقتضيه القواعد الفكرية ، التي انطلق منها ، عن تفهم ، وقناعة ، ورضا .

ومن هنا ، كان التفاوت بين الأفراد ، من حيث «نوعية» السعي ، ومدى آثاره ، وغاياته وتختلف بالتالي المجتمعات البشرية ، باعتبار أن المجتمع ظاهرة يكتونها الأفراد ، أو بعبارة أخرى ، أن المجتمعات البشرية تختلف ، بل قد تكون متباعدة من حيث نوعية العضارة ، وسماتها الأصلية ، ومستواها الإنساني ، تبعاً لاختلاف أفراد كل مجتمع ، بما يسوده من قيم ، وما يتعكم في توجيه نشاطه معاً تتقدّم مثل عليا ، اتجه سعيهم المسؤول تجاه تحقيقها .

اذن ، منشأ طابع كل مجتمع واتجاهاته ، هو «المكونات المعنوية» لشخصيات أفراده وعناصرها ، وما استكنتُ في أنفسهم من بواعث ، ومقاصد توجه طاقاتهم ، وتعتمد في ارادتهم ، لتحقيق غايات معينة ارستت في أذهانهم .

ل – الأصل أن الإنسان الفرد ، لا يمكن أن يساهم في تحقيق حضارة إنسانية ، إذا كان هو نفسه غير متحضر إنسانياً ، وسبيل ذلك ، هو اعتبار القيم العليا الخالدة في المقام الأول .

لذا ، رأى الإسلام – وبحق – أن هذه «الأصل» لا يعقل أن يكون ممكن التطبيق عملاً إلا على أساس ربط الخليقة البشرية كافة بمفهوم «الإنسان العام» الذي يستلزم تلك «الحقيقة» الخالدة ، إلا وهي «وحدة النوع الإنساني» لوحدة مصدره ، ومن هنا ، جعل تلك «الحقيقة» «معقداً» حيث أشار إليها في مواطن عدّة من الكتاب العزيز ، بنصوص صريحة قاطمة ، قوله تعالى : «ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منها رجلاً كثيراً ونساء ، واتقوا الله الذي تسألون به والأرحام ، ان الله كان عليكم رقيباً (٩٦) » .

وتاكيداً لهذه «الحقيقة» وترسيخها في ضمير المجتمع البشري – ولا سيما في وجودان القادة ، والزعماء ، والمفكرين ، والساسة ، والمصلحين – أشار إلى أن «التمايز» أو

التناقض ، إنما يكون بمدى تحقيق الغيرالإنساني العام ، دون أن يكون لاختلاف الأعراق ، والألسن ، والألوان ، دخل في هذا التناقض ، بل بما يعود على المجتمع البشري نفسه من أسباب الارتفاع في مدارج المعنى الإنساني ، ومراحل العلم والحضارة ، تحقيقها للملائكة الإنسانية العليا في المجتمع الدولي ، قوله تعالى : « يا أيها الناس ، إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبًا ، وقبائل ، لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم (١٣) » وليس هذا العمل الإلهي من الانتقام إلى الشعوب والقبائل ، بمدخل بالوحدة الإنسانية فتيلا ، ذلك لأن هذه الانتقامات الجزئية بدم طبقي ، وتدرج واقعي ، بحكم الولادة والنشأة الأولى ، سبيلا إلى الارتفاع إلى مستوى الوحدة الإنسانية الشاملة – صلاحاً وأصلاحاً – بحيث يتسع شموله ، ليendo إنسانياً عالمياً ، إذ الاصلاح الحق ، ينبغي أن يتسع نطاقه ، كيلا يحرم من مزاياه أي شعب من شعوب الأرض ، إذ النسمة ينبغي أن تتم ولا تخصن ، والمدل أو الرحمة ينبغي أن لا يتجزأ ، والا كانت المعابة ، والتفرقة بالعنصر ، وهو ما حاربه الإسلام حرباً لا هواة فيها .

م - أقام الإسلام الدليل البيّن على صدق تلك « الحقيقة » تمهدًا لتحقيق الاصلاح العالمي ، فكانت – في منطقه – القرآني – معتقداً ، بصرير النص القاطع ، – كما نوهنا – مما يكبر على العقلاء ، والمفكرين ، جحده وانكاره .

لا أدل على صدق هذا المعتقد ، من « وحدة التكوين الفطري » منذ أن أبدع أصل هذا « النوع البشري » على وجه هذه الأرض ، إنساناً : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة » يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى (١٤) » . ولا ريب أن هذا نظرٌ موضوعي حقيقي واقعي ، يقرره العلم ، مما لا يستطيع أحد فيه جدلاً .

ن - تأصيلاً للمعنى الإنساني العام في المجتمع البشري ، اعتبر الإسلام التمييز بالعنصر ، أو اللون ، أو اللغة ، تقضي الإنسانية العضارة ، فضلاً عن أن هذا التمييز ، يشكل افتئاتاً صارخاً على مكونات الفطرة ، ومقوماتها ، وخصائصها التي برأ الله الناس عليها مما يحول بالأخرة دون امكان تحقيق منهجه العام في الاصلاح العالمي : ذلك ، لأن مآل هذا « التمييز » ومعقباته ، أو الادعاء به ، مذهبها سياسياً ، أو قاعدة فكريّة « ايديولوجية » مآل ذلك ، نشوء نزعـة « الاستعلاء » والاستكبار في الأرض يغير الحق ، على ما هو واقع ومشهود على الصعيد الدولي ، تلك النزعـة البدائية التي هي أشبه ما تكون بالخصية القبلية الجاهلية ، ولا سيما إذا أتيح لها من المناخات والأجواء والظروف ما ينبعها ، ليستشري فسادها في أرجاء العالم ، بما أوتيت من أسباب القوة المادية للدّرّة التي أنتجتها التقنية الحديثة ، أو العلم لتجرببي ، حتى أصبحت تلك « القوة » الرهيبة المذهلة ، هي « المحكمة » في العلاقات الدولية في عصرنا هذا .

هذا ، والدليل على استشراء الفساد ولاضطراب العالمي ، ما نراه اليوم ، من افساد تلك النزعـة من الاستكبار ، والاستعلاء ، الى شن حروب استعمارية شرسـة على الشعوب

الآمنة ، فتسلب حقوقها ، وتدمير معالم حضارتها ، وتشردتها من أوطانها ، ظلماً وعتوا ، وما أمر الصهيونية ، ومن خلفها، من يغدو نزاعتها التوسيعة الاستيطانية في البلاد العربية ، عنا ببعيد ! !

هذا ، ومن أسفِ أن نرى مبدأ التمييز العنصري الظالم ، قائماً متحكماً حتى في هذا القرن المشرين ، بل وفي أرقى الدول حضارة مادية ، اذ تراه يتعد من قوانينها الداخلية سبيلاً الى تنفيذه قسراً ويسلطان الدولة ، ليصبح وضعاً اجتماعياً ، وسياسياً قائماً فيها ، وتأسساً على هذا ، يمكن القول بأن «الحضارة المادية » مهما كان حظها من التقدم التقني ، لا تستلزم «الحضارة الإنسانية» بالضرورة ، ولا تعتبر معياراً لها ، بل قد تكون ضداً عليها ، وهو ما جاء الإسلام على نقشه تماماً ، فثبت يقيناً - فيما نحسب - أن «القيم الروحية» «ال موضوعية» ، المطلقة ، والمثل العليا الخالدة ، قد باتت اليوم ، ضرورة حيوية ، ولا سيما لتحقيق مبدأ «الإصلاح العالمي» المبرء من تزعة الاستعلاء والاستكبار ، صدى للتمييز بين البشر فيما ليس لهم كسب في ايجاده ، من اختلاف اللون ، أو المنصر ، أو اللغة ، ذلك المبدأ أن الإصلاح الشامل المبني على المساواة ، والحرية ، والتكافل الإنساني ، والمدل المطلق بين البشر ، بل وعلى الرغم من اختلاف الدين ، اذ «لا اكره في الدين» ، قد تبيئ الرشد من الفي » .

ص - تكوين الإنسان «معتقداً» على أساس من «القيم الروحية» «الموضوعية» المطلقة ، ذو اثر بالغ في مدى تشكيل ابعاد تصوره للحياة والاحياء ، وأن عناصر هذا «المعتقد» ومفاهيمه الكبرى - بما هي المنطلقات الأساسية للنشاط العيوي في كافة أنواعه ومتناهيه ، توجهاً ، وتعديل مسار ، ولا سيما على الصعيد الدولي -. من أهم العوامل المؤثرة في امكانية تحقيق مبدأ الإصلاح العالمي الذي نادى به الإسلام ، منذ نزوله على الأرض وحيأ ، وتفسير ذلك :

أن الإسلام حين أقام حضارته الإنسانية على أساس من المفهوم العقلي الموضوعي الواقعي للإنسان العام ، حيثما كان ، دون تزييف أو تعويير ، أو اجتزاء لذلك المفهوم الفطري ، أو تبييز باللون ، أو المنصر ، أو اللغة ، أو الدين ، وشرع هذا المبدأ تشريعاً عالياً إنسانياً ، وأبلمه للناس كافة ، في خطاب النبي إنساني عام ، أقول : ان الإسلام اذ شرع ذلك ، كان منطقياً مع نفسه حين اعتبر «الإنسان» من حيث هو ، وحيثما كان «القيمة الكبرى» في هذا الوجود ، بل ومهما عليها ، باعتبار أن هذا «الكون» بل وما في السموات ، قد خلق مسغراً له ، يتصرف فيما بطاقاته وملكاته التي فطر عليها ، تصرف ابداع ، واصلاح ، وتعمير ، وانتفاع ، واستثمار ، بل جعل ذلك ، مادة ابتلاء في حسن العمل وصلاحه مدى حياته ، بل اعتبره «الغاية القصوى» من الوجود الإنساني كله على وجه هذه الأرض الى أن تقوم الساعة ، تجد هذا صريحاً في قوله تعالى : « وسخر لكم ما في السموات ، وما في الأرض » أي من أجل اصلاح هذا العالم ، وقال تعالى : « تبارك الذي بيده الملك ، وهو على كل شيء قادر ، الذي خلق الموت والحياة ، ليبلوكم أياكم أحسن عملاً »

وقال جل شأنه : « هو الذي أنشأكم من الأرض ، واستعمركم فيها » أي طلب اليكم اعمارها ، مادة ومعنى ، لاملاق النص .

هذا المنطق القرآني ، واتساقه ، بين تشريعه الانساني العام وقيمه ، من جهة ، وبين مقتضيات مبدئه المعلن على الناس كافة من الاصلاح العالمي ، قادر على تطبيقه بالانسان الفرد عن تصور العنصرية ، وسائر الوان العصبية البدائية المعدودة ، أساساً لمنطلقه ، أو محوراً لنشاطه الفكري ، أو غاية لسعيه الدينيوي بعامة ، حرصاً من الاسلام على تحقيق مهمته الكبرى ، من الاجتياز بالانسان – بعد تكوينه بنبيته المعنوية ، معتقداً ، وبناء شخصيته الكاملة – المقدمة الكادمة التي ت Howell دون تحقيق « انسانية العضارة للمجتمع البشري كله ، حيث جمل « التفاضل » مشتقاً معياره من معدن هذا المبدأ ، عملاً صالحاً ميدانياً نابعاً من الذات الانسانية ، وليس معياراً منحوتاً من أمر خارج عنها ، أو لا كسب لها في ايجاده .

فتلخص ، أن الاسلام قد أقام منهجه في الاصلاح العالمي ، على أساس من « المفهوم الحقيقي الموضوعي للانسان العام » .

واعتبره « القيمة الكبرى » في هذا الوجود ، وحمله « أمانة التكليف » لينهض بمقتضيات هذا الاصلاح العالمي الشامل ، وقد أعاد ذلك اعداداً فطرياً خاصاً ، وفي أحسن تقويم ، خلقاً وتكييناً ، تهيئنا له من أداته ، وتفسيراً لاستخلافه في الأرض واقعاً ، وتبrierأ لتفضيله وتكريمه على سائر المخلوقات ، بدليل تسخيرها له ، بل وتسخير ما في السموات أيضاً ، ولم يكن ذلك أمراً وهما يستعملني على التعليمي ، والتنفيذ ، بل رأيناهم يتحققون فعلاً فيما قام به من منجزات مذهلة ، كانت مظهراً لابداعه العلمي ، ولا يزال مستمراً في ابداعه هذا ، مؤذناً بإنجازات مستقبلية ليس من اليسير على المقل تصورها ، او تحديد مداها .

تبين لنا ، أن نزعة العنصرية ، والاستعلاء ، كاثر لها ، من المستحيل تصورها بالنسبة الى الانسان المسلم ، باعتبار أن طبيعة « القيم الروحية » التي هي مناط التوجيهات في الاسلام ، تأبى اباء يجعل من المستحيل استساغتها ، بل هي عصيان واثم كبير ، وفساد عريض ، بدليل أن النصوص القاطمة التي نهض بتلك التوجيهات ، جاءت لتعدّر منها بما يوجب حشران الآخرة ، « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوها في الأرض » ولا فساداً(١٥) » ولا جرم أن « الاستعلاء والافساد » كلّيهما ، سبب الانطراب العالمي ، فثبت ، أن نقايضهما هما سبب الاصلاح العالمي ، وهو ما جاء به الاسلام ، كماترى .

ع – القيم الروحية ضرورة حيوية – ولا سيما في عصرنا هذا – لتحقيق مقتضيات الاصلاح العالمي ، بدليل أن كثيراً من ساسة الاستعمار في العالم ، وفي هذا القرن بوجه خاص ، لا يعوزهم « الضمير » ولكنه معطل الأحكام ، لقبة الهوى ، والأثرة ، فضلاً عن أن هذا « الضمير » يتاثر حتى بعوامل شتى، من البيئة ، والنشأة الأولى ، والتقليد والعادات السائدة ، والأفكار الضالة المنتشرة عن نظريات سياسية فاسدة ، مما يفسد عليه تصوّره ، او يعتقد حكماته .

ان عدم الایمان بالقيم الروحية ، والمثل العليا ، ومبادئ الأخلاق التي اعترفت بها البشرية جماءً منذ أقدم العصور ، وسلتها عن السياسة ، أو عدم تبنيها « ايديولوجيات كمنطلقات أساسية للتصرف السياسي العام – ان تغدر اعتناها دينياً – سبب رئيسى من أسباب افساد الحياة الإنسانية على وجه هذه الأرض ، لقوله تعالى : واتل عليهم نبا الذي آتيناه آياتنا ، فانسلخ منها ، فاتبعه الشيطان ، فكان من الفاوين ، ولو شئنا ، لرفعنها بها ، ولكنه أخذ إلى الأرض ، واتبع هواه (١٦) » ولقوله تعالى : « ولو اتبع الحق أهواهم ، لفسلت السموات والأرض » وما عرفة كالهوى عابثاً بالتشريع ، لاطراحته قواعد العدل ، والحق ، والمساواة ، والحرية ، والتكافل الإنساني العام الملتزم بتلك المفاهيم ، وغير ذلك من القيم الخالدة وقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك ، أن تأثير « القيم الروحية » في ميدان النفس الإنسانية ، لا يضاهيه تأثير الضمير الإنساني فيه ، بل لا يدانه بطلاق على ما هو واقع ومشهود على الصعيد الدولي بوجه خاص .

لذا ، كانت هي ميزان العمل الإنساني العظيم المبرء من شرارة الهوى ، وتنزعة المنصرية ، توقد الضمير ، وتزكي النفس الإنسانية ، وتسمو بها إلى ما تتشوق هي إليه من الفضائل والمثل ، وتسدد الإرادة ، مما يشكل بالآخرة الأساس المكين لصلاح هذا العالم الذي لن يتم على الوجه الأكمل الإصلاح المعتقد ، وما يتفرع عنه من القيم الإنسانية الخالدة !

هذا ، وبآية التوفيق .

□ العواشي :

**الدكتور محمد فتحي العواشي
عميد كلية الشريعة ورئيس قسم العقائد
والآديان في جامعة دمشق**

- ١٦ - رابع قسيس جره « عم » ، تفسير الشيخ محمد عبد
- ١٧ - الزمر / ٥٣ - ٥٤
- ١٨ - المؤافقات - ح ٣ - من ٣٦١
- ١٩ - المؤافقات - ح ٣ - من ٣٥٨ وما يليها - للأمام الشاطبي .
- ٢٠ - الرجع السابق - ح ٣ - من ٣٦١ - يقول الشاطبي ما نصه : « وموطن الافتخار يطلب فيها التغوفف أكثر من طلب الترجية ، لأن دوه المفاسد أكبر .
- ٢١ - النساء / ١٢
- ٢٢ - المؤمنون / ٦٠
- ٢٣ - النساء / ١٢٠
- ٢٤ - المؤمنون / ٦٧
- ٢٥ - البقرة / ٢١٨
- ٢٦ - الإسراء / ٥٧
- ٢٧ - المؤمنة هي الاحتمال .
- ٢٨ - الانشقاق / ٦
- ٢٩ - البقرة / ١٢٣
- ٣٠ - المؤمنون / ٦٢
- ٣١ - الأحزاب / ٢٨
- ٣٢ - الروم / ٤١
- ٣٣ - البقرة / ٢٠٥
- ٣٤ - النساء / ٣٦
- ٣٥ - المؤمنون / ٣٦٥ - من ٣٦٦ .
- ٣٦ - الأحزاب / ٦٢
- ٣٧ - يوسف / ١١١
- ٣٨ - آل عمران / ١٣٧
- ٣٩ - يوسف / ١١١
- ٤٠ - البقرة / ١٢٩

-
- ال المصادر والمراجع :
- القرآن الكريم .
 - السنة النبوية المطهرة .
 - المواقف في أصول الشريعة - للامام الشاطبي .
 - تفسير الطبرى - طبع دار المعارف .
- سيرة ابن هشام - تحقيق الشیخ محبی الدین عبد الحمید .
 - الاسلام دین العلم والمندیة - للامام محمد عبده .
 - تفسیر جزء عم - للامام محمد عبده .
 - المعلم المفہوس لآفاق القرآن الكريم - لاستاذ محمد فؤاد عبدالباقي .
- سیرة ابن هشام - ٢ - ص ٦١٤ - من ٦١٤ - تحقيق الاستاذ مصطفی السقا .
 - الرجع السابق .
 - الصافات / ١٤١ - من ٩٠ .
 - الروم / ٣٠ - من ٩١ .
 - النساء / ١ - من ٩٢ .
 - العجرات / ١٣ - من ٩٣ .
 - العجرات / ١٣ - من ٩٤ .
 - القصص / ٨٣ - من ٩٥ .
 - الأعراف / ١٧٥ - من ٩٦ .
- سیرة ابن هشام - ٢ - ص ٥٦٠ - من ٥٦٣ .
 - تفسیر الطبرى - ٢ - من ١٣ - ص ٥٦٠ .
 - الأنفال / ٦ - من ٨٣ .
 - الأنفال / ٦ - من ٨٤ .
 - الأنفال / ١٧ - من ٨٥ .
 - الصافات / ١٤١ - من ٨٦ .
 - الرعد / ١١ - من ٨٧ .
 - سیرة ابن هشام - ٢ - ص ٦١٤ - تحقيق الاستاذ مصطفی السقا .
 - البقرة / ١١١ - من ٤٣ .
 - النساء / ١٠٤ - من ٤٤ .
 - النساء / ٢٦ - من ٤٥ .
 - النساء / ١٠٤ - من ٤٦ .
 - الملك / ١ - من ٤٧ .
 - الأحزاب / ٣٨ - من ٤٨ .
 - البقرة / ٢١٤ - من ٤٩ .
 - العج / ٤٠ - من ٥٠ .
 - محمد / ٧ - من ٥١ .
 - المائدة / ٥٠ - من ٥٢ .
 - العنكبوت / ٣ - من ٥٣ .
 - النساء / ١٠٤ - من ٥٤ .
 - البقرة / ١٩١ - من ٥٥ .
 - الأنفال / ٥٧ - من ٥٦ .
 - الأنفال / ٦٠ - من ٥٩ .
 - آل عمران / ١٤٠ - من ٦٠ .
 - النساء / ١٠٤ - من ٦١ .
 - النساء / ٧٤ - من ٦٢ .
 - النساء / ١٠٤ - من ٦٣ .
 - آل عمران / ١٣ - من ٦٤ .
- الشمس / ٩ - من ٢٩ .
 - الأحزاب / ٣٠ - من ٣٠ .
 - غافر / ٨٥ - من ٣٢ .
 - المكتوب / ٢ - من ٣٣ .
 - القيامة / ١٤ - من ٣٤ .
 - العجرات / ١٥ - من ٣٥ .
 - البقرة / ١٧٧ - من ٣٦ .
 - النحل / ١٤ - من ٣٧ .
 - الأئمما / ١٠٤ - من ٣٨ .
 - الأعراف / ٢٠٣ - من ٣٩ .
 - الأحزاب / ٢٨ - من ٤٠ .
 - الاسلام دین العلم والمندیة - من ٩٧ - للامام الشیخ محمد عبده .
 - فاطر / ٤٣ - من ٤٢ .
 - يوسف / ١١٢ - من ٤٣ .
 - النساء / ١٠٤ - من ٤٤ .
 - النساء / ٢٦ - من ٤٥ .
 - النساء / ١٠٤ - من ٤٦ .
 - الملك / ١ - من ٤٧ .
 - الأحزاب / ٣٨ - من ٤٨ .
 - البقرة / ٢١٤ - من ٤٩ .
 - العج / ٤٠ - من ٥٠ .
 - محمد / ٧ - من ٥١ .
 - المائدة / ٥٠ - من ٥٢ .
 - العنكبوت / ٣ - من ٥٣ .
 - النساء / ١٠٤ - من ٥٤ .
 - البقرة / ١٩١ - من ٥٥ .
 - الأنفال / ٥٧ - من ٥٦ .
 - الأنفال / ٦٠ - من ٥٩ .
 - آل عمران / ١٤٠ - من ٦٠ .
 - النساء / ١٠٤ - من ٦١ .
 - النساء / ٧٤ - من ٦٢ .
 - النساء / ١٠٤ - من ٦٣ .
 - آل عمران / ١٣ - من ٦٤ .

- سیرة ابن هشام - تحقيق الشیخ محبی الدین عبد الحمید .
 - الاسلام دین العلم والمندیة - للامام محمد عبده .
 - تفسیر جزء عم - للامام محمد عبده .
 - المعلم المفہوس لآفاق القرآن الكريم - لاستاذ محمد فؤاد عبدالباقي .

حوله إلى موسيقى القرآن

د. نعيم اليافي

تنزلت الكتب السماوية بلغة ايقاعية موزونة كما يرى علماء الاديان الثقات . وغاية كاتب المقال ان يشرح ما استطاع الوزن والايقاع في التنزيل الكريم . وهو يستعمل لفظ الموسيقى بهذا المعنى للتقوية ما يذهب الى اظهاره منها في ذلك البيان العزيز . وينترك الدكتور تعيم ذلك فهو يقول : « حقا انه لا يوجد فيه ولا في الادب عامه موسيقى بالdalela العلمية الدقيقة بهذه الكلمة ما دام مقام الصوت منعدما ٠٠٠ . وعلى هذا الاستعمال لفظ الموسيقى هنا من ياب المجاز . »

وقد قسم الكاتب بحسبه الساما دروس في المقدمة اتزان الايقاع في الفواصل ثم مصدر النغم يزيد به الايقاع والوزن في النص ، ثم مصدر المجرى يزيد به فن التلاوة التجويدية ، ثم مصدر المثلقي يزيد به اثر التلاوة في النفس الإنسانية ، ونصيب ان الكاتب كان يفكر من خلال الاقسام في مكانة الوقت وانواعهمن لازم ومنوع وجائز ومحاذق مع بقية مصطلحات الضبط سواء كان ذلك في ابراز الايقاع والوزن او في تجويد التلاوة وهي اثرها الممكى لدى السماع . وتلك القواعد تعطي التلاوة نصبيا آخر من حرية التجويد الخاصة بالقرئ ، كما تلون اثر التلاوة في النفس المصنفة .

هذا وقد أبان الدكتور نعيم امورا مهمة في ايقاع النص وزورنه وكذلك بعض الخصائص في تلاوة ثلاثة من كبار المقرئين . اما بيان اثر التلاوة في النفس فقد اجمله في اختصار وربما عادي المستقبل فتناول هذا الامر بشيء من التفصيل زيادة على تناول بعض العلماء القديماء له من امثال الفزالي وذلك في كتابه « الاحياء » حين بعث آذاب التلاوة واعمال الباطن في التلاوة .

ع. ك. ي



ينبع اهتمامي بموسيقى القرآن من امررين: اولهما تأكيد التلامم الوشیج في طبيعة التعبير الأدبي بين الإثارة الوجданية ونظم الأصوات ، وثانيهما ابراز مكانة الايقاع في اعجاز النص وقدرتة على الابلاغ . وقد سبق أن نشرنا مقالتين في هذا الشأن^(١) .

وقد أرضت تلك المقالات فريقاً وأغضبت آخر ، ومن غضب أو من لم يستحسن احتجاج بـان القرآن كتاب مقدس لا يجوز أن تخضمـه المصطلحـات العلم البشـري الـواـفـدـ اليـنا مـنـ الغـربـ أوـ منـ الشـرقـ ، وـكـانـ يـخـلـطـ فيـ بـعـضـ ماـ ذـهـبـ إـلـيـهـ – كـمـاـ أـظـنـ – بـيـنـ فـنـ الأـدـاءـ الخـاصـ لـقـارـئـ النـصـ ، وـبـيـنـ مـكـوـنـاتـ النـصـ الـايـقـاعـيـةـ أوـ طـرـائقـهـ فيـ تـشـكـيلـ النـفـ.

أحاول في هذه المقالة أن أناقش هؤلام ومؤلام وأعراض وجهة نظرـي تحت عنوانـينـ: القرآن والموسيقى ، ومـصـدرـ النـفـ فيـ هـذـهـ الموـسـيقـيـ .ـ هـذـاـ معـ الـاحـتـراـزـ الدـامـيـ بـأنـ التـنـزـيلـ الـكـرـيمـ فـوقـ كـلـ الـاعـتـباـراتـ الـبـلـاغـيـةـ وـالـموـسـيقـيـةـ وـلـكـنـ هـذـهـ الـاعـتـباـراتـ تعـيـنـ بـعـضـ الشـيءـ عـلـىـ تـفـهـمـ آـثـارـهـ الـبـلـغـيـةـ وـالـمـعـيـقـةـ .

□ القرآن والموسيقى :

ملاحظةـ: الموـسـيقـيـ فـيـ الـقـرـآنـ أـمـرـ يـرـفـضـ قـوـمـ ، وـيـتـحرـجـ مـنـ ذـكـرـهـ آـخـرـونـ ، يـرـفـضـهـ أـولـئـكـ الـدـيـنـ يـرـاـجـوـنـ بـيـنـ الـمـوـسـيقـيـ وـالـوـزـنـ الشـعـرـيـ قـافـيـةـ وـرـوـيـاـ وـتـفـاعـيلـ فـيـنـ هـوـنـ الـقـرـآنـ عـنـ هـذـاـ الـوـزـنـ قـافـيـةـ وـرـوـيـاـ وـتـفـاعـيلـ .ـ وـيـتـحرـجـ مـنـ هـؤـلامـ الـدـيـنـ يـعـسـونـ فـيـهـ نـفـاـ وـجـرـساـ وـايـقـاعـاـ ، وـلـكـنـهـ يـجـدـونـ فـيـ الـمـصـطـلـحـ مـادـةـ غـرـيـبـةـ وـنـابـيـةـ عـنـهـ وـعـنـ مـسـتـلزمـاتـهـ مـوـرـعـ وـتـقـيـ وـصـلـاحـ .

.ـ وـمـوـقـفـناـ هوـ الـمـقـاـبـلـ لـهـؤـلامـ وـأـولـئـكـ ، فـنـحنـ لـاـ نـرـفـضـ دـمـوـيـ الموـسـيقـيـ وـلـاـ مـلـاحـظـتـهاـ فـيـ الـقـرـآنـ لـأـنـ الـوـزـنـ أـوـ الـمـوـسـيقـيـ لـاـ يـشـكـلـ إـلـاـ وـجـهـاـ وـاـحـدـاـ لـقـضـيـةـ لـهـ جـاتـبـانـ ثـانـيـهـماـ هـوـ الـايـقـاعـ ، وـاـذـاـ كـانـ الـقـرـآنـ يـنـأـيـ عـنـ وـزـنـ الشـعـرـ وـلـوـ تـلـامـعـ فـيـهـ بـعـضـ أـشـطـرـهـ وـأـبـيـاهـ فـانـهـ لـاـ يـنـأـيـ عـنـ الـايـقـاعـ يـلـ يـتـوـسـلـ بـهـ فـيـ نـسـقـهـ الـعـالـيـ الـجـمـيلـ حـقـيـقـةـ لـاـ اـدـعـاءـ ، وـلـاـ تـنـتـرـجـ مـنـ اـسـتـعـمـالـ الـمـصـطـلـحـ مـاـ دـامـ هـذـاـ الـمـصـطـلـحـ بـهـ سـوـاهـ مـاـ يـعـمـلـ مـعـنـاهـ قـدـ دـخـلـ مـعـجـمـنـاـ وـلـقـتـنـاـ وـنـقـدـنـاـ وـأـصـبـحـ جـزـءـاـ مـنـ فـكـرـتـاـ التـرـاثـيـ ، وـنـحنـ فـيـ زـمـنـ يـعـنـيـنـاـ فـيـهـ نـوـضـحـ خـصـوصـيـةـ كـتـابـنـاـ الـمـقـدـسـ وـمـبـلـغـ اـعـجـازـهـ فـنـاـ وـأـدـاءـ أـكـثـرـ مـاـ تـعـنـيـنـاـ اوـ تـحـرجـنـاـ حـسـاسـيـةـ فـانـتـهـ اوـ زـانـتـهـ تـجـاهـ بـعـضـ الـمـصـطـلـحـاتـ ، وـاـنـهـ لـخـيرـ لـنـاـ – فـيـماـ اـتـصـورـ – وـلـقـرـآنـاـ آـنـ نـسـتـعـمـلـ مـصـطـلـحـاـ عـالـيـاـ هـوـ مـنـ خـصـائـصـ التـعـبـيرـ السـامـيـ الرـفـيـعـ فـنـتـبـتـ آـنـ أـسـلـوبـ الـقـرـآنـ – مـعـجزـةـ الـمـرـبـيـةـ الـأـوـلـىـ – يـتـوـسـلـ بـهـ وـيـتـوـسـلـ ، وـيـبـدـعـ فـيـ هـذـاـ التـوـسـطـ وـالتـوـسـلـ مـنـ آـنـ تـنـأـيـ عـنـ اـسـتـعـمـالـهـ وـتـنـتـرـجـ وـنـؤـثـرـ عـلـيـهـ كـلـمـاتـ لـاـ يـفـهـمـهـاـ سـوـىـ اـصـحـابـهـ ، كـلـمـاتـ أـصـبـعـتـ الـيـوـمـ مـنـ الـلـاـضـيـ الـبـعـيدـ .ـ ثـمـ لـنـاـ آـنـ تـسـتـأـمـلـ مـاـ جـدـوـيـ الـرـفـضـ اوـ الـعـرـجـ مـاـ دـامـ الـمـصـطـلـحـ لـاـ يـمـسـ الـمـقـيـدـةـ وـلـاـ شـرـيـعـةـ يـقـسـمـاـ يـوـضـعـ رـوـعـةـ الـقـرـآنـ أـسـلـوبـاـ وـأـدـاءـ ، وـبـيـنـ آـنـ يـسـاعـدـ عـلـىـ بـيـانـ مـدـىـ اـعـجـازـهـ؟ـ

لاـ جـنـاحـ عـلـىـ آـذـنـ وـلـاـ تـشـرـيبـ اـذـنـ اـسـتـعـمـلـتـ مـصـطـلـحـ الموـسـيقـيـ فـيـ الـقـرـآنـ بـالـدـلـالـةـ التـيـ اـوـضـعـتـهـاـ ، وـسـأـصـرـفـ هـيـ فـيـ هـذـاـ الفـصـلـ لـلـتـدـلـيلـ عـلـىـ آـذـنـ الـكـتـابـ الـكـرـيمـ فـيـ تـبـيـيـهـ وـطـرـيـقـةـ آـذـانـهـ يـسـعـيـ نـحـوـ الـمـوـسـيقـيـ ، وـيـتـوـخـاـهـ بـيـقـةـ كـبـرـيـ ، يـتـغـيـرـاـهـ مـنـ قـصـدـ وـهـدـ حـتـىـ يـكـونـ فـيـ أـسـلـوبـهـ أـوـقـعـ وـأـحـكـمـ ، وـفـيـ تـبـيـيـهـ آـكـثـرـ آـنـاقـةـ وـأـشـدـ اـثـرـاـقـ وـتـأـثـيرـاـ .

سأفرق تغريقاً اعتبارياً بين الطواهر الأسلوبية التي تساعده على الأداء الموسيقي والطواهر الایقاعية أو قواعد التشكيل ، في الطواهر الأسلوبية أسماء أكان ذلك في فوائل الآيات أو سياقها بختار الكلمة غريبة أو مالوفة ، تقدم أو تؤخر ، تعذف أو تذكر يمدد عنها أو إليها لأسباب عده من بينها الموسيقي . أما في قواعد التشكيل أو الطواهر الایقاعية فأن وضع العرف أو الكلمة أو الجملة على هذا النحو من الأنعام إنما يكون لللاح فنية تأتي في مقدمتها الموسيقي ، وبذلك يضفي التعبير أبعاداً وتأثيرات أخرى ، ولما كان لا نفصل في طريقة دراستنا بين المعنى والمعنى، وبين دلالة التركيب وشكله فليس لزاعم أن يزعم بأن وضع اللفظ على هذا النحو إنما كان له معنى في السياق وليس لضرورة الایقاع ومن أجله .

لقد لاحظ بعض التديّن مبلغ اتزان الایقاع في الفوائل فنقل (السيوطني في الاتقان) عن شمس الدين بن الصانع أربعين وجهاً ونيفاً ساماً « الأحكام التي وقفت في آخر الآي مراعاة لل المناسبة » ورحنا نتبع هذه الأحكام وسواء من الضروب المختلفة فاستطعنا معظمها لعدم وضوح المسوغ النفسي أو لأنها تقرب إلى أن تدرس في علم الممانع من أن تدرس في ميدان الظاهرة الأسلوبية - الایقاعية (٢) ، وأضفتنا غيرها ، ولم نقتصر في رصد الوجوه والأحكام على الفوائل وحدها بل عدنا إلى نسق الآيات وسياقاتها فكانت لنا جملة من الطواهر الموسيقية نحاول أن نمثل لها :

| الصورة القياسية | الصورة العالية | الظاهرة |
|---|--|--|
| ١ - التقليد : | | |
| برب موسى وهارون فاوْجِسْ موسى خيفة في نفسه فلله الأولى والآخرة ولم يكن أحد كفوا له لقد جاء آن فرعون النذر | برب هارون وموسى فأوْجِسْ في نفسه خيبة موسى فلله الآخرة والأولى ولم يكن له كفوا أحد لقد جاء آن فرعون النذر | - تقديم المقصود على الفاضل - تقديم التفسير على ما يفسره - تقديم ما هو متاخر في الزمان - تقديم خبر كان على اسمها - تقديم المفعول على الفاعل |
| وما قلاك ونذرني عقابي .. التمالي ، التنادي يسري ، نبغي | ما ودمك ربك وما قل فكيف كان عذابي ونذر فكيف كان عقاب الكبير المتمال ، يوم النداء والليل إذا يسر / ذلك ما كنا نبغ | ٢ - العنف : - حذف المفعول - حذف ياء الإضافة |
| مناة الثالثة / أو / الأخرى تلك قسمة ضيزي | مناة الثالثة الأخرى ـ تـلـك ـ إـذـن ـ قـسـمـةـ ضـيـزـيـ | ـ حـذـفـ يـاءـ المـتـقوـصـ ـ حـذـفـ يـاءـ الـفـعلـ غـيرـ المـجزـومـ ـ الذـكـرـ : |
| ـ آفـاـيـتـمـ الـلـاتـ وـالـمـزـىـ وـمـنـاـةـ الـثـالـثـةـ الـأـخـرـىـ | | |



الصورة القياسية

الصورة العالية

الظاهرة

٤ - الخطأ :

- يهديني ويسقيني ..
يشفني .. يعيين ..
- الذى خلقنى فهو يهدى .. ويسقى ..
- يشفين .. يعيين ..
- ـ ٥ - صرف ما لا ينصرف :
- ـ قوارير .. قوارير(٢)
- ـ قوارير .. قوارير(٣)
- ـ قوارير .. قوارير(٤)

٦ - العدل عن الأفراد إلى سواه والعكس :

- ـ فلا يخرجنكم من الجنة فتشقى ..
- ـ وأجعلنا للمتقين إماما ..
- ـ لا بيع فيه ولا خلل ..
- ـ فتشقى ..
- ـ أئمة ..
- ـ ولا خلة ..

٧ - ايراد أحد الجزأين غير مطابق للأخر :

- ـ ولعلمك الله الذين صدقوا ولعلمك الكاذبين ..
- ـ أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ..
- ـ ولذن الذين كذبوا ..
- ـ ولذن الذين اتقوا ..

٨ - تغيير بنية الكلمة :

- ـ طور سيناء ..
- ـ طور سينين ..

نختار بعض هذه الطواهر لدراسةها :

● يقول تعالى: «أَفَرَأَيْتَ اللَّاتِ وَالْعَزِيزِ، وَمِنَةَ الْثَالِثَةِ الْأُخْرَى» ، لو قرأناها بعدد الثالثة مرة والأخرى مرة لاختلت الفاصلة وتغير الواقع لأن الآية تقسم إلى جملتين موسيقيتين متوازنتين ومتناسبتين كلتاهم متألفة من ثلاث وحدات «أَفَرَأَيْتَ اللَّاتِ وَالْعَزِيزِ» ، «وَمِنَةَ الْثَالِثَةِ الْأُخْرَى» ، فلو حذفنا من الجملة الأخيرة أحدي الوحدتين الثانية أو الثالثة لبقيت وحدتان وفقدت الآية تناظرها واحتل وبالتالي تناسقها الصوتي أو النفي .

● ويقول : «الكم الذكر وله الأنثى؟ تلك - ادن - قسمة ضيزي» ، لو قرأنا الآية بحذف كلمة ادن لاختل الإيقاع الذي لا يستقيم ويتواءن إلا بها وذلك :

١ - لأن التناظر بين جزأى الآية يتلاشى فكلها مؤلف من أربع وحدات ، نحن بازاء سلم موسيقي ثام ، أربعة أذمنة معايدة ، وأربعة أخرى هابطة ، ولكن منها قرار وجواب .

★ قراءة تابع والكساني وعاصم في زوايا أبي بكر بالتنوين فيها ومحزه وبين عامر والتي عمرو ومحضن بغير تنوين فيها ، وبين كثير تنوين الأول .

٢ - تمثل الكلمة اذن سكتة موسيقية او وقفة ، ان **النَّفَّـس** عندما يستريج قبل ان يصل الى النهاية الموسيقية التي فرضت اللفظ الغريب ضيئزى مراعاة للفاصلة ولو لم تكن هذه الوقفة لاندفعت الصوت حتى ارطم بهذه المفردة الخشنة الثقيلة التي تحمل معناها ، ولا تقوم مقامها كلمة أخرى .

● ويقول : «**أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَبْلِوْنَ ، أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدِمُونَ ، فَإِنْهُمْ عَلَوْلٍ إِلَّا رَبُّ الْعَالَمَيْنِ ، الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ، وَالَّذِي هُوَ يَطْعَمُنِي وَيَسْقِيَنِ ، وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِيَنِ ، وَالَّذِي يَمْتَنِي ثُمَّ يَعْيَنِ ، وَالَّذِي أَطْمَعَ أَنْ يَغْفِرَ لِي حَطَيَّشَتِي يَوْمَ الدِّينِ » ، لقد خطفت يام المتكلم في نهاية الآيات محافظة على رؤوسها حتى تتناسب او تنسجم مع كلمات تعبدون والآقواسون والمالين والدين ، ولو أعدنا اليام وقرأتنا لشعرنا بنوع من الاختلال يبدو جلياً لكل ذي سمع رهيف .**

● ويقول : «**يَوْمَ يَلْمِعُ الدَّاعَى شَيْءٌ** **أَبْصَارُهُمْ يَغْرِجُونَ** من الأجداد **كَانُوكُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ** ، **مُهَطِّعُوكُمْ إِلَى الدَّاعَى** » ، التقياس في الآية ان نقول الداعي بارجاع ياء المنقوص ، واذا نحن لم نخطف هذه الياء او تحذفها في اثناء التلاوة لوجودنا ما يشبه الكسر في ايقاع العبارة ، ولما توازنت لقطة الداع مع كلمة عسر في رأس الآية .

● وقد لا يكون هناك حذف ولا تقديم ولا عدول عن صيغة الى صيغة ومع ذلك فانا نلحظ في الآية الموسيقى الكامنة في التركيب والتي تختلف لو غيرنا نظامه ، ولنقرأ قوله تعالى : «**وَإِذَا يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمَ الْقَوَادِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَاسْمَاعِيلَ ۝ ۝** » ، ان التوازن او التقابل بين المد في ابراهيم والمد في اسماعيل واضح ومتناقض فلو جعلنا اسماعيل ياتي مباشرة بعد ابراهيم وقرأنا **الْتَوَالِي** **سَدَّا** **وَاحْسَنَتَا** بالتالي ان الوزن سيختل لا محالة .

حين نتملى هذه الأمثلة والنماذج ، وننتم النظر فيها فانا نلاحظ ان التناسب او الاختلاف في التعبير هو مظاهر في بيان القرآن ، وهذا المظاهر الایقاعي المتلاحم ينسجم مع طبيعة السماع او التلقى ، فالاذن ترفض ان تقبل الارتكاز المتتالي او النبر الشديد في كلمتين متتعاقبين ، بل انها لترفض صيغة النقرة القوية يليها نقرتان خفيفتان او زمان ضعيفان واعادة ذلك بصورة معكوسه او صيغة نقرة قوية فضعيقة ثم آخر قوية فرابعة ضعيفة تساوي زمن الثانية ، وانما تقبل او تستريح للتوازن وتلذ به وتنتشي .

لنقرأ قوله تعالى : «**ذَكْرٌ وَحْمَةٌ رِبَكَ عَبْلَهُ زَكْرِيَا ، إِذْ نَادَ رَبَّهُ نَدَاءَ حَقِيَا ،** قال رب إني وهن العلم مني ، واشتعل الرأس شيئاً ولم اكن بدعائك رب شقيا » ، تشكل وسط الآية الایقاعي حسب مواطن الارتكاز او النبر ، او حسب النقرات القوية والضعيقة هو على الصورة التالية :

| قال | رب | عَبْلَهُ | زَكْرِيَا | إِذْ | نَادَ | رَبَّهُ | نَدَاءَ | حَقِيَا |
|-----|----|----------|-----------|-------|---------|---------|---------|---------|
| قال | رب | عَنْ | وَهُنْ | عَلَم | إِنْسِي | وَهُنْ | عَلَم | مُتِّي |
| ● | ● | ● | ● | ● | ● | ● | ● | ● |

وهي صورة متوازنة ومنسجمة تقبلها الأذن وتستريح لها ، فلو صرفاً السمع عن موسيقى الفواصل مؤقتاً ، وحاولنا أن نغير وضع كلمة مني فنجعلها سابقة لكلمة العظم ، وأعدنا إياه المدحوفة أو المخطوفة إلى كلمات رب حتى يصبح التشكيل النغمي هكذا :

قال دبى إنى وهن مني العقم

• • • • •

لأحسينا ما يشبه التقلقل أو الاضطراب في نفس الإيقاع ، والسبب في ذلك واضح لأن الأذن ترفض صورة الارتكاز المتتابع أو توالى التكرارات القوية والضفيفة بالصورة السابقة ، صورة التردد الرتيب وقوتها عليه التنوع مع التناسق ، أو الانسجام في توالى المقاطع .

ان دور الموسيقى في القرآن - هذا الدور الكبير - لا تنبع أهميته من أنه أحد عناصر الأسلوب الفني أو وسيلة البارزة وسبيل التصوير والتعمير والتاثير فحسب بل لأن له مصدراً دينياً أولاً ، ولأننا نستطيع أن نعمله - ثانياً - أساساً أو معياراً أو مفتاحاً - اختر ما شئت - لأحد علوم القرآن الكريم .

فالإيقاع ذو هدف ديني من جانبي جانب العالِف وجانِب المستمع ، الأول يساعد على حفظ القرآن وتذكره وتلاوته ، والثاني يجعله ينفلت له ويتأثر به ويهتز ، ويحدثنا اليوم علماء اللغة وعلم النفس الموسيقي أن ادراك الطفل لنغم الكلام وجرسه يسبق ادراكه لمناه وأخيته ، ويقررون أن لدى الإنسان ميلاً نحوها أو استعداداً فكريّاً لالتقاط وتدبر جملة من المقاطع الصوتية النغمة والتربيدة أكثر بكثير من استعداده لالتقاط بعض المقاطع العادية غير الموسقة من الكلام ، وكل من شاهد حفظة القرآن من الولدان يعرف أنهم يجدون سهولة واضحة في حفظه وتذكره أكثر مما يجدون في حفظ غيره من النصوص وتذكرها لأن الإيقاع يساعدهم على هذا .

وما يقال من الحفظة الأطفال يقال عن المتقدين الكبار الذين يفعلون فيهم القرآن فعل السحر حين يتلونه أو يستمدون إليه من قارئه مجدد يرتفع على آذانهم آياته البيانات بالحكام ، انهم يجدون له في أنفسهم آثاراً من صور الشفاعة والحزن والتأمل والبشرى والمحاسنة والافتخار والارتفاع والبكاء ، وربما صاحتها لدى العامة هزات جسمانية وآهات داخلية وصيحات عالية .. ذلك كله بسبب النشوة الموسيقية ، نشوة النغم العجيب ، نغم القرآن الذي يملك القشرة على تذكيرنا بالزمن والتقدة على محو شعورنا به في آن .

وبالإيقاع أو بالموسيقى نستطيع أن نعرف المكي من المدنى لا سيما في تلك السور التي وقع حولها خلاف فقيل أنها مكية كما قائل أنها مدنية^(٤) ، ويمكن عن طريق فحص الموضوع والأسلوب وطريقة الأداء والوقف عند نغم الآيات وإيقاعها أن نعدد - ونحسن مطثثثون - مكية بعضها مثل التكاثر والماديات والزلزلة والرعد والرحمن ، ومدنية بعضها الآخر مثل الجمعة ومحمد والحجج والنماء ، ولنأخذ سورة الزلزلة مثلاً :

يقول تعالى :

«إذا زللت الأرض زلزلها ، وأخرجت الأرض أثقالها ، وقال الانسان مالها ، يومئذ تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها ، يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم ، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .

تبدي حركة النص عنينة قوية ، انه يوم القيمة حيث ترجم الأرض حيث تزلزل ، وتنفس ما في جوفها ، تتفقد من أثقالها التي حملتها ونامت بها ، مشهد مروع مخيف أين منه مشاهد الدنيا في زلزالها وبراكينها ؟! ، ويقف الانسان دهشا ضائعا مدعورا يتسامل : ما الأمر ؟ ما لهذه الأرض سرج وتزلزل ، ماذا أصابها ؟ ، وتحدد الأرض ، تصف ما جرى لها ، انه أمر الله ، أمرها ان تمور فمارت ، ان تتدفق ما في بطنها فقدت ، هنا والانسان مشدوه يكاد لا يلتفت أنفاسه ، خائف يترقب ، في لمحه سريعة يعرض مشهد القيمة من البعد حتى العساب ، الناس يصدرون كالجراد ، وينتشرون موزعين متغلفين ، فقوة الزلزلة ، هو البركان العظيم فرقهم ، جعلهم مدعاوين خائفين أشتاتا أشتاتا حيارى يهرون في كل اتجاه ، ولكن الى أين ؟ الى الميزان ليحاسبوا ، ليروا أعمالهم ، فمن يصل الغير فهو الشر مما يكن هذا أوذاك ضئلا ودقيقا سيجده مائلا إزاءه ، يراه رأى العين .

ايقاع النص يساوق هذا المعنى ويحمله فهو مثله لامث سريع يرجف كالأرض وكالانسان فرقا واضطربا كل ما فيه متحرك بارز مائل ، الكلمات في جرسها ، في طباقها وتوافقها ، فيما تنشره من آثنيات وظلال ٠٠٠ الزلزلة ، أثقال ، مثقال ، ذرة ، أشتاتا ، ليروا ، يره ٠٠٠ تشي بال موقف وتعبر عنه ، ومع ذلك فهذه الكلمات وسائر ما في المعجم من أمثلتها لا تبلغ في وصف المشهد قدر ما يبلغه الغيال السمعي والبصرى حين يتملى النص ، فالسورة هزة ، وهزنة عنينة للقلوب النافقة ، هزة يشترك فيها الموضوع والمشهد والإيقاع اللقطي ، أنها مسحة قوية مزلزلة للأرض ومن عليها ، فما يكادون يفيقون حتى يواجهم العساب والوزن والجزاء في بعض فقرات قصار ، فهل هذا أو بعض هذا مما يعني في السور المدنية ، أو تعب عنده وتصفه السور المدنية ؟!

هذه هي الموسيقى في القرآن تأخذ مجريها ، وتفعل فعلها ، تهز القلوب والنفوس والأرض والسماء ، تصور ، توحى ، تؤثر ، تميز ، تعمّم ٠٠٠ فهل لنا أن نتفق بها ذرعا ولها هذا النور ؟

على أولئك الذين يرفضونها ، أو يحرجهم الحديث عنها ، عن مكانتها ووظيفتها وطبيعتها أن يتذكروا أن هذا الكتاب قد تزل على قلب محمد عليه بليغ بسان عربي ، بيانه غمام ، وأياته حكم وأمثال ، ولفتحه موسيقى وايقاع ، وترتيل قرآن عبادة ، وهناك تبيبة المنسوب إليه يملا الأفاق :

«ليس منا من لم يتفن بالقرآن» .

ومناه كما يذكر الشراح ليس من العاملين بستتنا الجارين على طريقتنا من لم يحسن صوته به لأن التعريب به أوقع في النقوص وأدمى للأستماع والإسناد .

□ مصادر النغم :

استعمل كلمة نغم هنا بدلالة خاصة وواسعة لتشمل الإيقاع والتنغيم مما واتساعه: ما مصدر النغم في القرآن إلام يرجع ؟ أو يرجع إلى الآيات بما فيها من قيم موسيقية ؟ أم يرجع إلى التنغيم بما فيه من قيم انشائية، أم يرجع ثلاثة الى مصدر غيبى بما له من سحر خفى نفس أثره في النفس ولا نعرف منبعه ؟ وبكلمات أخرى هل يعود النغم في القرآن الى النص او الى المترىء او الى المتكلى ؟ تناقض المصادر الثلاثة .

أولاً : مصادر النص - الإيقاع :

ميزنا في مقالة سابقة بين الوزن وبين الإيقاع، ورأينا أن الأول من خصائص الشعر، وأن الثاني من خصائص الشعر والنشر مما ، علينا الآن أن نميز بين ثلاثة أنواع من الإيقاعات النثرية :

إيقاع النثر العادي أو العام الذي يفلت من عنصر الانتظام والتوقيت .

وايقاع النثر الفني الذي يعتمد بالصنمة عليهم .

وايقاع القرآن الذي يباينهما لينشئ تدرجات صوتية مختلفة وكيفيات نغمية تتراوح بين الانتظام والتناسب ، بين التوازن والتقابل تبعاً للمفكرة أو للموضوع ، للموقف أو للمعنى الذي يريد أن يعبر عنه أو يوصله .

في كل سورة أو نص قرآني ينبع الإيقاع من انساج عنصرين : من نفمة خاصة تناسب الفكرة ، وتقوم المقافية فيها بمدور المفتاح ، ومن لحن ينتظم النغمات جمياً على اختلاف درجاتها وفي شكل منسجم ومتنااسب يختلف في روح المطلق شعوراً ما ، بالنغمات يوقع القرآن ايقاعات شتى على أوتار النفس ، وباللحن المتساوى يترك وحدة الآخر ، والعلقة بين النغمات التي تصنع اللحن علاقة ذات أساليب شتى ، فقد تقسم على الشوق أو الترقى ، أو على الترجيع أو على سواها من قواعد التشكيل حتى يشير القرآن في أنفسنا الواناً من الانفعالات تتصهر أخيراً في بوتقة الاحساس النهائي حين تتجه الى غايتها المنشودة .

ندرس أحد النصوص :

١ - والنمازات غرقا ، والنashطات نشطا ، والسابعات سبعا ، فالسابقات سبقا ،
فالمدبرات أمرا .

٢ - يوم ترجمت الراجفة ، تتبعها الرادفة ، قلوب يومئذ واجفة ، أبصارها خاشعة ،
يقولون إينا لمروعون في العافرة ، إنذا كنا عظاما نغرة ، قالوا تلك إذن كرة خاسرة ،
فإنما هي زمرة واحدة ، فإذا هم بالساهرة .

٣ - هل أتاك حديث موسى ، إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى ، اذهب الى فرعون إنـه طقـي ، فقل هل لك الى أن تزكـي ، وأهدـيـك الى ربـك فـتـغـشـي ، فـارـاهـ الآـيـةـ الـكـبـرـيـ ، فـكـلـبـ وـعـصـيـ ، ثـمـ أـدـبـرـ يـسـعـيـ ، فـحـسـرـ فـنـادـيـ ، فـقـالـ آـنـاـ دـبـكـمـ الـأـعـلـىـ ، فـاخـذـهـ اللهـ نـكـالـ الـآـخـرـةـ وـالـأـوـلـىـ ، إـنـ فيـ ذـلـكـ لـعـبـرـةـ لـمـ يـخـشـيـ .

٤ - الـتـمـ أـشـدـ خـلـقـاـ اـمـ السـمـاءـ بـنـاهـاـ ، رـفـعـ سـمـكـهاـ فـسـواـهـاـ ، وـأـغـطـشـ لـيـلـهـاـ وـأـخـرـجـ ضـحـاهـاـ ، وـالـأـرـضـ بـعـدـ ذـلـكـ دـحـاهـاـ ، أـخـرـجـ مـنـهـاـ مـاءـهـاـ وـمـرـعـاهـاـ ، وـالـجـيـالـ أـرـسـاهـاـ ، مـتـاعـاـ لـكـمـ وـلـأـنـعـامـكـمـ .

٥ - فـإـذـ جـاءـتـ الطـاـمـةـ الـكـبـرـيـ ، يـوـمـ يـتـذـكـرـ الـأـنـسـانـ مـاـ سـعـيـ ، وـيـرـثـتـ الـعـجـيمـ لـمـ يـرـىـ ، فـاـمـاـ مـنـ طـفـيـ ، وـأـثـرـ الـعـيـاةـ الـدـنـيـ ، فـانـجـعـيـمـ هـيـ الـمـاـوـيـ ، وـأـمـاـ مـنـ خـافـ مـقـامـ رـبـهـ وـنـهـيـ النـفـسـ عـنـ الـهـوـيـ فـانـجـعـتـ هـيـ الـمـاـوـيـ .

٦ - يـسـالـونـكـ عـنـ السـاعـةـ أـيـانـ مـرـسـاهـاـ ، فـيـمـ أـنـتـ مـنـ ذـكـراـهـاـ ، إـلـىـ رـبـكـ مـنـتـهـاهـاـ ، إـنـماـ أـنـتـ مـنـتـرـ مـنـ يـغـشاـهـاـ ، كـاـنـهـمـ يـوـمـ يـرـوـنـهـاـ لـمـ يـلـبـثـواـ إـلـاـ عـشـيـةـ اوـ ضـحـاهـاـ .

مـوـضـوـعـ السـوـرـةـ يـوـمـ الـبـعـثـ ، شـفـلـ الـقـرـآنـ الشـاغـلـ فـيـ الـآـيـاتـ الـمـكـيـةـ ، فـهـذـاـ الـيـوـمـ الـذـيـ يـيـنـكـرـ وـيـهـزـ بـهـ الـكـافـفـوـنـ كـيـنـ يـثـبـهـ فـيـ نـفـوسـهـمـ ؟ يـلـفـتـ نـظـرـهـمـ أـوـلـاـ إـلـىـ وـاقـعـ مـادـيـ مـاـشـيـ يـشـاهـدـوـنـهـ كـلـ يـوـمـ ، مـنـظـرـ الـغـيلـ الـفـيـرـ الـسـابـعـةـ الـتـيـ تـكـابـدـ وـتـنـزـعـ فـيـ أـعـنـتـهـ حـتـىـ تـنـهيـ الـعـرـبـ ، وـتـدـبـرـ أـلـمـ الـظـفـرـ وـالـفـلـبـةـ .. وـيـسـتـعـضـرـ لـهـمـ فـيـ الـقـاـبـلـ وـاقـعـاـ خـارـغـيـاـ يـرـفـضـوـنـهـ وـلـاـ يـؤـمـنـوـنـ بـهـ ، وـمـثـلـ مـاـ يـحـدـثـ ذـيـهـ مـنـ هـزـةـ عـنـيـفـةـ تـغـيرـ الـثـابـتـ مـنـ نـظـامـ الـكـوـنـ مـثـلـ تـلـكـ الـهـزـةـ الـتـيـ أـعـقـبـتـ الـفـرـزـةـ ، ثـمـ يـاـخـدـبـهـمـ ثـانـيـاـ فـيـ الـمـاضـيـ وـفـيـ الـحـاضـرـ ، فـيـمـاـ يـسـمـعـونـ وـفـيـمـاـ يـرـوـنـ ، وـيـمـودـ بـعـدـ ذـلـكـ إـلـىـ الـقـضـيـةـ ، يـوـمـ الـقـيـامـةـ فـيـصـفـ مـاـلـ النـاسـ فـيـهـاـ إـلـىـ نـعـيمـ مـقـيمـ أـوـ عـذـابـ خـالـدـ ، وـيـخـتـمـ بـالـسـؤـالـ عـنـ مـوـعـدـ هـذـاـ الـيـوـمـ وـعـنـ تـرـقـيـهـ الـدـاهـمـ .

يـتـأـلـفـ اـيـقـاعـ السـوـرـةـ مـنـ سـتـ جـمـلـ مـوـسـيقـيـةـ :

١ - الـجـمـلـةـ الـأـوـلـىـ وـاجـفـةـ مـسـرـعـةـ ، تـرـكـضـ رـكـضاـ ، وـتـنـزـعـ نـزـعاـ ، وـتـسـتـعـيلـ فـيـ اـرـتـنـاعـ درـجـتهاـ ، وـحـدـةـ جـيـشـانـهـاـ إـلـىـ خـسـنـةـ تـرـكـيـبـاتـ مـتـسـاوـيـةـ كـاـنـهـاـ مـوزـوـنـةـ وـزـنـ الـشـعـرـ (مـسـتـقـعـلـ فـمـولـنـ) ، وـهـذـاـ الـمـلـطـعـ السـرـيـعـ يـتـقـنـعـ ظـلـ الـمـعـنـيـ الـفـامـضـ وـإـيـمـاـتـهـ الـمـتـعـدـدـ وـمـاـ يـثـبـهـ فـيـ الـنـفـسـ مـنـ هـزـةـ وـرـهـةـ وـتـوـجـسـ ، اـنـالـأـنـفـاسـ تـكـادـ تـقـطـعـ ذـهـراـ وـأـرـتـجـافـاـ وـأـنـهـارـاـ مـرـةـ بـالـمـوـسـيقـيـ الـخـاطـفـةـ الـقـارـعـةـ ، وـمـرـةـ بـفـيـ الـمـعـنـيـ الـفـامـضـ .

٢ - ثـمـ تـجـيـمـ الـجـمـلـةـ الثـانـيـةـ - المـشـهـدـاـلـوـلـ - طـابـعـهـاـ مـنـ طـابـعـ الـمـلـطـعـ ، وـايـقـاعـهـاـ مـنـ ايـقـاعـهـاـ كـاـنـهـاـ الـمـلـطـعـ لـهـذـاـ الـمـشـهـدـ اـطـارـ ، الـمـوـسـيقـيـ مـاـ زـالـتـ وـاجـفـةـ ، هـزـاتـهـاـ فـيـ الـحـسـ قـوـيـةـ ، وـتـوـجـسـانـهـاـ فـيـ الـشـعـورـ تـهـوـلـ وـتـرـوـعـ .

٣ - تـتـغـيـرـ النـفـمـ أـوـ الـايـقـاعـ فـيـ الـعـبـارـةـ الـثـالـثـةـ - المـشـهـدـ الثـانـيـ - فـجـوـ الـحـكـاـيـةـ وـعـرـضـ الـمـاـضـيـ وـاستـعـضـارـ الـذـكـرـيـاتـ لـاـ تـنـاسـبـ نـفـمـاتـ قـارـعـةـ وـلـاـ وـاجـفـةـ ، مـعـهاـ يـهـدـاـ الـايـقـاعـ وـيـنـسـابـ

تمتد المبارزة ، وتطول الجملة ، ويتعسّل العيال السمعي الى خيال تأملي استرجاعي ،
ومما يوافق هذا الخيال – شريط الذكريات – نغمات لا تعنف ولا تشتد بل تبطئه وتسترخي .

٤ - ترتفع نبرة النسمة في الجملة الرابعة – المشهد الثالث – حين تنتقل من ساحة
التاريخ والذكرى الى كتاب الكون المفتوح ومشاهد الهاشة ، هنا يبدو التعبير قوي
الأمر قوى الايقاع ولكنه لا يصل الى درجة المطلع او المشهد الأول ، فزمنه أضعف ،
ونقراته الخف .

٥ - يجيء المشهد الرابع في الجملة الخامسة ، مشهد العطامة الكبرى فتعمود النسمة
حادية كما كانت في المطلع ، تتسق معه قوة وبنفأ وببروزا .

٦ - في اللحظة التي يغمر فيها الوجد ان ذلك الشعور المتبع من التوقعات المختلفة
واللسات الموحية يرتد السياق في الجملة الأخيرة الى المذنبين يوم الساعة بايقاع حازم
هائل وسريع يزيد من روعة الساعة وهو لها وضخامتها في الحس وفي النفس ، وتشارك
الهام المديدة في تجسيم الهول وتشخيصه .

ولقد كانت القافية في النغمات جميماً تقوم بدور المفتاح فتلون النسمة وتنبعها
درجتها ، وتعيد التوازي يتعدد النغمات حتى يبت كلها النهايات الطبيعية التي كانت تصل
اليها كل موجة متذبذبة من موجات التعبير الراهن بالحركة والجيشان .

اما لحن السورة ، مجموع النغمات بمقاييسها وقوافيهما ، في ارتفاعاتها
وانخفاضاتها فانه يعتمد على لوبين من الايقاع ايقاع هادئ بطيء هو اللون الثنائي كما في
الجملة الثانية ، وايقاع شديد يبرز هو نفحة القرار الرئيسة ، وبينما في حدة نقراته ،
وشدة نبراته : النزع ، الفرق ، الراجفة ، الرادفة ، الزاجرة ، الطامة ، طفي ، برزت ،
الجمعيم (لم يقل جهنم) .. وكان يتم الانتقال من نسمة الى نسمة ، او من جملة الى جملة
ضمن اللحن العام بالشوق او المشاهدة ١-٢ او بالماهية ٣-٤ او النسب ٣-٤ او الترجيع
٤-٥-٦ ، وجميئها صور من صور التعانق او التالق تسري فيها حركة واحدة رغم
توجهها ، حركة الايقاع وحركة الصورة ، حركة الكون الخارجي وحركة النفس الداخلية ،
حركة تقوم على الرجل والوجه والاضطراب ، وتكون النتيجة ان القلب البشري يحس في
ذاته آثار الزلزلة والهول ، ويهتز هزة العوف والوجل ، ويتهيأ لادراك ما يصيب القلوب
يوم الفزع الاكبر من ارتعاش لا ثبات معه ، وبذلك تبلغ الحركة قرارها ، ويصل القرآن
إلى مقصدده .

هذا هو المصير الأول لنغم القرآن ، موسيقي النص او ايقاعه يتجلّى واضحاً لكل
من عاش القرآن ، واستلهم روحه ، وألهف السمع للنسماته ، حقاً انه لا يوجد فيه ولا في
الأدب عامه موسيقي بالدلالة الملية الدقيقة لهذه الكلمة ما دام مقام الصوت منعدما ، الا
أن فيه عنصراً موسيقياً ما دامت الكلمات ذاتها قد تكون سريعة أو بطيئة ، خفقة أو متذبذلة ،
حادية أو خشنة ، مسلدة أو لينة ، فيه عنصر موسيقي لأننا نشعر في طريقة تعبيره بجوهر
ما يطّلّ على الأشياء من حالات أو تبدلاته : من صمت أو حركة ، من هبوط أو ارتفاع ،

من جيشان أو انحسار ، من توافق أو تطابق ، من تناقض أو انسجام ، من توقع أو مقاومة .. كل ذلك موسيقي أو عنصر موسيقي يتسلل به النص ، ويمكن تحليله ودراسته .

ثانياً : مصلحة المقرئ - التغفيم :

نميز ثلاثة تلاوة القرآن من تنفيذه ، فالثلاثة بعثراتها الثلاث : الترتيل والتدوير والمعدر علم شرعي يتناول العروف في مخارجه وصفاتها ، وهو علم قديم له أصوله وقواعد
التي ثبتت عبر العصور فلم تغير ، ولعل القرآن من هذه البهجة هو الحافظ الوحيد
الذي حفظ العربية وطريقة تلق حروفها ، ومن يستمع إلى الصحف المرتل يستطيع أن
يتمثل أحكام النطق ومواقع النبرات في لفنتها^(١) .

أما التغفيم أو التغفيه فامر آخر مختلف ، انه فن المقرئ الخاص ، كيفية أدائه
للقرآن ، مظهر من مظاهر الابداع ، أو محاولة من المثلث لاظهار براعته علاوة على تعميق
أثر النص الذي يقرؤه في نفوس سامعيه ، وبهذه الدلالة للتفني يكون أقرب إلى الموسيقي
منه إلى التلاوة ، فهو والفتاء صنوان يلتقيان في الأصل الإيقاعي وفي الجسدر اللغوي ثم
يفترقان أو يختلفان .. كل في طريق فيلتزمان بالفنان باللغة المكتوب غالباً ، ويقتيد
باليمن الإيقاعي تقيداً صارماً في حين يجذب التغفيه إلى الترم المفتح المرتجل أو العر .

ويبدو أن التغفيه مثله مثل الفناء والموسيقي يتطور خلال العصور ويتأثر بها
في هذا التطور ، وإذا ما وازنا مثلاً بين طبيعة التغفيه في الصدر الأول وبين طبيعته في
المصررين الأموي والعباسي فستجد الفوارق كبيرة ، في مصر الأول كان التغفيه قطرياً
وسيطاً ، كان مد الصوت وترقيه ورفع طبقته يتم دون درجة صوتية ولا معرفة
موسيقية ، فلما أن اتسعت علوم الفناء والموسيقي بعد ذلك اتسع معها التغفيه بالقرآن
وتتنوع ، حلّت أصوات مدرية مصقوله مشقة محل الأصوات الفطرية الأفقية ذات التتممات
المتقاربة ، امتدت الدائرة التي تتعرّك فيها آوتار العنابر ، ظهرت كييفيات من الأداء
تغفيه باحكم ، وتعرف موقع النغم ، وهذا معنى ما نقوله من أن التغفيه كالغناء يختلف
من عصر إلى عصر ومن جيل إلى جيل ، ومن مقرئه إلى مقرئه .

لكي نفهم نوع العلاقة بين القيم الموسيقية للقرآن وبين القيم الموسيقية لفن
المقرئ لا بد أن نميز بين طراز الصوت المعبر به وعنه وبين كيفية أدائه ، طراز
الصوت هو نظمه وطريقة توايه ، هو عنصره الإيقاعي الكائن في ننم العبارة الفنية ، أما
كيفية أدائه فهي تنفيه ، أي تلوين حالات التعبير من أخبار وتأكيد واستفهام وتعجب
وارتفاع في الطبقة ، أو تنفي في موجاتها ، صحيح أن كيفية الأداء هي تحقيق لطراز
الصوت بيد أنه تحقيق فردي أو شخصي يضاف اليه ، وقد يعرف أصلاً من أصوله
ويشهده ، انه عنصر ذاتي خاص بالمقرئ ، وإذا كنا نزعم لأنفسنا «لأننا نستطيع دراسة
موسيقى طراز الصوت فانا لا نزعم اننا نستطيع أن نقيم على الایقاع ولا حتى دراسة
جادلة له من خلال كييفيات الأداء الفردية .

لقد اناهت لي الفرصة خلال ربع قرن أن استمع غير مرة الى أشهر المقرئين وفي مقدمتهم ثلاثة : محمد رفعت ومصطفى اسماعيل وعبدالباسط عبد الصمد ، سمعت للأول مقطعلم ما أذيع له ، واستمنت الى الآخرين حيث كانوا يقرآن في الجامع الأزهر ومسجد الإمام الشافعى في القاهرة ووجدت أن لكل منهم طريقة في الأداء تبادر طرقية صاحبها وتحكم فيها أمور عددة منها خلقية (إمكانات الصوت وطاقته) وثقافية (مدى المعرفة بالنفس والمقامات الموسيقية) وابداعية (موسيقى القارئ وحسه المرتف) ، وسنوازن فيما بينهم من منظور ذاتي لتبين أن التفاوت في الأداء لا يعود الى موسيقى القرآن بل هو في متانى عنه .

لا أدرى لم يتمثل لي مصطفى اسماعيل بالصانع الماهر ، وعبدالباسط عبد الصمد بالمطرب المحبوب ، ومحمد رفعت بالفنان المتخصص الوهوب ؟ ، ولمل السبب يعود الى طريقة كل منهم في تقنيه للآيات ، حين تستمع للأول (ولا أقول تستمع فشنان ما بين السمع والاستماع نسخ صوتأجحلا تقلبه صفة صاحبه ، يقلبه وقاره وجلاله والأصول الدقيقة لعلم التجويد وان خولفت في بعض الأحيان ، فمصطفى ماهر في الابانة والاظهار والتغريم والترقيق والتشديد والفتحة والحركة ، وربما كان من أجل هذا المقرئ الرسمي للرسالة حتى وفاته .

اما عبدالباسط فهو المطرب وأبلغ ما يتصف بهذه الصفة حين يلتقي بالجماهير ويتفنن في المسجد ، عندها يحاول ان يشير ويستثير ، يروض الانفعالات في النفوس ويطلقها فتعلو التواهات والسيمات ، وهو يلجا - لكي يحقق ذلك - الى أداء الآية الواحدة باكثر من صورة كما يلجا الى شتى الطراائق التي تحرك الجماهير ، وتؤثر في عواطفهم مثل الترعيذ والترقيق والتطريب والترديد والتغزير ، قد تقول انه ظاهرة في قراءة القرآن ، وهذا لا ريب فيه ، غير أن هذه الظاهرة جنحت نحو النغم وفضلته على صحة التلاوة .

يبقى أولهم محمد رفعت المقرئ التقى الضريح الذي مات بالفالج فقيراً معدماً فهو الفنان الذي لا يضارع ، لقد وهب الله له - إذ فقد البصر - البصيرة والحسن السليم ، وأتاه حظاً من الثقة في النغم والموسيقى ، ومنحه صوتاً ثرياً رغم صغر حجمه وخفوته الا أنه يمتد على مساحة واسعة مكتنحة من التنقل صسوداً وهبوطاً دون كيابة ولا معاناة ، والذي ينتمي اليه حين يتلو « طه » أو غيره « طه » من أي الذكر يحس كأنما أتي هذا الشيخ الى الدنيا بشيراً وتنذيراً ، في آيات الرحمة يندى صوته بالفرحه والبشرى ، وفي آيات الرجز والمقاب يهتز هزة الوجل والاستفار ، مع ذكر الجنة تشم الأنوف عطرها وتتنسم أريجها ، وينعم الانسان بظلها ومانها السلسلي ، ومع ذكر الجميع يتسرع الجلد فرقاً من العذاب ، وتتلحظ النفس برمضاء النار ، ويمج الفم طعم الزقوم والفسلين .

ليس هذا كله نوعاً من اتونا العذاب ؟ سل - رحمة الله - مرة كيف تختار لكل آية من الكتاب أداء يناسب معناها ؟ أجب - حين أتلو يذهب أدائي الى معانى الآيات وينذهب صوتي الى الدائني وينجعاب من حولي الظلام فارى كل شيء في الت سور .

– وما حكاية فنك العجيب الباهر الذي تتشكل به نبرات صوتك حسب الأصول
للوسيقى ؟

– ما تسمونه فناً أسميه تفنياً على الأصول الشرعية .

قد يكون حكمي على قراءة الثلاثة حكماً شخصياً وقد لا يكون فالمهم ان لكل منهم طريقة في الأداء او التقني وهذه الطريقة شخصية الى أبعد الحدود ولا تدخل في تقديرنا عندما ندرس مسألة الايقاع ، انتا نمدها . بشكل او باخر – مصدراً من مصادر النغم في تلاوة الكتاب الا أنها لا يمكن أن تعد في اي حال مصدراً من مصادر موسيقى القرآن .

ثالثاً : مصلو التلقى – النفس :

الذين يتحدثون عن الايقاع في فن الأدب – شعره ونثره – ينتهيون الى أن الفيصل في وجود هذا الايقاع يتوقف الى حد كبير على الاحسان به ، والذين تناولوا بشكل عام وسريعاً موسيقى القرآن يمترضون بأن في القرآن نوعاً من الموسيقى الغنية تلفظ ولا تشرح ، او تدرك بجهة المدنية (٧) ، فهل يعني هذا او ذلك أن ثمة عقبة كادام تعترض في اثناء الدراسة تسمى سرة الاحسان وأخرى الخفاء ؟ في ظني أن الموقفين لا ييرزان عقبة بقدر ما يشيران مشكلة هي التلقى ، كيف تلقى القرآن ؟

ان الدراسات النفسية والجمالية (٨) لعملية التلقى أثبتت أن تركيب الآخر الفني لا يكون تماماً ولا كاملاً الا اذا التقت في رحابه وتدخلت طاقتان الطاقة الكامنة في النص والطاقة المنشقة عن التلقى . ولقد كانت معظم الدراسات القديمة – اللهم الا تلك التي أشارت الى تأكيد الماء الماء الماء النفسي في اثبات الاعجاز – تذهب الى فصل الصورة عن المادة ، ففصل المدرّك من المدرّك ، وبالتالي ترى أن القرآن يحمل قيمة الفنية الى الجاهم والعالم على السواء ويؤثر فيها .

رؤيتنا اليوم تختلف لأن تحليل عملية الادراك يختلف ، القرآن – الموضوع – يلتقي فيه عالمان عبر عندهما بالاستماع والتذكرة ونعبر عندهما بعالم النص وعالم التلقى ، الأول حياة تمعج بالحركة والامتداد ، كلمات تعبيرية ، صور فنية ، قيم موسيقية ، تركيبات بلاغية ، والثاني حياة وخبرات جمالية وثقافية تتصرف هي الأخرى بالحركة والتقابل والامتداد ، في عملية الادراك تتعالج العيائنان ، تلتقي الطاقتان – الطاقة الكامنة في النص ، والطاقة المنشقة عن القارئ ، ولن يكون التلقى كاملاً ، ولن يدرك القرآن ادراكاً كاملاً ، الا اذا حدثت المعجزة ، وتدخل العالمان وتتفاگماً .

يملك القرآن قيمة الروحية والفنية الخاصة به ، وهذه القيم لا تحضر اليه او تفرض عليه ، والمتلقى الذي يكابد قراءته وتذكرة ، ويعيش عالمه ، ويحلله لا يجعل منه قيماً يتعظها ، او لا يوجد في النص الذي بين يديه قيماً غير موجودة ، انه يكشف القيم الكامنة فيه ، وفي حالة القرآن تبدو العلاقة بين النص وقارئه أقوى لأن الأمر يتعلق بالآيات ، بتلك الحالة النفسية التي اشتهرت بعضهم وجودها لادراك ما في الكتاب من جمال ومن أداء ومن اعجاز .

حين يعيش المتلقى عالم موسيقى القرآن يجد نفسه في واحد من أربعة مواقف :

- ١ - أن يشعر بالايقاع وجوداً ونوعاً ويملله .
- ٢ - لا يلاحظ شيئاً اسمه ايقاع .
- ٣ - أن يرى تناقضاً بين المعلومات التي يمر بها عن الايقاع وهذا الذي يجده في النص .
- ٤ - أن يحس الايقاع ولكنه لا يستطيع أن يشرحه ويملله ، أو يجد مصدره .

الموقف الأول منطقي ومتmasك ، والثاني يشير إلى أن أحدي الطاقتين الكامنة أو المثبتة مطلة ، والثالث يدعونا إلى أن نجمل من معلوماتنا في خدمة الاحسان والا حكينا بفسادها ولو جزئياً اذا ثاقبته ، اما الرابع فقد أغنانا عن التعليق عليه الخطأ بي حيث ذهب في رسالته عن اعجاز القرآن^(١) الى ان(السبب قد يخفى وأثره في النفس واضح ، وهذا لا يقنع في باب العلم) ، ودون ان تصل الى ذلك نقول ان مجرد المحاولة للتلمس الفواهر الایقاعية الداخلية في التعبير القرآني مهما خفيت تتطلب ضرورة بعض النظر عن نتائجهما .

موسيقى القرآن هي موسيقى النفس ، للعبارة معنيان – أولهما فن الايقاع هو احسان المتلقى يضفيه على النص وهذا هو الغطل يعنيه ، وقد بينما فساده لأن القارئ لا يعضر الى النص قياماً ليست فيه ، والنظرية الانفعالية في معالم الجمال التي كانت ترى أنه حالة شعورية في النفس أكثر منه قيمة مستكتنة في الموضوع ذهبت الى غير رجمة .

المعنى الثاني أن موسيقى القرآن تعبّر عن حالات النفس ، وترتبط بحركة شعورها ، وهذا أمر نقصد إليه ونقرره ونسعى إلى بيانه ، أجمل صوت الموسيقى في القرآن هو صوت النفس البشرية ، صوت حالاتها المتباينة ، صوت فرحةها وحزنها ، أملها و Yasas ، غضبها وسعادتها ... لقد لامس أعضائها ، وووتش على أوتارها ، وصور حركة احساسها ، وكان صدى مشاعرها وانفعالاتها ، وبلغ في ذلك النهاية ، وأربى على الفناء تعبيراً وتائراً .

كانت هذه مصادر النسم في القرآن - مصدر النص والمعلوّة والنسم لا تستطيع أن تضعها على مستوى واحد ، ولا أن تقبلها على علاتها دون مناقشة ، فالأخير مقبول بمعنى ومرفوض بأخر ، مقبول بمعنى التعبير والتاثير ، ومرفوض بمعنى الاحسان ، والثاني أمر متبدل يتعلق بكيفية الأداء ، ولا يتم الى موسيقى الآثر يصلة ، وكل المصادر خارج عن حدود هذه البراسة ، يبقى المصدر الأول - النص - فهو الظاهرة الفنية العمالية التي يمكن تمهيلها وتحليلها بكل اطمئنان .

□ العواشي :

١ - من هذه المقالات :

- ١ - قواعد تشكيل النغم في موسيقى القرآن ، التراث العربي ع/١٥ - ١٦ من ١٢٢ نيسان ١٩٨٤ .
- ٢ - ثلاث فضایا حول الموسيقى في القرآن ، التراث العربي ع/١٧ من ٨٩/تشرين الأول ٨٦ .
- ٣ - حروف القرآن ، دراسة دلالية في علمي الأصوات والنغمات مجلة الفيصل ع/١٠٢ من ٣/أيلول ١٩٨٥ .
- ٤ - انظر جلال الدين السيوطي . الاتقان ص/٩٩ ج/٢ القاهرة ١٩٥١ .
- ٥ - من الأمثلة التي تساق :

تقديم الكلمة لتقتسمها في الزمن او العمل ، او للترقي من القليل الى الكثير . او لتقسم هذا على ما دونه ، او للاختصاص واجراء غير العاقل مجري العامل .

استخدام صيغ المبالغة ، الفصل بين المتعاطفين ، الفصل بين الصفة والموصوف ، ايقاع الناشر موقع الضمير ، وفروع مفعول موقع فاعل والمعنى ، ايقاع حرف مكان حرف ، التعلو عن صيغة الماضي الى المستقبل النك ونشر وننا ان معظم هذه الضروب يمكن ان تدرس في باب علم المعاني فهي به اولى ، وان كان لا يعني ذلك ابتعادها عن الهدف الابداعي ولا دلالته المتداخة .

- ٦ - انظر - بدر الدين الزركشي . البرهان في علوم القرآن ١٨٧/١٤٥٢ ، والسيوطى . المرجع السابق ٦/١ .
- ٧ - روى العبيذ بصيغة علة ، احدهما للبغدادي عن أبي هريرة ، ونمة احاديث كثيرة حول هذا الموضوع يستدل بها العنتبية والشافية على جوانب القراءة بالتحسين . انظر في ذلك محمد علي الصابوني روايات البيان ٦٢٠/٦٢٠ دمشق ١٩٨٥ .
- ٨ - هذا الحكم فيه شيء من المجازة وشيء من التجوز تلتقي فيه مع ابراهيم انيس وشكري عياد و تمام حسان انظر للأول « موسيقى الشعر » و « الاصوات الملغوية » . وللثاني « موسيقى الشعر العربي » وللثالث « اللغة العربية معناها ومبناها » و « اللغة بين الوصفية والعبارات » . مراجع سبق ذكرها .
- ٩ - انظر في ذلك - ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ، الرمائي والخطابي والبرهانى ، تحقيق محمد خلف الله ، القاهرة .
- ١٠ - من هذه الدراسات - جون دبوى - الفن خبرة . وكولنفورد « مبادئ الفن » مرجعان سبق ذكرهما . وارجع في بسط المقصولة ومناقشتها الى المؤلف في كتابه « التشعر بين الفنون » الفصلان الثالث والرابع .
- ١١ - انظر . الخطابي ، رسالته في اعجاز القرآن . المرجع السابق .



قراءة في فكر ابن جني في مدخله «الخصائص» على ضوء علم اللغة الحديث

محمد ولد حافظ

ينتمي ابن جني مثل معظم اللغويين الكبار في تاريخنا ، سيبويه والفراء والفارسي والزمخشي وغيرهم إلى المعتزلة ، وهم الجماعة المعروفة بتعكيم العقل : فالاعتزال « منهج في البحث والتعرية والاستدلال العقلي » (١) . وقد كانت ثقة المعتزلة كبيرة بالعقل لا يعدّها إلا احترام أوامر الشرع ؛ فكل مسألة من مسائلهم يعرضونها على العقل ؛ مما قبل أقرّوه ، وما لم يقبل رضوه » (٢) .

وجعلته هذه الأرضية الفكرية وتمثله لتراث سابقيه يلح على جعل اللغة علمًا . واليه يمكن أن ننسب باطنثان وضع القاعدة اللغوية المطردة الشاملة التي لا يطعن فيها طاعن ، فهو بهذا ذو عقل شمولي متميز ، خطأً لم بعده أنس البحث اللغوي وأساليبه .

الثُّقُبُ ابن جني كتاب الخصائص لبحث النظم المام للغة منطلقًا من تمثله لأراء أستاذة أبي علي التارسي القائمة على دراسة اللغة دراسة بنوية وظيفية ، فشرح عموميات اللغة في مستهل الخصائص ، كالفرق بين القول والكلام ، ومعنى النحو والإعراب والبناء . وطرق إلى أصل اللغة ؛ أوجي هي أم اصطلاح ، ولم يجزم بواحدة منها ، وقبل بنظرية ثلاثة هي نظرية الأصل الطبيعي . ولم يتوقف طويلاً عند هذا الموضوع ما دام لا يغير شيئاً منحقيقة القراءين اللغوية . وأوضح أن مدفعه تأسيس أصول للنحو على غرار أصول الفقه ورفع العلل التعوية التي كانت مفسر المثل فيضعف إلى مرتبة العلل الكلامية ؛ فخطط أسلوب البحث العلمي ، وطريقة وضع القواعد الشاملة . وأكد أن اللغة قوانين تحافظ عليها ، وأفرد أبواباً كثيرة للقياس الذي يتزعم مدرسته إلى جانب دراسات صوتية تصب هي الأخرى في مجرى النظام المام للغة .

بوأه الأستاذ أحمد أمين زعامة مدرسة القياس^(٢) . ورأه الأستاذ سعيد الأفغاني أعلى علماء العربية كعباً في جميع عصورها، وأغوصهم عامة على أمراء علم العربية ، والاهتماء إلى النظريات العامة فيها . ونسب إليه ابتداع نظرية الاشتغال الأكبر ، وتأسيس فقه اللغة ، وإماراة علم التصريف بلا منازع^(٤) (وكتلته أقر الأستاذ محمد علي النجاشي معقق الخصائص بنبوغه في الصرف ، وسعة درايته وروايته وفضله على المتأخرین^(٥) . ونسب إليه الدكتور شوقي ضيف وضع القوانين الكلية في التصريف^(٦)) .

وهاجمه ، وسائل النعاهة المعتزلة ، كثيرون بتهمة اضطراب الرؤية اللغوية نتيجة لإقحام المنطق في النحو . وعلق أبو علي الفارسي نفسه على مرج أحد النعاهة المعتزلة في عصره ، وهو الرماني ، النحو بالمنطق قائلاً : « إن كان النحو ما يقوله الرماني فليس معنا منه شيء ، وإن كان ما نقوله نحن فليس منه شيء »^(٧) .

ولتلمس موقع الرجل بين هذه الاتهامات والاتهامات ، ولبيان مدى نجاحه في محاولته ، لا بد من المودة التي شيء من علم اللغة العام .

يعود تاريخ علم اللغة العام إلى بدايات القرن العشرين ، عندما أُعلن عالم اللغة مایيه عام ١٩٠٦ : « إن التاريخ لن يكون بالنسبة للغوي غاية بل وسيلة »^(٨) مشيراً بذلك إلى أن جهود علماء اللغة في القرن التاسع عشر وما قبله انصببت على الأبعاد التاريخية والمقارنة ، وعلى ثبات القرابة بين اللغات : ولا سيما بعد اكتشاف اللغة السنكريتية ، وردة الفعل العنيفة ضد قواعد بور رويايل . وفي العام نفسه بدأ عالم اللغة الشهير سوسور في جامعة جنيف معاصراته في « علم اللغة العام » فأسس عملياً هذا العلم .

« وهكذا أدار علم اللغة ظهره للدراسات المقارنة التاريخية ، وأكده إمكان اخضاع كل حالة من اللغة إلى دراسة سكونية متزامنة بغض النظر عن التطور الذي تعدد هذه الحالة امتداداً له ; وبناء على هذا المفهوم طرح سوسور التمييز بين « التطورية » التي هي دراسة التغيرات عبر الزمن ، و « التزامن » الذي هو دراسة حالات محدودة من اللغة في فترة محدودة من التطور . فاقسم علم اللغة إلى فرعين : علم لغة تعاوني أو تطوري (Une linguistique diachronique ou évolutive) وعلم لغة تزامنی أو سكوني (Une linguistique synchronique ou statique) وتتنضم الطرائقتان التزامنية والتاريخية موضعه أحدهما الأخرى »^(٩) وينطبق هذا التقسيم السوسيولوجي على اختصاص ابن جنى بالدراسة التطورية للغة ، واقتضاص الإمام البرجاني بالدراسة التزامنية لها في دلائل الاعجاز . وتتنضم الدراسات في مدرسة واحدة يطلق عليها اسم مدرسة أبي علي الفارسي .

لماذا علم اللغة العام ؟ وما مدى اسهام ابن جنى فيه ما دام عمله لا يتعدى حسiod اللغة العربية ؟

« اذا كان هناك علم لغة عام فلأنه يمكن صياغة مبادئه تنطبق انتظاماً على وظيفة اللغات وتطورها وعملها ; وهذا هو مفهوم علم اللغة العام أو الكلي (Panchronique)

مقابل علم اللغة الخاص (Idiochronique) الذي هو دراسة سكونية أو تطورية للغات خاصة «^(١٠)».

و يرتبط علم اللغة العام بعلم اللغة الخاص بلغة ما ، كالمربي ، لأنه يقوم على ما هو عام و مشترك بين اللغات جميعها؛ كما أن علم اللغة الخاص يستفيد بدوره من النتائج التي يتوصل إليها علم اللغة العام بتطبيقاتها على اللغة التي يختص بدراستها «^(١١)».

ولذلك فان لعلم اللغة العام في المرحلة الأولى ، قبل مرحلة البحث عن القواعد العامة مهمة وصفية ؛ فمن مجموع التراجم الخاصة المنفذة على اللغات المختلفة تستخلص تعليمات ذات طابع عام عن نماذج الأنظمـة المـتحقـقة في اللغـات «^(١٢)».

ترتبط الخصائص العامة للغة بحقائقتين كبيرتين :

١ - كل لغة هي نظام اشارات .

٢ - كل لغة تتبعـيـ في اطار اجتماعـيـ بعدـ انـقـاطـ عـمـلـهاـ وـتـطـوـرـهاـ .

تعرف الاشارة اللغوية بأنها « الكل المعصل من ضم دال ومدلول » ويرتبط الدال بالصورة السمعية ، والمدلول بالتصور أو المبني المجرد ، وتمثل ظاهرة التلقيظ وظاهرة الاصفاء الجانب الفيزيولوجي – النفسي ؛ أما موضوع علم اللغة فهو الجانب النفسي الصرف ، أي التلازم بين الفكرة والصيغة . وقد شبه سوسر العلاقة بين الدال والمدلول بوجهـيـ الورقة الواحدـةـ ؛ فـكـماـ أـنـ المـحالـ تصـورـ وـرـقـةـ بـوـجـهـ وـاـحـدـ ، فـمـنـ المـحالـ تصـورـ دـالـ بـسـبـوـنـ مـدـلـولـ ؛ـ وـالـعـكـسـ صـبـيعـ .ـ وـاـذـاـنـدـمـ التـلـازـمـ بـيـنـ الدـالـ وـالـمـدـلـولـ كـانـ لـدـيـنـاـ تـعـاقـبـ صـوـتـيـ لـاـ يـصـحـ أـنـ نـعـدـ اـشـارـةـ لـسـانـيـةـ ،ـ فـتـعـاقـبـ (ـكـ تـ بـ)ـ أـوـ (ـكـ بـ تـ)ـ يـعـطـيـ اـشـارـةـ لـسـانـيـةـ ؛ـ اـمـاـ تـعـاقـبـ (ـتـ بـ كـ)ـ فـلـاـ يـعـطـيـ اـشـارـةـ لـسـانـيـةـ .ـ وـالـعـلـاقـةـ بـيـنـ الصـيـغـةـ الـلـفـطـيـةـ وـمـاـ تـعـيلـ إـلـيـهـ هـذـهـ الصـيـغـةـ هـيـ عـلـاقـةـ اـعـتـبـاطـيـةـ (ـArbitraireـ)ـ مـوـضـوعـةـ بـالـاـتـفـاقـ اوـ التـواـطـؤـ (ـConventionـ)ـ فـلـيـسـ اـشـارـةـ لـلـسـانـيـةـ مـنـ قـبـيلـ الرـمـزـ بـمـعـناـهـ المـحـدـدـ لـأـنـاـ لـاـ نـسـتـطـيـعـ التـصـرـفـ بـالـرـمـوزـ كـمـاـ نـشـاءـ ؛ـ فـنـعـنـ نـرـمـزـ إـلـىـ الـمـدـالـةـ مـثـلاـ بـالـسـيـفـ اوـ الـمـيزـانـ ،ـ اوـ بـهـمـاـ مـاـ ؛ـ وـلـكـنـ لـاـ نـرـمـزـ إـلـيـهـ بـكـتـابـ اوـ مـصـبـاحـ .ـ اـمـاـ اـشـارـةـ لـلـسـانـيـةـ فـانـهـ لـاـ تـقـيـدـ بـمـثـلـ هـذـهـ الرـمـوزـ ،ـ فـالـاشـارـةـ لـلـسـانـيـةـ إـلـىـ (ـالـطـوـيلـ)ـ تـساـويـ اـشـارـةـ إـلـىـ (ـالـقـصـيرـ)ـ .ـ

صـيـغـ مـصـطـلـحـ الـاعـتـبـاطـيـةـ فـيـ الـفـرـنـسـيـةـ مـنـ (ـArbitreـ)ـ الـتـيـ تـعـنيـ الـحاـكـمـ الـمـسـتـيدـ اوـ السـيـدـ الـمـطـلقـ .ـ وـفـيـ الـمـرـبـيـةـ مـنـ فـعـلـ (ـأـتـبـطـ)ـ ،ـ وـمـعـنـاهـ الـقـتـلـ ظـلـماـ ،ـ اوـ ذـبـحـ الـدـيـنـيـةـ سـيـنـيـةـ فـتـيـةـ لـاـ عـلـةـ فـيـهاـ .ـ وـعـلـىـ هـذـاـ يـلـتـقـيـ الـمـصـطـلـحـانـ عـنـدـ فـكـرـةـ الـقـلـمـ وـالـتـعـسـفـ .ـ وـمـنـ الـجـدـيـرـ بـالـذـكـرـ أـنـ الـلـغـوـيـنـ الـعـرـبـ الـقـدـامـيـنـ اـسـتـعـمـلـوـاـ هـذـاـ الـمـصـطـلـحـ بـمـعـنـىـ الـلـاسـيـيـةـ «^(١٣)ـ .ـ اـمـاـ سـوـسـرـ فـقـدـ شـعـرـ بـاـنـ الـمـصـطـلـحـ الـفـرـنـسـيـ لـاـ يـعـبرـ تـامـ التـعـيـرـ عـنـ الـعـلـاقـةـ بـيـنـ الـاـشـارـةـ الـلـسـانـيـةـ وـالـشـيـءـ الـخـارـجـيـ ،ـ فـاـسـتـعـدـ مـصـطـلـحـ اـوـضـحـ وـهـوـ (ـImmotivéـ)ـ ،ـ اـيـ الـلـاسـيـيـةـ ،ـ اوـ دـوـنـ عـلـاقـةـ طـبـيعـيـةـ .ـ وـبـدـهـيـ اـنـهـ تـسـتـشـنـيـ مـنـ هـذـهـ الـعـلـاقـةـ

الاعتباطية الألفاظ التي لها ارتباط طبقي بالأشياء كالغريب والزقرقة ، والألفاظ ذات الدلالات النفسية ، مثل (آف) و (آه) ، وهي محدودة في كل لفة .

أوضح ابن جنبي ان الاعتباط أحد أسس اختيار الأصول الثلاثية في اللغة العربية ، وهي أصول الأغلبية المطلبي ، قائلاً : « أعلم ان واضح اللغة لما أراد صوغها وترتيب احوالها هجم يغدره على جميعها ، وربما يعن تصوره وجوه جميعها وتفاصيلها ، وعلم انه لا بد من رفض ما شنع تالفة منها ، نحو (مع) و (قق) .. فنفاء عن نفسه ، ولم يمرره بشيء من لفظه ، وعلم ان ما طال وأهل بكترة حروفه لا يمكن فيه من التصرف ما أمكن في اعد الأصول وأخفها وهو الثلاثي ... فلما كان الأمر كذلك اقتضت الصورة رفض البعض واستعمال البعض ، وكانت الأصول وسادات الكلم معروضة لهم ، وعارضته أنفسها على تغيرهم ، جرت لذلك عندم مجرى مال ملقى بين يدي صاحبه ، وقد أجمع اتفاق بعضه دون بعضه ، فميز رديئه وزائفه ، فنفاء البة ، كما نفوا عنهم تركيب ما قبض تاليفه . ثم ضرب بيده الى ما اطف له من عرض جيدة ، فتناوله للحاجة اليه ، وترك البعض لأنه لم يرد استعمال جميع ما بين يديه منه لما قيمنا ذكره ، وهو يرى أنه لو أخذ ما ترك مكانه لم أخذ لأغنى عن صاحبه ، ولأدلى في الحاجة اليه تأديته ؛ الا ترى انهم لو استعملوا (بعض) مكان (نبع) لقام مقامه وأغنى مفنه) (١٤) .

يكشف النص السابق تصور ابن جنبي مراحل وضع الفاظ اللغة على النحو التالي :

- ١ - رفض ما شنع تالفة من الأصوات ، وغالباما تكون - حسبما يشرح في مكان آخر من **الخصائص** - الأصوات التي لها مخرج واحد ، مثل (مع) .
- ٢ - الابتعاد ، لا الرفض المطلق ، عن الأصول الطويلة ، أي عن الرياعي والخماسي .
- ٣ - الانتقاء من بين الأصول الثلاثية ، لأنه لا يمكن استيعاب كل هذه الأصول . ويتعلق هذا الانتقاء بقانون آخر سنتعرض له في حينه .
- ٤ - لا مقياس في هذا الانتقاء الا مقاييس الاعتباط .

ومن مظاهر الاعتباطية التي تخرج عن ساحة البحث ، والتي ساقها ابن جنبي في **الخصائص** ظاهرة عدل بعض الكلمات دون بعضها الآخر : يقول في الباب الذي استقينا منه النص السابق « فقد نجد في اللغة أشياء كثيرة غير محصلة ، ولا محصلة ، ولا نعرف لها سببا ، ولا نجد الى الاحاطة بملتها مذهبأ ؟ فمن ذلك اهمال ما أعمل ، وليس في القياس ما يدعو الى اهماله ، ومنه انهم عدلوا (فــلا) عن (فاعــل) في آخر محفوظة ، وهي ثــلل وــحل وــعــر ... وما يقل تعداده ، ولم يعدلوا في نحو مالك وحاتم وخالد ، وغير ذلك ، ولستا نعرف سبباً أوجــبــ هذا العدل في هذه الأسماء التي أريــناــها دون غيرها » (١٥) .

ومن مظاهر الاعتباطية التي لها علاقة بجتماعية الظاهرة اللغوية أوثق من علاقتها باعتباطية الاشارة اللغوية ظاهرة الاستفهام ، انما تعيننا منها هنا الكيفية التي تم بها

الاستفهام ؛ فلماذا استفني عن ماضي (ذَرْ) و (دَعْ) ولم يستفني عن الماضي (وَثَبْ) اذا جرت هذه الظاهرة على الأفعال المبنيةة بالذار ، ومثل هذا التساؤل في الاستفهام بجمع الكلمة عن جمع الكثرة أو العكس .

ان الغرض في المظاهرتين الآخرين ، الفدلو والاستفهام يتطلب الكثير من العذر ، وأعتقد انها يحتاجان الى بحث تاريخي تطوري .

ومظهر رابع للاعتباطية ، وهو التصريحات الواقعية في اللغة او ما يسميه ابن جني « تلاقي اللغة » ويستشهد له باسمى العلم (سلمان) و (سليمي) : « الا ترى أن فعلنا الذي يقاوده فعلنا انسا يابه الصفة كذبستان وغضبي وعطشان وعطشى ؟ وليس سلمان وسلمي بصفتين ولا نكرين ، وإنما سلمان من سلمي كقططان من ليلي . غير أنهما كانوا من لفظ واحد فتلاقيا في عرض اللغة من غير قصد لجيمهما ، ولا ايثار لتقاودهما » (١٦) .

ويتطلب الحديث عن اجتماعية الظاهرواللغوية التقديم باصل الكلام الانساني . ونستطيع اجمال النظريات التي ظهرت لتفسير اصل الكلام الانساني في الاتجاهات التالية :

- ١ - النظريات الطبيعية التي نسبت اصل الكلام الى تقليد اصوات الطبيعة .
- ٢ - النظريات الانتروبولوجية التي نسبتها الى العلاقة الرمزية المتبادلة بين وقع المصدر الصوتي و معناه ، او الى الاصوات المراقة لجهد عضلي ٠٠٠
- ٣ - النظريات الفلسفية التي نسبته الى العقل الانساني المتمتع بغريزة خاصة زواد بها جميع افراد الجنس البشري .
- ٤ - النظريات الالاهوتية التي عدلت اللغة هبة من الله .

وقد وقعت النظريات السابقة في خطأ اعمال العامل الاجتماعي في نشوء الكلام . وهذا ما أدركته وتداركته كلتا المدرستين اللغويتين المنشقتين في القرن المشرين ، وهما البنوية في الغرب ، والمدرسة اللغوية السوفياتية .

اما مدرسة الفارسي فقد ادرك هذانمنذ مئات السنين ، يقول الإمام الجرجاني « فان الناس انسا يكلم بعضهم ببعض ليمعرف السامع غرض المتكلم ومقصوده » (١٧) ويؤكد على ان المفردات لم توضع لتعرف معاناتها بانفسها ، وإنما ليضم بعضها الى بعض ، فيعرف ما بينها من فوائد ، اي ان نشأة الكلمة المفردة ارتبطت بنشأة الكلام ، ولم تقتصر مهمة الكلمات المفردة منذ نشأتها على التسمية، بل كانت مهمتها الإخبار اي الوظيفة الأساسية للغة هي كونها اداة اتصال بين الناس .

ويتنسى الإمام الجرجاني بهذا الى مدرسة الفارسي ، يقول ابن جني في (باب في هذه اللغة ، أفي وقت واحد وضمت أم تلاحق تابع منها بمارط) : « اعلم أن آبا علي رحمة الله كان يذهب الى أن هذه اللغة - أعني ما سبق منها ثم ما لحق به بعده - إنما وقع كل صدر منها في زمان واحد . وان كان تقدم شيء منها على صاحبه فليس بواجب أن يكون

المتقدم على الفعل الاسم ، ولا أن يكون المتقدم على الاسم الفعل . . . وانما يعني القوم بقولهم : « ان الاسم أسبق من الفعل » أنه أقوى في النفس ، وأسبق في الاعتقاد من الفعل ؛ لا في الزمان ؛ أما الزمان فيجوز أن يكونوا عند التواضع قدموا الاسم قبل الفعل ، ويجوز أن يكونوا قدموا الفعل في الوضع قبل الاسم ، وكذلك العرف . وذلك لأنهم وزنوا حينئذ أحوالهم ، وعرفوا مصاير أمورهم ، فعلموا أنهم محتاجون إلى المبارات عن المعاني ، وأنها لا بد لها من الأسماء والأفعال والعرف ؛ فلا عليهم يابها يبدوا ؛ بالاسم أم بالفعل لأنهم أوجبوا على أنفسهم أن يأتوا بهن جمِع ؛ اذ المعاني لا تستغني عن واحد منها . هذا مذهب أبي علي ، وبه كان يأخذ ويفتني » (١٨) .

يؤكد علم اللغة الحديث بدوره على اجتماعية اللغة ، وعلى أنها تتمثل لنا خارجياً كادة للتواصل بين الناس ؛ فهي تظهر في كل مكان حيث يعيش الناس في مجتمع . ولا تمارس لغة دون أن تستخدم وسيلة اتصال . ويعرف اللغة على تنوّع أشكالها : الفميه ، والعاميه واللهجات المحليه على أنها « وظيفة انسانية تستند الى ضم معنويات الفكرة الى أصوات منتجة بواسطة الكلام » (١٩) .

وتتوطّع اللغة لكونها وسيلة اتصال ضمن مجموعة الأنظمه العلميه المستخدمة للتواصل ، مثل أنظمة المرور وطقوس الزواج والوفاة . وعلى هذا وجّدت - ولا تزال - لغات غير منطقية يجهاز النطق الانساني مثل نداءات الانذار ، وقرع الطبلول في افريقيه ؛ ولكن الأساس هو وجود لغة منطقية يتكون نظام عملها من بث واستقبال أصوات منتجة بعملية الكلام . وهذه اللغة هي موضوع علم اللغة .

وأنت الحاجة الى التواصل بين الناس الذين يتكلمون لغات مختلفة ؛ لا الى تعلم احدى المجموعتين لغة المجموعة الأخرى فحسب ، وإنما الى ظهور لغات خاصة تسمى « لغات الاتصال » تتميز عن اللغات القويمه ، مثل لغة البيجين (Pidgin) المكونه من عناصر انكليزية وصينية وماليزية ، ولغة السابير (Sabir) ذات الأصول الرومانية ، التي كانت تستخدم سابقاً على شواطئ البحر المتوسط . (٢٠) .

كيف تؤدي اللغة وظيفتها بصفتها أدلة اتصال ؟

١ - يجب أن يكون للغة نظام . يقول ابن جني في معرض حديثه عن الاختلاف بين لغة تميم ولغة العجاز : « هذا الخلاف لقلته ونذرته غير مختلف به ولا معين عليه . وإنما هو شيء من المفروع يسير ، فاما الأصول وسائله العامة والجمهور فلا خلاف عليه . وكل واحد محافظ على لغته ، لا يغالط شيئاً منها ، ولا يوجد عنده تعاد منها ؛ فهو ذلك الا لأنهم يحاطرون ويقتاسون ولا يفرطون ولا يخلطون » (٢١) و « لو كانت هذه اللغة حشوا مكيلاً وحثوا مهيلاً لكثر خلافها وتمات أدواصها فجاء عنهم جر الفاعل ورفع المضاف اليه » (٢٢) .

اذن ما يختلف فيه العرب قليل بالقياس الى ما يتفقون عليه ، ثم ان ما يختلف فيه

العرب قليل بالقياس الى ما يختلف فيه العلماء؛ وذلك لأن العلماء اختلفوا في الامتناع
لما اتفق على العرب ، كما اختلفوا أيضاً فيما اختلفت العرب فيه .

ويعد الفضل في اتساق النظام اللغوي في رأي ابن جنی الى القياس .

٢ - يجب أن يكون هذا النظام قائماً على حاجة الناس الى اللغة ، وعلى استعمالهم
لها ؛ فاللغة ملك الجميع . كما أنه ليس بواسع فرد أو أفراد ابتكار لغة خارج نطاق
المجتمع . ولهذا أخفقت المحاولات التي قام بها في القرن السابع عشر خاصة بعض
الفلسفة مثل ديكارت ولايتز لوضع لغات اصطناعية .

٣ - ويجب أن يتصف هذا النظام بالمونة لتلبية الحاجات المتزايدة من الألفاظ .
ان الأساس الوطيد لهذه المرونة هو الاعتباط، ثم القياس . فكيف فهم ابن جنی العلاقة بين
الاستعمال والقياس ؟

يمهد ابن جنی لشرح هذه العلاقة بتقسيم كلام العرب الى أربعة أضرب :

١ - مطرد في القياس والاستعمال جميعاً ؛ وهذا هو الغایة المطلوبة ، نحو : (قام زيد)
و (مررت بسعید) ؛ يعني رفع الفاعل ونصب المفعول وجرا المجرور .

٢ - مطرد في القياس ، شاذ في الاستعمال : وذلك نحو الماضي من (يلتر) و (يدع) ؛ يعني
أن القياس يعيّزهما ، غير أنها شاذان في الاستعمال .

٣ - مطرد في الاستعمال ، شاذ في القياس : نحو (استصوب) و (استحوذ) . والقياس ان
يقال : استصاب واستعاد ، باهلال العين .

٤ - شاذ في القياس والاستعمال جميعاً ، مثل تتميم (مفعول) فيما عينه واو ، نحو (فرس
مقوود) و (ثوب مصوون) ، والقياس يعلّف الواو الثانية منها .

ثم يشرح العلاقة بين الاستعمال والقياس على النحو التالي :

١ - اذا تمارضا ، أي امطرد في الاستعمال ، وشد عن القياس أخذت بالأول ، أي
بالاستعمال لأنك تتكلم كلام العرب ؛ ولكنها لا يتخد أصلاً يقاس عليه غيره .

٢ - اذا شد في القياس وكثير في الاستعمال أخذت بما كثر في الاستعمال ؛ وإن
لم ينته قياسه الى ما انتهى اليه استعماله ، أي وإن لم تكن قوته في القياس على قدر
قوته في الاستعمال . والعربي قد يتكلم اللغة وغيرها أقوى في القياس عنده .

٣ - اذا أوصلك القياس الى شيء ، ثم سمعت العرب تنطق غيره فندع ما كنت عليه
إلى ما هم عليه .

٤ - اذا أيد قياسك سباع فانت مخرب فيه ؛ فإن صح عنده أن العرب لم تنطق
بقياسك كنت على ما أجمعوا عليه البتة ، وأعددت ما كان قياسك أداك اليه لشاعر
مولى ، أو لساجع ، أو لضورة لأنه على قياسهم .

٥ – واذا نشا الشيء في الاستعمال ، وقوى في القياس فذلك ما لا غاية ورامة ، نحو منقاد اللغة من النصب بعرف النصب والجر بعرف الجر .

٦ – وأما ضعف الشيء في القياس وقلته في السماع فمذول مطرح ؛ غير أنه قد يجيء منه الشيء إلا أنه قليل .

ويؤكّد ابن جنّي أهمية العامل الاجتماعي في مواضع أخرى من الخصائص على النحو التالي :

١ – لا يقصد بالاستعمال استعمال فرد أو أفراد ، بل الاستعمال الاجتماعي ؛ يقول « فإن ورد عن بعضهم شيء يدقنه كلام العرب، وبماه القياس لا يقنع في قبولة أن تستعمل من الواحد ، ولا من العدة القليلة ؛ إلا أن يكثر من ينطق به منهم » (٢٣) .

٢ – يحدّر ابن جنّي من أن الخطأ إذا تكرر توصل ، يقول « ومنهم – من العرب – من اذا طال تكرر لغة غيره عليه لصقت به . ووُجِدَتْ في كلامه – يعني ابا علي – : الا ترى الى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد قيل : يا نبي الله ، فقال : لست بنبي الله ولكتني نبي الله . وذلك انه عليه الصلاة والسلام انكر الهمز في اسمه ، فرده على قائله ، لأنّه لم يذر بما سماه ، فأشقق أن يمسك على ذلك » (٢٤) .

٣ – يجب أن يرتبط القياس بالاستعمال ، أي بالواقع الموضوعي ، ولا يجوز أن يؤخذ بمعناه النظري الصرف أخذًا مطلقا ، ولذا يستنكر وفتاً لهذا الفهم أن يكون قوله « رفع عقيرته » مشتقاً من (عقر) مثلما أوّله أبو اسحاق ، ويوافق على أن معنى الصوت في (عقيرته) مأخذ افتراضًا من أن أحدهم قطعت رجله ، فرفع رجله المقصورة ، وصرخ ؛ فقالوا: رفع عقيرته . ثم يقول ابن جنّي « ولذلك قال سيبويه في نحو من هذا : أو لأن الأول وصل إليه علم لم يصل إلى الآخر ؛ يعني ما نحن عليه من مشاهدة الأحوال والأوائل » (٢٥) .

ويلح على أن مشاهدة حال المتكلّم في أثناء الكلام ، أي ربط الكلام بال موقف الذي يجري فيه أشد تفاصيل للعنوي من شعر الفرزدق اذا اخبر به ولم يحضره ينشده .

٤ – لا تستدرك اللغة كلها قياساً : فعنها ما لا بد من ايراده ، ونص الفاظه اذا لم يجدوا بد منها ، ولا منصرفا عنها « ومعاذ الله أن ندعى أن جميع اللغة تستدرك بالأدلة قياساً » (٢٦) .

٥ – وهناك حدود لامكان التصرف في اللغة لا يمكن تجاوزها ، مثل حدود العذف والفصل والتقديم والتأخير .

ولا شك أن المسموع الذي وصل إلى عصر التدوين من كلام العرب قليل بالنسبة إلى حجم اللغة وامكانياتها التوليدية . يقول عمر بن الخطاب « كان الشعر علم القوم ، ولم يكن لهم علم أصح منه . فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب بالجهاد ، ولهببت عن الشعر وروايته ، فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح ، واطمأنّت العرب في الأمصار راجعوا

رواية الشعر ، فلم يزولوا الى ديوان مدون، ولا كتاب مكتوب فحفظوا أقل ذلك ، وذهب عنهم كثيرون «^(٢٧) » .

ولا يعقل طبعاً أن ترد اللغة الصحيحة كلها عن طريق السماع ، ولا يعقل كذلك أن تتجمد اللغة على المسموع ؛ فكيف تختفي اللغة وتتجدد ؟ وكيف يتواصل الجديد ؟

١ - لا شك أن اقتران الاستعمال بالقياس الصحيح يؤصل القياس ، بدليل قوله « اذا فشا الشيء في الاستعمال ، وقوى في القياس فذلك ما لا غاية وراءه ، نحو منقاد اللغة » «^(٢٨) » .

٢ - ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب « الا ترى أنك لم تسمع أنت ولا غيرك اسم كل فاعل ولا مفعول ؛ وانما سمعت البعض منه ، ففقت عليه غيره ، فاذا سمعت : (قام زيد) أجزت (ظرف بشر) و (كرم خالد) » «^(٢٩) » .

٣ - وينطبق هذا على الألفاظ الأعمجية التي تدخل اللغة « قال أبو علي الفارسي : اذا قلت : (طالب العشكنا) فهذا من كلام العرب ؛ لأنك باعرابك ايه قد دخلته كلام العرب » «^(٣٠) » .

يعني الإعراب اذن اخضاع اللفظة الأعمجية لنظام المربيّة صوتياً وصرفياً ونحوياً فاللفظة حين تنتقل من لفتها الى العربية تغير صوتها ، ويترعرف في وزنها بحيث تدرج في أقرب وزن من أوزان العربية ، ويعرف آخرها بحركات الإعراب ، ويشتق منها ، فيقال : (درمت الغباري) ، أي صارت كالدرام ، فاشتق من الدرهم ، وهو اسم أعمجي . كذلك يدخلون على هذه الألفاظ الدخلة لام التعريف تشبيهاً لها بأصول كلام العرب ، اي النكرات «^(٣١) » .

٤ - عن طريق التدريج ؛ وهو « ان يشبه شيء شيئاً من موضع ، فيُمضى حكمه على حكم الأول ، ثم يدقى منه الى غيره » «^(٣٢) » . ومن أمثلته قلب الذال دالاً في (ادْكِر) ، ثم تدرجوا منه الى غيره بان قلبوها دالاً في (غَنِيَ) (افتصل) ، فقالوا : (الدَّكَر) . وفي شرح مثال آخر للتدريج يستخدم ابن جنی لفظة هامة المدلول ، وهي الاعتياـد ، يقول : « لاعتياـدهم عليها حتى صارت كأنها كانت أصلـاً » «^(٣٣) » .

٥ - استعارة اللفظة والاستعمال الطويل لها ؛ يعلل ابن جنی اجتماع لفتين فصيحتين او أكثر في لغة رجل واحد قائلاً : « وقد يجوز أن تكون لفته في الأصل احدهما ، ثم انه استفاد الأخرى من قبيلة أخرى ، وطالع عهده بها ، وكثر استعماله لها ؛ فلحقت لطول المدة ، واتصال استعمالها بلغته » «^(٣٤) » . ويقول في موضع آخر : « ومن العرب من اذا طال تكرر لغة غيره عليه لصقت به ، ووجدت في كلامه » «^(٣٥) » .

ويخلص علم اللغة الحديث توطيد اللفظة بالقواعد التالية «^(٣٦) » :

اعتباـط × وضع ← اسـطلاح . أي أنه تم وضع الألفاظ على أساس الاعتباـط .

اصطلاح × استعمال ← عرف . اي ان الاصطلاح يجب أن يؤيده الاستعمال
ليمضي عرفاً .

عرف × تواتر ← اطراد .

ويتفق هذا مع مفهوم ابن جنی في أن كثرة الاستعمال مع طول المدة تلحق اللفظة
باللغة . ويعمل هذا المفهوم عجزنا عن تصحيح الأخطاء الشائعة ، وعجز الجامع اللغوية عن
فرض مصطلحاتها .

لماذا اصرار ابن جنی على أن الاستعمال هو الأصل مع أنه ورثت مدرسة القياس
البصرية ؟

١ - اللغة عقد اجتماعي ، كما يقول علم اللغة المعاصر ، ومؤسسة موضوعية ،
يعنى أنها لا تتعلق بارادة فرد أو أفراد من المجتمع ؛ فلا قيمة للغة خارج استعمالها .

٢ - يحد الاستعمال من استطاله القياس ، فيجد من اتساع اللغة الناجم عن
الاسراف في القياس . ويرجع السبب في هذا الى :

أ - ان الامكانيات النظرية للغة هائلة . يملل ابن جنی قلة استعمال الأصلين الرباعي
والخمساني قائلاً : « ذلك أن الثلاثي يتراكب منه ستة أصول ، والرباعي يتراكب منه أربعة
وعشرون أصلاً وإذا كان الرباعي مع قريبه من الثلاثي إنما استعمل الأقل التذر منه
فما ظنك بالخمسي ؛ الا ترى أنك لا تجد شيئاً من نحو (سفرجل) قالوا فيه : (سرفجل)،
ولا نحو ذلك ؛ مع أن تقليبي يصل به مائة وعشرين أصلاً ؛ ثم لم يستعمل من كل ذلك
الا (سفرجل) وحده » (٣٧) .

ثم هناك امكان تقليل كل أصل ثلاثي من الأصول الستة تسعم مرات بتغيير حركة
العين في الماضي والمضارع ، وهناك صيغ الزوائد أيضاً . ان هذه الامكانيات اذا اطلقت
ستؤدي الى ما يشبه التقسيم الاقتصادي . وتحتفظ اللغة بهذه القدرات الى حين اللزوم؛
وعلى هذا يطلق على اللغة اللاتينية التي لم تعدد تستخدم لغة اتصال مصطلح (En conserve)
اي قيد الحفظ ، تشبها بالغزون الفذائي يستاجر منه على قبر العاجة .

ب - وما دامت اللغة وسيلة اتصال فانها يجب أن تكون مفهومة من قبل كل
الذين يتكلمون بها ليستطيعوا التفاهم عن طريقها ، ولتكون عامل توحيد لهم ؛ والا
فقد وظيفتها الابلاغية الاجتماعية ، وعليه تشبه وظيفة الابلاغ بالمقود الذي يوجه اللغة
انتشاراً او تقليلها .

٣ - ينتهي ابن جنی بشكّل ما الى مدرسة البصرة التي ادركت حقيقة هامة ،
وهي أن اللغة نظام ، يعنى أنه يجب احتوام ما يمكن احتواه من كلام العرب ضمن النظام
اللغوي ، واعتبار ما يقع خارج تلك العدود شاذًا يحفظ ، ولا يقاوم عليه ، ويكون حسب
مفهوم ابن جنی منتهى على أصل بابه .

اذا كان الاستعمال قوة ضاغطة على اللغة باتجاه التقليص ؟ فما القوة التي تجعل النظام اللغوي مرتنة يستجيب لمتطلبات التواصل من جهة ، ولمتطلبات التطور من جهة ؟ انها مرونة القياس ومن مظاهرها في فكر ابن جنبي :

- ١ - جواز القياس على ما يقل ، ورفضه على الاكثر منه اذا كان الاكثر غير قياس .
- ٢ - ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب .
- ٣ - للانسان أن يرتجل من المذاهب ، ما لم يلو بمنص ، أو ينتهك حرمة شرع . وليس اجماع أهل البلدين - يعني البصرة ، والمكوفة - بعجة عليك اذا لم تخال المنسوبون ؛ يقصد حرية الاستنتاج والبحث العلمي .
- ٤ - يحمل على الظاهر ، وان أمكن أن يكون المراد غيره ، تسهيلاً للبحث وللهجة ، ومثاله حمل سببويه كلمة (سيند) على اليام لأنَّ الظاهر ؛ وان كانت الواء أكثر وبروداً في هذا الموضع ، اي عين الاسم .
- ٥ - الاستحسان ضرب من الاتساع والتصرف ، ومن أمثلته ترك الأخذ الى الأثقل من غير ضرورة ، والحال نون التوكيد باسم الفاعل تشبيهاً له بالضارع ، وما خرج منها على أصل يابه ، مثل (استحود) و(استصوب) .
- ٦ - اذا انفرد العربي بشيء نظر الى كلامه ؛ فان كان كلامه فصيحاً قبل منه ؛ فقد يكون من لغة قديمة . ان ابن جنبي يتغاضر هنا قاعدة الاستعمال الجماعي ، ويقبل الاستعمال الفردي لتسهيل احتسواه النظام للغة .
- ٧ - العمول والاضافات والالعاقات لکثرة هذه اللغة وسمتها وغلبة حاجة اهلها اليها للتصرف ؛ يقول سببويه : « وليس شيء يضطرون اليه الا وهم يحاولون به وجهاً » (٣٨) .
- ٨ - قبول لفتيين او اكثراً « لأن الكل واحد من القومين ضرباً من القياس يؤخذ به ، ويخلد اليه ، وليس لك أن ترد احدى اللقتين بصاجبتها » (٣٩) ، ومثالاً اعمال(ما) واماها .
- ٩ - لا تجوز المبالغة في التشكيك بكل لغة او لغة او قياس ؛ لأنَّ هذا التشكيك « يوحي لك من كل لغة صيغة لأنَّ يتوجه منه أن تتعوق عن الأخذ بها مخافة أن يكون فيها زيف حادث لا تعلمه الان ، ويجوز أن تعلمه بعد زمان ... وان اتجه هذا انحراف عليك منه الا تعليق نفساً بلغة ؛ وان كانت فصيحة مستعكسة » (٤٠) وكذلك « لا يجوز ترك العاشر الذي له وجود من القياس لفأنا بمجوّز ليس عليه دليل » (٤١) .
- ١٠ - ولا بد ان نضيف الى ما سبق باباً واسعاً في الخصائص سماه المؤلف « شجاعة العربية » يعني بها العدف والفصل والتفريق والتقدير والتأخير .
كيف تحافظ اللغة على توازنها بين هاتين القوتين المعاكستين ؟ قوة التعلق المتأتية من قيود الاستعمال الاجتماعي ، وقوة الانتشار الناجمة عن مرونة القياس ؟

١ - لا يتغير النظامان الصرفي والنحوي للغة الا ببطء شديد ، وما دام هذان النظامان قادرين على استيعاب الدخيل من الألفاظ ، فلا خوف على اللغة .

٢ - أما المانوي الجديدة التي يفرضها التطور العصاري فان اللغة تتمكن من التعبير عنها دون اللجوء الى التوسيع المعجمي في غالب الأحيان عن طريق العبور باللغة من الحقيقة الى المجاز ، وتنبع ذلك عبر السياقات المختلفة للنقطة : يقول ابن جني عن الحقيقة والمجاز « الحقيقة ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة ، والمجاز ما كان ضد ذلك . وإنما يقع المجاز ويمتد اليه عن الحقيقة لمان ثلاثة ، وهي الاتساع والتشبيه والتوكيد » (٤٢) .

ويقول الدكتور عبدالسلام المدي : « ان العملية التي سماها العرب في وقت ما المجاز ، من فعل جاز ، هي عبور باللغة من حقل دلالي الى حقل آخر ، وكذلك الاستعارة فاللغة قادرة على التعمّل الذاتي ، أي على أن تحول دلالتها ضمّانياً عبر الزمن . وتشبه هذه العملية عملية الانسلاخ في الكائنات الحية، حيث تجدد اللغة معناماً دون أن تفقد جوهراً » (٤٣) .

وتختلف اللغة حملها المعجمي عن طريق الاستفهام ، وهو على أنواع :

١ - نوع استعمالي ؛ حيث تموت اللغة المهجورة زمناً طويلاً وفقاً للقاعدة نفسها التي ثبت بها الجديدة عن طريق الاستعمال .

٢ - نوع تمنعه قواعد القياس ، وهي القواعد التي تسمح في الوقت نفسه بتوسيع اللغة ، مثل صيغة التعجب والتفضيل من بعض الأفعال .

٣ - نوع اعتباطي لا ضابط له ، كالاستفهام بجمع الكلمة عن الكثرة او بالعكس ، والاستفهام عن صيغ بعض الأفعال ببعضها الآخر كالاستفهام عن (فقر) و (شد) بصيغتي (افتقر) و (اشتد) والاستفهام عن الأصل المجرد بما استعمل مزيداً ؛ وهو صدر صالح من اللغة كما يقول ابن جني ، نحو (كوب) و (حوشب) اذ لم يرد في كلامهم (كتب) ولا (حسب) .

ويطلع تحت عنوان اجتماعية الظاهرة اللغوية ما يسميه الاستخفاف والاستثناء وحسن المتكلم ، يقول في باب (علم المربية أكلامية هي أم فقهية) : « قال أبو اسحاق (الزجاج) في رفع الفاعل ونصب المفعول : إنما فعل ذلك للفرق بينهما ، ثم سأله نفسه فقال : فإن قيل : فهلما عكست الحال ، فكانت فرقاً أيضاً ؟ قيل : الذي فعلوه أحزم ، وذلك أن الفعل لا يكون له أكثر من فاعل واحد ، وقد يكون له مفعولات كثيرة ؛ فرفع الفاعل لفته ، ونصب المفعول لكتره ؛ وذلك ليتعلّم في كلامهم ما يستثنون ، ويكتشّ في كلامهم ما يستخون » (٤٤) . ويمثل ابن جني لهذا بثقل الواو الساكنة بعد كسرة في نحو مِوازن ، وثقل الياء الساكنة بعد ضمة في نحو مُيَسْرٍ ؛ فقلبيوا الواو ياء والياء واوا .

ولهذا الحديث أكثر من موضع في التصانع : وإنما أوجز أبرز مظاهره فيما يلي :

- ١ - اختيار الأصل الثلاثي دون الرباعي والخامسي لخفته وشقهما .
 - ٢ - الهروب من الحركة الثقيلة إلى الخفيفة ، مثل تسكين المترعرك في نحو (عضد عجز) وورود معظم العروض المنفردة على الفتح كألف الاستفهام وواو المطفف ؛ وما ورد منها مكسورة إنما كسر لمعنى ، مثل لام الأمر . وورود الأحرف المتشاء كلها مفتوحة الأول ، مثل هَلْ و لَمْ ..
 - ٣ - الإعلال الذي سبّت أمثلته : بالإضافة إلى أنه يشبه تقليل الأصول الثلاثة بالإعلال ، ويجعل هنا الشبه أحد أسباب التغور من التقليبات المكتبة .
 - ٤ - اختلاس الحركة ، مثل قراءة بعضهم « مالك لا تأمننا على يوسف »^(٤٥) مختلساً حركة النون .
 - ٥ - الإشمام ، ومعلوم (أنه للعين ، لا للأذن ، وليس هناك حركة البة ، يقول ابن جني « فإذا قنعوا من الحركة بآن يومئوا إليها باللة التي من عادتها أن تستعمل بها عن النطق بها من غير أن يُخرجوا إلى حسن السمع شيئاً من الحركة .. لم يبق وراء ذلك شيء يستدل به على نهايةتهم بهذا الأمر (يعني الاستفصال) »^(٤٦) .
 - ٦ - إدراج همة الوصل .
 - ٧ - العنف ، سواء بعنف الكلمة كلها ، لم يحذف جزء منها .
 - ٨ - ظاهرة أسماء الشرط والاستفهام التي يسأل بها عن الكثير .
 - ٩ - الإلحاد بالأفعال من أولها ، وبالإسلام من آخرها ، وزيادة الآلف فقط على الخامس لخفتها ، مثل (قبعشي) و (ضبغطري) .
- وفي علم اللغة الحديث ما يسمى بقانون المجهود الأدبي^(٤٧) . يشرحه الدكتور عبد السلام المسدي على النحو التالي « تتنزع اللغة إلى ابلاغ أكثر عدد من الشعارات الاخبارية ، أي أكبر عدد من المعلومات بأقل ما يمكن من الجهد المضلي ، ومن أمثلته في العربية تحول اللغة العربية إلى لهجات وال الوقوف على ساكن »^(٤٨) ويحسن هنا ذكر ملاحظة ثاقبة لابن جني يضيفها إلى حديث الاستفصال والامتثال ، وهي أن اللغة تنزع أحياناً إلى الأطوال والأثقل دفعاً للملل وطلب التنوع . كالعنوان من أيام مع خفتها إلى الواو على ثقلها في كلمة (حياة) ، وحقها أن تقلب ولوها ياء ، وكذلك العنوان عن الإعلال مع توفر الملة في نحو (استتصوب) و(استتجوه) . ويمثل الدكتور المسدي هذه الظاهرة بأنها وظيفة نفسية واجتماعية للغة ، وهي وظيفة تركيز دعائم الاستثناس التي يتكلم بها مع المسلط »^(٤٩) .

وتشير آخر اشارة عابرة ، لتشعب الموضوع ، إلى صنيع آخر لابن جني يصب في التيار نفسه ، وهو توجيهه للقراءات الشائعة كتابه « المحتسب » لأن هذه القراءات إنما هي لهجات تكلمت بها مجتمعات بشرية ، فللت أو كثترت . وأكمل ابن جني بهذا صنيع أستاذه أبي علي الفارسي الذي وجه القراءات السبع في كتابه « العجالة » .

العواشي :

- ١ - في أصول النحو للأستاذ سعيد الأفغاني ط ٢ مطبعة جامعة دمشق ص ٩١
 - ٢ - المذاهب الإسلامية . أحمد أبو زهرة ص ٢١٥
 - ٣ - في أصول النحو ص ١٠٣
 - ٤ - المصدر السابق ص ١٠٤
 - ٥ - مقدمة الفصائض ، مطبعة دار الهوى . الطبعة الثانية من ٤٧
 - ٦ - المدارس النحوية . د. شوقي ضيف ص ٢٦٨
 - ٧ - في أصول النحو ١٣٧
- La linguistique. Jean Perrat. 11^e édition, P. 96*
- ٨ -
 - ٩ - المصدر السابق ص ٩٩
 - ١٠ - المصدر السابق من ١٠٠

١١ - « الدور الابعابي للمتكلمين والمحزنون في علم اللغة العربية، محاضرة للدكتور جعفر داه الياب . » . القيت في المؤتمر العالمي لتاريخ الحضارة الاسلامية بم دمشق عام ١٩٨١

La linguistique, P. 100

١٢ - انظر مثلاً متنى الليبي من ٣٦ مطبعة دار الفكر - الطبعة الثانية .

- ١٤ - الفصائض ٦٤/١ - ٦٥
- ١٥ - الفصائض ٥٢/١
- ١٦ - الفصائض ٢٢٢/١

١٧ - دلائل الإعجاز للأمام العرجاني منشورات دار المعرفة من ٤٠٨

- ١٨ - الفصائض ٣٠/٢

La linguistique, P. 5

- ٢٠ - المصدر السابق من ٣٤
- ٢١ - الفصائض ٢٤٤/١
- ٢٢ - الفصائض ٢٤٤/١

٣٦ - مجموعة محاضرات للدكتور عبد السلام السندي التي قيلت على طلبة الدراسات العليا بجامعة دمشق عام ١٩٨١

- ٣٧ - الفصائض ٦١/١ - ٦٢
- ٣٨ - الفصائض ٢١٤/١
- ٣٩ - الفصائض ١٠/٢
- ٤٠ - الفصائض ٢٥٢/١
- ٤١ - الفصائض ٤٤٢
- ٤٢ - الفصائض ٢٥٢/١
- ٤٣ - محاضرات الدكتور عبد السلام السندي .

- ٤٤ - الفصائض ٦٨/١ - ٤٩
- ٤٥ - يوسف ١١/١٢
- ٤٦ - الفصائض ٧٣/١

La Linguistique, P. 121

- ٤٨ - محاضرات الدكتور عبد السلام السندي .
- ٤٩ - المصدر السابق .

تكميلة لتحقيق بداع لقرآن

د. علي ميرلوحي فلاورجاني

الدكتور علي ميرلوحي مندرس اللغة العربية في كلية اللغات بجامعة اصفهان . وقد كلف ترجمة « بداع القرآن » لابن أبي الأصبع العذواني . وهذا الكتاب من أفضل الكتب التي تناولت ب遑ة القرآن الكريم . فكلف الدكتور علي على ترجمته إلى الفارسية نفلا دقيقاً وأميناً . هذا والقاريء، لنص الكتاب ربما لا يقف عند بعض الموارض الفامضة أو القلقة أو المعرفة . ولكن الترجم الدقيق ينعم النظر عند كل جملة بل عند كل كلمة فيعشقها ويقتهم معناها في السياق . ومكذا كان شأن الشواهد في غير الكتابين استطاع أن يصحع بعض العمل وينبه على سهو المؤلف والمدقق وارد أن ينشر تكميلة لتحقيق « بداع القرآن » خدمة لوجوه البلاحة في القرآن الكريم وخدمة للغة العربية الأصلية .

ع . ك . ي

مقدمة :



ريب أن دراسة المخطوطات وتحقيقها تحقيقاً علمياً وفق المنهج المتبعة اليوم من أهم الوظائف التي أقيمت على عاتق الباحثين والعلماء الذين اعتنوا بأحياء ما ورثه لنا المتلقون من آثار قيمة وكتب ثقافية . فلم هنا وهناك من در ثمينة هي من ثمار جهود العلماء السالقين ما زالت مجوبة وراء ستار الغفلة والنهول ؛ وبينها كتب تحتوي على طرائق الأفكار وبدائع الأراء ، ومصابيح مضيئات تثير طريق البحث وتساعد على تقديم العلم في شتى المجالات .

ومن حسن الحظ قام العلماء المعاصرون بتحقيق المخطوطات وعرضها للنشر عرض يفيد الدارس والباحث إلى حد بعيد . ولكن تمايز ذلك بحاجة إلى مزيد من النشاط وبذل الجهد في هذا المجال : إذ أن المخطوطات التي نشرت حتى الآن لا تخلو عن ثلاثة أقسام :

قسم طبع عن نسخة واحدة أو وحيدة دون أي تحقيق ، وقسم نشر عن تحقيق غير

مكتمل ، وقسم طبع بعد التحقيق الكامل والمقابلة باقدم النسخ وأصعها : مع براءة المحقق وأضطلاعه في موضع للكتاب المحقّق ، وهذا القسم الأخير هو القليل عدداً والكثير فائدة .

وأما كتاب « بدیع القرآن » هذا الكتاب الذي ندرس ونكمّل تحقیقه في هذه المعاولة فهو كتاب حقّه الاستاذ حفني محمد شرفونشر عام ١٣٧٧ هـ ، ولما قرأت الكتاب وجدت فيه من الأخطاء ما يعنی على كتابة هذا المقال تکملة لتحقیقته « فکم ترك الأول للأخر » .

و قبل المخوض في البحث ، ينبغي أن نشير إلى موضوع الكتاب وأهميته وإلى مؤلف الكتاب وشخصيته :

اما موضوعه . فهو - كما يظهر من اسمه ، عرض لأنواع البدیع التي وردت في القرآن الكريم: ولا يخفى ما فيه من الأهمية ، لأنّ وجهه من الوجوه التي بها ينظر إلى اعجاز القرآن الكريم ، وهو المعروف بالاعجاز البیانی . وقد اعتبرني به الأدباء منذ العصور الإسلامية الأولى : فنرى بعضهم قد تكلموا على بلاغة القرآن ونظمه العجيب وبيانه البدیع^(١) ، ولكن ليس بينهم قبل ابن أبيالاصبع من خصمن كتاباً بدراسة بلاغة القرآن : فكتابه « بدیع القرآن » يسد أول كتاب افرد له مؤلفه لهذه الدراسة ، ويعتبر الكتاب الوحيد الذي استخرج مؤلفه ما استطاع من آيات القرآن التي اشتغلت على الوجه البدیعية : وانه كثيراً ما يعرض على القارئ أنواعاً بدیعية عديدة تحويها الفاظ قليلة من آية واحدة .

اما مؤلف الكتاب ، فهو أبو محمد زكي الدين عبد العليم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله بن محمد المصري المعروف بابن أبيالاصبع المدواني (٥٨٥ - ٦٥٤ هـ)^(٢) ، كان أدبياً شاعراً مفسراً ومتضللاً في علوم البلاغة ولا سيما البدیع منها ، وهو صاحب الابداع في فن البدیع : لأنّ اخترع أنواعاً بدیعية كثيرة أوردها في آخر كتابه هذا « بدیع القرآن » ، وفي كتابه « تحریر التعبير » ، وفي كتابه بدیع القرآن لمحات دالة على أنه قد نال نصيباً من علم المنطق ، والكلام والفلسفة والحديث وبعض المعلوم الأخرى .

وقد اعتمدت في تبيين موارد الخطأ وايضاح الوجه الصواب على النص نفسه ، وأخذت الدليل منه عليه ، وربما استتبّلت الصواب بمعونة القرائن المكتنفة بالنص أو بمراجعة بعض مصادر علم البدیع ولا سيما تحریر التعبير ، الذي يعتبر أصلاً لهذا الكتاب^(٣) .

وبعد هذا المرض الموجز عن بدیع القرآن ومؤلفه نبدأ ببحثنا عن نصه ، وبيان موارد الخطأ ووجه الصواب فيها :

مقتبسة المؤلف « في مساق الحديث عن أبواب الكتاب » ص ١٥ جام ما نصه : « ... فاستتبّلت واحداً وثلاثين باباً » .

والوجه السواب ينبغي أن يثبت « اثنين وثلاثين باباً » ، ودليل ذلك أن الأبواب التي أوردتها المؤلف في آخر الكتاب وتبهـا إلى نفسـهـي اثـنـان وـثـلـاثـون بـابـاً ، أولـها بـابـ التـغـيـيرـ ، ص ٣٢ : وأخرـها بـابـ حـسـنـ الـخـاتـمـةـ .

باب الاستعارة :

« في معرض الكلام على استعارة المحسوس للمقول » ص ٢٢ ، س ٦ ، أتى النص كما يلي : « ... ومن هذا القسم أيسأ قوله تعالى: « فاصدع بما توئم » (٤) فالاستعارة منه الزجاجة والمستعار الصدّع وهو الشّقّ والمستعار له [عقوق] المكلفين » .

والصواب « ... (عقول) المكلفين » لأن معنى « العقوبة » لا يتناسب وسياق الكلام إطلاقاً ، ويؤيد هذا الوجه ما جاء من لفظة « القلوب » بعد تلك العبارة ، التي يراد بها نفس معنى العقوبة : جاء بعدها : « والممتنى صرخ » بجمع المعطيات ما أوحى إليك وبين كل ما أهربت بيانيه ، وإن شقّ ذلك على بعض القلوب فاصدعت » . ونقل المحقق عن نسختي « ا » و « ب » الوجه الذي استعوبيناه .

باب المذهب الكلامي :

« في معرض الحديث عن المذهب الكلامي الواقع من الآيتين الأوليين من سورة الكوثر » ص ٤٠ ، س ١٦ ، ورد النص كالتالي: « ... عطية الكوثر تعدل جميع المعطيات ... وكل عطية كان الشكر عليها جميع العبادات (لأنه هي أمر بالصلة والنحر والصلوة جامدة لجميع العبادات) فهي تعدل جميع المعطيات ، وإنما قلنا ذلك لأن المأمور به جميع العبادات البدنية .

ويلاحظ القارئ أن الكلام بهذا النظم لا يقيد المعنى ، وفيه قلق واضطراب : وإنما يعطي المعنى إذا أخـرـتـ العبـارـةـ المـوضـوعـةـ بـينـ الـهـلـالـيـنـ إـلـىـ ماـ بـيـنـ « جـمـيـعـ الـبـادـاتـ » وـ « الـبـدـنـيـةـ » فيـنـتـظـمـ الـكـلـامـ عـلـىـ الشـكـلـ التـالـيـ: « ... وكل عطية كان الشكر عليها جميع العبادات فهي تعدل جميع المعطيات وإنما قلنا ذلك لأن المأمور به جميع العبادات (لأنه هي أمر بالصلة والنحر والصلوة جامدة لجميع العبادات) البدنية ... » .

باب الالتفات :

١ - « في البحث عن أقسام الالتفات » ص ٤٤ ، س ١٢ ، جاء ما نصه : « ... أو الانصراف عن التكلم إلى المخاطبة كقوله تعالى : « ... » .

والصواب « أو الانصراف عن التكلم إلى الأخبار » ودليله كلام المؤلف بعيد ذلك : « ثم قال منتصراً عن التكلم إلى الأخبار » . كما يشهد لذلك نفس الآية أيضاً .

٢ - أيضاً في معرض الكلام على الالتفات » ص ٤٥ ، س ١ ، جاء نص كالتالي : « ... أو الانصراف من التكلم إلى الأخبار كقوله تعالى : إن يشـأـ يـذـهـبـكـ ... وما ذلك على الله بعزيز » .

وكما يلاحظ القارئ ليست الآية مثلاً لهذا القسم من الالتفاتات ، بل هي مثال للالتفاتات من الضمير إلى الاسم الظاهر .

باب الكناية :

« في تعريف الكناية » ص ٣ ، من ٧ : عرف الكناية بالنص التالي : « هي عبارة عن تعبير المتكلم عن المعنى القبيح باللفظ الحسن وعن النجس بالطاهر وعن الفاحش بالغيفت ، هذا اذا قصد نزاهة كلامه عن العيب (وقد يقصده بالكناية عن ذلك) وهو ان يعبر عن الصعب بالسهل ... »

وعندى أن العبارة الموضوعة بين الملايين محرفة لأنها لا تفيد معنى لائتاً بموضوعها من الكلام . ويبعد أنها حرفت من « وقد يقصد بالكناية غير ذلك » .

باب التشبيه :

« في بيان وجوه التشبيه » ص ٥٨ ، س ٣ : جاء النص في عبارة هي : « منها اخراج ما تقع عليه العasse) ... »

والصواب (اخراج ما لا تقع عليه العasse [إلى ما تقع عليه العasse] ودليل ذلك تكرار النص بوجهه الصواب بعد ذكره بقليل .

باب المساواة :

« في معرض الحديث عن المساواة الواقع في الآية الكريمة : (وقيل يا ارض) (١) ص ٨٠ ، س ١٤ جاء ما نصه : « وذلك انه لما قال سبحانه في أول النesse : « وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه » (٢) ، وقال بعد ذلك : « ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مفرقون » (٣) . »

ولا يستقيم المعنى الا اذا قلنا ان الآيتين وقع في نقلهما تعريف بتقديم المؤخرة وتأخير المقيدة : وذلك ان الآيتين متsequitan وما بالترتيب : « واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مفرقون . ويسعن الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه ... »

باب الايفال :

« في البحث عن الايفال الواقع في الآية الكريمة : « ولا تُسمع الصم ، الساع » (٤) ، ص ٩١ ، س ١٤ ، جاء النص كالتالي : « ولما أخبر سبحانه - وهو أعلم - بذكر توليهم متنماً للمعنى في حال الخطاب » . »

والصواب « ولما أخبر سبعانه – وهو أعلم – [أنهم صم لا يسمون أراد [بذكر

يلاحظ أن الكلام ناقص دون زيادة العبارة الموضعية بين الهلالين ، وهذه الزيادة وردت في نص التحرير ، نفس الموضع ، من ٢٣٥ .

باب المواربة :

« في معرض التمثيل بالآية الكريمة : « . . . إن ابنيك سرق(١) » من ٩٥ ، س ٩ جاء في شرح الآية على قراءة « سُرِقَ » ما نصه : « فان يوسف عليه السلام سُرِقَ ولم يسرق » .

والصواب « فان أخا يوسف عليه السلام . . . لأن المراد من « الابن » في الآية هو آخر يوسف لا هو نفسه .

باب الاستثناء :

« في توضيح الاستثناء الواقع في الآية « فاما الذين شقوا . . . » من ١٢٢ ، س ١٨ ورد النص كالتالي : « فانه سبعانه عَلِمَ ان أهل الشقاوة الذين . . . استثنى سبعانه . . . » .

يلاحظ أن العبارة لا يوجد فيها ما به ترتيب جملة « استثنى بعملة « علم » مع ما نفهم من الكلام من معنى الترتيب؛ فينصرف الذهن إلى سقط أداة تربط الجملة الثانية بأولى . وأسلوب المؤلف في الكتابة يرشدنا إلى أن الأداء الساقطة لا تكون إلا « لما » فاتي بها قبل « علم » فالصواب « فانه سبعانه [لما] علم . . . » .

باب التوھیم :

« في توضيح الآية : قل تعالوا اتل بما حرم ربكم . . . » (١١) .

١ - من ١٢٣ ، من ٤-٥ جاء ما نصه : « ولذلك عطف بشّ دون حروف النسق » .

والصواب « . . . من بين حروف عطف النسق » كما نقل النص كذلك في آثار الربيع ، من ١٣٢ .

٢ - وأيضاً في نفس الباب والصفحة من ٦ وردت عبارة نظيرة العبارة السابقة ، وهي « فان ثم دون حروف المطف » .

والصواب فيها نفس الصواب في مباقتها .

٣ - وأيضاً في البحث عن الآية السابقة ، من ١٣٤-١٣٥ ، من ٢١ ، جاء النص كالتالي : « فان قيل : فلم عدل عن لفظ التأويل ، ولم لا جاء التنزيل به ، ولفظ

التاویل على ما بينتم ابلغ واخر ، به يرتفع الاشكال الوارد على ظاهر الكلام ؟ وتعريف الشرك هو اهم ما في هذه الوصايا ، فان الایمان اصل الدين واسسه عليه تبني هذه الوصايا وغيرها من الدين وتتفرق فروعه منه ، ولا جرم انه قدم الاهتمام به ، فافتضت البلاحة التصریح بلفظ التعریف لذلک ، فان قلت ٠٠٠ ٠

يلاحظ ان الشرط لم يأت له جواب في مساق هذه المباراة الطويلة . فلا جرم أنه سقط من قلم النساخ او سها عنه المؤلف ، وعلى اية حال ، لا يكون الا « قلت » فيجب ان يزاد حيث تنتهي جملة الشرط ، والظاهر أنها تنتهي عند قوله « على ظاهر الكلام » فنزید جملة « قلت » بعده ، وقبل « وتعريف الشرك » ، فيصير نظم الكلام على الشكل التالي : « فان قيل : فلیم عدل ٠٠٠ على ظاهر الكلام [قلت ٠٠٠] وتعريف الشرك ٠٠٠ ، ويبعدوا ان صدر جملة الجواب سقطت منها عالوة على « قلت » ، اجزاء أخرى » ٠

باب نفي الشيء بايجابه :

في الحديث عن الباب في قوله تعالى : « اللهم اعين ٠٠٠ » (١٢) ص ١٥٢ ، من ٥ ، ورد النص كالتالي : « فان ظاهر هذا الكلام يقتضي نفي هذه الجوارح وباطن الكلام يقتضي ٠٠٠ »

والصواب : « فان ظاهر هذا الكلام يقتضي نفي هذه الجوارح [ومازومه يقتضي اثبات الالهية لمن يكون له مثل هذه الجوارح او باطن الكلام يقتضي ٠٠٠] ، والمباراة المشتبة بين المعقودين زدناها من التعریف نفس الباب ص ٣٧٧ ٠

باب الاتساع :

ص ١٧٣ ، س ١٥ ورد الشرط الثاني لبيت شريح بن اوبي ، كالتالي :

« فهلا تلا قبل التقدم ٠

والصواب : « فهلا تلا حاميم قبل التقدم » كما ورد في التعریف نفس الباب ، ص ٤٥٦ ٠

باب المجاز :

١ - « في بيان حذف المفعول » ص ١٨٨ ، س ١٢ جاء النص كما يلي : « اذا كان كذلك قال : قد طلبنا مثلا في السؤال والمجد فلم نجده لم يوقع نفي الوجود على المثل وأوقعه على ضميره ٠٠٠ ٠

والصواب : « اذا كان كذلك [فلو] قال ٠٠٠ بزيادة « فلو » وبدونها تظل المباراة خالية عما يربط جملة « لم يوضع » بجملة « قال » ، ويبقى الكلام غير متصل بالاجزاء ٠

٢ - « في بيان وجوه المفاضلة بين آية القصاص » وقول العرب « القتل أنف للقتل » التي نقلها عن الإمام فخر الدين ص ١٩٢-١٩٧ ، وقت اخفاء عجيبة من التعريف والتقدير والتاخر : هي كالتالي :

١ - في بيان الوجه السادس من كلام الإمام فخرالدين ، ص ١٩٣ ، س ١٠ ، جاء ما نصه : « وهذا الوجه أيضاً جيد » .

ليس هنا موضع هذا الكلام ، وليس قبله ما تشير اليه لفظة « أيضاً » بل موضعه حيث اعاد المؤلف ذكر الوجه السادس بمقدمة التعليق عليه ، ولمزيد الايضاح نورد تعليق المؤلف على الوجه الخامس وما جاء بمقدمته بمقدمة التعليق على الوجه السادس - كي يتضح كيف وقع هناك فراغ ينبعى أن يملأ بكلامه هذا الذي أقحم أثناء الوجه السادس نفسه - ، جاء في التعليق على الوجه الخامس وبعده على الوجه السادس ، ص ١٩٧ ، س ٧ ما نصه : « والوجه الخامس لم يحوي مقالاً فيه ، وهو قوله : إن حروف القصاص حياة عشرة ، وحروف كلّهم أربعة عشر حرفاً وهذا أمر معتبر في الإيجاز ، والوجه السادس وهو قوله : انه ليس في قوله : « القتل أنف للقتل » كلمة يجتمع فيها حرفان متلاصقان متعركان الا في موضع واحد ، بل كلها الا ذلك الموضع أسباب خفية أكثرها متواالية وذلك ينقض من سلامة الكلمة ، بخلاف قوله تعالى : « ولكن في القصاص حياة » [١٠٠٠] .

فتلاحظ أن تعليق المؤلف لهذا ناقص لا يتم الا بقوله : « وهذا الوجه أيضاً جيد » الذي أقحم أثناء ذكر الوجه السادس . زدعلى ذلك أن لفظة « أيضاً » في سياق الكلام هذا تجد مرجعها اللائق في الوجه الخامس .

ب - وفي كلام المؤلف نفسه على ترجيح آية القصاص ، وقع انفصال بين أجزاءه وتقديره وتاخر فيها ،

وبيان ذلك أن معظم كلامه جاء مقصيناً بين الوجه السادس والسابع من كلام الإمام فخرالدين ، وهو قوله في الصفحة ١٩٣ ، س ١٤ : « والذي يجب أن يرجع به نظر القرآن على نظمهم ما جاء في تلك النقوتين من البديع الذي لم يأت في نظمهم على طوله بالنسبة : فإنما جاء فيما المجاز والإدماج، والإيضاح ، وحسن البيان ، والارداف ، والطباق ، وأما الأرداف فان الأصل أن يقال : « موت القصاص حياة » فتجوزت الحقيقة بحذف المضاف ، فجاء الأرداف منسجاً في المجاز لأنّه عبّر عن المفهوى بغير لفظه الموضع له ، وأما الطلاق ففي النقوتين ، فإن الحقيقة فيها [الموت المخصوص حياة مخصوصة] وهذا طلاق معنوي (فهو ستة أضرب من البديع في لفظتين عدة حروفهما عشرة) والإيضاح فيما فهو ايضاح ما على نظم العرب ... »

فانت ترى أن كلام المؤلف هنا لم يتم بحد : لأنّه فضل ما أجمل بيانه من المجاز والإدماج ، والطباق ، والارداف ، ولم يتم تفصيله حول الإيضاح ولم يرد شيء من التفصيل حول حسن البيان ، فتبعد عن تفصيلهما ، فتجده في آخر الفقرة الأولى ،

من ١٩٧ ، س ١٢ ، وهو قوله : « الاشكال من جهة انه لا يدل على المعنى المراد بظاهره وحسن البيان من حيث أن السامع يفهم منه المعنى المراد من غير مراجعته بخلاف الأول [٠٠٠] والله أعلم »

ولكي يمكننا ضم الجزء الأول من كلام المؤلف الى الجزء الثاني الذي انفصل عنه ، يجب أن تزيد كلمة « من » بينهما : لأنها هي التي تربط الجزء الثاني بالجزء الأول . وهذا ينبغي الانتباه اليه أن الجملة المشتبه بين الهلالين في الجزء الأول من كلامه ، وقامت في غير موقعها ، ويجب أن تثبت حيث فتحنا لها المقوفتين في الجزء الثاني .

في بعد ما شرحناه من ضم الجزء الأول الى الثاني ، ورد الجملة المتقدمة عن موضعها الى مكانها ينتظم كلام المؤلف على الشكل التالي : « والذي يجب أن يرجع به نظم القرآن ... اياض ما على نظم العرب [من] الاشكال من جهة انه لا يدل على المعنى المراد ... بخلاف الأول [لهذه ستة اضرب من البديع في لفظتين عدة حروفهما عشرة] والله أعلم »

ونظم الكلام يقتضي أن يثبت كلام المؤلف هذا بعد انتهاءه من التعليق على الوجوه المذكورة لللام فخر الدين ، لا متوسعاً ومتطرضاً بين تلك الوجوه .

ج - وفي كلام المؤلف على الوجوه السبعة ، ص ١٩٥ ، س ١٥ ، جاء ما نصه : « وفي هذه الوجوه السبعة مقابل لا يسلم منها الا الأول » .

ولا شك أن الكلام اما وقع فيه الخطأ من قبل النساء أو اختلط الأمر فيه على المؤلف نفسه : لأن مفهومه يخالف ما يورده من الاشكال على الوجه الأول ، ومنها ينص عليه من تأييده للوجهين الخامس والسادس .

د - ويبدو من قول المؤلف : « وفي هذه الوجوه السبعة مقابل » ان كلامه حول الوجه السابع سقط من المتن ..

٢ - « في معرض الكلام عن الإيجاز المختصر » ص ١٩٨ ، س ١٧ جاء ما نصه : « فان قوله هذا تأويل روبياً من قبل « حتى » وخرروا له سجداً » مقتضراً ..

والصواب : « فان قوله « وخرروا له سجداً » حتى « هذا تأويل روبياً من قبل » مقتضراً (أو جاء مقتضراً) .

باب الإيضاح :

في شرح الإيضاح الواقع في الآية « إن الله فالق العب والنوى ٠٠٠ (١٣) » ص ٢٤٩ ، س ٤ ، جاء ما نصه : « ووجب أن يقتصر على ذكر العب دون النوى » .

والصواب : « ... أن لا يقتصر ... » .

باب الافتتان :

« في بيان الجمع بين التعزية والتنهية » ص ٢٩٨ ، س ١٥ جاء ما نصه : « وأما قول أبي نواس ... »

ولا يوجد لأنما هذه جواب يعدها ولا توجد قرينة تدل على حذفه ، فلا بد من القول بأنه سقط من النص ، وقد يكون عبارة كالمباراة التالية : « أما قول أبي نواس ... [فاحسن شعر فتن فيه بالجمع بين تهنت وتعزية] وقد زدتناها هنا عن التحرير (نفس الباب ونفس الموضوع ص ٥٨٩) ووقدت هناك كمبتدأ الكلام .

باب المقارنة :

« ص ٣١٩ ، س ٧ » جاء النص كما يلي : « فان هذا الشاعر قرن الاستعمارة ٠٠٠٠ ٠٠٠٠ والصواب : « ٠٠٠٠ قرن الاستعمارة [بالتشبيه] » بزيادة بالتشبيه وبدونها لا يتم الكلام .

باب الانفصال :

١ - « في ايضاح الانفصال الواقع في الآية » وما من دابة ٠٠٠٠)١٤(ص ٣٢٧ س ٤ ، جاء ما نصه « لأنه لا يطلق العناح حقيقة الا على المضوا الذي ليس له ريش ٠٠٠٠ »

وانما يصبح النص بحذف « إلا » أو « ليس » وهذا معلوم لا خفاء فيه :

٢ - « في بيان الانفصال الواقع في الآية » ٠٠٠٠ فلا رثى ولا فسوق ولا جدال في العج « ص ٣٣٨ ، س ١٢ ورد النص كما يلي : « فإنه يقال لمّا خصص هذين العرفين ٠٠٠٠ (ويقال) : إن النعاهة ٠٠٠٠ »

والصواب : « فإنه يقال لمّا خصّن ٠٠٠٠ (ولا يقال) إن النعاهة ٠٠٠٠ » وقد اشتبه الأمر على المحقق حيث أثبت الوجه الخطأ في النص وأورد الصواب في العاشية ، وخطأه بقوله : « وهي مفسدة للمعنى » ؟

هنا ينتهي ما قصدت اياضًا من مواضع الخطأ المتبقي وجدتها في كتاب « بدیع القرآن » ، وحاولت أن آیین وجہ الصواب قدر المستطاع « ولا یکلف الله نفساً الا وسعها » .

وبقى موارد من الخطأ لا أرى من الفروري إثباتها؛ لأنها من الواضح بدرجة لا تحتاج إلى إقامة دليل . فثبتت هنا وجہ الصواب مشيرين إلى موضعها من الأبواب والصفحات والسطور :

| الباب | الصفحة | السطر | الخطا | الصواب |
|--|--------|-------|-----------------|--------------------------|
| الاستعارة | ٢٦ | ٦ | المستمار | المستمار له |
| الطباق | ٣٥ | ٣ | معنويًا | منعموا |
| الالتفات | ٤٣ | ٣ | مِنْ عَجَزٍ | مِنْ عَجَزٍ |
| التшибه | ٥٨ | ٦ | وقد أسبحنا | وقد اجتمعا |
| التшибه | ٥٨ | ١٢ | وقد اجتمعا | وقد اجتمعا |
| مسعة التفسير | ٧٦ | ١٥ | كَلَّا | كَلَّا |
| الإشارة | ٨٢ | ١٦ | قَاتِلُهُمْ | قَاتِلُهُمْ |
| باب اثنلاف الفاصلة مع ما يدل عليه مائز الكلام | ٨٩ | ٤ | في موضوعها | في موضوعها |
| التعلطف | ٩٧ | ٢ | المشاركة | المشاكلة |
| التغريف | ٩٩ | ١٨ | والاعتراف | الاعتراف |
| الثورية | ١٠٣ | ١١ | ان يسمى | ان يورّى |
| القسم | ١١٢ | ٩ | القسم عليه | القسم عليه |
| الاستدراك والرجوع | ١١٨ | ٧ | من القتل والرمي | من القتل الى الرمي |
| الاستثناء | ١٢١ | ٩ | ولأنَّ | لأنَّ |
| التوهيم | ١٣٤ | ١١ | لا هذا | لاَ هَذَا |
| التوهم | ١٣٥ | ٧ | اَلَا تشركوا | اَنْ تُشْرِكُوا |
| التكبيل | ١٤٤ | ٤ | موجباً | موجباً |
| المناسبة | ١٤٦ | ١٠ | الباب الابصار | اولى الابصار |
| التدبييل | ١٥٧ | ١٤ | واحدهما | واحدها |
| التدبييل | ١٥٨ | ٢ | وفي ذكر البيتين | وفي عَجَزِ الْبَيْتَيْنِ |
| التدبييل | ١٥٨ | ١٤ | من الواقع الاول | من الواقع الأول |
| براعة التخلص | ١٧١ | ١٨ | وغيره منا | وغيرما |
| الايجاز | ١٨٤ | ١٨ | ایجازها | انجازها |
| الايجاز | ١٨٥ | ١٠ | اَذْلِفَتْ | اَذْلِقَتْ |
| الايجاز | ١٨٧ | ١٥ | اَكْرَمْتِي | اَكْرَمْتُ |
| التنكية | ٢١٥ | ١٣ | الرَّابِع | الواقع |
| التنكية | ٢١٢ | ٠٥ | وَقُوا | تفاوتوا |
| التدبييج | ٢٢٤ | ٨ | التعویل | التهویل |

| الباب | الصفحة | السطر | الخطا | الصواب |
|--------------------|--------|-------|--------------------|----------------|
| البسط | ٢٥٦ | ٧ | العاملين | العاملين |
| العنوان | ٢٥٨ | ١٢ | الكتاب | الباب |
| الايضاح | ٢٦٩ | ٤ | ن يقتصر | أن لا يقتصر |
| الايضاح | ٢٦٤ | ١٣ | الي من | إلى أن من |
| الايضاح | ٢٦٤ | ١٥ | دون بقية حروف السق | دون حروف التسق |
| الايضاح | ٢٧١ | ١٢ | أكل مِن بيته | أكل ببيته |
| الايضاح | ٢٧٤ | ٥ | في جزء | في جزء |
| الايضاح | ٢٧٦ | ١٢ | عن قولهم | عن قوله |
| الزامة | ٢٩٤ | ١٠ | لَيُنْفَى | ليُنْفَى |
| الافتئان | ٢٩٩ | ١٢ | وَمَا مَشَى | وَمَا مشى |
| المراجمة | ٣٠٢ | ٤ | باستغلاصه | باستغلاقه |
| التفریق والجمع | ٣١٣ | ١٦ | كُلَّا | حتى إذا |
| حصر الجزئي والحاقة | ٣١٨ | ٢ | يُوم القيمة | يُوم لقائه |
| بالكلـي | | | | |

أنتهى بعون الله تعالى

د٠ علي ميرلوحي فلاورجانی

مدرس قسم اللغة العربية
في كلية اللغات بجامعة اصفهان



□ العواشي :

- ١ - راجع مقدمة المحقق لكتاب بدیع القرآن من ٤٠
- ٢ - راجع مقدمة المحقق لكتاب بدیع القرآن من ٦٧
- ٣ - راجع مقدمة المؤلف من ١٥
- ٤ - سورة العجر : ١٥ ، آية ٨٠
- ٥ - سورة هود : ١١ ، آية ٤٤
- ٦ - سورة هود : ١١ ، آية ٣٨
- ٧ - سورة هود : ١١ ، آية ٣٧
- ٨ - سورة النمل : ٣٧ ، آية ٨٠
- ٩ - سورة يوسف : ١٢ ، آية ٨١
- ١٠ - سورة هود : ١١ ، الآيات من ١٠٦ - ١٠٨
- ١١ - سورة الانعام : ٦ ، آية ١٥١
- ١٢ - سورة الأعراف : ٧ ، آية ١٤٥
- ١٣ - سورة الانعام : ٦ ، آية ٩٥
- ١٤ - سورة الانعام : ٦ ، آية ٣٨

الشعر العربي المحدث والترااث

التراث الكبير

دراسة في التناص

د. عبد النبي اصطفيف**

مقدمة : □

يستطيع المتأمل في طبيعة الأدب العربي الحديث أن يقع فيه على نوعين من المكونات *Constituents* : داخلية وخارجية ; داخلية Internal تشمل البنى *Structures* اللغوية والثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية – هذه البنى التي يشكل مجموعها السياق *Context* الذي يحكم إنتاج هذا الإنشاء *Discourses* اللغوي الذي توظف فيه اللغة على نحو خاص؛ خارجية External تشمل البنى المتعددة المتصلة بواقع المواجهة مع أوروبا والعالم بشكل عام – هذه المواجهة المتعددة الوجوه والأبعاد، والتي تنعكس عادة في الإشارات *الضمنية Implicit* والمصرحة *Explicit* ، الثقافية وسواءاً، إلى هذا المكون الغارجي ، والتي تدرس من قبل المعنيين بالأدب المقارن بصفتها مؤثراً أجنبياً له دور معين في حفظ أنماط *Modes* من التغير على مختلف المستويات في هذا الأدب .

وإذا ما رغب المرء في التركيز على واحد من المكونات الداخلية هو اللغة ، فإنه يمكن

* التناص ، أو تفاعل النصوص ، ترجمة مصطلح *Intertextuality* .

★ عبد النبي اصطفيف هو مدرس النقد الحديث (العربي والأوربي) في جامعة دمشق . ومدرس مشارك مادتي الأدب المقارن وال النقد الأدبي في قسم اللغة الانكليزية في جامعة البعث في حمص . حصل على درجة الدكتوراة في النقد المقارن (عربي – أوربي) من جامعة اكسفورد ، وله مساهماته المروفة في مختلف المؤسسات الجامعية والثقافية والاعلامية . نشر أكثر من مائة وخمسين بحثاً ودراسة ومقالة وترجمة باللغتين العربية والإنكليزية في دوريات القطر العربي السوري والوطن العربي وأوروبا ، وحضر العديد من المؤتمرات المتصلة بعقل تخصصه داخل القطر وخارجيه .

أن يشير إلى أن هذه اللغة بالنسبة إلى منشئها وهذا الأدب العربي الحديث ليست مجرد نظام لفوي Langue يحكم انتاج إنشائه الفردي Individual discourse إلى الآخرين وحسب ، بل هي أيضاً أداة للتفكير لها إجراءات وعادات وأعراف معينة تفرض نفسها على مستخدم هذه اللغة . وفوق هذا وذاك ، إن اللغة هي الأداة الأهم من غيرها التي تتجلّى من خلالها الثقافة الموروثة لمن يستخدم هذه اللغة . إن ممارسة آية لغة لا يعني مجرد استخدام آداة توصيل وتفكيير فقط ، بل أنه يتضمن أيضاً استيعاباً لجملة متفاوتة من الثقافة التي دونت فيها . بل إن عملية الاستيعاب هذه تتأثر وترتبط بمعنى استيعاب مستخدم اللغة لها ، حتى أن المروي يغالٍ لأنهما عملية واحدة ، أو أنها وجهان لعملة واحدة تستهدف استيعاب العالم فيما وين حولنا ، وأدراكه ، وأصرره ، والتحكم فيه .

ان التكوين الثقافي Cultural formation للأديب العربي الحديث يشمل – دون شك – عناصر متنوعة جداً . ولكن ليس ثمة من يماري في أن موروثه الثقافي الذي ينتقل إليه عبر اللغة كما تقدم ، والتي هي من الناحية العملية بالنسبة له على الأقل مجموعة نصوص Texts أدبية وغير أدبية من مختلف المصادر يواجهها هذا الأديب في مختلف مراحل تكوينه الثقافي . ان القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، والشعر العربي من الجاملي إلى العصر الحاضر ، ونصوص التاريخ العربي ، والقصص ، والفقر في مختلف تجلياته ، هي مكونات صفرى لهذا الم叙述 الذي يتسرّب إلى خلفية الأديب الثقافية عن طريق اللغة ، ويتجلى فيما بعد في الإنشاء الأدبي نفسه ، في النص الذي ينشئه والذي هو في الحقيقة تراكم نصوص سابقة .

ومعنى هذا أن دراسة مجده للأدب العربي الحديث لا يمكن أن تتم دونأخذ دور هذا المكون Constituent الداخلي بعين الاعتبار . الواقع أن هذه الدراسة ينبغي أن تشمل الجوانب التالية :

- ١ - تحديد الشكل الذي يتجلّى به هذا المكون الداخلي في النص الجديد أي في الإنشاء الأدبي العربي الحديث .
- ٢ - بيان أصوله من جهة ، والتحولات التي طرأت عليه في النص الجديد من جهة أخرى .
- ٣ - ربط هذه التحولات بالوظيفة الجديدة التي استلّت عليه في معرض انتاج الدلالة الكلية للنص الجديد .
- ٤ - العُمَّ على أهمية هذا المكون الداخلي من خلال تقويم مدى حيوية الوظيفة التي يؤديها في السياق الجديد .

وربما كان من الهام هنا التأكيد على أن دراسة هذه الجوانب ينبغي أن تتم في إطار الدراسة الشاملة للنص الجديد – هذا الاطار الذي تحدده بشكل عام طبيعة هذا النص .

وما دام هذا اللون من الدراسة لا يزال في مراحله التكوينية الأولى ، وفي طور التجريب ، فانه ربما كان من الأفضل أن يهدى المرء ببعض النماذج التطبيقية التي ربما توضح بعض هذه الجوانب المشار إليها آنفًا . وقد تم اختيار نص للسياب أحد أعمدة الشعر العربي الحديث لبيان جوانب تأثير النص المقرآن فيه ، ومدى افادته للسياب منه . وربما كان من لوازمه فائدة دراسة كهذه زعزعة رأي ساد الكثير من دراسات السياب ، وهو أنه مدین أساساً في شعره للمؤثرات الأجنبية التي كانت وراء ما فيه من عبرية

★ ★ ★

□ القصيدة - النص الجديد :

لأنني غريب

لأن العراق العجيب
بعيد ، وأنني هنا في اشتياق
إليه ، إليها ٠٠٠ أنا دني : عراق
فيرجع لي من ندائي نعيب
تفجر عنه الصدى
أحسن باني عبرت المدى
إلى عالم من روحي لا يعيّب
ندائي ،
وإما هزّت الفصون
فما يتسلط غير الردى :

حجار
حجار وما من ثمار ،
وحتى العيون
حجار ، وحتى الهواء الرطب
حجار يندفعه بعض الدم
حجار ندائي ، وصخر فمي
ورجلاي ريح تعجب القفار

□ التعليسل :

مهما اختلفنا حول طبيعة الأدب ، أو حول ما يشكل أدبيته – على حد تعبير رومان جاكوبسون – فإن ثمة اجماعاً على أنه إنشاء لغوي توغل في اللغة توظيفاً خاصاً ، وهو يعني ما نسيج مؤلف من خيوط متنوعة ، مختلفة الشيات والألوان ، والجيد منه نسيج معكم غاية الإحكام ، يصعب تمييز خيوطه المكونة ، وإن كان بالطبع لا يستحيل .

وإذا كان الأدب نسيجاً ، فإن دراسته تتضمن تفكيكها لهذا النسيج من أجل تبين مكوناته . فالنص ، أي نص ، هو إنشاء في نهاية الأمر ، حصيلة تراكمات لنصوص مختلفة في مخزون المنشيء الثقافي . ويعنى ذلك أن من ضمن مهام الناقد معرفة الطريقة التي تراكمت فيها هذه النصوص لتكون فيما بعد النص الجديد .

والحقيقة أن لكل نص مفتاحاً رئيسياً يمكن من خلاله الوقوع على النقطة الحساسة التي تتمكن القارئ – والناقد قارئ ممتنع – من وضع يده على مكوناته ، خيوطه ، عناصره التي تراكمت وكانت النتاج الجديد . الاتكاد تتجتمع في هذه النقطة – نقطلة الفك – نهايات الخيوط المشكلة للنسيج . ومن هنا كانت أهمية وضع اليد على هذه النقطة إذ دونها يستغلق النص ، ويجب دلالاته الإنسانية عن مستهلكه ، أو تندم عليه التواصل بينه وبين القارئ ، فينصرف الأخير عنه لنصراف اليائس ، المتشكك ، الزاهد أحياناً . وبالطبع فإن هذا يجعل خطراً ما يمده خطر على عملية الانتاج الأدبي ، فالآدب في النهاية انتاج بحاجة إلى مستهلك مهما كان شأنه . ولعل أحدي أمم وظائف الناقد تسهل عملية انتاج الآدب واستهلاكه وتطويرها باستمرار .

★ ★ ★

وإذا ما حاول قارئ قصيدة السفاب «لأني غريب» أن يلج إلى عالمها ، أن يقع على مفتاح يكشف له دلالتها الأساسية ، فإنه ربما وجد في موقف القطعية ، الذي تحمله الغربية ، مع الآخر والعالم ، النقطة الحساسة التي تجتمع فيها نهايات خيوط نسيج القصيدة .

فثمة انقطاع عن الآخر (وطناً وحبة – وأني هنا في اشتياق إليه، إليها ..) ، وهناك مسافة فيزيائية ونفسية بين أنا الشاعر والآخر الذي يهمه شأن التواصل منه . الشاعر كما تذكر كتب السيرة المتعلقة به كان في بيروت للاستشمام^(١) . ويعنى ذلك أن حاجته إلى التواصل مع الآخر تكتشف ، تتركز . فالمرض ضعف ، شعور بالعجز وبال الحاجة إلى الآخر ، والغربة كذلك ضعف ، شعور بالعجز الحاجة إلى الآخر . وعندها يتزامنان ، يتكتف العينين نحو الآخر ، ويتجتمع في بؤرة تصدر عنها هذه الصرخة الضاربة :

أنادي : عراق

ولكن ما هي حصيلة هذا التمدد باتجاه الآخر ، وهذا النداء العار له . إنها النعيّب ،

رجع الموت ، رجع عالم من ردي لا يجيب النساء . وهكذا يتعمق الشعور بالقطيعة ، ويكتسب مأساوية جديدة تضاف الى مأساوية الموقف الأساسي (تزامن الفربة والمرض) .

ان الشعور بالانقطاع عن الآخر (وطناً وحبيبة) واستحاله التواصل معه بسبب ميادة الموت ، يضع الشاعر في موقف يشبه الى حد كبير موقف السيدة مريم التي تدرج انقطاعها عن الآخر ، على نحو مماثل .

ولنقأ ما ورد من آيات كريمة بشأنها . يقول الله عز وجل :

واذكر في الكتاب مريم اذ انتبعت من اهلها مكانا شرقيا ★ فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا إليها روحنا فتقتل لها بشرا سوتا ★ قالت إني أعود بالرحمن منك إن كنت تقينا ، قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيما ★ قالت أشي يكون لي غلام ولم يمسني بشر ولم أك بثنا ★ قال كذلك قال ربك هو عليَّ مين ولتجعله آية للناس ورحمة منا ، وكان أمرا مقتضيا ★ فحملته فانتبعت به مكانا قصيا ★ فاجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكانت نسيانا منسيا ★ فثارها من تحتها إلا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا ★ وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنبا ★ فكلي وأشربي وقربي عيننا ٠٠٠ (٢)

والحقيقة أن نقاط التشابه في الموقنين لا تقتصر على الانقطاع عن الآخر ، ذلك الانقطاع المتکثت تدريجيا (السيدة مريم تتبعد من اهلها مكانا شرقيا) ; وتتعدد من دونهم حجابا ; وتتتبعد بعد حلتها بجيئنها مكانا قصيا . والسياب منقطع عن الوطن والحبية لغريبته ، ومنقطع عنها بضعفه وعجزه لمرضه) ، بل تشمل كذلك حضور الموت (السيدة مريم تبتنه لنفسها ، هو شفاف دائلها الوحيد^(٣)) ، والسياب يضرع إلى عالم من ردي لا يجيب ، وهو إلى جانب ذلك يرقب في مرضه شبحه الذي يلوح في الأفق القريب) . وأهم من ذلك كله مأساوية الموقف نتيجة تعمق الشعور بال الحاجة إلى الآخر من ناحية ، ومعرفة استحالة التواصل لهذا من ناحية أخرى بسبب طبيعة الظرف الخاص بكليهما (البعد الفاصل بين بيروت وبغداد لدى السياب المريض العاجز ، والعمل غير الممدو ، والذي لا سبيل إلى تفسيره هو عقبة التواصل مع الآخر لدى مريم) .

مهما كان الأمر فإن لمعاناة السيدة مريم نهاية مكنته ، هي ولادة السيد المسيح الذي سيقوم بشرح كل شيء ، وبذلك يعيد ثباتات التواصل بين أمه والآخر . وفوق ذلك فانه بمجرد ولادته سيحمل عزاء من نوع ما للسيدة مريم . ومعنى هذا أن ثمة ما يمكن أن تتنتظره في المستقبل القريب ، وفي هذا عنون من نوع ماعلى تحمل ما هي فيه . ولكن ي يبدو أن ذلك كله لم يكن كافيا للأطمئنان عن السيدة مريم بالنسبة للخالق الرحيم وهكذا ناداه مناد من تحتها إلا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا ★ وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنبا ★ فكلي وأشربي وقربي عينما *

إن لحظة حضور الموت المكن (الموت المرغوب فيه شفاءً لدى السيدة مريم ، والموت المنادى ، والمهدَّد لدى السباب) جعلت السباب مباثرة يفكُر في هزَّ الفصون الذي قد يحمل له بعض ما حمله للسيدة مريم ، وثمة ما يجعل هذا المؤلم أقرب وأدنى فهو محمول على الفصون وهزها أسهل وشرها أقرب متناولاً. إن مأساوية موقف السباب التي تضارع إلى حد بعيد مأساوية موقف السيدة منيم الجاتي إلى الامل الوحيد المتاح أمامه ، خاصة انه لم ينادي منادٍ يطمئنه ، أو يشير عليه بهزَّ الفصون . وهكذا كان ، هزَّ السباب الفصون طمعاً في ازرطِب الجنِّي ، في أن يأكل ويشرب وتقرب عينه . ولكن ماذا كانت الحصيلة ؟

انها لم تكن غير تعزيق مأساة الانقطاع عن الآخر ، اذ هو غير موجود . ليس هناك غير العجارة ، الشارع حجارة ، والعيون حجارة ، والهواء الرطيب حجارة ، ونداؤه كذلك حجارة ، بل انه ليس ثمة من دلالة على وجود حياة ما في هذا الدفق من العجارة غير بتقايا الدم - دمه هو ، دليل الجرح ، دليل المأساة . وهكذا يسود التعجز ، والإقصار ، كل ما يحيط بالسباب ، وقد كان يطبع في الرطب الجنِّي ، في أن يطعم ويشرب ، وفي ولادة تحمل مهما السلام ، وقرار النفس ، وطمأنيتها وسكنيتها . ان حس مأساته يتعمق ، فهو مشرف على الموت ، وهو لذلك أقرب إلى عالمه وما فيه من فيه ، من هذا العالم العجي بما فيه ومن فيه .

★ ★ *

ان قصيدة السباب ، كما يلاحظ القاريء ، تبدأ بذرة هي لحظة الانقطاع عن الآخر وطنياً وحبية . وسع نمو القصيدة تتسع اللحظة ويتمدد الاحسان بها ، حتى إن الشاعر لا يكاد يظفر بالصدى ، يرجع ندائَه ، اذ لا يأتيه الا التحبيب الآتي من عالم الموت ، متمدداً هو أيضاً باتجاهه ليأتني عليه بشكل او باخر .

وآخر سهم في جعبه الشاعر الذي يصارع الموت ، يهزَّ الفصون ، ويدلاً من الرطب الجنِّي ، والقطنام والشراب والسكنينة ، تأتيه العجارة التي تنهَى على رأسه وتنتدى بيده ، ويکاد الكون كله يتتعجز ، يتحول إلى حجارة(هي المعادل الموضوعي لأنعدام استجابة الآخر، ليقينية القطيعة بينه وبين الشاعر) تجسد الانقطاع وتشير إلى استحالة التواصل .

وربما كان من أهم ما يلفت النظر في هذه القصيدة هو الاستخدام العبرى للصورة القرآنية . الواقع أن السباب يطورها تطويراً يملئه عليه موقفه هو ، ويحاول أن يزيل حجاب الألفة عنها ، وينحو بذلك توقعات القاريء ، وبالتالي يقدم له في النهاية صورة جديدة على نحو مثير . انه يکاد يغيرها حيوية وطاقة تعبيرية ، بل يجعلها محوراً للقطيعة التي تحيط به ، اذ تجسد ما يبيسو في ظاهره الطريق الى نقيس هذه القطيعة ولكنها ترتد في النهاية لتصبح أقسى التطرف في عملية التواصل السلبي بينه وبين الآخر . ان الانسان

ليعن شوقاً ، ويندب وجدأ نحو الآخر ، وانه ليضرع اليه ، وأقمني ما يمكن أن يتوقعه من سلبية منه هو الصمت المبيت للقاتل . ولكن أن يتلقاه بالعجزة التي تترافق عليه ، وحوله ، حتى لتكاد تأتي على الكون كله ، فذلك تواصل هو في جوهره قمة القطبية ، تكفي لها ما يمده تكثيف ، وتركيز إلى الدرجة القصوى التي ما بعدها تركيز . هكذا تتعمق القصيدة ، وهكذا تعمق الفطيعة حتى تشمل الكون ، ويقت الشاعر وحيداً ، ويفرق فرقاً شديداً ، وتتحول رجاله إلى دينج تجوب القفار .

جامعة دمشق
أيار ١٩٨٥

* * *

هوماش : □

١ - انظر :

- د. عبد الكريم حسن ، الموضوئية البيبويه : دراسة في شعر السباب ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،
بيروت ، ١٩٨٣ ، ص من (٢٨٤ - ٣٨٦) . و
- د. احسان عباس ، بدر شاكر السباب : دراسة في حياته وشعره ، دار الشفاعة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٢ ، ص من (٣٦٧ - ٣٤٥) .

٢ - القرآن الكريم ، سورة مريم ، الآيات (١٦ - ٣٦) .

٣ - اشارة لقول المتنبي :

كفى بك داءً ان ترى الموت شافياً وحسب النهايا ان يكن امسانيا

* * *

في التعرّيب و«المعرّب»

وهو المعروف بـ «حاشية ابن بري على كتاب المعرّب»
لابن الجواليقي

بت تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي
صلاح الدين الزعبلاوي

- ٤ -

وجاء في الكتاب (ص / ٣٥ و ٣٦)

قال أبو منصور : و (إرمينية) (١) كذلك . وكان القياس في النسب إليه (إرميني) ، الا أنه لما وافق ما بعد الراء منها ما بعد الحاء من (حنيفة) حذفت الأيام كما حذفت من (حنيفة) في النسب وأجريت ٠٠٠ مجرهاها في (رومي) و (روم) و (سيندي) و (سيند) أو يكون مما غير في النسب (٢) .

قال ابن بري : شاهد (أرمني) قول سئار (٣) [من الطويل] . . .
ولو شهدت أم القيد طاعننا بمرعش خيل الأرمني لرئت
وي يعني أن الباء في (رومي) للفرق بين الواحد والجماعة ، كتمر وتمرة (٤) .

وقال ابن بري أيضا : انه لما كانت الأيام مع الميم المكسورة قبلها ينزلة الأيام مع (حنيفة) مع النون المكسورة قبلها . وكان ما بعد النون من (إرمينية) ياء النسب المنزلة نزلة تاء الثانيث التي بعد الفاء من (حنيفة) نزلت منزلتها في حذف الباء منها وصح ما قبلها ، فقيل (أرمني) كما قيل (حنفي) . والباء في (إرمينية) هي عنده مخففة من ياء النسب كما أن الباء في (انطاكية) والالف (٦) في (يمان) للنسب ، وإن لم يكن في معنى نسب .

١ - فات المحقق أن يحكم ضبط (إرمينية) فقد أثبتها بكسر الهمزة وضم الراء . ولعل الخطأ خطأ في الطبع سها المحقق عن تصحيحه . و (إرمينية) في المعرّب (المطبوع ١٩٤٢)

بكسر الهمزة وسكون الراء وتخفيف الساء الثانية ، وهي كذلك في أدب الكاتب وتقدير اللسان . وحكي ياقوت فيها جواز فتح الهمزة ، كما حكى القاموس جواز تشديده **اليساء** .

قال المحقق : (المغرب / ٢٩) . ونص الخبر فيه كالنص الذي أثبناه ، وهو في الأصل . ولا أرى من صلة بين الكلام على (إرمينية) و (حنيفة) في مسألة النسب اليهما ، وبين قول ابن الجواليقي ٠٠٠ وأجريت مجرهاها (رومي وروم) و (سندى وسند) ٠٠٠

أقول : أنى للمتحقق أن يتبعنى معنى ماقاله الجواليقي وهو لم يحاول أن يضبط النص الوارد في الأصل ، ويعارض ما بينه وبين ما جاء في (المغرب / ٢٩) . فقد سقط من الأصل أن النص في المغرب كالذى اتبته في الأصل ، وليس الأمر كذلك . فقد سقط من المخطوط بعد قوله (وأجريت ٠٠٠) عباره لو ثبتت لاستبيان من المعنى ما لم يتبعن . اذ جاء في المغرب (وأجريت ياء النسب في إرمينية مجرى تاء التائي ثم حنيفة كما أجريت مجرهاها في رومي وروم وستنى وسند) وهذا ما جاء في حواشى المخطوط (٩١٢) وفي معجم البلدان نياقوت وفي التاج . ولا فارق فيما جاء بين هذه المظان ، من ذلك ، غير أن نص المغرب (كما أجريناها مجرهاها بدل) (كما أجريت مجرهاها) في نص المخطوط ، وبدل (كما أجريناها مجرهاها) في معجم البلدان والتاج . وغيرب على هذا ، أن يمضى المتحقق في التعقيب على النص فيقول : (ولا أرى صلة بين الكلام على إرمينية وحنيفة في مسألة النسب) قبل أن يقف على معناه . وسيأتي تفسير قول أبي منصور وتعليق ابن بري على ذلك مفصلا فيما بعد .

٣ - قال المحقق : البيت في معجم البلدان غير منسوب ، والرواية فيه : ولو شهدت ... طعانتا .

أقول : لم يأت (طعانتا) في معجم البلدان كما ذكر المتحقق ، ولعله رأه في مرجع آخر ، وهو غريب على كل حال . وجاء صدر البيت في الأصل ومعجم البلدان ومعجم ما مستجمعه واللسان (ولو شهدت أم القديد طعانتا) ، وقد نسب البيت في هذين إلى سيار بن قصیر الطائي . وجاء عجز البيت فيما عدا الأصل (بمرعش خيل الأرمني ارثت) ، وجاء في الأصل (لرثت) . وتفسیر البيت أن أم القديد لو شهدت طعانتا لخيل الأرمني بمرعش لأرثت ، أي صاحت .

وفي اللسان : رنت ترن رينينا ورنت ترنن ترينينا ، وأرثت : صاحت .

٤ - أقول فحوى كلام أبي منصور أن الأصل في النسبة الى (إرمينية) كما قال أبو علي ، أن ثبتت الياء الأولى ، لكنهم حذفوا هذه الياء فقالوا (أرمني) والعنوا بذلك فتح الهمزة والميم . وعمل ذلك بيان (إرمينية) قد شبه بـ (حنيفة) . فوافق ما بعد الراء في الأولى ما بعد العاء في الثانية ، فعدفت الياء الأولى من (إرمينية) كما حذفت ياء (حنيفة) .

يقول أبو منصور : (وأجريت ياء النسب في إرمينية مجرى تاء التائيث في حنيفة كما أجريت مجراما في رومي وروم) . والمقصود بهذا أن ياء النسب أنزلت منزلة تاء التائيث . وقد مثل لذلك بمحضين : الأول حين حذفت ياء النسب في (إرمينية) وهي الياء الثانية المخففة ، كما حذفت تاء التائيث في حنيفة ، عند النسب اليهما . وذلك كما لو نسبت إلى (شافعي) (ملحة) فانك تعنف ياء النسب المشددة في الأول ، كما تعنف تاء التائيث في ملحة . أما الموضع الثاني فان ياء النسب في (أرمني) قد أنزلت أيضا منزلة تاء التائيث حين دلت على الواحد ، وكان (أرمن) يدل على الجماعة . وكذلك رومي وروم وسِندي وسِند . وقد جاء ذلك في كثير من المطان .

قال الجوهري في الصحاح : يقال رومي وروم مثل زنجي وزنج ، فليس بين الواحد والجمع إلا الياء المشددة ، كما قالوا تمرة وتمر ، ولم يكن بين الواحد والجمع إلا الهماء) . وجاء ابن سيده في المخصوص (١٠١/٦٦) بكماء وكمء . وأشار إلى أن الأول يدل على الواحد ، والثاني على الجمع ، وقال : (وجرى مجرى تاء التائيث في هذا ياء النسب فقالوا : زنجي للواحد ، وزنج للجماعة . وعلى هذا قالوا رومي وروم وسِندي وسِند) .

وقال أبو منصور : (أو يكون مما غير في النسب) وتمام النص في معجم البلدان والتاج (أو يكون ذلك مثل بدوبي ونحوهما غير في النسب) . والقصد أن قوله (أرمني) في النسب إلى (إرمينية) أما أن يكون على حنفي وحنيفة ، أو يكون مما غير في النسب كبدوي في النسبة إلى البدائية) .

والنسبة إلى (إرمينية) : أرمني يفتح المهمزة والميم مع سكون الراء ، كما جاء في الصحاح وللسان والتاج ، وجاء في أدب الكاتب بكسر المهمزة والميم ، وهو في معجم البلدان بفتح المهمزة وكسر الميم .

٥ - أقول الصواب : بمنزلة الياء من (حنيفة) لا مع حنيفة .

٦ - قال المحقق : هذا هو الصحيح أي (والألف) وفي الأصل (والياء) . وذلك أن الألف في (يمان) عوض عن ياء النسب . انظر لـ (اللسان) (يمن) .

- أقول: الذي أتي به المحقق أي (والألف) غير صحيح ، والصحيح ما جاء في الأصل وهو (والياء) . وبيان ذلك أن الياء المخففة في آخرـ يمان - وهي تعنف بالتنوين كياء قاض - هي للنسب ، وإن لم يكن فيها معنى النسب . أما ما جاء في اللسان من أن التـ - يمان - عوض عن ياء النسب ، فذلك لأن للنسب في الأصل ياء مشددة ، وقد أثبت أهداها في - يمان - طرقا ، وجاءت الألف عوضا عن الثانية . قال ابن جني في النصانين (٥٠٤/١) : (ويزيد عنده في وضوح ذلك أنهم قالوا في الإضافة إلى اليمن والشام وتهامة : يمان وشام وتهام ، فجعلوا الألف قبل الطرف عوضا عن أحدى الياءين اللاحقتين بعدهما) .

وجاء في الكتاب (ص / ٣٦ و ٣٧) :

قال أبو منصور : و (الأبيل) الراهب، فارسي معراب ، قال الشاعر :^(١) [من الطويل]
وَمَا سَبَّحَ الرَّهْبَانَ فِي كُلِّ بَيْعَةٍ أَبِيلَّ الْأَبِيلِينَ الْمَسِيحَ بنَ مَرِيمَا
قال ابن بري : و (الأبيلين)^(٢) مثل (الأشعرين) في حذف ياء النسب . وقيل هذا
البيت من الشعر في القصيدة :^(٣)
أَمَا وَدَمَاءُ هَادِرَاتٍ (٤) تَغَالَهَا عَلَى قُنْتَةِ الْعَزَى وَبِالنَّسْرِ عَنِّدَمَا
وَجَوَابُ الْقُسْمِ فِي الْبَيْتِ الْثَالِثِ ، هُوَ :

لَقَدْ ذَاقَ مَنَا عَامِرٌ يَوْمَ لَعْنِي حُسَامًا إِذَا مَا هُزِءَ بِالْكَفِ صَمَّامًا^(٤)

قال المحقق : في الأصل زيادة هي (وهو جاهلي) ، وفي اللسان (قال ابن عبد الجن)
وفي شرح القاموس (عمرو بن عبد العق) . ولعل الذي في شرح القاموس مصحف والصواب
ما جاء في اللسان . والذي يقوى هذا أن الشاعر جاهلي ، ولم يعرف في الجاهلية
(عبد العق) من أعلامهم .

- أقول كل ما حكاه المحقق هنا في تحقيق اسم الشاعر وانه (عمرو بن عبد الجن) ،
هو بعض ما جاء به الأستاذ احمد محمدشاكر في تحقيقه على المغرب (٣٠) . أما قول
السامرائي (في الأصل زيادة هي : وهو جاهلي) فليس بشيء . ذلك أنه ثبت في
المغرب المطبوع ، وفي مخطوطه (٩٠١٢) فضلا عن الأصل ، فليس هو اذا زيادة على
النص ، وابن عبد الجن ، هو شاعر جاهلي حقا . فالزيادة ليست فلقة في موضعها ، وقد
حلت بمركزها . وجاء في معجم المرزباني (١٨) :

وقال ابن عبد الجن :

أَمَا وَدَمَاءُ مَاثِرَاتٍ تَغَالَهَا عَلَى قُنْتَةِ الْعَزَى أَوِ النَّسْرِ عَنِّدَمَا

وَمَا قَدَّسَ الرَّهْبَانَ فِي كُلِّ هِيَكْلٍ أَبِيلَّ الْأَبِيلِينَ عِيسَى ابْنَ مَرِيمَا

رواية النهاية (وما سبّح الرهبان في كل بلدة) ورواية اللسان (وما قدّس
الرهبان في كل هيكل) وعجز البيت فيما وفي المغرب وفي تاريخ الطبرى (أبيل الأبيلين
المسيح ابن مریما) .

٢ - قال المحقق : في الأصل وأبيل الأبيلين .

أقول : فات المحقق أن يوضح معنى قول ابن بري (الأبيلين مثل الأشعرين ٠٠) ،
وأن يبحث أصل لفظ الأبيل . فقول ابن بري (الأبيلين مثل الأشعرين) يعني أنك إذا
جمعت (الأشعري) باء مشددة قلت الأشعرون والأشعررين بعذف ياء النسب المشددة ،
وقد ذكر ذلك سيبويه في الكتاب (١٠٣/٢) ، وكذلك الأبيلون والأبيلين جمع الأبيلي .

اما لفظ (الأبیل) فقد ذهب الجوالیقی الى أنه فارسي معرّب ، لكنه لم يذكر أصله الفارسي او يستدل على عجمته بدليل وحكا عنه الخفاجي في الشفاء ولم يزد على ما قاله الجوالیقی .

والذی يستدین بالبحث أنه عربي ، ذلك أن ابن درید ذکرہ في الجمیرة فقال (والأبیل الذي یضرب بالناقوس) ولم یشر الى أنه دخل (٢٢٥/١) . وكذلك فعل صاحب المقاييس فقال (قال الخلیل الأبیل من رؤوس النصاری) . وجاء به الجوهری فقال : (والأبیل راهب النصاری .. كانوا یسمون المسیح عليه السلام أبیل الأبیلين ..) كذلك فعل صاحب الأساس لكنه ذکر أصله فقال (وقد أبیل بالله فهو أبیل ، كما تقول فقه فقاۃ فهو فقیہ .. وتقول فلانة لو أبصرها الأبیل لتفاق بـ السبیل) .

هذا وقد ذکر المیدانی النیساپوری (المتوفی ٥١٣ھ) الأبیل في كتابه (السامی / ٤٤) على أنه عربي وأتى بما هو في معناه بالفارسية ، فليس هو ، على هذا ، فارسياً .

وجاء في النهاية لابن الأثير (كان عیسیٰ عليه السلام یسمی أبیل الأبیلين) . الأبیل بوزن الامیر الراہب . سمي به لتأبله عن النساء وترك غشیانهن ، والفعل منه أبُل يابل أبالة اذا تنسك وترهب . قال الشاعر: وما سبع الرهبان ..) .

وذكر الأستاذ عبد الوهاب عزام ، رحمة الله ، في مقدمة كتاب المرّب المطبوع أن (الأبیل) ليست فارسية بل سريانية ، ومعناها في الأصل العزرين ، وتقابل للراہب . قلت قد رأیت أن الأبیل عربي ، وقد اتفض اشتقاءه . وليس كل لفظ عربي عرف في السريانية ، دخیلاً على العربية ، كما ذكرنا قبل ، وأشار اليه الأستاذ عزام نفسه ، فيكون (الأبیل) اذا من الألفاظ السامية المشتركة ، فهو عربي وسرياني .

على أن ثمة (الأبیل) على فيعلم بفتح فسكون فضم ، وهو بمعناه ، ويبدو أنه أعمي ، اذ ليس في كلام العرب (فيعلم) بهذا الضبط كما قال سيبويه في الكتاب (٢٢٥/٢) . وسيأتي الكلام عليه ، في باب الطاء .

٣ - قال المحقق : في اللسان: مائرات .

أقول : (مائرات) هو الصواب ، وفات المحقق أن یثبته بدلًا من اللفظ المصحّف وهو (هادرات) . وألذی جاء في المظان (أما ودماء مائرات تغالالا) لا (نغالالا) كما بيّناه قبل . ومار یمور الشيء اذا تردد في عرض ، وقار الدم یمود على وجه الأرض اذا انصب فتردد عرضاً . والثالثة من الجبل أعلاه كالثلة والجمع القلن والتقلل . ونس: صنم ، وقد تدخله الألت واللام ، والمعتمد صبغ أحمر .

٤ - أقول : ثمة خلاف في نسبة الأبيات الثلاثة ، وقد جعلها ابن بري في قصيدة واحدة ، وفات المحقق أن یشير الى ذلك . قال ابن بري (وقبل هذا البيت من الشعر في القصيدة - أي وما سبّح .. - أما ودماء وجواب القسم في البيت الثالث : لقد ذاق ..) . والغريب أن المحقق قد أثبت (وقيل هذا) (بالباء ، بدلًا من (وقبل هذا) بالباء .

فالبيت الأول (وما سبّح الرهبان) والثاني (أما ودماء ماثرات) منسوبان إلى عمرو بن عبد العين الشاعر الجاهلي ، كما جاء في المظان لا سيما معجم المرزباني . أما البيت الثالث (لقد ذاق منا عامر يوم لملع) فقد تبين أنه بيت من قصيدة طويلة تجاوزت مئة بيت منسوبة إلى حميدبن ثور الهلالي ، جاءت في ديوانه المطبوع بتحقيق الأستاذ عبد العزيز اليمني ، ولم يذكر فيها البيتان الآخران . وقد نسب هذا البيت (لقد ذاق) إلى حميد في شرح العجامة للمرزوقي (١١٢٥) واللسان (لملع) . وحميد هذا شاعر إسلامي مجيدشهد الأصمعي أنه أحد عظماء شعراء العرب الأربعين في الإسلام، وهو: (راعي الإبل النميري ، وتيم بن مقبل العجلاني ، وعمرو بن أحمر الباهلي ، وحميد بن ثور الهلالي) ..

ولملع اسم جبل ، وقد ذكر في الحديث وكانت به وقعة مشهورة .

وجاء في الكتاب (ص ٣٧ و ٣٨) :

قال أبو منصور : ومن ذلك قولهم لبيت المقدس (أوري شَلِّم) (١) قال الأعشى [من المقارب] :

وقد طفت للمال آفاقه عمانَ فعمض فاورى شَلِّم (٢)

قال ابن بري : (شَلِّم) اسم بيت المقدس ، بالتشديد عند سيبويه ، فينبغي أن يكون عند التخفيف (شَلِّم) بفتح اللام في بيت الأعشى ، وقد روی بكسر اللام ، وينبغي أن يكون بالتفخيف (شَلِّم) بالفتح (٣) .

قال أبو منصور : (ايليا) بيت المقدس أيضاً ، وهو معرّب (٤) .

قال ابن بري : (ايليا) فعلىاء مثل كبرياء وجرباء . وفي كتاب سيبويه (جلخطاء) غير معجمه (٥) .

وحكى ابن دريد عن أبي حاتم (جلخطاء) بالخام (٦) .

قال أبو منصور : وهي الأرض الحزن .

١ - قال المحقق : قال ياقوت انه يروى بفتح اللام أيضاً ، وقال : هو بيت المقدس بالعبرانية وفي اللسان : المشهور (أوري شَلِّم) بالتشديد . أقول (أورشليم) كما ينطق بها في عصرنا هو مغرب (أورشالايم) وعاصمتها مدينة السلام .

أقول : الذي نص عليه أبو منصور في المعرّب أن لام (شَلِّم) بالكسر والتخفيف ، واستشهد على ذلك ببيت الأعشى . واعتراض ابن بري فقال : جاء به سيبويه بالفتح والتشديد ، فإذا خفف كان بالفتح لا بالكسر خلافاً لروايته في بيت الأعشى ، ورواه أبو عبيدة بالكسر أيضاً ، كما حكاه المعرّب . وذهب ياقوت ، كما ذكر المحقق ، أن الرواية قد أتب بالكسر والفتح جميعاً .

ومن جاء به مشددا ابن خالويه في كتابه (ليس) اذ قال : (لم يصرف الاسم اذا جاء على فعل لأنه يشبه الفعل ... وقد جاء منه عشر ويندر موضعان ، وخفّض قبيله ، وبقى صبغ ، وشلّم : اسم بيت المقدس / ١٤٣) ، وقد قصد بالاسم اسم العلم .

اما عن أصل اللفظ فقد ذهب أبو عبيدة إلى أنه عبراني متراب ، وكذلك قال ياقوت . وقيل معناه (بيت السلام) على أن نسبة الاسم إلى البربرية لا تمنع أن يكون في الأصل اسم كنעני . والكنعانية لغة سامية ، قوية الشبه بالبابلية والعبرية . وقد انتهى المؤرخون حديثا إلى أن (اورشليم) أو (اورشالم) هو اسم القدس الكنعاني ، وأن المدينة قامت في المصر العجمي التحاسي . ودللت حفائر (ابله) بسورية على أنها أحدى المدن الكنعانية المعروفة منذ نحو (٢٥٠٠) ق.م . وأسمها مشتق من اسم الله الكنعاني (شالم) أو (شليم) . وقد أسمى الكنعانيون كثيرا من مدنهم باسماء آهتهم .

٢ - أقول : هذه رواية البيت في ديوان الأعشى (٤١) ، أما في معجم البلدان (٢٧٩/١) فهو طوّفت للملأ ..

٣ - أقول : قد فات المحقق أن في كلام ابن بري ما هو محلّنون لا بد من ذكره ، وما هو مزيد لا بد من حذفه . أما المعنون فهو (بالفتح لا غير) بعد كلمة (شلم) وسياق الكلام يقتضي ذلك ، وأما المزيد قوله في آخر الكلام (وينبغي أن يكون بالتحقيق شلم بالفتح) وهو قول مكرر نصحة العباراة (فينبغي أن يكون عند التحقيق شلم بالفتح لا غير ، وقد روى يكسر اللام) كذا جاء في حواشى المغرب (٩٠١٢) . ولم الناسخ قد سها فأعاد كتابة (ينبعي أن يكون ٠٠) آخر الكلام .

٤ - قال المحقق : (المرتب / ٣١) .

أقول : (ايلياء) اسم لبيت المقدس ، وهو مغرب من أصل رومي . تصوروا أنه ثلاثي الأصل فقلوا انه (فطلياء) كثرباً من الكبير وجرباً لريح الشمال من جرب . وتصوروا أنه فوق الثلاثي فقلوا انه (فطلام) بكسرتين بينهما سكون ملحق بجلعطاً للارض لا شجر فيها ، بالطاء ، كما ذهب إليه سيبويه في كتابه ، هذا ما حكاه ابن بري . وذكر ابن سيده (٧١/١٦) في مخصوصه وجهاً ثالثاً فقال انه (فيعلم) نحو سيماء للعلامة ، وقد يذكر (سيماء) على أنه فطلياء أيضاً .

وقد جاء (ايلياء) بالمد والتخفيف ، وقد تعرف الهمزة الأولى فيقال (الياء) وقد يقصر فيقال (ايليا) وقد تشدد الياء الثانية فيقال (ايلياً) (اللسان ومعجم البلدان) . وجاء في المطان التاريخية أن العاهل الروماني هادريان أو أدريان (١١٧ - ١٣٨ م) قد أسمى بيت المقدس باسمه (اليا) لأن اسمه في الأصل (اليوس) : (تاريخ سوريا ليوسف دبس / ٣٢٢/١) .

٥ - فات المحقق هنا أن يرمي الأصل برد ما سقط منه . فقد أثبت قول ابن بري (وفي كتاب سيبويه جلعطاً غير معجمة) ولا يعني له ، والأصل الصحيح (وفي كتاب

سيبوبيه ، فعلام جلخطاء بطاء غير معجمة) . قال سيبوبيه في الكتاب (٣٢٨/٢) : (ويكون على مثال فعلام بالكسر ، وهو قليل ، قالوا طرمساء وجلخطاء ، وهما صفتان) . فقد جعل ابن بري (علام) وزنا لایليام اذا كان الأصل ثلاثياً ، و (علام) كجلخطاء ، اذا كان الأصل فوق الثلاثي . وأرض جلخطاء اذا غلظت ووُعْرَت ، وهذا ما قصد اليه أبو منصور حين قال : (وهي الأرض العزن) .

٦ - أقول حكاية سيبوبيه (جلخطاء) بعاء وطاء ، وحكاية الجمهرة (جلخطاء) بعاء وطاء (٤١٢/٣) ، وهي في اللسان ، وفي الناج انها حكاية ابن أخي الأصمعي . وجاء ابن دريد في الجمهرة بـ(جلخطاء) بعاء وظاء أيضاً ، وقيل انها حكاية ابن أخي الأصمعي . وثمة حكاية رابعة هي (جلخطاء) بعاء وطاء ، شك فيها ابن دريد خلافاً لما ثبت في النص (٣٢١/٣) ، وعزّاها ابن أخي الأصمعي الى عمه ، وجاء بها اللسان وعزّاها الناج الى الصاغاني .

وجاء في الكتاب (ص / ٣٨) :

قال أبو منصور : قال أبو علي : ومما جاء على لفظه من الفاظ العرب (أيّل) وهو فِيئُل ويكسّر على (أيّيل) (١) .

قال ابن بري : ذهب ابن حبيب الى أن (أيّل) من الحيوان هو الواحد بوزن (سيئد) والجمع عنده (أيّل) بكسر المهمزة ، والذى ذكره أبو علي (أيّل) في الواحد بكسر المهمزة . وكذلك يروى ابن حبيب (٢) قول النافعية (٣) [من الطويل] :

وقد شربت من آخر الليل أيّلا

على وزن سيئد .

قال أبو منصور : قال أبو حاتم : قالوا في النسب اليه (٤) (اصطخرزي) كما قالوا في (مرّو) : مرّوزي) .

قال ابن بري : وانا قالوا في (مرّو) مرّوزي لأن العجمي اذا نسب اليه قالوا (مروجي) (٥) بين العجم والزاي ، فاحالتها العرب زايا (٦) .

١ - قال المحقق : (المرتب / ٣٣) . والايّل بكسر المهمزة وتشديد الياء المفتوحة هو الذكر من الأفعال ، ويجوز فيه ضم المهمزة مع فتح الياء المشددة ، ويجوز فيه فتح المهمزة مع كسر الياء المشددة ، وأيّيل هو الجمع ، بالياء ولا تقلب همزة .

- أقول : هذا كلام الأستاذ أحمد محمد شناكر . محقق المغرب ، وقد جاء ، به السامرائي على سبيل النسخ (المغرب / ٣٣) وفاته أن يقول شيئاً فيما ذكره ابن بري خلافاً لأبي منصور . فمن جمل المفرد كثتب بكسر ففتح مع التشدید فقد جمل الجمع (أيائل) بالياء وحسب ، وهو ما ذكره الجوالیقی وحکاه عن أبي علي الفارسی . وأما من جمل المفرد كثتب بفتح نکسر مع التشدید فقد اعتد جمعه - كثتب بكسر ففتح مع التشدید أو كثتب بضم ففتح مع التشدید أو أيائل بالياء ، وهو ما حکي عن الخليل وتابعه فيه ابن حبیب ، وذکره ابن بري حين جمل جمع (أيل) كثید على (ايئل) كثتب . واذا أخذ بالروايتین صبح قوله في المفرد (اييل وإييل) كثید ونکسر . أما (اييل) بالضم كثتب ، فقد قال الطوسي انه مفرد ، وقال الغلیل وابن جنی انه جمع . ولا ننس أن لفظ (الأیل) عربي ، وفارسیته (کوزن) بكاف فارسیة وفتح ما بعدها او (کوز) بالخفیف (اللسان والمعجم الذہبی) .

٢ - قال المحقق : هو محمد بن حبیب البندادی ، كان عالماً بالنسب وأخبار العرب واللغة والشعر ، نسب الى امه (انظر تاريخ بغداد - ٧٧/٢) و (معجم الأدباء - ٦ / ٤٧٣) .

- أقول : هو أبو جعفر محمد بن حبیب اللغوي النعوی صاحب ثعلب ، توفي (٥٢٤٥) ومن كتبه : المذهب في أخبار الشعراء وطبقاتهم ، ونقاشه جریر (إنباه الرواة - ٣ / ١٢٩ ، والبلغة للغیورزادی / ٢١٥) .

٣ - قال المحقق : هو النابغة الجعدي يهجو ليلي الأخیلیة ، وصدر البيت :

وبِرِذُونَةِ بَلْ بَلِ الْبَرَادِينَ ثَفَرَهَا

- أقول : روی البيت في اللسان (وقد شربت من آخر الصيف ٠٠) وضمت المهمزة في (ايلا) ، ورد ابن حبیب الضم وروي (وقد شربت من آخر اللیل ايلا) بوزن سید ورأى ابن بري صواب رواية الصدر (بزیدینة) بالرفع والتصغیر ، مستنداً الى ما جاء قبله . وقد فسر (الاييل) في شعر الجعدي باللين الغاثر ، وذهب ابن حبیب الى أنه الوعول في الأصل ، وقد حذف المضاد ، والمعنی المراد (لین اييل) [اللسان والتعاج] .

٤ - قال المحقق : الضمير في (اليه) يعود الى (اصطخر) السابق في كلام ابن الجوالیقی في المغرب .

- أقول فات المحقق هنا أن يثبت ما سقط من كلام أبي منصور ، وهو (قال أبو منصور : وإصطخر اسم البلد أعمجی أيضاً ، وقد ورد في أشعارهم ٠٠ قال أبو حاتم : قالوا في النسب اليه : اصطخرزی ، كما قالوا في مرو : مروزی) . وقد اعتد ابن بري أن يبدأ قوله برواية كلام صاحبه الجوالیقی ثم يمضي في التعقیب عليه . ويحسن الاشارة هنا الى أنه جاء (اصطخری) على القياس في النسبة الى (اصطخر) كما حکاه الصفانی في شوارده ، عن أبي حاتم السجستانی .

وجاء في النسبة الى (مرو) : (مروي) أيضاً بفتحتين وبفتح وسكون (اللسان)
وممن نسب الى (اصطخر) أبو سعيدالحسنالاصطخري القاضي أحد آئمه الشافعية (ت
٣٢٨) وأبو سعيد عبدالكريم بن ثابتالاصطخري الجزري وسواهما ، واصطخر من
كور فارس .

٥ - قال المحقق : (المراد بالمعجمي : اللسان المعجمي)

- أقول الفريب أن يثبت المحقق الأصل على هذا الوجه (لأن المعجمي اذا نسب
إليه قالوا : مروجي) ويعتذر من ذلك بقوله (المراد بالمعجمي : اللسان المعجمي) .
العبارة : (لأن المعجم اذا نسبوا اليه قالوا: مروجي) ، ويصح قوله (لأن المعجمي اذا
نسب اليه قال : مروجي)

٦ - فات المحقق أن يوضح كلام ابن بري في تعليم كون النسبة الى (مرو) بالعربية (مروزي) .

قال ابن بري (لأن المعجم اذا نسبوا اليه قالوا : مروجي ، بين الجيم والزاي) .
وقد جاء (مروجي) في الأصل ، كما أثبت هنا ، بالجيم ، وليس في الفارسية جيم بين
الجيم والزاي ، وإنما ثمة (زاي) فارسية بين الجيم والزاي ، والنسبة الى (مرو)
بالفارسية (مروزي) بزاي فارسية أحيلت بالتعريب الى (زاي) خالصة . ومكنا القول
في النسبة الى (الري) بالفارسية فإنها (رازي) بزاي فارسية ألت بالتعريب الى
(زاي) خالصة . ويبدو أن (الزاي الفارسية) في (مروزي) قد أصبحت تلفظ فيها زايا
خالصة أيضاً ، فقد جاء في المعجم الذهبي وهو معجم فارسي (مروزي) بزاي خالصة ، ولو
كانت زايا فارسية لكتبت بثلاث نقاط .

وجاء في الكتاب (٣٩ و ٤٠) :

قال أبو منصور : روی عن أم الدرداء أنها قالت : زارنا سلمان من (المدائن) إلى
الشام مائةاً وعليه كساء و (أندرا ورد) يعني سراويل مشترّة ، وهي كلمة أعممية
ليست بالعربية^(١) .

قال ابن بري : المشهور عند أهل اللغة وال نحو في (الشام) للناحية المعروفة بغير
ألف بعد الهمزة ، وربما جاءوا بالألف ، كما يجيء في النسب^(٢) ، قال المزدق [من
الكامن] :

أبلغ معاوية الذي يمتهن أمر العراق وأمر كل شام^(٣)

وقال النابغة [من الوافر] :

على اثر الاذلة والبغایا وحقق الناجيات من الشام^(٤)

وقال النعام التلبي^(٦) [من الواقر] :

تركت مخيمات^(١) وراء ظهري وسرت من العراق الى الشام
وقال ابو الأغضم^(٧) [من الرجز] :

من دير صفين الى الشام

١ - قال المحقق (المرب / ٣٧) .

١ - أقول : هكذا جاء لفظ (آندرَا ورد) في الأصل ، وفي مخطوط العرب (٩٠١٢) وفي المغرب المطبوع (١٨٦٧) والطبع (١٩٤٢) . • ذكر محقق العرب الأستاذ أحمد محمد شاكر أنه جاء بالالت (آندرَا) دون الف (آندر) كما في اللسان . وانه بالالف في الأصول المتداة للغرب ، دون الف في طبقات ابن سعد ، وبالزاي (آندروزد) في النهاية . قال ابن الأثير (في حدث علي) - رض - أنه أقبل عليه آندروزدية ، قيل له نوع من السراويل ٠٠٠ ومنه حديث سليمان - رض - أنه جاء من المدائن الى الشام وعليه كسام آندروزد ، كان الأول منسوب اليه . على أن أدي شير أورده (آندر ود) بداع تلي الواو ، اذ قال (الأندروود والأندرودية ، اسم لنوع من السراويل مركب من - آندر - اي داخل ومن - ور - اي ذو) ويؤيد المعجم النهبي معنى (آندر) ومعنى (ور) كما جاء به أدي شير ، فاذًا صح هذا كانت (الدال) آخر اللفظ مزيدة بالتمريب .

٢ - أقول ما جاء في الشام بلا همز : (الشام) يفتح أوله وسكون الهمزة ، و (الشام) يفتحتين و (الشام) بالمد . ويقتال في النسبة الى (الشام) : (شامي) بالهمزة وياء مشددة و (شام) بالمد وياء مخففة تختلف بالتنوين و (شامي) بالمد وياء مشددة ، حكايه سيبويه . وتقول في التأنيث : امرأة شامية بالهمزة وتشديد الياء وشامية بالمد وتحفيف الياء .

٣ - قال المحقق : في الديوان (ط . صادر) (ص/١٨٣) : أبلغ معاوية الذي يسميه

- أقول : صحة الرواية للبيت (أبلغ معاوية الذي يسميه أمر المراق ..) برفع (أمر) . كما أثبت في الديوان وفي الأصل وفي حواشي المخطوط (٩٠١٢) . ولست ادرى كيف تراعى للتحقق أدنى في الأصل (.. الذي يسمته أمر المراق ..) يتصرف (أمر) ، ولا مكان له في سياق الكلام .

٤ - قال المحقق : كذا في الأصل ، وأما في الديوان (السام) .

- أقول : أثبت المحقق رواية البيت (على اثر الاذلة ٠٠٠) بالذال المجمعة ، كما جاء في الأصل ، وفاته ان الصريح (على اثر الاذلة ٠٠٠) بالذال غير المجمعة ، كما في الديوان . وهو جمع دليل ، والبنياء الطلائع تتقدم . الجيش ، والغافق الاضطراب ، وهو في

الأصل الضرب بشيء عريض والتاجية السريعة . والذى في الديوان (السام) لا (الشام) ، وهو الملال . وقد أخذ على النابفة قوله (السام) بالله ، وقيل ان صوابه (السام) بلا مد . وقد نص على (السام) في غير معجم معتمد .

٥ - قال المحقق : لم أهتد إلى (النعّام التلبي) ولعله (النعّام) واسمه نعيم بن عبد الله بن أسيد ، قتل يوم مؤتة شهيداً (انظر الاشتقاد لابن دريد / ١٣٦) .

- أقول : (النعّام) الذي ذكره صاحب الاشتقاد (١٣٦) هو من بنى عدي بن كعب، وبنو عدي ليسوا من بنى تقلب ، وقد ذكر ابن دريد شعراء تقلب (٢٣٥) ولم يذكر منهم (النعّام) . وقد جاء اسم الشاعر في حواشى المخطوط (٩٠١٢) : (أبو النعّام) وأحسب أنه (أبو النجم العجلي) وهو القائل :

المرء كالعالم في المنام يقول اني مدرك امامي
في قابل ما فاتني في العام والمرء يدينـه من العـام

كما جاء في معجم الشعراء للمرزبانى (١٨٠) وجاءت ترجمته في طبقات فحول الشعراء للجمعى (٧٤٧ / ٧٥١) .

قال المحقق : لا أدرى أ (محيرجات) هي أم (محيرجات) بالغاء المجمعة ، أم شيء آخر ؟ فلم استطع معرفتها ولا وقفت على شيء منها في كتب الموضع والبلدان .

- أقول : الذي جاء في حواشى المخطوط (٩٠١٢) : (تركت أرجان) بفتح الهمزة وتشديد الراء المفتوحة ، وهو بلد بفارس ، وقد يكون (جويغان) بضم فكسر ، وهو بلد بفارس أيضاً ، وهو أشبه ما يكون بالأصل ، أو (خُوّاجان) بضم ففتح وجم مشددة ، من قرى مرو .

٧ - قال المحقق : لا أدرى أ (أخزم) أم (أخرم) أم (أحرم) لم أهتد إلى ذلك في المصادر ، ولكنني أميل إلى (الأخزم) لأنهن من الأسماء التي سُمِّعوا بها . انظر الاشتقاد ، ولم أهتد إلى الرجز و (صفين) موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات . انظر (معجم البلدان) .

- أقول : قد نسب الرجز في حواشى المخطوط (٩٠١٢) إلى راجز هو (أبوالآخر) بالعام والزاي ، وصحته (أبو الآخر) بالغاء والزاي . وجاء في المؤتلف والمختلف للأمدي (٦٦) : ومنهم أبو الآخر العماني بكسر العام وتشديد الميم ، الراجز .. وهو القائل :

انا ابو الآخر ذو استكمام لا حـَصـَري يـَخـَشـِي ولا عـَرـَامي
والرـَّجـَعـَ من اصـَواتـَها الرـَّحـَامـَ قد كنت اهـَوـِي البـَيـِضـَ في الكـَيـِّـامـَ
بـَهـَنـَ الا مـَلـَـاحـَ الكـَلـَامـَ فقد تـَاهـَتـَ عن التـَّهـِيـَـامـَ

وقد يكون البيت الذي جاء به ابن بري من هذه الأرجوزة . وذكر صاحب اللسان أن أبا منه (قتيبة) ولقبه (أبو الآخر) . وقد اهتمى إلى هذا الدكتور الضامن في تعقيبه على تحقيق الدكتور السامراني وجاء البيت الثالث (فقد تاهت عن التهيم) وذكر محقق المؤلف أن الصواب (فقد تناهيت ..) ويتجه لي أنه (تاهت) بمعنى تزهت .

وجاء في الكتاب (ص/٤٠) :

قال أبو منصور : قال العربي^(١) : قال أبو عمرو^(٢) : الأسابد^(٣) قوم من الفرس كانوا مسلحة المشقر ، منهم المندرين ساوي^(٤) من بنى عبد الله بن دارم ، ومنهم عيسى الخطبي وسعد بن دعلج^(٥) .

قال ابن بري : المشقر حصن قديم بالبحرين . قال لبيد [من الطويل] :
وانزلن بالدومي من رأس حصنه وانزلن بالأسباب رب المشقر^(٦)
والدومي هو الندب^(٧) (صاحب دومة الجندل) .

١ - قال المحقق : هو أبو إسحاق إبراهيم العربي ، كان قيماً بالأدب جماعاً للغة حافظاً للحديث ، توفي ٢٨٥ هـ . (نزهة الألباء / ١٤٥ ، إنها الرواة - ١٥٥ / ١) .
٢ - قال المحقق : لا أستطيع أن أقطع في (أبي عمرو) هذا ، أبو عمرو بن العلاء
أم أبو عمرو الشيباني .

- أقول : أبو عمرو الشيباني هو اسحاق بن موار (ت ٩٦ هـ) وأبو عمرو بن العلاء هو زيان بن العلاء بن عمار أحد القراء السبعة (ت ١٥٤ هـ) وشقيق أبو عمرو ومحض بن سليمان الأستدي (ت ١٨٠ هـ) . وليس في ترجمة أبي اسحاق إبراهيم العربي ما يشير إلى أنه كان يروي عن أحد هؤلاء خامساً . على أن الراجح أن الذي قصده العربي وحكي عنه هنا هو أبو عمرو الشيباني ، لا سواه ، إذ جاء في معجم البلدان لياقوت (١٢١ / ١) أنه قد حكى عنه تفسير لفظ (أسبد) وصلته بأصحاب حصن المشقر .

٣ - أقول : فات المحقق أن يقول شيئاً في (أسبد) ، وهو بفتح المهمزة وسكون السن وفتح الباء ، وقد اختلف فيه ، إذ جاء في المغرب (٣٨) أنه اسم قائد من قواد كسرى . وجاء في كتاب الفتوح للبلاذري (١١٠ / ١٠٦) أنه اسم قرية بهجر ، وجاء في الألفاظ الفارسية لأدي شير أن (أسب) بمعنى حسان و (باد) بمعنى حارس .

اما (أسبدي) بياء النسبة ففي المغرب أن الأسبديين ضرب من المجوس من عبدة البراذين كانوا حماة لعشن المشقر . وفي الفتوح أن (الأسبدي) نسب إلى قرية بهجر يقال لها (الأسبد) وأن الأسبديين قوم يهدون الخيل بالبحرين ، فلما كان سنة (٨) وجه الرسول عليه السلام العلاء بن عبد الله الحضرمي إلى البحرين يدعو أهلها إلى الإسلام أو الجزية فأسلم منهم العرب ، ورضي المجوس واليهود بالجزية . وكان من أسلم المندرين بن ساوي

والى البحرين . وجاء في معجم البلدان عن هشام بن محمد بن السائب (وقيل لهم الأسبذيون لأنهم كانوا يعبدون فرما ، قلت، ان الفرس بالفارسية – أسب – زادوا معه ذالا تعريباً) .

٤ – قال المحقق : المنذر بن ساوي كان واليا على البحرين . انظر الاصابة – ٦ / ١٣٩ ، وطبقات ابن سعد ١٩/٢/١ .

– أقول : هذا بعض ما جاء في تحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر للمغرب نسخة المحقق بالعرف . وفي السيرة النبوية لابن هشام (٢٢٢/٤) : (وقد كان رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ بعث العلام بن الحضرمي قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوي العبيدي فاسلم فحسن اسلامه ثم هلك بعد رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ قبل ردة البحرين والعلامة عنده أميراً لرسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ على البحرين) . وجاء في معجم البلدان (وكان بالبحرين من قبل الفرس المنذر بن ساوي بن عبد الله بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة وعبد الله بن زيد هذا هو الأسبذى نسبة إلى قرية بعير) .

٥ – أقول : في المغرب المطبوع (١٨٦٧) : (عيسى الخطبي) بدلاً من (الخطبي) و (سعيد بن دعلج) بدلاً من (سعد بن دعلج) .

٦ – قال المحقق : الديوان (ص / ٦٥) وروايته فيه (وأعوَّصن بالدومي . . .) .

– أقول : في الصلاح (دوم) : (وأعصن به وأهلken . . .) أي ذهبن به وأهلken . . . وفي الديوان (وأنزلن . . .) بمعنى انقلبن به ، وفي الصلاح (شقر) : (وأنزلن بالرومي . . .) وهو محرف لأن الكلام على (الدومي) بالدار نسبة إلى (دومة الجنديل) . والمشقر بضم الميم وفتح الشين وتشديد القاف حصن بالبحرين ، ورب المشقر هو (أكيدر) بضم الهمزة وفتح الكاف على صيغة التصفيير ، صاحب دومة الجنديل ، وهو أكيدر بن عبد الملك ، كما في الاشتقاد .

٧ – أقول : فات المحقق أن يوضح معنى قول ابن بري (والدومي هو التدب صاحب دومة الجنديل) فما معنى (التدب) هنا . وقد تبين بالبحث أن اللفظ قد شُوهَ وصحبه (أكيدر) كما حكيناه في العاشية السابقة عن الصلاح ، وهو أكيدر بن عبد الملك كما حكاه الاشتقاد . . . وقد جاء كذلك في حاشية المخطوط (٩٠١٢) .

وجاء في معجم البلدان (٤٨٨/٢) : (دومة الجنديل بضم أوله وفتحه . . . وسميت دومة الجنديل لأن حصنها مبني بالجنديل . . . وهو حصن أكيدر الملك بن عبد الملك بن عبد العزي . . . وكان النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ وجه إليه خالد بن الوليد من تبوك . . .) وجاء فيه (وأحسن ما ورد من ذلك ما ذكره أحمد بن جابر في كتاب الفتوح . . . قال بيت رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ خالداً – رض – السنة التاسعة إلى أكيدر بن عبد الملك بدمومة الجنديل فأخذنه أسيراً وقتل آخاه وقدم بأكيدر على النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ فاسلم وصالح النبي على أرضه . . . فلما مات الرسول صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ منع أكيدر الصدقة . . . وقيل أن خالداً لما انتصر من العراق إلى الشام مرء بدمومة الجنديل التي غزاها أولاً بعินها ففتحها وقتل أكيدر) .

وجاء في الكتاب (ص / ٤١) :

قال أبو منصور : قال أبو سعيد^(١) : سمعت العرب تقول للاربعة (استار) لأنه في الفارسية (جهار) فاعربوه فقالوا (استار) قال جرير : [من الكامل] :

ان الفرزدق والبيث وأمه وابا الفرزدق شر ما استار(٢)

قال ابن بري : ويجمع (استار) ويقال لكل أربعة (استار) ٠

١ - قال المحقق : لعله أبو سعيد الضرير أَحْمَدُ بْنُ خَالِدٍ ٠ انظر (نكت الهميان - ص/٩٦) ، واستبعد أن يكون (الأصمعي) لشهرة (الأصمعي) وليس (أبا سعيد) ٠

- أقول لا شك أنه اذا قيل (أبو سعيد) لم يذهبوا به الى الأصمعي . ولم يذكر أبو منصور الأصمعي في المرب مرة الا بلقبه أي (الأصمعي) . لكنه اذا قال (أبو سعيد) عنى به (أبا سعيد السكري) وهو الحسن بن العسين المتوفى (٢٧٥ هـ) وكان ذا ثقة، راوية للبصرىين . ويتحقق ذلك بمراجعة غير موضع من المرب (١٩٥ و ٣٣٣) . والمعلوم أنهم اذا عدوا الضرير قالوا أبو سعيد الضرير ولم يكنوا يكتفوا بكنيته .

٢ - قال المحقق : ورواية البيت في الديوان (ص/ ٣١٧) :

ان الفرزدق والبيث وأمه وابا البيث لشر ما استار

- أقول : قيل (استار) بكسر أوله والجمع (استار) وهو مغرب (جهار) بالعجم الفارسية، ومنناه (أربعة) . وقيل استار رابع أربعة ، كما قيل استار لكل أربعة من جنس واحد (المرب وشقاء الغليل) . ومن ثم قال جرير :

ان الفرزدق والبيث وأمه وابا الفرزدق شر ما استار

والبيث اسم شاعر من بني تميم . ذُجِّأَت رواية المعجز في الديوان والنقائض واللسان (وانا البيث لشر ما استار) . وفي الصحاح بيت آخر هو (قُرْن الفرزدق والبيث وأمه . وأبو الفرزدق قُبْح الاستار) وجاء كذلك في النقائض ، وشقاء الغليل . أما عن أصل (استار) فلا شك أنه مغرب للنونقطر الفارسي (جهار) بضم فارسي مفتوحة ومعنى (أربعة) ، كما جاء في المرب وأيده فيه ابن بري . وقد جاء (استار) في شهر الأخطل والكميت . لكن لفظ (استار) هذا قد جاء في المعجم التمهي على أنه لفظ فارسي معناه (أربعة) أو (وزن يعادل أربعة مثاقيل) فما تعليل ذلك ؟ أقول أكبر الظن أن الفارسية قد اقتبسته وأدخلته في الفاظها كما فعلت في كثير من المربات ، وهو لم يرد في بعض معاجم الفارسية .

وجاء في الكتاب (ص / ٤١ و ٤٢) :

قال أبومنصور : الألْوَة العود الذي يُتَبَخِّرُ به ، ذكر أبوعيبيدة : أنه معَرَّب^(١) .

قال ابن بري : قال المفضل بن سلمة : يقال الْوَة واللُّوَة بالفتح في الهمزة وضمنها وفي الحديث في صفة الجنة (ومجارهم الألْوَة)^(٢) .

وحكى اللعيعاني : الْوَة واللُّوَة ولُوَّة ولَيَّة^(٣) وحكى ابن الاعرابي (لَيَّة) وانشد من الرجل [] :

لا يصطلي ليلة ربيع صرصير الا بعود لَيَّة او مجمر

وقد جاء (الادِّيَّة) في بيت ، أنسدَه ابن الجراح^(٤) [من الطويل] :

بساقين ساقى ذي قِضْيَنْ تعشَّها باعود رند او الاوَيْة شقرا^(٥) .

١ - قال المحقق (المغرب - ص / ٤٤) .

- أقول فات المحقق أن يقول شيئاً حول لفظ (الألْوَة) وأصله . فقد تبين بالبحث أن (الْوَة) بضم الهمزة واللام وتشديد الواو المفتوحة ، للعود يتبعها به . وما دامت همزته أصلية فهو قبل الادغام (فُتْلَة) كـسْبَلَة . وهو يجمع في الأصل على (الاو) وقد دخلته الهاء كما جام في اللسان للاشماع بجمته فاصبح (الاوِيَّة) ، وفي النهاية أنها همزة أصلية وقيل زائدة . وقد جاتت فيه لغات (الْوَة) بفتح الهمزة كما قال المفضل ، و (الْوَة) بعدد الهمزة ، كما حكى اللعيعاني ، و (لَيَّة) بكسر اللام وتشديد الياء ، كما ذكره ابن الاعرابي .

اما أصله فقيل انه فارسي ونفي أبومنصور ذلك وقال انه هندي ، كما في اللسان . وجاء في الالفاظ الفارسية لأدي بشر أنه فارسي اصله (الوا) وأن معناه نبات (الصبر) بفتح فكسر ، وأنه يوناني أيضاً وهو منقول من (الإزامية) لأن (الصبر) موطنها الشرق . وفي اللغات اللاتينية كالفرنسية والإيطالية، وفي اللغتين герمانية والإنكليزية مثل هذا اللفظ اسم لنبات الصبر المشهور بعمارة المراة . أما في الماجمجم الفارسية فان (الاو) و (الوا) لشعلة النار . فإذا صح أن الأصل واحد ، كان اللفظ للعود من هذا النبات .

٢ - قال المحقق : وبيان الحديث في اللسان : ومجارهم الألْوَة غير مُطْرَأة .

- أقول جاء في النهاية (وفي صفة أهل الجنة ومجارهم الألْوَة هو العود الذي يتبعها به) ومنه حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يستجمر بالألْوَة غير مطرأة) واجترس واستجمر بال مجرمة . تبعها ، وطڑاء جعله طریا .

٣ - أقول : زاد المحقق هنا (لَيَّة) نقلًا عن اللسان كما ذكر . اذ اقتصر الأصل ومخلطه المغرب (٩٠١٢) في حكاية اللعيعاني على اللغات الثلاث . وأما الرابعة أي (لَيَّة)

فقد جعلها حكاية ابن الأعرابي وحده ، وقد استشهد بقول الراجز (الاً بعد لِئَة او مجرم) ، ويؤيد هذا سياق الكلام .

٤ - فات الحق أن يعرف بـ (ابن البراج) على ما جاء في الأصل . والذي جاء في حواشي مخطوط المرب (٩٠١٢) : (ابن البراج) بجيمن ، وكلاهما معروف . ويتجه لي أنه أبو البراج بتشديد الراء وحلوه في آخره ، وقد جاء ذكره في المظان . ففي الشعر والشعراء لابن قتيبة (٢١٠ /) أنه الأسود بن يعفر ، وهو جاهلي منبني حارثة ، ويكن أبو البراج ، كان أعمى .

و (يعفر) بفتح الياء وزان (يقتل) فهو غير مصروف ، وقيل بعض الياء والفاء فهو مصروف لزوال شبهه بالفعل وقد تحدث أبو محمد الأعرابي الملقب بالأسود الفندجاني عنه في كتابه (فرحة الأديب) وذكر شيئاً من شعره (١٩٩) . وفي المؤتلف والمختلف للأمدي (٦) أن الأسود بن يعفر التميمي هداهوا أعشى نهشل ، وقد جاء الصبيح المنبر بشعره (٢٩٨) وما أله استوفاه . ويؤكد هذا ما جاء في طبقات البصري (١٤٧ / ١٤٨) .

٥ - قال المحقق : في الأصل : بساقين سلقى ذي قعن تعثنا .

- أقول فات الحق أن يقول شيئاً في بيت أبي البراج . ف (ذو قضين) بكسر القاف اسم موضع ، و (قضون) في الأصل جمع (قضة) يكسر أوله الأرض المخضضة ، ترابها رمل ، كما جاء في كتاب العين ، ومعجم البلدان (٣٦٨ / ٤) (وساقا هاجلاها ، وتحشها بمعنى تطعماً . وفي الأساس (حش النسا آشيبها واطعماها العطب) . وهو ينصب مفعولاً ثانياً أو يتعدى إليه بالع禄 ، كجاج في الناج . وقد جاء في عجز البيت (الأاوية) بالتصب وهو معطوف على مجروركذا جاءت روايته في التهذيب ولسان (الو) ، وفي موضع آخر من اللسان (قضي) . وتنسب البيت فيه إلى أبي (العجاج) وأحس به معرفاً . وأغلب الظن أن الشاعر استجاز عطف المتصوب على المجرور للضرورة جرياً على قول من قال (مررت بزيد وعمرأ) . قال ابن جنني في الخصائص (١١٢ / ١) : (الا ترى أنك تحكم لموضع الجار والمجرور بالتصب فتعطف عليه فينصب لذلك ، فتقول : مررت بزيد وعمرأ) . وأشار إلى ذلك صاحب المغني .

وجاء في الكتاب (ص ٤٣ و ٤٤)

قال أبو منصور : و (البرازيق) الفارس بالفارسية ، والجماعة من الفرسان : (البرازيق) قال جهمة بن جندب^(١) : [من الكامل] .

تظل جياده متطرراتٍ برازيقاً تصبّح أو تُغْير^(٢)

قال ابن بري : قوله (البرازيق : الفارس) مهم ، وإنما البرازيق الجماعة من الناس فرساناً ورجاله ، والبرازيق الجماعات .

وفي الحديث : ولا تقوم الساعة حتى يكون النام برازيق^(٣) ، وقال أبو عبيدة : أي جماعات^(٤) .

وقال الليث : البرازيق جماعة خيل دون الموكب . وقال زياد (٥) : ما هذه البرازيق التي تردد وقد يجمع برازيق على برازق بعذف الياء . قال اعمارة بن طارق (من البرازيق) .

أرض بها الشيران كالبرازق (٦)

وقول أبي منصور ، ابن الجواليلي : (والبرازيق هي الجماعات من الفرسان) لأن البرازيق هو الجماعة ، والبرازيق هي الجماعات (٧) .

١ - أقول : لم يذكر المربّ اسم الشاعر (٥٥) وإنما جاء به محقق المربّ الأستاذ أحمد محمد شاكر وذهب إلى أنه (جهينة بن جنديب بن تميم) نقلًا عن الجمهرة واللسان وأثبتته الدكتور السامرائي (جهنة بن جنديب) بفتح الجيم في (جهنة) ، وعندني أنه (جهنة) بن جنديب بن العنبر بن عمرو بن تميم (جهنة) كما جاء في الصحاح وحکاه عنه صاحب الناج . والجيم في جهة مضبوطة . وقد جاء في الأصل (جهنة بن جنديب) وكذلك في حواشى المربّ (٩٠١٢) . ويثبت صحة حكاية الصحاح أن (جهنة) بالضم وجندبها والعنبر كلهم منبني تميم على ما جاء في الاشتقاد لابن دريد . وفيه أن من بطون جنديب بنو جهة بالضم (٢١١) .

وقد ذهب الدكتور حاتم صالح الضامن فيما تعقب به الدكتور السامرائي إلى أنه (جهينة) اذ قال (والصواب جهينة بن جنديب كما في غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام - ٤/١٠٠ وجمهرة اللغة - ٣٥٥ واللسان - برازق) أقول ان ما جاء به أبو عبيد وصاحب الجمهرة واللسان لا يدحض حكاية الصحاح ، لما بيناه .

٢ - قال المحقق : في المربّ (٥٥/٥٦) والرواية (برازيق تصبح أو تغير) والبيت ثانٍ بيتهن وردًا في اللسان ، والرواية برازيق بالتنصب .

٢ - أقول : هذا بعض ما ذكره محقق المربّ الأستاذ أحمد محمد شاكر . وقد ان رواية الجمهرة قد جاءت بالرفع في (٣/١٥٠) لكنها جاءت بالنصب في (٣/٥٣) وحکاه عنه اللسان ، ورواية اللسان :

رددنا جمع سابور وانت بمهاوا متالفة كثير
تظل جيادنا متطررات برازيقا تصبح او تغير

وقد أغفلت رواية الصحاح وهي كرواية اللسان ، ولكن جاء في صدر البيت الثاني (تظل جياده ..) . والمتطررات المسعرات من (متطر) بتشدد الطاء . وقد جاء في الأساس (ومر الفرس يمطر مطرًا ويتمطر: يمدو بشدة كصوت المطر) . والبرازيق جماعات الخيل .

٣ - أقول : في النهاية لابن الأثير (لاتقوم الساعة حتى يكون الناس برازيق ، ويروى برازق أي جماعات واحده برازاق وبرازق) قلت قد يكون البرازق أو البرازيق

كما جاء في النهاية ، أو البرزق كما جاء في المربّ وحوashi ابن بري وشقاء الفليل ، مجموعاً على برازق أو برازيق . فالكتفون قد أجازوا في كل جمع على (مفاعل) أو هيئته ، أن تزداد فيه الياء ، وأجازوا حذفه فيما جاء على (مفاعيل) وهيئته أيضاً ، كما نص عليه المعم (١٨٢/٢) . وقد أخذيهذا جماعة وعبروا عن زيادة الياء في نحو (مفاعل) أو هيئته ، ياشياع الكسرة ، وأسماء ابن جنني في الخصائص (١٥١/٣) وفي المتسبب (٣٥٧/١) اشباعاً للحركة أو مطلها . ورده ابن الأنباري في الانصاراف و (٣١/١) وقصره على الشعر .

وأصل (برزق وبرزيق) فارسي . قال أدبي شير في الفاظه (فلم أر سوى بروز ، وهو اسطلاف الخيالة والرجالات من المسكر على شكل حلقة) . وفي المعجم الذهبي (بروز) بباء فارسية حلقة الجند ، وحاشية الثوب ، وتلتفظ بفتح الباء والواو . وهكذا عرب (بروز) الفارسي ومناه الاطار أو الحاشية أو الحلقة من الجند الى (برزق أو بربزيق) ، ومعنى البرازيق الجماعات من العيل أو الفرسان ، وجاء في الناج عن الصاغاني أن البرازيق : الطرق المصطفة حول الطريق الأعظم .

٤ - قال المحقق : قوله أبي عبيد في اللسان ، وهو من غير شك من (الغربيين) .

وعلى الدكتور الضامن فقال : إن أبا عبيده المذكور هو القاسم بن سلام (المتوفى ٢٤٤ هـ) وقوله في كتابه غريب الحديث (٤٠٠) . ووهم الأستاذ المحقق فطنه أبا عبيده الهروي أحمد بن محمد (المتوفي ٤٠١ هـ) صاحب كتاب الغربيين .

- أقول : أكد المحقق الدكتور السامرائي أن الذي أراده ابن بري هو أبو عبيده صاحب كتاب الغربيين : غريب القرآن وغريب الحديث ، دون أبي عبيده القاسم بن سلام الأزدي صاحب غريب الحديث ، ولم يمتلك بذلك ، والحق أن ابن بري هو أحد الأئمة الذين حكوا عن الغربيين خاصة ، وذلك في حواشيه على الصحاح ، وعلى درة الغواص للغريبي . لكن الذي جاء في الغربيين من مادة (بربزق - ١٥٧/١) هو : (وفي حديث آخر : والناس بربازيق ، يعني جماعات . وفي حديث زيد : اذا لم يكن منكم نهاية تمنع الناس عن كذا وكذا وهذه البرازيق) ، على حين أورد أبو عبيده القاسم بن سلام ما حكاه عنه ابن بري نفسه فقد جاء بالحديث (لا تقوم الساعة حتى يكون الناس بربازيق) وأردف (يعني جماعات) ، ويوُكَد هذا أن ابن بري قد عنى أبا عبيده القاسم بن سلام .

٥ - قال المحقق : لم أتبين (زياد) هذا .

وعلى الدكتور الضامن على هذا فقال : هو زياد بن أبي سفيان ، قوله في اللسان (بربزق) .

- أقول : الذي في اللسان أنه (حديث زيد) . وقد جام به ابن قتيبة عبد الله بن مسلم في غريب الحديث (٥٧٢/٢) فذكراته (حديث زياد بن أبي سفيان) ، وكان زياد هذا والي البصرة في عهد معاوية . ونفس الحديث كما جاء في اللسان (وفي حديث

زياد : ألم تكن منكم نهاية يمدون الناس عن كذا وكذا ، وهذه البرازيق ٠٠) كما في النهاية . وأردف : (وقال زياد : وهذه البرازيق التي تتردد) وفي غريب الحديث (ألم تكن منكم نهاية تمنع المرأة عن دفع الليل وغارة النهار وهذه البرازيق) . أما في البيان والتبين (٦٢/٢) فقد جاء فيه ما جاء في غريب الحديث ولم تذكر فيه (البرازيق) وكذلك المقد الفريد (١١٠/٤ - ١١١) .

٦ - قال المحقق : و تمام الرجل في اللسان : لأنما يمشي في اليلامق .

- أقول : اليلامق جمع يلمق بفتح فسكون ، وهو القباء بفتح القاف أي الثوب الذي يلبس فوق الثياب ، وأصله الفارسي (يلمه) كما في المرب (٣٥٥) .

٧ - قال المحقق : والمباراة : وقول أبي منصور ، ابن الجواليلي : (والبرازيق ٠٠) هو من كلام ابن بري في توضيح وتفصير كلام صاحب المرب ، المتقدم .

- أقول هذا صحيح ، لكن صحة كلام ابن بري (وقول أبي منصور الجواليلي : البرازيق الجماعة من الفرسان ، صوابه أن يقول الجماعات من الفرسان) وكذلك جاء في حواشى مخطوط المرب (٩٠١٢) . أما ما أثبتته المحقق من قول أبي منصور (والبرازيق هي الجماعات من الفرسان) فليس صحيحاً والصحيح هو (والبرازيق الجماعة من الفرسان) وهذا ما دعا ابن بري إلى أن يتعمقه بقوله (وصوابه أن يقول : البرازيق الجماعات من الفرسان) . والمعروف أن أبي منصور الجواليلي صاحب المرب هو الجواليلي أو ابن الجواليلي ، لأن (الجواليلي) لقب لجد من آجداده ، نسبة إلى الجواليلق جمع جوالق بكسر الجيم . وهو في (انباه الرواة - ٣٣٥/٢) : (موهوب بن أحمد بن محمد بن الحسن بن الجواليلي ، أبي منصور بن أبي طاهر) وهو في (بغية الوعاة / ٤٠١) : (موهوب بن أحمد بن محمد بن الحسن بن الغضر ، أبو منصور الجواليلي) .

وجاء في الكتاب (ص / ٤٤ و ٤٥) :

قال أبو منصور : و (بسطاماً) ليس من كلام العرب ، وإنما سمي قيس بن مسعود ابنه (بسطاماً) باسم ملك من ملوك فارس .

قال ابن بري : إذا ثبت أن (بسطاماً) اسم أعمجي علم ليس بجنس فلا وجه لصرفه .

وقال ابن بري : بعد ذلك إذا ثبت هذافان (بسطاماً) مصروف لأنه منقول من جنس (١) .

قال أبو منصور : قال رؤبة : (٢) [من الرجل]

كم الرجال الصباغ جاش بقمه

قال ابن بري : صوابه العجاج وقبله :

يعيش من بين ترافقه دمه كمرجل الصياغ جاش بقئمه^(٣)

١ - أقول : اذا عدنا الى المعرّب (٥٦ و ٥٧) الفينا ان ابا منصور ذكر في (بسطام) وجهين : الاول وقد نسبه الى ابن دريد : أنه في الأصل (علم في الفارسية) لأنّه اسم ملك من ملوك الفرس فنقب ابن بري على ذلك بما معناه : اذا ثبت ان بسطاماً نقل الى العربية وهو في الأصل علم اعجمي فهو من نوع لا وجه لصرفه .

الثاني : ولم ينسبه الى أحد ، انه في الأصل (اسم جنس في الفارسية) فعقب ابن بري على هذا بما معناه : اذا ثبت ان بسطاماً قد نقل الى العربية علماً ، وهو في الأصل اسم جنس اعجمي ، فانه مصروف وقد كان يتبني ان يثبت هذا قبل تعقيب ابن بري ، وأن يشير الحق الى ذلك . وجاء في المرب في تفصيل هذا الوجه (قال ابو منصور : وقال غيره ، اي غير ابن دريد ، وسي بي سلطاماً لأن أيام كان محبوباً عند كسرى فنظر الى غلام يوقد تحت شيء ، يحركه بحديدة فبُشّر به ، وقيل ولد لك غلام . فقال اي شيء تستمرون هذا ؟ قالوا فسمّوه بسطاماً) . والذي تبين بهذا ان السؤال كان عن اسم الحديدة التي كان الغلام يحرك بها النار ، واسمها في الفارسية (أستام) . قال صاحب المجمع الذهبي (أستام سيخ حديدي يستعمل لتعريخ نار الأتون والتتور) . وأنكر محقق المرب الأستاذ أحمد محمد شاكر أن يكون الجواب عن اسم الحديدة في النص (أسطام) (وأكداه) (بسطام) (وأثباته ايام كذلك في المرب خطأ والمعنى ما ذكرناه ، وهو (أستام) . وجاء في مخطوط المرب (٩٠١٢) : (أوستام) ، وفي المرب المطبوع عام (١٨٦٧) : (بسطام) ولكن كيف آل (أستام) هذا الى (بسطام) بالتربيط ، وفي العربية (الأسطام) كما يعنيه اللفظ الفارسي ؟ قال الرمعشري في الأساس (حرك النار بالاسطم) ، افليس الأعدل ان يكون (الأسطام) هذا معرباً من (أستام) الفارسي ؟ وأن يكون (بسطام) منقولاً الى العربية من (بسطام) اسم العلم الفارسي . ومن ثم اكدا ابن خالويه أنه (لا يبني في أن يصرف) وجاء في الصحاح أنه منقول من اسم علم اعجمي ، كما ذكره ابن دريد في الجمهرة ، وكذلك جاء في شفاء الفليل .

وبسطام بن قيس بن مسعود هو أحد فرسان العرب الثلاثة عامر بن الطفيلي وعتيبة ابن العارث وبسطام هذا . أما قيس بن مسعود فقد كان والياً على الأبله لكسرى ، كما جاء في الاشتقاد لابن دريد .

وبسطام يكسر الباء لكنه جاء بفتح الباء ايضاً ، ذكره العنبلاني العلبي في بحر العالم .

٢ - قال المحقق : الصواب هو العجاج ، كما أثبت ذلك ايضاً ابن بري في تصحيحه . والرجز من الجمهرة لابن دريد (٣٢٢ / ١) .

- أقول : نسب الجواليفي الرجل الى رؤبة وهو لأبيه العجاج ، وأخطأ بالنقل .
وفات المحقق أن ابن دريد الذي حكى الجواليفي عنه لم يخطئ ابداً فقد نسبه في الجمهرة الى العجاج كما هو واضح في (٣٢٢/١) . وقد أشار الى هذا محقق المرب نفسه (٥٩) .
- ٣ - قال المحقق : المرب (ص/٥٩) والرجل شاهد في (بِقَمْ) وهو صين أحمر .
- أقول : جاء في الصحاح : (البِقَمْ) بفتح الباء والتاء المشددة ، صين معروف وهو المتندم .

قال العجاج :

بطعن نجلاء فيها الماء يعيش ما بين تراقيه دمه

كم الرجال الصياغ جاش بقمه

وقلت لأبي علي الفسوسي ، أعربي هو فقال : مغرب) . وقال ابن خالويه في (ليس) : (لم يصرف الاسم اذا جاء على فمّل بفتح الفاء والعين المشددة ، لأنه يشبه الفعل) يعني اذا سُمي به . وأكثر ما جاء منه علم وجاء في اللغة (مُبْقَمْ) للمبقوغ بعشب البقّم كما في (السامي / ١٣١) للميداني النيسابوري . أما أصل (بِقَمْ) فقال أدي شير أنه (بِقَمْ) بفتح الباء والكاف ، ولم أجده في المجمعات الفارسية . وقال صاحب التقريب انه جاء على زنة أصله الفارسي .

وجاء في الكتاب (ص / ٤٥ و ٤٦)

قال أبو منصور : و (البَبَر) بباءين ، جنس من السباع ، وأحسبه دخلا وليس في كلام العرب . والفرس يسمونه (بفر) (١) .

قال ابن بري : (البَبَر) (٢) هو الفرانق ينذر (٣) الأسد ، ويقال له (المَدَبَّس) (٤) ويقال (المَدَبَّس) الذكر .

قال أبو منصور : و (البَهَار) (٥) اسم واقع على شيء يوزن به نحو الوَسْنَق وما أشبهه ، بضم الباء ، وهو مغرب ، وقد تكلمت به العرب . قال الشاعر ، وهو البريق الهدّلّي (٦) يصف سحايا : [من الوافر] :

بمُرْتَجِزٍ كان على ذراه ركاب الشام يحملن البَهَارا (٧)

قال ابن بري : قال ابن جني : البهار عربي مأخوذ من بهراني الشيء ، لأن العمل الثقيل يبهّ حامله .

وقال الأذهري : البهار هو ما حمل على البعير بلغة أهل الشام ، وهو عربي صحيح ، وأنشد بيت البريق .

١ - قال المحقق : لا بد أن يكون الفاء في (بفر) ليس فاء كالفاء العربية بل هي أقرب إلى الواو الشفوية . كالعرف اللاتيني (٧) وهو قريب من الباء ، ويتم بينهما الإبدال ، وذلك لأن الإبدال بين الباء والفاء على أنها شفوينات ، قليل .

- أقول : لم يعتقد المحقق أن يبحث الإبدال في التعمير فيما تقدم ، وهو لم يوفق في حكمه هنا . ذلك أن الفاء التي أشار إليها ، وهي الفاء الفارسية التي تلطف بين الفاء والباء ، قد هجر النطق بها ، كما ذكرنا في موضع آخر . وقد انتهت إلى باء خاصة في بعض الألفاظ الفارسية نحو (استفره) بفاء فارسية آلت إلى (استبره) ، أو إلى فاء خاصة نحو (فزوني) بفاء فارسية ومنتهى الكثرة والوفرة آلت إلى (فزوني) بفاء خاصة . وعلى هذا جاء الحديث في كتب التعمير ، ومنها كتاب المغرب ، والمجمعات الفارسية ، عن الإبدال في أربعة أحرف فارسية ليست في العربية ، وهي الباء الفارسية التي بين الباء والفاء ، والجيم الفارسية التي بين الجيم والشين ، والزاي الفارسية التي بين الزاي والجيم ، والكاف الفارسية التي بين الكاف والجيم . وقد طوروا ذكر الفاء الفارسية ، إذ هجر النطق بها . قال صاحب التعمير (١٩) : (والفاء الفارسية هي حرف بين الفاء والباء .. وقد ذكره ابن سينا ، وكان موجوداً في عصره في بعض الكلمات الفارسية ، ثم هجر النطق به ، حتى صارتنياً منسياً) . وسكت صاحب المغرب عن ذكر هذه الفاء دليلاً على هجر النطق بها في عهده (توفي ٥٤٠ هـ) خلافاً لعهد ابن سينا (توفي ٤٢٨ هـ) فالذى أراده أبو منصور بلطف (بفر) الذى اعتدته أصلاً للفتح (ببر) هو (بفر) بفاء خاصة ، خلافاً لما ذهب إليه المحقق .

٢ - أقول : (الببر) بفتح فسكون هو الفرانق بضم الفاء وكسر النون كما في اللسان ، وهو ضرب من السباع ، معرّب ، والجمع (ببور) كما في (السامي / ٢٨) للميداني التيسابوري .

أما أصله فقد ذهب الجواليني إلى أنه (بفر) بباء فباء ، وقال أدي شير أنه (ببر) بباءين مكسورة فساكنة ، وهو في الفارسية جنس من السباع أو (ببر) بفتح فسكون وهو في الفارسية حيوان كالقط . وقد أنكر محقق المغرب الأستاذ أحمد محمد شاكر أن يكون الأصل بباء فباء أي (بفر) وأكد أنه بباءين ، كما ذهب إليه الجواليني . ولست أدري ما حجته والذي في المعاجم الفارسية (ببر) بباءين مفتوحة فساكنة . وكذلك جاء في المغرب المطبوع (١٨٦٢ م) ولكن بباءين مفتوحتين (ص / ٢٧) .

٣ - قال المحقق : في الأصل الكلمة مهملة (غير معجمة) وأثبتت أن أثبتها كما وردت ، ويقوّي هذا أنها في اللسان : الفرانق يمادي الأسد .

- أقول : فات المحقق أن يتبيّن المعنى بالعودة إلى المكان . فقد تراعي له أن العبارة (ينذر الأسد) والصواب أنها (ينذري بالأسد) . ولو عاد إلى المغرب ، وهو أقرب المراجع إليه لتبيّن صحة ما قلناه . فقد جاء فيه (والفرانق قال ابن دريد هو فارسي معرّب ، وهو سبع بصيغ بين يدي الأسد كأنه ينذر الناس به) . وهذا ما حكاه أدي شير عن البرهان

القاطع (هو الحيوان الذي ... يصبح بين يدي الأسد كأنه ينثر الحيوانات به ، فإذا سمعت صوته عرفت أن الأسد مقبل فاستخفت / ١١٩) . وهو كذلك في حواشي مخطوط العرب (٩٠٢) ، فتأمل .

٤ - أقول : جاء في التاج (الهدبس بفتحتين وباء مشددة كملائس أهله الجوهرى قال ابن الاعرابي : هو الببر الذكر أو ولده) .

٥ - أقول : البهار بضم الباء لما يوزن به الشيء نحو الوسق بفتح فسكون ، وهو يزن ثلاثة رطل . أو هو العمل عامة كفاشر به الأصمعي بيت المذلى ، وعليه ابن قتيبة على ما جاء في العرب واللسان ، ونحومن ذلك ما قاله الأزهري .

وذكر الجواليقي أنه مغرب ، ولم يأت بأصل الكلمة ، وحكي عن أبي عبيد قوله أراها قبطية . قلت ليس أصل البهار فارسيًا على كل حال ، فقد ذكر الميداني النيسابوري البهار في (السامي / ٣٠٣) وجعل فارسيته (سيمضن رطل) أي ثلاثة رطل . وأشار أدي شير إلى معنى (بهار) بضم الباء في الفارسية فقال هو الصنم، وجعل المعجم الذهبي (الصنم) أحد معانى (بهار) بفتح الباء . فإذا كان أصل العرف قبطيا فالقبطية شقيقة المصرية القديمة ، وهي فيأغلب القرن لغة سامية أو هي قريبة منها ، خلافا للبربرية العامة ، كما جاء في فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي . وذهب مجتمع اللغة العربية بالقاهرة إلى أن القبطية حامية سامية . فإذا صاح هذا قرب أن يكون للبهار أصل عربي كما قال الأزهري وابن جنی وحكاية ابن بري .

٦ - قال المحقق : كما في (شرح أشعار الهذليين - ٧٤٢ / ٢) وهو البريق الغناعي .

- أقول : جاء في الشرح أنه البريق بن عياض بضم ففتح ، وهو يرشي أخيه .

٧ - قال المحقق : البيت في اللسان ورواية الشطر الثاني في (الجمهرة - ٢٧٩ / ١) كمير الشام .

- أقول : المرتجز الرعد الذي يرتجز أي يتعدد أو يتتابع صوته تردد الرجز وتتابعته .

وجاء في الكتاب (ص / ٤٦) :

قال أبو منصور : (البرند) جوهر السيد وماه ، لغة في (الفرنند) قبل انه أعمى مرب ، ويمكن أن يكون عربيا ، ويكون من (البرد) والنون زائدة لأن السيف توسم بذلك ، والأول أجدود .

وقال ابن بري : و (برند) اسم أعمى عربته العرب ، وكذلك قال سبويه ، وهو عندم خارج عن كلام العرب ، وعليه اجماع النعامة وأهل اللغة (١) .

قال أبو منصور : و (البرملة) كلمة نبطية ، وليس من كلام العرب (٢) .

قال ابن بري : يقال (بُرطَلَةً) بغير حاء^(٢) . قال أبو زيد : يقال (البرطلة)
الحارس^(٤) : (السُّرْقَانَة)^(٥) و (التِّرْعَامَة)^(٦) مطلة الناطور ، وأنشد [من
الرجز] :

أفلح من كانت له ثر عامة يدخل فيها كل يوم هامة

١ - **أقول** : ذهب الجوالبي إلى امكان أن يكون (البرند) بكسرتين عربياً أشتق من
البرد ، واللون زائدة . واحتاج لذلك بأن العرب تصنف السيوف بذلك ، وهو بميد .
فإذا كان قد عنى قول الشاعر (بالمرهفات البوارد) أي القوائل ، من برد الإنسان إذا
مات ، وبردَه : قتلته فلا صلة لها بـ(البرند) من حيث المعنى . قال صاحب المفردات (ومنه
السيوف البوارد) . ولذا آخر أبو منصور أن يكون أجمعياً الأصل ، وهو الراجح وما أظن
الذي حكى من قوله (البرند) من النساء التي يكثر لعها) كما جاء في اللسان ، ماظن
ذلك دليلاً على نفي كون (البرند) بما ذكره الجوالبي من معناه ، أجمعياً . وأبي ابن
برى كونه عربياً لاجماع النعامة وأهل اللغة على عجمته . وذهب سيبويه في الكتاب
(٣٤٢ / ٢) إلى أن العرب لم يغيروا بناءـ (برند) حين عربوه ، وإنما أبدلوا من باته
الفارسية هذه فاءـ فقالوا (فِرْنَد) بكسرتين . قال سيبويه (وربما غروا العرف الذي ليس
من حرقفهم ولم يغيروه عن بنائه في الفارسية نحو : فرنـ) والمفروض أن الأصل الفارسي
هو (برند) بفتح الباءـ الفارسية والراءـ بعدها ، وأن معربـه هو (فرنـ) أو (برندـ)
بكسرـ الأول والثاني فيهـما ، ويؤيدـ هذا ما جاءـ في الألفاظـ الفارسية لأديـ شـرـ ، والمجمـ
الذهبيـ . وحـكـيـ القـامـوسـ فـتحـ الرـاءـ فـيـ (البرـندـ) وأوردـ الجـوالـبيـ أـصـلهـ الفـارـسيـ
(ص ٧ / ٧) عـلـىـ هـذـاـ .

قال المحقق : قولهـ (البرـطةـ) نـيـطـلـةـ أـرـادـواـ بـهـ سـرـيـانـيـةـ ، وـهـ مـركـبةـ مـنـ (بـرـ)
بـمـعـنـىـ (اـبـنـ) وـ (مـطـلاـ) بـمـعـنـىـ الـظـلـ ، فـكـانـ الـمـعـنـىـ كـلـهـ (اـبـنـ الـظـلـ) . وـقـدـ أـشـارـ إـلـىـ هـذـاـ
الـلـفـوـيـونـ الـعـرـبـ أـيـضاـ . وـمـاـ زـالـتـ فـيـ شـمـالـ الـمـرـاقـ بـلـيـدـةـ تـعـرـفـ (بـرـطةـ) يـسـكـنـهـاـ
الـنـصـارـىـ .

- **أقول** : جاءـ في المـرـبـ (٢٢٥ و ٢٢٨) : (البرـطةـ) بـفتحـ الـبـاءـ وـسـكـونـ الـرـاءـ وـضمـ
الـطـاءـ وـتشـدـيدـ الـلـامـ المـفـتوـحةـ ، وـكـذـلـكـ جـاؤـفـيـ الـجـمـهـرـةـ (٣٧٥ / ٢ و ٣٧٧ / ٣) . عـلـىـ
أـنـهـ أـثـبـتـ بـضـمـ الـبـاءـ فـيـ الـلـسـانـ وـالـقـامـوسـ وـالـمـيـارـ ، وـخـفـقـتـ الـلـامـ فـيـ الـلـسـانـ وـشـدـدـتـ فـيـ
الـمـيـارـ ، وـجـاءـ بـهـ الـقـامـوسـ بـالـتـشـدـيدـ وـالتـغـفـيفـ ، وـأـورـدـ اـبـنـ بـرـىـ اللـفـظـ بـضـمـ
الـبـاءـ وـتشـدـيدـ الـلـامـ (بـابـ الـعـيـنـ - الـمـرـطـبـةـ وـالـبـرـطةـ) .

وـقـدـ ذـهـبـ اـبـنـ درـيدـ إـلـىـ أـنـ (البرـطةـ) كـلـمةـ نـيـطـلـةـ ، وـحـكـيـ عـنـ أـبـيـ حـاتـمـ عـنـ
الأـصـمـيـ أـنـ (بـرـ) بـمـعـنـىـ (اـبـنـ) وـأـنـ الـبـيـطـ يـعـلـمـونـ الـطـاءـ كـلـهـ أـرـادـواـ بـالـكـلـمـةـ (اـبـنـ
الـظـلـ) ، وـقـالـ (لـاـ تـرـاهـ يـقـولـنـ النـاطـورـ وـأـنـماـ هـوـ النـاطـورـ) . وـحـكـيـ ذـلـكـ عـنـ صـاحـبـ
الـمـرـبـ (٦٨ و ٣٣٥) . وـالـبـرـطةـ : الـمـطـلـةـ الصـيـفـيـةـ ، وـالـنـاطـورـ : الـأـمـيـنـ .

وقد فات المحقق أن النبطية غير السريانية . فالنبطية كما يقول (نولدكه) في كتاب (اللغات السامية) هي الارامية الغربية القديمة ، وجاء نحو من ذلك في كتاب اللغات السامية للدكتور اسرائيل ولفسون ، وفي كتاب فقه اللغة للدكتور علي عبدالواحداوي . وكان النبط عرباً كما يقول نولدكه ، وهم عند بعض الباحثين أقرب إلى قريش وإلى القبائل العجازية التي أدركت الإسلام من العرب الجنوبيين أنفسهم . قلت هذا ما حمل بعض الأئمة على أن يقولوا بعربيه البرطة والناطور .

أما السريانية فهي من اللهجات الارامية الشرقية ، لا الغربية . قال ولفسون : (وأما المنطقة الثالثة للهجات الكتلة الارامية الشرقية فتترافق باللهجة السريانية ، وكان مركزها مدينة أودسَا . . . واسمها بالسريانية أورهي . . . وعرفت عند العرب باسم الرهاء ثم حرف اسمها في القرن الخامس عشر إلى أورفا ، وهو اسمها إلى يومنا ١٤٥) . . . ونحو من ذلك ما جاء في فقه اللغة للدكتور وافي(٤٦)، وفي الأداب السامية لمحمد عطيه الأبراشي (٤٦) ، خلافاً لما زعمه المحقق .

٣ - **القول :** فات المحقق أن يتبع الأصل الصحيح لكلام ابن بري . فقد جاء ابن بري بـ (البرطة) بضم الباء وتشديد اللام وزان (العرطبة) كما في باب العين من الكتاب . وجاء هنا ليقول أن الناء قد تمحض منها فإذا حذفت جاز التخفيف في اللام . فصواب كلامه (بـ بـ رـ طـ لـ) بضم الباءيهما، وتخفيف اللام في الأول وتشديدهما في الثاني . قال الجوهري في الصحاح (والبرطل بالضم قلنوسة ، وربما شدد) وكذلك هو في حواشي مخطوط العرب (٩٠٢) .

٤ - **القول :** فات المحقق أن يصح خطأ في النص . فقد جاء فيه (قال أبو زيد : يقال البرطة العارس : السرقانة) والصواب (٠٠ يقال برطة العارس : السرقانة) ، وهو واضح .

٥ - **القول :** ثمة خلاف حول (السرقانة) بقاف فباء . فقد أشار ابن بري إلى أنها (مطلة العارس) . وصحح الدكتور الضامن فقال إنها (سرقانة) ببناء فتين كما جاءت في كتاب المشرفات لأبي عمر الزاهد (٨٦) . وفصل فجعل (سـ) بمعنى رأس بالفارسية و (فـ) بمعنى الخيمة . وقد تبين لي بالبحث أنه ليس في معجماتنا العربية (سرقانة) بقاف فباء ، وكل ما جاء (سرقان) بقاف فباء ، وهو اسم لقرية بسرخس ، كما في معجم البلدان ، وهو غير ما عنده ابن بري على كل حال . ولم أشر على (السرقانة) بقاف فباء في المعجمات الفارسية ، بل لم أشر على (سرقانه) التي حكاما الضامن في معجم عربي أو فارسي أيضاً . وليس في الفارسية (فـ) اسمـاً للخيمة ، بل قيل (فـ) كما في المعجم الذهبي اسمـاً للخيمة . فإذا صح هذا كان رأس الخيمة (سرفـ) . أما (المطلة) فقد جاء في (السامي / ٤١٦ و ٤١٩) أنها بالفارسية (سـيـان) . وجاء في المعجم الذهبي : (سـيـان مـطلـة كـبـيرـة تـقـيـ العـظـمـاء مـنـ أـشـعـةـ الشـمـسـ وـأـنـهـ عـربـ إـلـىـ)

(سيبانة) . فاذا صح هذا كان رأس المظلة (سرسيبانة) ، فهل قصد ابن بري هذا اللفظ او لفظاً معرفاً شبيهاً به فنداً بالتعريف الى (سرقفانه) او (سرقبانه) كما جاء في الأصل .

٦ - قال المحقق : وقال ابن الأعرابي : الشعامة ، وهو يشير الى الرجل ، اتها المرأة ، وهذا نظير الرجل المنسوب الى علي - رضي الله عنه - وهو :

أفلح من كانت لـه قوصره يأكل منها كل يوم مرأة

انظر اللسان (قصر) .

- أقول : فات المحقق أن يوضح ما الذي ي يريد بقوله (وهذا نظير الرجل المنسوب الى علي رضي الله عنه) . وبيان ذلك أن ابن بري قد ذكر (الشعامة) بكسر فسكون وقال اتها مظلة الناطور واستشهد بقول الراجز (أفلح من كانت له شر عامه ٠٠) وذكر ابن الأعرابي (الشعامة) وقال اتها المرأة واستشهد بالرجل نفسه ، كما في اللسان . وتأويل ذلك أن الشعامة هي المظلة ويكتفي بها عن المرأة او الزوجة لأنها مظلة الرجل ، وكذلك (القوصرة) بتشديد الراء وقد تخفف ، فهي وعاء من القصب يحفظ فيه التمر ويكتفي بها عن المرأة أيضاً . قال ابن الأعرابي (المربي تكتني من المرأة بالقارورة والقوصرة) وقال ابن بري (وهذا الرجل يناسب الى علي عليه السلام ، وقلوا اراد بالقوصرة المرأة ، وبالأكل النكاح) ، وكلامي هذا على القوصرة حكاها محقق المغرب (٢٧٧) عن الجمهرة واللسان .

وجاء في الكتاب (ص / ٤٧ و ٤٨) :

قال أبو منصور : و (بَيْان) كلمة ليست بمعربية محضرية . وروى زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر ، رضي الله عنه ، أنه قال : إن عشت إلى ما قابل لالعنون آخر الناس بأولهم حتى يكونوا بيتاناً واحداً^(١) .

قال ابن بري : قال أبو سعيد الضرير : ليس في كلام العرب (بَيْان) وانما هو (تَبَيَّان) بالتاء المجردة باثنين أعلاهما ، من قولهم (هَبَّان تَبَيَّان) الذي (لا) يُعرف^(٢) والمعنى : لأسوءين بينهم في المعطام حتى يكونوا شيئاً واحداً ، لا فضل لأحد على غيره . وقال الأزهري : وليس هذا كما ظن ، فإن هذا حديث مشهور رواه أهل الاتقان ، وكانه لغة يمانية^(٣) .

وقال أبو منصور : (بَيْان) على وزن (فَعَلَان) ويقال على وزن (فَعَال) والنون أصلية^(٤) ولا يُعرف منه فعل ، وهو (البايج) في المعنى : واحد^(٥) .

قال ابن بري : وبِبَيَّان عند أبي علي (فَعَلَان) لا غير^(٦) ، لأن تركيب الكلمة من حرفين أولى من تركيبها من حرف واحد . اذ إن ذاك نادر عزيز . وان باب (دَدَن) و (لَوْلَب)^(٧) أيسر من باب (بَبَ) .

١ - قال المحقق : جاء في اللسان (بين) : قال أبو عبيد : قال ابن مهدي : يعني شيئاً واحداً ، ولا أحسب الكلمة عربية ، ولم اسمعها إلا في هذا الحديث .

- أقول : ما نود بيانه أن الأزهري قد أكد في تهذيبه (بب) لفظ (بيان) في حديث عمر لثبوته وشهرته . وقد جاء الحديث في مظان كثيرة ، كما جاء في التهذيب والصحاح وكتاب (ليس) لابن خالويه ، والنهاية ، والزهر ، واللسان ، وسواها . وفيه (بيان) ببام مفتوحة بعدها باء مشددة ، ولو اختلف نص الحديث . قال الجوهري في الصحاح (ويقال هم بيان واحد ، كما يقال : باج واحد) . وأردف (قال عمر ، رضي الله عنه ، إن شئت سأجمل الناس بياناً واحداً . وهذا لغز هكذا سمع عنهم) ثم قال : (وإنما يعلمونه من هيان بن بيان ، وما أراه محفوظاً عن العرب) .

وحكى الأزهري عن أبي عبيد قوله (لا أحسب هذه الكلمة - أي بيان - عربية) وقال : (وكانت لها لغة يمانية ولم تفلت في كلام معد ، وهو البايج ، يعني واحد) . وهكذا يكاد يجمع الآئمة على أن (بيان) في الحديث صحيح ، مسموع عن العرب .

وخلال أبوسعيد الشرير ، على ما جاء في النهاية واللسان وسواهما ، فقال (ليس في كلام العرب - بيان - وال الصحيح عندنا بياناً واحداً) بباء مشددة . وفي شفاء الغليل : (وإنما هو بيان ببام مثناء تحتية من قوله هيان بن بيان) حكاية عن الشرير . ولكن ما أصل (بيان) هذه . حكى الأزهري عن أبي عبيد : (لا أحسب هذه الكلمة عربية وكانت لها لغة يمانية . . .) والذي يتبع لي أن جمود اللفظ وعدم تصرفه قرينة من قرائن عجمته . أما نسبة اللفظ إلى البيانية واليمانية لهجات عربية جنوبيّة كلهجة المينيين والسبعين والمحمررين ، وقد اندثر بعضها قبل الإسلام ، وبقيت منها بقية بيده ، أقول إن نسبة اللفظ إلى البيانية لا يستلزم بالضرورة أن يكون يمنياً ، فقد غزت العجازية الفاظ قبل أنها يمانية ثبت أنها جهشية الأصل ، كما جاء به الأستاذ عبدالمجيد عابدين في كتابه (بين العبشة والعرب) ، لاختلاط البيانيين بالأحباش . وقد تكون حيناً فارسية لأن البيانيين خاللوا الفرس فتأثبت لغتهم . ومن ثم استبعد الآئمة في (تعقيد) اللغة الفصحى (اليمانية) عامة ، كما تجنبوا (أزيد شنودة وأزيد عمان) خاصة ، فهل تكون (بيان) فارسية الأصل ؟

أقول : لم أر من ذكر ذلك ، لكنني بحثت اللفظ في المعجم الذهبي فالفيت (بابا) بباءين فارسيتين مفتوحتين بينهما باء خالصة مكسورة ، ومعنىه (قدم بقدم ، ومساو ، ومتطرق النعل للنعل) ، فذكرت ما يقول العرب في المائة بين شيئاً وهو (حذوت النعل بالنعل) أي جعلتها مماثلة لها . أفلابيوجي هذا بـ (بيان) من (بابا) الفارسي .

٢ - قال المحقق : كذا ورد قول الشرير في الأصل ، وأما في اللسان (بين) فقد جاء وقال أبو سعيد الشرير ليس في كلام العرب - بيان - قال وال الصحيح عندنا - بياناً واحداً . قال والعرب اذا ذكرت من لا يُعرف قالوا: هذا هيان بن بيان ، ومعنى الحديث ..

- أقول لولا ما جاء في الأصل من ضبط (بيان) في قوله بالتاء المجمعة باثنين أعلاها) لاثرت ما ورد في اللسان . وقد سقط (لا) من الأصل فائتها محصورة بين قوسين .

- أقول : فات المحقق أن يصح الأصل المشوه . فقد جاء فيه (وانما هو بيان بالتاء المجمعة باثنين أعلاها من قوله هيـان بنـ تـيـان الـذـي لا يـعـرـف) وصوابه (وانما هو بيان بـيـاء تـحـتـية من قوله هيـان بنـ بـيـان الـذـي لا يـعـرـف) . اذ لا سند لـبـيـة لـقـوـلـه (بيان) بالـتـاء ، او قوله (هيـان بنـ تـيـان) . والـذـي جاء في حـوـاشـي المـخـطـوـط (٩٠١٢) : (وانما هو بيان بـالـيـاء من قوله هيـان بنـ بـيـان لـنـ لا يـعـرـف) . وناـسـخـ الأـصـل لـم يـعـرـف هـذـا وحسب فقد جاء في الأـصـل (الـذـي يـعـرـف) وصوابه (للـذـي لا يـعـرـف) .

فاظفر الى ما جاء في شفاء الغليل (٠٠٠) . وانما هو بيان بـيـثـة تـحـتـية من قوله هيـان بنـ بـيـان للـذـي لا يـعـرـف) . وقد حـرـفـ النـاسـخـ ما جاء بعد ذلك كما سنـاهـ .

وقد جاء (هيـان بنـ بـيـان) بـيـاء مـشـدـدـةـ فـيـهـاـ وـ (ـهـيـ بـيـ) بـيـاء مـشـدـدـةـ فـيـهـاـ ، فيـ الصـاحـ ، وـ فيـ مـوـضـعـيـنـ مـنـ الـجـمـهـرـةـ (ـ١٢٤/١ـ وـ ٣٨/١ـ) ، وـ فيـ (ـالـسـاسـيـ ١١٤ـ) لـلـمـيدـانـيـ الـنـيـساـبـورـيـ ، وـ سـواـهـاـ مـنـ الـمـطـانـ ، وـ لـمـ أـرـ مـنـ أـورـدـ (ـهـيـانـ بنـ تـيـانـ) قـطـ .

٣ - قال المحقق : ذكر الأزهري ذلك في التهذيب (بين) .

- قال الدكتور الضامن : لم يرجع الأستاذ المحقق الى التهذيب . اذ رأى لـفـظـةـ (ـبـيـانـ) قد جـاءـتـ مـعـ حـدـيـثـ عـمـرـ ، رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ ، فـيـ اللـسـانـ (ـبـيـانـ) . فـتـوـهـ اـنـهـ فـيـ تـهـذـيـبـ الـلـغـةـ لـلـازـهـرـيـ فـيـ مـادـةـ (ـبـيـانـ) أـيـضاـ . وـ الـصـوـابـ أـهـمـاـ جـاءـتـ فـيـ مـادـةـ (ـبـبـ) فـيـ أـوـلـ بـابـ الـلـفـيـفـ منـ حـرـفـ الـبـاءـ (ـ٥٩٣ـ وـ ٥٨٢ـ /ـ ١٥ـ) ، وـ هـيـ فـيـ مـادـةـ (ـبـبـ) فـيـ كـتـابـ الـعـينـ أـيـضاـ (ـ٤١٥/٨ـ) . والأـزـهـرـيـ سـارـ عـلـىـ طـرـيـقـ الـخـلـيلـ .

والقول ما قال : ويـؤـكـدـ ما جاءـ فيـ التـهـذـيـبـ أـنـ الصـحـيـحـ فـيـهـ حـكـاهـ اـبـنـ بـرـيـ مـنـ كـلـامـ اـبـيـ سـعـيـدـ الـضـرـيرـ هـوـ (ـلـيـسـ فـيـ كـلـامـ الـعـربـ بـيـانـ وـانـماـ هـوـ بـيـانـ) بـالـيـاءـ ، لاـ (ـتـيـانـ) بـالـتـاءـ ، وـ انـ (ـهـيـانـ بنـ بـيـانـ) هـوـ الـصـوـابـ ، لاـ (ـهـيـانـ بنـ تـيـانـ) .

٤ - أقول : فات المحقق أن في نسختي المرب المطبوعتين :

(ـوقـالـ الـلـيـثـ :ـ بـيـانـ) ،ـ وـكـذـلـكـ فـيـ مـخـطـوـطـ الـمـربـ (ـ٩٠١٢ـ) .ـ وـقـدـ سـقطـ مـنـ الـأـصـلـ (ـوقـالـ الـلـيـثـ :ـ)ـ وـلـاـ بـدـ مـنـ اـثـبـاتـهـ .

٥ - أقول : اختلف الأئمة في بناء (بيان) فذهب الليث الى جواز أن يكون على (فعلان) أو (فعـلـالـ) . فإذا كان الأول كان من (بـبـ) بـيـاءـينـ ثـانـيـهـماـ مـشـدـدـةـ وـالـنـونـ زـائـدـةـ . أوـ كـانـ الثـانـيـ كـانـ مـنـ (ـبـيـانـ)ـ وـالـنـونـ أـصـلـيـةـ ،ـ وـأـوـجـبـ أـبـوـ عـلـيـ أـنـ يـكـونـ (ـفـعـلـانـ)ـ .ـ وـ (ـفـعـلـانـ)ـ أـصـلـ باـصـلـهـ الـفـارـسـيـ إـذـ اـعـتـدـ هـذـاـ الـأـصـلـ وـصـحـ مـاـ ذـكـرـنـاهـ فـيـ الـعـاشـيـةـ الـأـوـلـيـ مـنـ آـنـ (ـبـاـبـاـ)ـ .

٦ - أقول : تابـعـ المـعـقـلـ الـمـرـبـ الـمـطـبـوـعـ (ـ١٩٤٢ـ)ـ فـأـثـبـتـ مـاـ جـاءـ فـيـهـ وـهـوـ (ـوـهـوـ الـبـاجـ فـيـ الـمـنـيـ وـاـحـدـ)ـ وـالـصـوـابـ مـاـ جـاءـ فـيـ الـأـصـلـ (ـوـهـوـ الـبـاجـ فـيـ الـمـنـيـ وـاـحـدـ)ـ .ـ فـحـذـفـ

(الواو) بين (هو) و (الباج) ، ولا بد من اثباتها . والذى في المعرب المطبوع (١٨٦٧) مطابق للأصل الصريح ، وهو كذلك في مخطوط المعرب (٩٠١٢) .

اما ما جاء حول (الباج) فقد قال المرب (الباج ايضاً اعجمي) . تقول : اجعله باجا واحدا ، اي شيئاً واحدا ، واول من تكلم بهذه الكلمة عثمان بن عفان () .

- القول : جاء (الباج) معرباً بمعنىين : الأول الاتواة او المكس ، كما جاء في شفام الفليل ، وفي الانفاظ الفارسية لأدي شير ، وأصله الفارسي (باز) بزاي فارسية ، وهو في المجمع الفارسي (باج) بجيم .

والمعنى الثاني هو الضرب الواحد . قال الجوهري (قولهم اجعل الbagات باجا واحدا اي ضرباً واحداً ولواناً واحداً ، يهمز ولا يهمز ، معرب . وأصله بالفارسية - باما - اي الوان الظلمة ، وأصله عند ادي شير - باما - ايضاً .

وقد جاء في التاج (الباج البان بالتاء) وهو معترف . فالباج هو البان لا البان . فالبيان من السراويلات ما يستر العوراة المثلثة ، وهو بضم التاء وتشديد الباء .

وجاء في التاج بعد ما ذكر (وحكى المطرزي عن الفراء ان العرب تقول : اجعل الأمر باجا واحداً واجمله ببياناً واحداً) . وقد عدت الى نسخة التاج الجديدة المطبوعة في امارة الكويت فالفيت فيها (الباج : البيان) ، وقال محقق التاج (ذكرت في اللسان معرفة : البيان بالتاء ، والصواب كالثبت في الأصل) والقول ما قال .

٧ - القول : فات المحقق ان يتدارك خطأ واضعاً وقع في الأصل . اذ جاء فيه (وبيان عند أبي علي فعلم لا غير ، لأن تركيب الكلمة من حرفين أولى من تركيبها من حرف واحد) والصواب (وبيان عند أبي علي فمئال) لا (فعلم) . ذلك أنه اذا اشتقت (بيان) من حرفين ، وهو الوجه المختار عند أبي علي ، كانت من (بين) والنون أصلية والوزن (فمئال) . والوجه غير المختار أن يشتق من حرف واحد أي من (بب) فتكون النون في (بيان) زائدة والوزن (فعلم) . وقد اعتل لذلك فقال : ان (بب) نادر عزيز وإن باب (بين) ك (ددن) و (لوب) ايسر منه .

٨ - قال المحقق : لعله (كوكب) فكثيراً ما أهل الناسخ رسم عصا الكاف .

- القول : الذي جاء في حواشي مخطوط المعرب (٩٠١٢) هو (ددن و كوكب) وقد اعتاد الآلة أن يمثلوا بهما على مجيء الفاء والعين في الكلمة حرفاً واحداً . ففي المهر (ط ٤٥ هـ ١٣٢٥) : (لا يجوز أن يكون فاء الفعل وعينه حرفاً واحداً في شيء من كلام العرب إلا أن يفصل بينهما فاصل مثل : كوكب و قيقب . فاما بيبة فلقب كانها حكاية . وزعم الغليل أن - ددا - حكاية لصوت اللعب واللهو ، ذكر ذلك ابن درستويه في شرح الفصيح . وقال المزوقي : لم يجيء من ذلك بلا فاصل الا قولهم : دَدَ ، و دَدَنَ) .

- للبحث صلة -

من شعر

الشيخ السيد عبد الحميد الزهراوي

١٩١٦ - ١٨٧١ = ١٢٨٨ - ٥١٣٣٤

جمعها وقدم لها :

عبدالإله نبهان

إن

أشار الشيخ السيد عبد الحميد الزهراوي تعد من تراثنا القومي الأصيل ، لا بعدها الزمني ، ولكن مكانة صاحبها في تاريخنا القومي . وهذه الآثار على قرب الزمن بها ضاع معظمها ، وما لم يضع فهو في حكم النادر ، اذ نشر آنذاك في مجلات وكتب من الصعب الوصول اليها الان أو الاهتمام الى ما فيها . وحيثما لو سمعت لنا الأيام لنشر ما لم ينشر من تراث الشيخ في كتاب يكمل ويتمم ما نشره المجلس الأعلى لرعاية الفنون والأداب بعنوان « الارث الفكري للمصلح الاجتماعي عبد الحميد الزهراوي » (١) وما نشره اليوم في مجلة التراث هو اسهام متواضع في هذا السبيل .

كنا نشرنا في العدد المزدوج ١٥ - ١٦ من مجلة التراث العربي ما عثرنا عليه من شعر الشهيد السيد عبد الحميد الزهراوي ، وأشرنا في تقديمها لتلك القصائد الى أننا وجدنا حواراً شعرياً بين الشهيد وبين شيخه مصطفى الترك - رحمهما الله - وقلت آنذاك : « وأرجو أن أدفعه الى النشر عندما أتمكن من قراءته » وفعلاً فقد تمكنت من قراءته ، ودفعه الى أخي الفاضل الأستاذ خالد الزهراوي (٢) صورة عن نسخة أخرى لهدا الغوار وجدتها في أوراق المرحوم الدكتور مختار بن اسماعيل الزهراوي (٢) . وبمقارنته النسختين حصلنا على نصٍ للمعاودة هو أقرب الى التمام ، ووجدت على ظهر المعاودة أبياتاً للشيخ الزهراوي قرط بها كتاباً للشيخ الترك وأبياتاً أخرى أجابه بها الترك . كما أتيت تذكرت قصيدة للشيخ قالها في رثاء الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده . فجعمت هذا الشعر بعضه الى بعض ليكون امتداداً او اتماماً لما نشرناه سابقاً . وقبل أن أقدم للمعاودة لا بد من التريث قليلاً للتعریف بالشيخ مصطفى الترك لأن كتب التراجم المطبوعة لم تذكر عنه شيئاً فيما أعلم .

□ الشيخ مصطفى الترك :

لم أجده له ترجمة وافية ، كما أنتي لم أعاشر على تاريخ ولادته ولا وفاته ، وقد ترجم له المرحوم عبدالهادي الوفاني^(٤) في كتابه الموسوم بـ «التاريخ العمسي»^(٥) وخلاصة ما ذكره أن الشيخ هو مصطفى بن أحمد الترك ، وأصلهم من أزميد العشب بجوار الأستانة ، وكان والده قد حضر معارباً لابراهيم باشا^(٦) مع عسكر السلطان عبدالمجيد^(٧) ، وبعد خروج ابراهيم باشا سقطن أحد الترك حمص وخلف بها .

وينذكر الوفاني أن الشيخ كان نظاراً مجادلاً ، تبحر في علم الأديان وأخذ يجادل أصحاب الأديان الأخرى ، وكان شاعراً أو شعره على طريقة أهل العقيقة ، وقد أخذ الطريقة على الشيخ علي الشرطى^(٨) . ويبدو أنه قضى حياته في التعليم اذ يفهم من مقدمة العوار وما كتبه الوفاني وما كتب في ترجمة السيد الوراوى^(٩) أن الرجل كانشيخ مكتب يعلم الأولاد مبادئ القراءة والحساب والخط واللغة التركية في (جامع المبلط) .

وكنت منذ سنوات رأيت كتابة^(١٠) قديمة عند الشيخ محمد خرسان^(١١) ، طلبتها منه فأعادنيها ، فوجدت فيها مجموعة لا يأس بهامن شعر الشيخ مصطفى الترك فنسختها ، وما عثرنا عليه من شعره يشير الى أن الشيخ كان من أصحاب العقيقة والطريقة ، وانه كان يسير على نمط شعراء الصوفية في صياغة شعرهم ويستمد أفكاره من كتب الشيخ الأكبر معيي الدين بن عربى^(١٢) ومن مؤلفات الشيخ عبدالفتى النابلسى^(١٣) ، وتراه يشطر آياتاً لرابعة المدوية^(١٤) او للعلاج^(١٥) ويختلس آياتاً لآخرين .. وتتجلى فكراته وحدة الوجود^(١٦) والحقيقة المحمدية^(١٧) واضحتين في شعره على نحو سافر ومن ذلك قوله :

صور تلوح وبعد ذلك تعلم
وحياتكم ما فيه الا انتم
في نكتة المرأة سر معلم
ووجود هنئ الكائنات توهם
ان الوجود وان تعلمه ظاهرًا
نادى به المعنى الذي هو واحد
انتم حقيقة كل موجود بما
قد أغربت ما ثم غير وجودكم
وقوله مشطراً أبيات أحدهم :

فكل مليح من سناء سطور
وناهيك ، طول المدح فيه قصور
لأعياننا فيض الوجود يغير
عليه جميع الكائنات تدبر
وما مصدر الاشياء الا محمد
تطاول بالاعجاز مدح جنابه
بدائرة التكوين نور جماله
وفي حضرة الامكان جمع مقامه

يحصل لدينا ان الشيخ مصطفى كان شيئاً متصوفاً يحصل على معيشته من تعليم الناشئة ، ويدل شعره الذي عثرنا على بعضه على أن له باعاً في التنظم على طريقة أهل التصوف ، وفي هذا ما يلقي ضوءاً على المعاورة التي سيرد ذكرها .

القصيدة رقم (١)

□ المعاورة :

جرت المعاورة الشعرية (كتابة) بين الشيخ الزهراوي وعمره آنذاك خواли عشرة عاماً^(١٨) وبين شيخه الترك ، وتدور أنماكزها حول قضايا فلسفية و تعالج من وجهة نظر صوفية : الوجود ، العقيقة المطلقة ، العقائق الكهفية ، المقارنة بين الوجود الراثل والخلود الدائم ، عالم الظواهر و عالم البواطن . وعلى الرغم من روعة هذه الموضوعات فإن أسلوب الشيغرين في طرقها كان مقيداً بقيود العصر مصايب بعله ، ولا أحب أن استفيض في حديث نقدى عن الركاكة وأسبابها وعللها لذ لك مقام بقال ، ويكفى هنا أن أقدم المعاورة وقد ذيلت بشرح بعض الفاغلها الاصطلاحية بقلم ناظميه .

□ نسختا المعاورة :

أ - النسخة الأولى : وهي نسخة كتبت بالقلم الرصاص واهرات مواضع منها ، وقد عثرت عليها بين أوراق الشيخ أحمد نبهان^(١٩) ، وذكر ناسخها في آخرها أنها نقلت عن نسخة بقلم ناظميه كما أثبتنا ذلك في آخرها وقد كتب على ظهرها أبيات أخرى للشيخ الزهراوى قرط بها كتاباً لشيخه الترك مع جواب الترك على تقريره لتلميذه .

ب - النسخة الثانية :

كتبت في ٢٢ تموز سنة ١٩٢٨ ، كتبها عبد الرحمن ؟ ولم تشتمل على شرح الاصطلاحات التي اشتغلت عليها النسخة الأولى ، وخطها واضح مقروء اعتراها نقص في بعض جوانبها .

وقد تمت النسختان احداهما الأخرى وان كانت الأولى أوجد وأكمل .

القصيدة رقم (٢)

وهي مقطوعة شعرية قرط بها الشيخ الزهراوى كتاباً لشيخه الترك ، وأسلوب التقرير كان متعارفاً عليه تلك الأيام وشائعاً في مجلات ذلك العصر وصحفه وكتبه . وقد أعجب الشيخ الترك بتقرير السيد الزهراوى لكتابه فأجابه مادحاً اياه على وزن أبياته ورويها .

القصيدة رقم (٢)

وهي القصيدة التي أرسلها إلى صديقه العلامة محمد رشيد رضا^(٢٠) للتعمية بالأستاذ الإمام محمد عبد^(٢١) ، وقدم لها برسالة عبر فيها عن بالغ حزنه ، وقد فصل السيد محمد رشيد رضا بين الرسالة والقصيدة في الجزء الثالث من تاريخ الأستاذ الإمام^(٢٢)، فنشر القصيدة في باب الشعر ، وجعل الرسالة المشفرة بها القصيدة في باب النثر ، فجمعنا شملها لأن السيد الزهراوى كان كتبهما معاً . وتجلّى قيمة هذه القصيدة في كونها تتفسع

عن توجهات السيد الزهراوي الاصلاحية ، وتظهر روابطه السياسية بمدرسة الاصلاح بمصر ، كما تعبّر عن تذمّره وشعوره بالارارة من الاستبداد الضارب أطنابه آنذاك ، حتى أن كثيراً من الرسائل والقصائد التي أرسلها أصحابها من سوريا للتعرية بالأستاذ الامام نشرت بتوقيع رمزي بالاحرف الأولى خوفاً من بطش العثمانيين ، وهذا هو السبب الذي جعل السيد الزهراوي في تقادمه للقصيدة يذكر قضية التوقيع ويجد أن تنشر بتوقيعه الصحيح .

واليك النصوص كما وجدناها بمقدماتها التي كتبها ناسخوها :

القصيدة رقم (١) :

هذه معاورة شعرية جرت بين العالمين الفاضلين الشيخ مصطفى الترك والسيد عبدالحميد أفندي الزهراوي رحمهما الله وطيب ثراهما .

ان أسباب هذه المعاورة الشعرية وهوأن أخا الى السيد عبدالحميد أفندي اسمه « رضا » كان في المكتب عند الأستاذ الشيخ مصطفى الترك يدرس القراءة والكتابة وذلك سنة ١٣٠٩ هجرية وقد رأى في بعض الأيام ورقة بيده مكتوب فيها ثلاثة أبيات فقرأها وقال له : من أين لك هذه الأبيات ؟ اجاب : ان أخي عبدالحميد نظمها وكتبها لي وهذه هي :

ما دام عسّكراً للارض منبسطا
كف السما بالقطر مثل غطا
واسمع غناء هزار الروض منبسطا

وما لـ الطير للأسماع قد بسطا ؟
نور الوجود الذي في العقل ما انقضطـا

جل الذي صبغ الأزهار رب عطا
للذات بالذات في مثل التي ارتبطـا
ما ثم الا الثنا للحق اذ شرطـا

عنه ستور وعنـه زال كشف غطا
من برج مظهره فارتاج وانبسطـا

١ - بالطيب دولة هذا الروض قائمة
٢ - للزهـر دبـيـاجة خـضـراء طـرـزـهـما
٣ - فامرـج بـرـج بـسـاط الدـوـحـ في طـربـ

فأجابـهـ الأـسـتـاذـ الشـيـخـ مـصـطـفـيـ مـعـاوـرـاـ:
٤ - ذـاـ نـزـهـةـ التـفـسـ فيـمـاـ الطـيـنـ اـنـبـتـهـ
٥ - وـنـزـهـةـ الرـوـحـ قـرـبـ العـبـ يـكـشـفـهـ
فأـجـابـهـ السـيـدـ عـبـدـالـحـمـيدـ مـعـاوـرـاـ:

٦ - أـمـاـ العـقـولـ فـثـمـ الصـنـعـ مـلـمـحـهـاـ
٧ - حـقـقـ تـرـىـ غـاـيـةـ الـمـوـجـودـ مـعـرـفـةـ
٨ - هـلـ ثـمـ غـيـرـ السـنـاـ بـانـتـ مـظـاهـرـهـ
فـأـجـابـهـ الأـسـتـاذـ الشـيـخـ مـصـطـفـيـ مـعـاوـرـاـ:

٩ - العـقـلـ شـتـىـ فـمـنـهـ جـوـهـرـ رـفـعـتـ
١٠ - فـهـوـ الـنـيـ فيـهـ شـمـسـ الـعـقـ طـالـعـةـ

تلك الوجود بعـقـ من يـقـلـ غـلـطاـ
والـتـشـفـ لـيـسـ بـدـرـكـ فـاحـذـرـ الغـلـطاـ
فـواـهـ حـيـتـ غـداـ بـالـتـونـ مـرـتـبـطاـ
طـاحـ الدـلـيلـ نـرـىـ المـدـلـولـ قـدـ سـقـطاـ
لـلـذـاتـ بـالـذـاتـ فـيـ مـثـلـ التـيـ اـرـتـبـطاـ
حـتـىـ أـدـوـنـ لـهـ سـمـعـاـ كـذـاكـ خـطاـ
مـنـهـ الـوـجـودـ الـذـيـ لـلـعـقـلـ فـدـ ضـبـطاـ
مـنـ سـارـ عـنـ عـقـلـهـ بـالـعـبـ مـرـتـبـطاـ
وـالـأـمـرـ حـقـ وـخـلـقـ كـيـفـماـ اـخـتـلـطاـ
قـدـ قـالـ قـوـلاـ سـدـيـدـاـ لـمـ يـكـنـ شـطـطاـ
مـاـ ثـمـ إـلـاـ الثـنـاـ لـلـعـقـ اـذـ شـرـطاـ
كـمـلـ بـرـقـ وـعـنـهـ الـكـلـ قـدـ هـبـطاـ

نـعـنـيـ السـوـىـ غـيرـهـ ،ـ تـاـ لـهـ ذـاكـ خـطاـ
وـمـنـ رـاهـاـ كـيـفـماـ اـشـتـرـطاـ
إـمـاـ الـمـقـامـ فـكـلـ فـيـ الـبـهـاـ اـغـبـطاـ(٢٣)
وـقـتـ اـجـتـلـامـ تـجـلـيـ الـعـقـ فـيـضـ عـطاـ
إـيـاـكـ تـقـصـدـ وـالـأـسـرـارـ ذاتـ مـطـاـ
وـقـدـ رـقـيـ منـ بـنـيـ منـ فـوـقـهاـ خـطاـ
لـكـنـ أـحـسـنـهـ مـنـ قـالـ اـذـ شـرـطاـ
مـنـهـ الـوـجـودـ الـذـيـ لـلـعـقـلـ قـدـ ضـبـطاـ
مـنـ سـارـ عـنـ عـقـلـهـ بـالـعـبـ مـرـتـبـطاـ

تـزـرـيـ بـغـوـدـ تـحـلـتـ لـلـبـهـاـ قـرـطاـ
إـلـاـ لـكـونـ خـفـاءـ الـعـقـ مـغـبـطاـ

- ١١ - وما أردنا شؤونا بالوجود ولا
 - ١٢ - ولا عيننا بهذا الكشف درك جعا
 - ١٣ - ومنه فعل بغير النفس قد علقت
 - ١٤ - حتى راه دليلا للوجود فان
 - ١٥ - « حق ترى غاية الموجود معرفة
 - ١٦ - قد صح عندي ولكن قد آتى خبر
 - ١٧ - لا بد من غيبة في العب آخنة
 - ١٨ - ورجعة بعدها للصنع يعرفها
 - ١٩ - جمع وفرق غدا في عين مشهد
 - ٢٠ - ذاك الذي قلبه عن سر باطن
 - ٢١ - « هل ثم غير السنـاـ بـانـتـ مـظـاهـرـهـ
 - ٢٢ - أعني بما ليس إلا الأمر تلمحـهـ
- فأجابه السيد عبد الحميد :

- ٢٣ - نـعـمـ نـمـجـدـهـ بـاسـمـ الـبـطـونـ وـهـلـ
 - ٢٤ - هـذـاـ الـوـجـودـ شـؤـونـ فـيـ الـورـىـ بـعـنـتـ
 - ٢٥ - أـمـاـ الـمـعـبـونـ فـالـأـحـوـالـ وـاحـدةـ
 - ٢٦ - وبـالـمـقـامـ غـدتـ شـتـىـ مـوـاقـفـهـمـ
 - ٢٧ - وـاـنـتـاـ لـعـلـىـ مـعـراجـ تـلـبـيـةـ
 - ٢٨ - وـتـلـكـمـ درـجـاتـ طـالـماـ صـعـلتـ
 - ٢٩ - بـالـقـرـبـ وـالـقـوـمـ شـتـىـ فـيـ مـشـارـبـهـمـ
 - ٣٠ - « لا بد من غيبة في العب آخنةـ
 - ٣١ - وـرـجـعـةـ بـعـدـهـاـ للـصـنـعـ يـعـرـفـهـاـ
- فأجابه الشيخ مصطفى :

- ٣٢ - يا حسن بهجة ما قد صفت من درر
- ٣٣ - حمدـتـهـ لـبـطـونـ صـحـ ذـاكـ وـهـلـ

عن أمر خالقها غضلا فنعم عطا
لما على شبكة الأشباح قد سقطا
معاهد الروح واعتراض الصواب خطأ
وحبة العب من فج الهوى التقطا
مرأة حق توشت حسنها نقطا
أهل الهدایة ما خلنا بهم شططا
ترى المعالي أنت سعيًا بغير خطأ
ولا رأيت لسعى رمتا فرطا

- ٣٤- أضحي لساناً لروح في الورى نفعت
- ٣٥- ان السوى كله دعوى الوجود . لـ
- ٣٦- وصار يرتع في المحسوس واحتجبت
- ٣٧- فان ذكى برجوع نعو موطنـه
- ٣٨- أضحي لنور جمال العـقـ مظـهـرـه
- ٣٩- هذا لنا كان فـتـعاـ عنـ آمـنـتـاـ
- ٤٠- لـوـحـتـ بالـعـقـ أـبـقـاكـ الـلـهـ فـتـىـ
- ٤١- وـبـتـ تـشـرـبـ أـقـدـاحـ الصـفـاـ جـرـعاـ

فاجابه السيد عبدالحميد :

وواردات مقاصـ الرـشدـ اذـ بـسـطـاـ
قدـ خـطـ فيـ صـحـفـ لـلـصـفـحـ سـطـرـ غـطاـ
فـمـثـلـهـ قـدـ تـرـاعـيـ وـصـفـ منـ هـبـطاـ
وـمـثـلـهاـ يـسـعـ التـقـصـيرـ ماـ ضـبـطاـ
الـمـ تـرـ الدـرـ منـ أـعـماـقـ التـقطـاـ
قدـ جـمـدـتـهـ نـسـيمـ الرـوـحـ فـالـتـقطـاـ
مـنـهـ إـلـيـهـ بـهـ ذـاكـ المـفـيضـ عـطاـ
مسـافـرـ العـقـلـ فـيـ اـدـرـاكـهـ خـبـطاـ
وـمـنـ رـأـيـ تـرـجمـانـ العـيـنـ قـدـ لـقـطاـ
نـعـمـ الـبـقاـ بـحـضـورـ وـاـذـكـرـ الـبـسـطـاـ
الـمـصـطـفـيـ لـجـالـ تـفـرـشـ الـبـسـطـاـ
مـنـ كـانـ فـيـ عـلـمـ حـقـ أـمـةـ وـسـطاـ

- ٤٢- بشـرـىـ وـلـاـ نـفـتـ أـورـادـ هـدـيـكـمـ
- ٤٣- حـسـبـ العـقـيرـ كـنـوزـ مـنـ رـضاـ سـنـدـ
- ٤٤- وـاـذـ عـلـاـ نـسـورـهـ مـرـأـةـ خـاطـرـهـ
- ٤٥- اوـ أـنـ زـاوـيـةـ الـاـفـضـالـ قـدـ فـرـجـتـ
- ٤٦- وـتـلـكـ زـاوـيـةـ فـيـ بـعـرـ مـعـدـنـهـ
- ٤٧- قـطـرـ هـمـيـ منـ سـماـ تـلـكـ الـمـعـارـفـ قـلـ
- ٤٨- وـأـصـلـهـ قـبـضةـ مـنـ سـحبـ مـعـرـفةـةـ
- ٤٩- عـيـارـةـ الـكـنـهـ قـدـ جـلـتـ مـدارـكـهـاـ
- ٥٠- وـجـملـةـ الـفـهـمـ لـلـحـسـنـىـ مـفـذـلـكـةـ
- ٥١- أـوـلـثـكـ الشـهـداـ عـقـبـيـ مـجاـهـدـةـ
- ٥٢- أـجـلـهـمـ عـدـمـ الـأـشـيـاخـ عـارـفـهـمـ
- ٥٣- الـعـارـفـ الـغـارـفـ الـعـرـفـانـ مـنـ مـنـ

انتهت هذه المعاورة الشعرية أبيات (٥٣) نقلـاـ عنـ نـسـخـةـ بـقـلمـ نـاظـمـيـهاـ رـحـمـهاـ
اـهـ وـطـبـ ثـرـاهـماـ .

بـشـرـىـ = دـعـاؤـكـمـ . يـسـعـ التـقـصـيرـ = حالـ كـونـهـ . قـطـرـ = هوـ الدـرـ . خـبـطاـ = ولـمـ
يـصلـ . لـلـحـسـنـىـ = الـأـسـاءـ . مـفـذـلـكـةـ : بـدـونـ اـكـتـنـاهـ بـدـوـ شـؤـونـهـاـ . تـرـجمـانـ العـيـنـ = الـيـقـينـ

لقطا نقطة الصواب . البسطا = جمع بسيط أي المساح متهلل الوجه . البسطا = جمع بساط المعروف والمراد مجال التجليلات وهي ارادة ذلك .

انتهى هذا الشرح نقلًا عن قلم الناظم السيد عبدالعميد رحمة الله . واليك أيضًا ما كتبه نقلًا عن قلمه إلى الأستاذ مصطفى الترك يطلب منه بعض أبيات من هذه المعاورة الشعرية ليسخها عنده :

سيدي ، أحسنا الي بارسال الأبيات التي قدمتم اول امس حيث لانظيرها منسوخ عندي لأنني كتبتها ابتداء ، وصرت منتونا بالتقاط درركم ، فانا جدير بان انظمها في عقد الجمع وبوجه التبعية والمناسبة أثبت ما كتبته أيضًا حرصاً على اكتناف لآلهم حقائقياتكم وأطال الله بتناكم .

القصيدة رقم (٢)

ان الأستاذ الشيخ مصطفى الترك قد ألف رسالة وسماها « سيف الانتصار على مدعى العبر بالأقدار » ولما اطلع عليها السيد الفاضل عبدالعميد أفندي الزهراوي قرظها له بخمسة أبيات وذلك في ٢٥ ذي القعدة سنة ١٣٠٩ هـ . وهذه هي الأبيات :

وتبت يدا سمع رمي السمح بالعيف
بمدح ذكي المجد ذي السبق والنيف
مبين صحيح التقش من علة الزييف
يؤلفه في رد أوهام ذي الطيف
يفرق شمل العبر سمّاه بالسيف

١ - اذا جاء نصر الله والفتح بالسيف
فسبّح بحمد الله ربك واسبعن
أبو الرشد والإرشاد في العصر مصطفى
فدونك دراً في النظام وجهرًا
لإلاف دين العق الفه واد

ب - فأجابه الشيخ مصطفى رحمة الله :

اتتنا لتقريره هي الورد بالقطف
بتورية الآيات من شدة اللطف
ومن شاوها مسبقاً تناصرها كفّي
مزاياكم والفضل بين الورى كفّي (١)
وما زلت بالرحمن ترقى مع الصف

خيايا زوايا من قريعة ماجد
ارتنا معينا الاقتباس مقتعاً
معاليك يا عبدالعميد تعاظلت
قصاري ثنائي ان تعرضت مادحا
فسبعان من آواك كهفا من التقى

انتهى نقلًا عن قلم الناظم الشيخ مصطفى الترك طيب الله ثراه (كفي) هكذا وجدتها
ينخط الناظم رحمة الله (٣٤) .

القصيدة رقم (٣)

أ - الرسالة -

وكتب العالم الفطحي والكاتب البلجيقي السيد الشيخ عبدالحميد الزهراوي من حمص
إلى جامع الكتاب (٢٠) .

عن حمص في ٣ جمادى الثانية ١٣٢٢

إلى الولي العجمي الرشيد العظيم

انا والعزن يساورنا لفدي دائرة ضيقه، اذا لستا الروح فيها لم نك نحسه ، فكن لي
عاذرا اذا رأيتني قطعت هذه الرسالة المرقومة لأن سببها من القلب والفكر والقلم ، وحالة
البريد مقطوع ، وطم هذا السيل اذ فاجاتناتك الفاجعة العظيم .

فاجعة لا أجد فيها قولا ، ولا أجد فيها من الهلع حولا ، فمن كلفني البيان فيه
كلفني ما لا أطيق ، ولن يجد لدى لطاعته سبيلا . كنا والامام يغيب على الدنيا ساطع
أنواره في فسحة من الأمل بانتشار الاصلاح الذي نشته ، وفي عزاء عن ضيق دائرتنا
بسعة سلطانه ، فما حال رجائنا وقد طارت تلك الروح القدسية الى عالمها الأستنى ؟

نعم ان في قيام الولي الرشيد في هذالأمر لعزاء من كان نظره شاخصا الى الأرواح
دون الأشباح . ولكن ذلك لا يدفع عن الولي . أطال الله بقاءه - ولا عن سائر الأخوان
آلم هذا الفقيد العظيم ، وحسرة هذا الفراق الأليم ، وما حال معب كان يرجو أن يرى
طلعة ذلك العبيب الكريم عما قريب فحال بينهما برزخ المثون ؟ قد واه ملئ العيشنا
حزنا وان كنت من الصابرين . وأتي لالتقت يمينا وشمالي فلا أجد الا من هو العبد ان
تعزيه بهذه الخطب . ولكن كيف يعزي الصابر مصابا . سامعني - حفظك الله - ببطائي
عن تعزيتك فعندي مثل ما عندك في هذالأمر ، وأنا أخوك في السراء والضراء ،
وأخوان آخران هنا لكم وارثان معنا هذالأسف ، ومحافظان على آثار هذا السلف ،
عنيت بهما الرفيق الكريم والمصدق العظيم (٢٦) ، ولقد تشابه علي الأمر ، فان أدرى
أبدا بتعزيتها لم يباركة هذالاخاء ، وتعبيده هذاللقاء ، أم بتعزية نفسى لأندبي
سهمين اليين : العام بفقد الامام ، والخاص ببعدي عنكم أيها الأولياء وتعود هذا الرجاء ،
أم بتعزية العموم أصابهم من ذلك السهم العام . لأتركت هذا كله الاون فالبيان لا يواتيني
اليوم ، وأبدأ بأمر واحد غير هذين ، ذلك استمرار الشوق ، ولكن العائق ترى وتحن
اليوم في حال حرج كما أسلفت بيانه ، ولكننا نزل في موقفنا من الصبر والأنابة والثبات
حتى يفل جيش هданا جيش ضلالهم ، وانسمع الصابرين .

هذا وقد رأيت من الواجبات أن أعلن الأسف لفقد الامام ، لما مثل ذلك من الفوائد
المائدة لللحاء ، ولما أن ذلك بعض ما يجب في مكافأة الاحسان فعمدت الى موجيات الشعر ،

وأخذت نصيبي من لدنها كلمات تدل على ما أحس به ، فان لم ترزق رونق الصيحة الشعرية كغيرها فقد أغناها الله بسلامة الضمير الذي أملأها وأعادها من كلف تلك الرينة التي لا محل لها في هذا المقام . فان رأى الولي رأيه في اضافتها لغيرها (من المقبولات التي سينشرها في دفتر خاص) فذاك والافرادي الأولى والأعلى ، ولذلك التغويض بما ترى الأصلح في أمر التوقيع رمزاً أو تصريحاً، ولا رأى لي معك في هذا ، ولكن لي أن أقول ان التصريح أقرب نفعاً في اباء الفضم الذي يسومنا ايام آناس لم يربعوا فيما معنى الإنسانية ، ولا أخشى في اباء الفضم من مناقشات العساب ، ولا أرجو في معاداة الآثرة الا دار السلام . اللهم ارزقنا السلام وسلم وبارك على الاخوان الكرام(٢٧) .

ب - القصيدة :

وقال العالم الفاضل والكاتب الاجتماعي السيد الشيخ عبدالحميد الزهراوي من علماء حمص (سوريا) (٢٨) .

- ١ - نعى البرق شمس العصر فاستحوذت ظلما
- ٢ - توادى بعجب الفيب عنا محمد
- ٣ - وآب يوافي الحق في القدس (عليه)
- ٤ - وكان بهنئي الأرض مفردها الذي
- ٥ - فياليت شعرى كيف يهدأ روعها
- ٦ - لقد ذاد منه الروح عن فتن هنا
- ٧ - فما هو الا في معارج بهجة
- ٨ - وما نحن واجدون لفقد
- ٩ - فنذكره فرحي لرفعة شأنه
- ١٠ - ونذكره كي نستضيء بعلمه

★ ★

سناؤك باق بيننا يكشف الظلماء
نواك ، وكنا نرتبعيزيد والإنما
نظمت بها الأقوام في ذا الهوى نظمها
وفي الهند والأتراك راج لك الدوما
لها أجل يثنى الظهور اذا حمتا

١١ - محمد لا ناسي لفقد سناك بل
ولكنها الآمال بت عرى لها
١٢ - ودوله جمع بعد فرق اقتتها
١٣ - فكان بمصر والشام وفارس
١٤ - ولكن لأنواع الظهور مراتب

لنا بلحظى الانكاد واستسهلاوا الائما
تري نشر هذا النور مفروضها العتما
لأنك لم تجعل العنادس للدھما
تري اثر النصخ الذي ينهض العزما
ونورك ما يطفأ ونهجك ما يعمى

- ١٦ - محمد لا نقلی وان قومنا قلوا
- ١٧ - لغفت نور الشرق خير عصابة
- ١٨ - فلبیک لا تاسف وهدیک بیننا
- ١٩ - ورحمک اشرف من علاک عساک ان
- ٢٠ - وتهنا اذ ییدو لك الفرس مشمرا

★ ★ ★

لتبریء باسم الفاطر العمی والصماء
ويسمع منه من تخبطهم صمتاً
منار الهدی والحق في دامس عما
حماه لهنئي الدار تستنزل النعمى
تعاظم بهاء ، طب مجالی ، طب بسمما

- ٢١ - محمد روح انت من امر ربنا
- ٢٢ - ليصر من اعمته اوهام من خلوا
- ٢٣ - اتيت فاديت الامانة رافعا
- ٢٤ - ورحت الى القدس الذي قد نزلتمن
- ٢٥ - هنالك زد مجدنا ، تبارك مسرا

★ ★ ★

له مهجة في حبكم تنكر اللوما
واعظم به رزءاً واكبر به خطما
لحضرة قلس عندها قدرك الأسمى
بنبي الشمس أما صادفت في الضحى غيمما
علينا وهبنا كلنا رحمى

- ٢٦ - امام الہلی هذا وداع مجع
- ٢٧ - تذكر فيه النفس يوم مصابها
- ٢٨ - وترفع فيه عهدها بمحبة
- ٢٩ - وقد تاتسي ذي النفس والصعب كلهم
- ٣٠ - فبارك والق الصبر رب محمد

★ ★ ★

□ التعليقات :

- ١ - نشر في دمشق عام ١٢٨٣ هـ - ١٩٦٣ م بجمع وتحقيق الدكتور جودة الركابي والدكتور جميل سلطان .
- ٢ - انظر مجلة التراث ، العدد ١٥ - ١٦ من ١٨٤ - ١٨٥ - التعليق رقم ٣ .
- ٣ - الدكتور مختار بن اسماعيل الزهراوي ، طبيب ناظمي ولد وتوفي في حمص ١٩٢٧ - ١٩٨٣ .
- ٤ - عبدالهادي بن عمر الوطاني ١٨٤٣ - ١٩٠٩ له مسرحيات « روايات تمثيلية » نتمها بعد ان تلمذ على الروحوم ابي خليل القباني . له كتاب سماه « التاريخ العمسي » لا يزال مخطوطاً ، وتنوي اخراجه بالتعاون مع الاستاذ د.الباجي الباجي - انظر اعلام الادب والنفن للمرحوم ادhem الجندي ١ : ٤٢ .
- ٥ - اوج فيه لعاماريه بالأسلوب عامي واتسع في ترجمة ابرز رجال التصوف في عهده وذكر اهم المنشآت المعمارية التي قام بها عبد الحميد الدسوقي .
- ٦ - ابراهيم ياشا بن محمد على ياشا ١٧٩٠ - ١٨٤٨قاد حملة على سوريا سنة ١٢٤٧ هـ - ١٨٣٢ م فاستول على عكّة ودمشق وحمص وحلب ، وهزم جيشاً عثمانياً في الاسكندرية . وفي سنة ١٢٥٤ هـ - ١٨١٩ م توفي السلطان عبد الحميد فاتفق مع الاتكليل على اخراج ابراهيم من سوريا ، فانتهى الامر بغير وجه وعدوه الى مصر ١٢٥٦ هـ .
- ٧ - انظر الاعلام للزرکلی ١ : ٦٦ - ٣ .

- ٧ - عبدالمجيد الأول بن محمود ولد عام ١٢٣٧ هـ - ١٨٢١ م وتولى السلطنة وما يبلغ الثامنة عشرة عام ١٢٥٥ هـ - ١٨٣٩
- ٨ - على نور الدين البشرطي ، العسقني نسبة واصلاً ، الشاذلي طريقة وشربا ، ولد عام ١٢٠٨ هـ - ١٧٩٣ م في مدينة بنزرت في تونس وتوفي في مكنا ١٣٦٦ هـ - ١٨٩٨ م ودفن في ذاويته هناك . انظر كتاب « حلة الى الحق » تأليف فاطمة البشرطية الحسنية - مطبعة دار الكتب - بيروت بلا تاريخ . وفي هذا الكتاب ذكر اسم الشيخ مصطفى الترك من ٣٥١ بوصفة من اتباع الشيخ علي .
- ٩ - في ترجمتها التي نشرها الشیخ احمد نبهان في المناجم الجلد ٢١ ذكر ان الزهراوي « لما اتم السادسة من عمره وضمه والده في الكتب فتعلم القراءة والتاتبعة والحساب واللغة التركية على يد شیخه الشیخ مصطفى الترك » م ١٥٠ ص ٢١
- ١٠ - الكناش : قال الزيدي في الناج « كنش » : « ومنه الكناش لأوراق تعجل كالدفتر يقيد فيها الفواكه والشوارد للضبط ، هكذا يستعمله المغاربة »
- ١١ - محمد خرسان : مقتقه على مذهب ابي حنيفة والشاري ، لا يزال حيا .
- ١٢ - معين الدين بن عربى ، محمد بن علي بن محمد ، ابو بكر العالمى الطائى الاندلسى ٥٦٠ - ٦٣٨ هـ = ١١٦٥ - ١٢٤٠ م . انظر الاعلام ٧ : ١٧ - ٣ ط ٦٣٨ هـ
- ١٣ - عبدالفتى بن اسماعيل النابلىي ١٠٠٠ - ١١٤٣ هـ - ١٦٤١ م . انظر الاعلام ٤ : ١٥٨ - ٣ ط ٣
- ١٤ - رابعة العلوية ت ١٣٥ هـ - ٧٥٢ م . انظر الاعلام ٣ : ٣٦
- ١٥ - الحسين بن منصور العلاج قتل سنة ٣٩٠ هـ = ١٩٢٩ م . انظر الاعلام ٢ : ٢٨٥ - ٣ ط ٣
- ١٦ - اقر في وحدة الوجود ما كتبه الدكتور زكي مبارك في كتابه التصوف الاسلامي ١٥٨ : ١٥٤ وما بعدها ط مصر ١٩٦٦ وما كتبه الدكتور زكي مبارك في كتابه التصوف الاسلامي ١٥٨ : ١٥٤ وما بعدها ط مصر ١٩٦٦ وما كتبه الشیخ عبدالفتى النابلىي في ایضاح المقصود من وحدة الوجود - مطبعة العلم - دمشق ١٣٨٩ - ١٩٦٩ عرض وتحقيق عزة حصرية .
- ١٧ - انظر بشان الحقيقة المحمدية ما كتبه الدكتور زكي مبارك في كتابه التصوف الاسلامي ١ : ٣٦٦ وما بعدها والنظر شرح المقصود العكم لميد الرزاق القاشانى من ٣٣٦ مكتبة جرجس عاصي ، فلس حكمة فردية في كلمة محمدية . ط مصر ١٩٦٦ .
- ١٨ - لأن ولادته كانت عام ١٢٨٨ هـ والمعاروة جرت عام ١٣٠٩ هـ
- ١٩ - انظر العدد المزدوج من مجلة التراث ١٥ - ١٦ من ١٨٤ .
- ٢٠ - محمد رشيد رضا بن علي ، تلذيد الاستاذ الاسم ومؤسس المدار انظر مجمع المؤلفين ٩ : ٣١٠ - ٣١١ والاعلام ٦
- ٢١ - ط ٣ ولد السيد محمد رشيد رضا في القلون ١٢٨٢ هـ - ١٨٦٥ م وتوفي في مصر ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م . محمد عبده بن حسن غير انه ١٣٦٦ هـ - ١٨٤٩ م . انظر الاعلام ٧ : ١٣١ - ٣ ط ١٨٤٩ هـ - ١٩٠٥ م
- ٢٢ - وانظر الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام تاليف محمد رشيد رضا .
- ٢٣ - صرف السيد محمد رشيد رضا كتابه تاريخ الاستاذ الامام في ثلاثة مجلدات ، الاول يشتمل على سيرة الاستاذ الامام تامة ويقع في ١٠٠٠ صفحة طبع في مطباع المدار مصر ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م والثانى يشتمل على مقالات الاستاذ الامام وبعض رسائله وطبع عام ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٤ م والثالث يشتمل على ما تألف في الاستاذ الامام من المقالى وطبع عام ١٣٤٤ هـ
- ٢٤ - في نسخة المرحوم مختار الزهراوى : ارتبطا
- ٢٥ - بيدو ان الناسخ (عبد الرحمن) لم تتجه له قراءة البيت ، وتوجيه القراءة على النحو التالي : قصاري ثنانى كفى على المبتدا والظير .
- ٢٦ - المقصود به الشیخ السيد محمد رشيد رضا جامع الجزء الثالث من تاريخ الاستاذ الامام وهو المقصود ايضا بقوله : الاول العجمى الرشید الحکیم .
- ٢٧ - افطن انه يريد بهما صدقیه الشیخ احمد نبهان وظالد الحکیم .
- ٢٨ - تاريخ الاستاذ الامام ٣ : ٢٨٨ .
- ٢٩ - تاريخ الاستاذ الامام ٣ : ٣٩١ .

أحمد أبو خليل القباني الموسيلي

جبرائيل سعادة

يستعمل الباحثون الأجانب عادة ، في عنوانين مؤلفاتهم ، عبارة « المدخل إلى دراسة » أو « مواد لدراسة » موضوع معين عندهما يعتبرون أن مؤلفهم لا يشكل بعثاً نهائياً . ومقالنا هذا ليس إلا مجرد تقديم مواد للدراسة الشاملة التي يجب أن تتناول يوماً أهداً خليل القباني من الناحية الموسيقية .

كتب ونشر الكثير عن حياته ونتاجه الأدبي والسرحي^(١) وكلها أبعاث لا تقدم إلا عرضاً ، بعض المعلومات عن انتاجه الموسيقي . فما هي المصادر التي يمكن أن نعتمد عليها عندما نحاول معرفة هذا الانتاج ؟ .. هناك كتاب يتضمن أكثر من ألف عنوان لمؤلفات ومقالات عن موسيقاً وأوضاع بمناسبة المؤتمر الدولي للموسيقى العربي المنعقد في بغداد عام ١٩٦٤^(٢) ، فإذا عدنا إليه نجده يذكر أبعاثاً عن كبار الملحنين والمطربين أمثال محمد عثمان وعبدة الحمولي وسلامة حجازي وسيد درويش ودادود حسني ولا نرى عنواناً واحداً يحمل اسم أحمد أبي خليل القباني . نستطيع أن نقول إنه لا يوجد حتى الآن مؤلف أو بحث خاص بالقباني كموسيقي . فعلينا إذا أن نستقمي معلوماتنا من مؤلفات عامة تتناوله في أحدها صورها . إن الموسقار المصري محمد كامل الغلبي هو أول من أشار إلى القباني كملحن وذلك في كتاب^(٣) نجد فيه تعليلاً لشخصيته الفنية وكلمات عدد من موشحاته^(٤) . أما دارم الجندي الذي يعطيانا معلومات وافية ودقيقة عن حياته ونشاطه المسرحي فيقدم معلومات سريعة عن مؤلفاته الموسيقية^(٥) كما يشير إلى نشاطه الموسيقي كل من عدنان بن ذريل^(٦) وأحمد الجندي^(٧) . ومن بين المصادر التي لجأنا إليها نذكر تلك المجموعات التي تتضمن تنويعاً آلي تدويناً موسيقياً لم عدد من المنشعات العائدة لتراثنا العربي^(٨) .

نستهل بحثنا بلمحة موجزة جداً عن حياة القباني لأنها رويت مفصلاً أكثر من مرة كما أن التناقضات الموجودة حولها في المراجع المختلفة لا تهم مباشرة الموضوع الذي نعالج في هذا المقال .

نبذة عن حياته :

ولد أحمد أبو خليل القباني في دمشق، في حي باب سريجة سنة ١٨٣٣^(١) وهو ينحدر من أسرة كانت في الأصل تسكن مدينة قونية في وسط تركيا وهاجرت متذكرة أكثر من قرنين ونصف إلى دمشق واستوطنت فيها . تعلم القراءة في أحد الكتابيب ومنه انتقل إلى مدرسة ابتدائية ثم صار يحضر حلقات الدروس في المساجد والبيوت . ولما شب احتراف مهنة القبان مثل والده وأهله وهذه المهنة هي سبب الكنية التي اشتهرت بها الأسرة .

ظهر ميله للموسيقى منذ صفراه وفيما بعد انصرف إلى تلحين الموشحات والمعروفة أنه تعلم فنها وأصول رقص السماح على يد الموسيقي العلبي أحمد عقيل^(٢) كما أحب ونظم الشعر وبنوع خاص الأزجال للاغاني الشعبية التي أخذ يقوم بتلحينها ، ثم أولع بالتمثيل . فالف مع بعض أصدقائه فرقه تمثيلية وكان يدرِّبهم في منزل جده ويقدم فيه الروايات أو في بيت آخر . وفي عام ١٨٧٨ أصبح مدحت باشا والياً على دمشق فلما سمع بما يقوم به القباني في مجال التمثيل استدعاه ونصح عن هذا اللقاء انه أوعز للبلدية لاعطائه مبلغ تسميمية ليرة عثمانية كي يتنسى له انشاء مسرح .

عندما أصبح لدى القباني ما يكفيه من المال استاجر مكاناً فسيحاً في حي باب توما وأقام مسرحه في وسطه . فما بسبعت الجماهير تقبل إليه لمشاهدة الروايات . وصار القباني يكتب المسرحيات ثم أخذ يدخل فيها العانات تشديداً أثناء التمثيل وهي محاولة لم يسبق لأحد قبله في البلاد العربية أن قام بها فهو حقاً مؤسس المسرح الفنانى العربى . وبعد النجاح الذى ناله تحركت بعض المناصرات المحافظة في دمشق لمحاربة « بدعة التمثيل » وسافر إلى الاستانة أحد زعماء هذه الحركة وتمكن من اقناع السلطان عبد الحميد أن الفسق والفحور قد تفشى في دمشق بسبب روایات القباني فأمر السلطان بمنع التمثيل في سوريا وأغلق مسرح أبي خليل . وافتقرت خصومة هذه الفرقة لثاره الشارع فهجم بعض المتعمسين على مسرحه وكسروه ونهبوا كل ما فيه . وارادوا أيضاً النيل منه فلئموا أولاد الأزقة الأغنيات العدائى ليشتتهموها بها كلما صادفوه ومنها هذه الأغنية :

أبو خليل النشواتى يا مزييف البنات
ارجع لكارك احسن لك ارجع لكارك نشواتى
أبو خليل مين قال لك على الكوميدا مين دلك
ارجع لكارك احسن لك ارجع لكارك قباني

قرر القباني ، على أثر هذه الحملة ، أن يغادر سوريا وأن يتبع نشاطه في مصر

فاسفر اليها في سنة ١٨٨٤ واصطحب معه بعض افراد فرقته ومجموعة من العازفين والمنشدين . عمل أولاً ولفتره قصيرة في الاسكندرية ثم استقر في القاهرة كما كان يتجلو أحياناً مع فرقته في بعض المدن كالمنصورة وطنطا والمنيا والفيوم وبنسي سويف . وكان يقدم الروايات الواحدة تلو الأخرى وقد أمكن احصاء ماية وخمسين حفلة مسرحية قدّمها القباني في القطر المصري(١١) . ونالت رواياته شهرة واسعة حتى انه يقال أن عبده العاملوي ومحمد عثمان قدما شيئاً من العانها بين الفضول . وأثناء إقامته في مصر زار دمشق أكثر من مرة كما قام مع بعض افراد فرقته برحالة الى أمريكا الشمالية سنة ١٩٩٢ ليشتراك في معرض شيكاغو حيث قدم عدداً من المسرحيات القصيرة . وفي اواخر مدة وجوده في القاهرة أقدم جماعة من الرعاع بتحريض من منافسيه على حرق مسرحه وبعد ذلك قرر الانقطاع عن العمل المسرحي وعاد إلى دمشق سنة ١٩٠٠ .

يقال انه بعد عودته إلى مسقط رأسه اعتزل الناس وأنه اضطر إلى بيع منزله ليعيش من ثمنه . ولما صارت به سبل العيش قام جماعة من محبيه بجمع مبلغ كاف من المال وأعادوه إلى وضعه وسعوا لدى الدولة حتى خصصت له راتباً ملدي الحياة يتضاعف شهرياً(١٢) وربما تم ذلك على أثر الرحالة التي قام بها القباني في آخر أيامه إلى الاستانة وقد حملها للسلطان عبدالعزيز شيئاً من فنه الغنائي والتمثيلي .

توفي أحمد أبو خليل القباني في دمشق عام ١٩٠٣ (١٣) على أثر اصابته بعذوى الطاعون ودفن بمقدمة عائلته ، في باب الصغير في الميدان .

ان الموسيقار محمد كامل الغلماني ، الذي كان تلميذ القباني وترتبط به صلة وثيقة، وصفه بالعبارات التالية : « كان رحمه الله أنيساً وديماً ذا خلق وسميم وطبع أرق من النسيم ، أديباً ذرب اللسان ، ليبأ لم يختلف في فصاحة الفاظه اثنان ... انه كان خصوصاً بطريق من طرق الفنان وتفرد بها تفرد القعرفي السماء . فكان بعد انتهاء كل رواية يلقي من القطع الموسيقية شذوراً تنزو لها الأكباد ويتعرك لحسن وقها المؤزاد ، حتى أحرزت مصرنا من اقامته فيها فنوناً جزيلة وفضائل جليلة ... ترك خلفه فنوناً تبكيه وتلامذة ترثيه ومسرحًا كان يوجد به مجمع الآنس ونادي الها والسرور فإذا ما صعد عليه صفق الناس طرباً وانشرحت الصدور »(١٤) .

مؤلفاته الموسيقية :

ان احصاء الألحان التي وضعها أحمد أبوخليل القباني ليس أمراً سهلاً وهو يتطلب جهداً ودقّة . أما دراستنا هذه فليست سوى محاولة للوصول إلى معلومات ان لم تكن كلها ثابتة فهي على الأقل واضحة ، قد سعينا على قدر المستطاع إلى أن نجد شيئاً من المفوض الذي يسيطر على الموضوع بسبب الناقض الذي يوجد أحياناً بين المصادر المختلفة والذي يوجد بين المصادر والتقليد الشفوي . كان علينا أن نتراث عنده الرجوع إلى معطيات التقليد الشفوي فقد مر على وفاة القباني أكثر من ثلاثة أربع قرن ولم يبق أحد من

معاصريه الذين استمعوا الى أنقامه مباشرة ، الأمر الذي يجعل التقليد الشفوي مصدرأ لم يكن دائماً موثقاً به فهو ينسب اليه الكثيرون من الألحان منها ما ليس له علاقة به .

يتالف التراث الموسيقي الذي تركه القباني من موشحات ومن أغاني شعبية ومن العان سرجية وستتناولها هنا على التوالي مبتدئين بالموشحات التي هي أعم ما خلفه والمعروفة ان المنشع يشكل مثل « الدور » قالباً أساسياً في تراثنا الفناني .

لقد وضعنا بعد التدقيق والبحث الطويل جدولاً باربعه وخمسين موشحاً وهو منشور مع مقالنا هذا(١٥) وصنفتنا هذه الموشحات فحسبناها الى ثلاثة أقسام . نعدد في القسم الأول الموشحات التي ثبت تلحينها من قبل القباني . وترد في القسم الثاني بعض الموشحات المنسوبة اليه والتي يرجع أنها من انتاجه . ونذكر في القسم الثالث الموشحات التي يخيم بعض الشكوك على نسبة اليه كما نذكر موشحات لم تنسب اليه حتى الان انما يستحسن التساؤل حول امكانية اعتبارها من وضعه . وقد اتبعنا في وضع الجدول وتصنيفه طريقة ترتكز على النقاط التالية :

لقد انطلقنا من كتاب محمد كامل الخلبي الذي يشكل بنظرنا المصدر الرئيسي في الموضوع فمؤلفه هو كما ذكرنا أحد تلاميذ القباني وكان يلازم طيلة اقامته في مصر فهو وبالتالي أكثر من عرف العانه . زد على ذلك ان الكتاب طبع بعد وفاة القباني بستين او ثلاث اي عندما كان تراجه لا يزال معروفاً في الأوساط المهتمة بالفنان والموسيقي . في هذا الكتاب عدد من الموشحات يقول الخلبي صراحة انها للقباني او من تلحينه كما نراه يعدد موشحات أخرى يقول انه تلقاها أو استمع إليها من القباني وهذا التعبير غير الواضح لا يسمح لنا بان نجزم بشيء وبالنسبة لـ تلحينها ، فهو يقصد انها موشحات عرفها اما عن طريق القباني وهي ليست من وضعه او يقصد ضمناً انه لا يعرف من قام بتلحينها . لذلك لم نأخذ بها الا عندما وجدنا براهين أخرى تدل على أنها فعلاً من وضع القباني .

هناك مصدر آخر كان لا بد من أخذه بعين الاعتبار وهو كتاب سفينة الملك شهاب الدين(١٦) . انه يتضمن تدويناً لكلمات ما يزيد على ثلاثة وستين موشحاً من موشحات تراثنا الموسيقي مع الاشارة الى المقام وايقاع كل موشح ونعتقد انها أقدم محاولة من هذا النوع . ورغم أن الكتاب طبع سنة ١٢١١ هـ (١٨٩٤/١٨٩٣ هـ) ، يغيرنا المؤلف انه انتهى من كتابته سنة ١٨٤٣ اي عندما كان القباني طفلاً وهذا يعني أن الموشحات المذوقة فيه قد سبقت انتاج القباني . لذلك يمكن القول ان كل موشح منسوب الى القباني يرد ذكره في مجموعة شهاب الدين بنفس المقام ونفس الايقاع هو ليس من تلحينه ، أما اذا كان له مقام وايقاع آخران فيجوز لنا أن نتصور أن القباني وضع لها جديداً لأبيات موشح قديم لحنه غيره قبله . مع العلم أن لدينا أمثلة عديدة وحتى في يومنا الحاضر لأبيات قصيدة أو موشح أو اي نوع آخر من الفناء تم تلحينها أكثر من مرة .

ويجب أن نتساءل ما إذا كانت مسرحيات القباني نفسها تشكل هي أيضاً مصدرًا يمكن الرجوع إليه في الموضوع الذي نحن بصدده . إننا نجد فعلاً في نص هذه المسرحيات عدداً من المنشعات ، مع إشارة إلى مقامها وإيقاعها، كانت تتشدّد أثناء التمثيل . لا شك أن وجودها ضمن روايات كتبها القباني يجعلنا نميل إلى اعتبارها من تلحينه غير أن من بينها ما هو معروف أنه من تلحين غيره وليس من الفريب أن يكون القباني قد أدخل في رواياته العانة كانت شائعة في زمنه ، لذلك عندما نستشهد هنا بهذا المصدر نشير إلى البراهين المعاكسة التي تخفف من قيمة .

أما المجموعات التي ذكرناها والتي تتضمن تنويطاً موسيقياً لمدد من منشعاتتراث ، فالى أي حد تتمتع بقيمة وثائقية بالنسبة لموضوعنا؟ . . . لا شك أن الذين وضعوها هم أناس يعرفون أمور موسيقى أخيراً معرفة . لذلك كان علينا أن نأخذ بعين الاعتبار ما جاء في مجموعاتهم عن ملحنين القطع المدونة غير أننا نراهم في كثير من الأحيان يغفلون اسم الملحن . ولا نعتبر هذا الإغفال برهاناً قاطعاً على أن اسم الملحن غير معروف فربما نتاج عن عدم القيام بالتدقيق الكافي لاسيما بالنسبة لأبي خليل القباني الذي يحيط بممؤلفاته ، كما نرى ، جو من الفموض والتناقضات . وقد اتخذنا الموقف ذاته تجاه فرقة الموسيقى العربية التي يقودها عبدالحليم نويرة والتي تذكر تارة وتفضل أخرى اسم الملحن في برامج حفلاتها أو في تسجيلاتها .

وهذه الطريقة التي سلكتها في البحث أوصلتنا إلى النتائج التي نعرضها فيما يلي :

نبداً بالموشحات التي لا يوجد في نظرنا أي شك بأنها من تلحين القباني وعددتها اثنان وعشرون (انظر الجدول المرفق : من الرقم ١ حتى الرقم ٢٢) وهي المنشعات التي يقول عنها الخلمي صراحة أنها من تلحين القباني . زيادة في الإيضاح نشير إلى أن هذا القول ثبتته مجموعة سليم الحلول بالنسبة للرقم ١ ومجموعة تراثنا بالنسبة للرقمين ٥ و ٦ وفرقة نويرة بالنسبة للرقمين ٢٠ و ٣ ومعدى المقلبي بالنسبة للرقمين ٧ و ٨ . ان وجود كلمات المنشعين رقم ٢٠ و ٢١ في مجموعة شهاب الدين لا يشكل برهاناً معاكساً فهما يظهران فيها بغير المقام وغير الإيقاع الذي يذكرهما الخلمي . أما الملوسح رقم ٢٢ فيجب الإشارة إلى بعض الملابسات المتعلقة به . لقد أحصيـناـهـ مـعـ مـوـشـحـاتـ القـسـمـ الـأـوـلـ لأنـ الـخـلـمـيـ يـنـسـبـ لـ القـبـانـيـ صـرـاحـةـ . إنـاـ نـرـاهـ بـنـفـسـ المـقـامـ وـنـفـسـ الإـيقـاعـ فـيـ مـجـمـوـعـةـ شـهـابـ الدـينـ . إـلاـ أنـ الـخـلـمـيـ يـذـكـرـ أنـ لـالـمـوـشـحـ دـلـعـناـ أـخـرـ مـصـرـيـاـ »ـ غـيرـ الذـيـ وـضـعـهـ القـبـانـيـ وـهـوـ الـمـوـشـحـ الذـيـ تـنـشـدـهـ فـرـقـةـ نـوـيـرـةـ وـالـتـيـ تـرـاهـاـ تـنـقـلـ اـسـمـ الـمـلـحـنـ . وـاـخـرـاـ نـذـكـرـ أـنـ الـمـوـشـحـ رقمـ ٩ـ يـرـدـ فـيـ نـصـ رـوـاـيـةـ «ـ الـأـمـيـرـ مـحـمـودـ نـبـلـ شـاهـ الـعـجمـ وـالـمـوـشـحـ رقمـ ١ـ فـيـ رـوـاـيـةـ «ـ عـفـيـةـ »ـ .

يتضمن القسم الثاني بعض المنشعات المنسوبة إلى القباني والتي يرجع بنظرنا إليها وعددتها اثنتا عشر (انظر الجدول : من الرقم ٢٣ حتى الرقم ٣٤) . لم تردد بادرأج المنشعين رقم ٢٣ و ٢٤ في هذه الفتنة بالرغم من أنه لا يوجد لها أثر في كتاب الخلمي ومن أن اسم ملحن أولهما غير مذكور في مجموعة زيدان ومجموعة سليم الحلول ومن أن اسم ملحن ثانيةهما لم يرد في مجموعة رجائي ومجموعة سليم الحلول . وما ذلك إلا لأن معظم

الأوساط المهمة بالفناء والموسيقى (١٧) وكذلك فرقة عبدالعزيز نويرة تنسبها لأبي خليل وهم من أكثر المنشعات انتشاراً في القطر السوري . ومن جهة أخرى يرد المنشع رقم ٢٤ في رواية هارون الرشيد مع الأمير فان بن أيوب . أما المنشع رقم ٢٦ و ٢٥ فتنسبهما فرقة نويرة إلى القباني وهم غير مذكورين في كتاب الغلبي ونستغرب كيف أن مجموعة رجائي تنسب الرقم ٢٦ إلى سيد درويش فمشعات سيد درويش تم تعريفها بدقة وأصبحتاليوم معروفة جيداً . أما المنشع رقم ٢٧ فتعتبر مجموعة تراثنا أنه من وضع القباني بينما يفضل الخلبي اسم ملعنه وهو يرد في مجموعة شهاب الدين بمقام وايقاع آخرين . لم يذكر المنشع رقم ٢٨ إلا في مجموعة سليم الحلو التي تنسبه صراحة إلى القباني . وهناك ثلاثة مشعات (رقم ٢٩ و ٣٠ و ٢١) ينسبها أدهم الجندي (١٨) إلى القباني ويثبت ذلك أحمد الجندي (١٩) ، ومشعان (رقم ٣٢ و ٣٣) ينسبها إليه عدنان بن ذريل (٢٠) ويثبت ذلك بالنسبة للأخير مجدي العقيلي . أما المنشع رقم ٢٤ فتنسب للقباني مجدي العقيلي ويصرح أحمد الجندي (٢١) أنه من أشهر العانة مع العلم أن الخلبي لا يقول أنه للقباني بل أنه تلقاه منه .

أحمد أبو خليل القباني : المشعات

| الرقم | الموشح | المقام | تدوين الكلمات | التنويط الموسيقي | التسجيل |
|----------------------------------|-------------------------|-----------|---------------|------------------|------------------|
| مشعات ثابت أنها من تلحينه | | | | | |
| ١ | بزغت شمس الكمال | حجاز | الخلبي ١١٦ | الحلو ١١٢ | فرقة علي الدرويش |
| ٢ | وجنات الفيد | حجاز | الخلبي ١١٦ | الحلو ١٤٨ | فرقة نويرة |
| ٣ | آه من جور الغولي | عجم عشران | الخلبي ١٣٠ | الحلو ١٦١ | فرقة نويرة |
| ٤ | بدر حسن لاح | بسته نكار | الخلبي ١٣٤ | الحلو ١٦٨ | سلامة حجازي |
| ٥ | صاح هات الراح | سيakah | الخلبي ١٢٢ | ٢٣٢ | تراثنا ٢١٤ |
| ٦ | يا من رمي القلب وسار | عجم | الخلبي ١٣٠ | ٢٩٤ | تراثنا ٢١٤ |
| ٧ | قم ولازم يا معنى | عجم عشران | الخلبي ١٣٠ | ٨٢ | المقيلي |
| ٨ | راق انسى بالنداوى | محير | الخلبي ١١١ | ٨٤ | المقيلي |
| ٩ | تنني كفصن رشيق القوام | سيakah | الخلبي ١٢٢ | | |
| ١٠ | هات يا باهي السنا | حجاز | الخلبي ١١٦ | | |
| ١١ | أنرغ الروض علينا | أوج | الخلبي ١٣٢ | | |
| ١٢ | اليوم يابدرى نزيل الهوم | صبا | الخلبي ١٠٨ | | |
| ١٣ | اشطع وهم يا ابن عمى | نهانوند | الخلبي ١٠١ | | |
| ١٤ | اي ظبى لو أعنى بعضا | نهانوند | الخلبي ١٠١ | | |

| الرقم | المواشح | المقام | تدوين الكلمات | التنويط الموسيقي | التسجيل |
|-------|---------------------------|------------|---------------|------------------|------------|
| ١٥ | بانهاوند الكبير | نهارند | ١٠١ | الخلمي | فرقة نويرة |
| ١٦ | بآه يا بامي الشيم | عجم بوسك | ١٢١ | الخلمي | |
| ١٧ | كيف لا أصبو لمرأها الجميل | شوق افرا | ١٣٠ | الخلمي | |
| ١٨ | بروق مربع النجد | سيakah | ١٢٢ | الخلمي | |
| ١٩ | سباني متدا بامي المعا | سيakah | ١٢٣ | الخلمي | |
| ٢٠ | قم لنحو العان | أوج | ١٣٥ | الخلمي | |
| ٢١ | شادن صاد قلوب الأمم | عجم عشيران | ٢٦٧ | شهاب الدين | |
| ٢٢ | شجني يفوق على الشجون | أوج | ١٣٠ | الخلمي | |
| | | | ٧٣ | شهاب الدين | |
| | | | ١٣٤ | الخلمي | |
| | | | ١٧٨ | شهاب الدين | |
| | | | ١٥٢ | زيدان | |

موشحات يرجع أنها من تلعينه

| | | | | | | | |
|----|------------------------|------------|-----|--------|-----|---------|------------------|
| ٢٣ | يا غصن نقا مكلل بالذهب | سيakah | ٤٠٦ | الحلو | ١٧٦ | زيدان | فرقة نويرة مختلف |
| ٢٤ | ما احتيالي يارفافي | حجاز | | | | | فرقة نويرة مختلف |
| ٢٥ | رصع اللجين | راسـ | | | | | فرقة نويرة |
| ٢٦ | نم دمعي عن عيوني | حجاز | | | | | فرقة نويرة |
| ٢٧ | ادر راحاتي | أوج | ١٣٣ | الخلمي | ٢١٦ | ١٧٦ | تراثنا ٢ |
| ٢٨ | طال ليلي | عراق | ١٢٨ | الحلو | ١٩٣ | رجائي | فرقة نويرة |
| ٢٩ | لاح الشر فسبى المفتونا | ادم الجندي | ٢٥٦ | الحلو | ١٢٨ | رجائي | فرقة نويرة |
| ٣٠ | شمس كاس الراح تعجل | | | | | | |
| ٣١ | رقس البان وقنى | عجم | | | | | |
| ٣٢ | ست أوقاتي | حسيني | | | | | |
| ٣٣ | يا من جفا وما رحم | بسته نكار | ٩٧ | الخلمي | ٨٥ | المقيلي | |
| ٣٤ | عيد المواس | راسـ | | | | | |

| الرقم | المواشح | القما | تدوين الكلمات | التنويط الموسيقي | التسجيل |
|----------------------------|--------------------------|--------------|---------------|------------------|---------------|
| موشحات يعتمل انها من تعينه | | | | | |
| ٤٥ | اسمح وجد يا منيتي | حسيني عشيران | العلمي | ١٢٨ | |
| ٣٦ | يا ورق بنات اللهو | جبار كاه | العلمي | ١٢٥ | |
| ٣٧ | العيون الترجسية | حسيني عشيران | العلمي | ١٢٨ | |
| ٣٨ | حلو الشمائل ياقوم الميان | صبا | العلمي | ١٠٨ | |
| ٣٩ | ظبي انس ذو محيا | كردان | العلمي | ٩٧ | |
| ٤٠ | حب سلمي قد دعاني | بيات | العلمي | ١٠٥ | |
| ٤١ | آه وأشوقي لأوقات الوصال | حجاز كار | العلمي | ٩٩ | |
| ٤٢ | طاب وقتى طاب | صبا | العلمي | ١٠٧ | فرقة نويرة ٩٠ |
| ٤٣ | يا روحى وجسمانى | حجاز | العلمي | ١١٧ | |
| ٤٤ | اما أنت قمر | حسيني عشيران | العلمي | ١٢٦ | |
| ٤٥ | محبوبى اقتصد نكدى | حسيني عشيران | العلمي | ٢٤٩ | |
| ٤٦ | غضن بان قد تبدي | حجاز | العلمي | ١٢٩ | تراثنا ٢٠ |
| ٤٧ | املالي يا درى | حجاز | العلمي | ١١٤ | تراثنا ٢٤ |
| ٤٨ | بالذى أسكر من عرفالللى | بيات | العلمي | ٢٣ | |
| ٤٩ | ان هذا اليوم يبدى | أوج | نجم | ١٨٤ | |
| ٥٠ | هل يرى في الناس مثلى | حجاز | العلمي | ١١٥ | فرقة نويرة |
| ٥١ | مجرنى فدعنى باليماد | حجاز | العلمي | ٣٦ | |
| ٥٢ | يا نسيمات الصبا | أوج | نجم | ١٢٦ | سلامة حجازى |
| | | | العلمي | ١١٥ | |
| | | | نهاب الدين | ٢٦٧ | |
| | | | زيدان | ٥٢ | |
| | | | نهاب الدين | ٣٦ | |
| | | | العلمي | ١١٤ | |
| | | | نهاب الدين | ٣٦ | |
| | | | زيدان | ٣١ | |
| | | | العلمي | ١٢٢ | سلامة حجازى |
| | | | نهاب الدين | ١٧٨ | رجائي ٣٩ |
| | | | زيدان | ٤٠٠ | سيد الصفتى |
| | | | | | تراثنا ٢٨ |

| الرقم | الموشح | القام | تدوين الكلمات | التنويط الموسيقي | التسجيل |
|-------|---------------------|-------|---|---------------------|---------|
| ٥٣ | ياغزا قد أغار الظبي | حجاز | الخلمي ١١٤ شهاب الدين ٢٢٨ | الخلمي ١١٧ الحلو | |
| ٥٤ | بدرى أدر كأس العلى | حجاز | زيدان ٤٠٠ الخلمي ١١٣ شهاب الدين ٢١٨ زيدان ٥٩ | الحلو ١١٥ | |

يتالف القسم الثالث من تصنيفنا من الموشحات التي يحتمل أن تكون من وضع القباني وعددها عشرون (انظر الجدول : من الرقم ٣٥ حتى الرقم ٥٤) ونعتقد أنه لا يمكن البت بأمرها بشكل قاطع ونهائي الا إذا ظهرت وثائق وبراهين جديدة في الموضوع واذ نذكرها هنا فلتتسهيل مهمة الذين سيحاولون من بعدنا متابعة دراسة الموشحات المنسوبة الى القباني لمعرفة التي لعنها فعلاً . هناك أولاً ستة موشحات (من الرقم ٣٥ حتى الرقم ٤٠) لا نعرف شيئاً عنها سوى أن الخلمي « سمعها » أو « تلقاها » من القباني وكذلك الموشح رقم ٤١ غير أن هذا الأخير يرد في رواية « عفيفة » . أما الموشح رقم ٤٢ الذي « تلقاها » الخلمي من أبي خليل فهو يمقام يختلف عن الذي دونه سليم الحلوي وتشدده فرقة نويرة ويقول الخلمي بخصوص الموشح رقم ٤٣ انه سمعه من القباني ويضيف أن له تلعينا مصرية آخر ويستنتاج من ذلك أن الموشح المذكور سوري المنشأ وهو يختلف من حيث المقام والايقاع عن الذي نراه في مجموعة شهاب الدين ويبعد أنه الموشح المصري المشار اليه . كذلك ان الموشح رقم ٤٤ الذي سمعه الخلمي من القباني هو غير الذي يرد بمقام مختلف في مجموعة شهاب الدين . والموشح رقم ٤٥ الذي سمعه الخلمي من القباني موجود في رواية « عفيفة » ومدون دون ذكر اسم الملحن في مجموعة تراثنا . الموشح رقم ٤٦ الذي نراه هو أيضاً في رواية « عفيفة » يرد دون ذكر اسم الملحن في الخلمي والمصادر الأخرى وله مقام آخر في مجموعة شهاب الدين . والموشح رقم ٤٧ موجود في الرواية نفسها باسم ملحنه غير مذكور في كتاب الخلمي وفي مجموعة رجائي . أما الموشح رقم ٤٨ فهو يظهر في رواية « الأمير محمود نجل شاه العجم » ولا تذكر كل المصادر اسم ملحنه . يرد الموشح رقم ٤٩ في رواية « عفيفة » وليس له أثر في كل المراجع . ان الموشحات رقم ٥٠ و ٥١ و ٥٢ و ٥٣ ترد في رواية « عفيفة » ويرد الموشح رقم ٥٤ في رواية هارون الرشيد مع الأمير غازم بن أيوب « ولا تذكر كل المصادر بما فيه كتاب الخلمي ، اسم ملحنها بينما نراه بنفس المقام وت نفس الايقاع في مجموعة شهاب الدين ، لذلك يصبح الاحتمال بأن تكون هذه الموشحات الخمسة للقباني ضعيفاً جداً .

وإذا انتقلنا من المنشعات الى الأغاني الشعبية نرى انها تحتاج هي ايضا الى بحث دقيق . من المعروف أن القباني قد اهتم بهذا النوع من الغناء غير انه ليس لدينا معلومات واضحة الا عن أغنتين فقط . الاولى هي أغنية « يا مسعدك صبغية » من مقام الصبا وهي كثيرة الذیوع في مدينة حلب ويدرك بحسب زیدان في مجموعته ٢٢ انهامن العان القباني . أما الأغنية الثانية فهي « يا طربة طيري » المشهورة فيسائر المدن السورية وطابعها الممشقي واضح . وفؤاد محفوظ الذي يوهما مسيقا (٢٣) يقول انها للقباني . ونعتقد أنه لا يوجد اي اتبات بالنسبة لاغنيات شعبية أخرى تنسب عادة اليه مثل : « يا مال الشام » و « بلبل عالشجر غنى » .

اما بالنسبة الى موضوع العان القباني المسرحية . فلا شك ان اهتمامه بالموسيقى والغناء كان لا يقل عن اهتمامه بالمسرح وعلى ذلك أكثر من برهان : فرواياته مليئة بالقطع الغنائية وقد رأينا أنه لما هاجر الى مصر اصطحب معه ، علاوة على الممثلين مجموعة من العازفين الماهرين (٢٤) وان الموسيقار محمد كامل الخلعي انضم اليها والمروف أيضاً ان عبده العامولي غنى في بعض مسرحياته (٢٥) ، الأمر الذي يبين الأهمية التي كان القباني يملتها على الغناء عند عرض رواياته .

وإذا أقينا نظرة على القطع المعدة للغناء في مسرحيات القباني علاوة على المنشعات ، نلاحظ أولاً وجود عددمن القصائد، منها قصائد معروفة من الأدب العربي(بنوع خاص لبهاء الدين زهير) ومنها قصائد تتعلق مباشرة بموضوع الرواية ويبدو أنها من نظم القباني كما نرى أناشيد ومقاطع شعرية يطلق المؤلف عليها اسم « لجن » ويشير الى أن على « المجموعة » اي على « الكورس » انشادها ، كما أن بعض حوارات الرواية كانت هي أيضاً ملحة (٢٦) . كل هذا يضفي على مسرحيات القباني طابع « الأبريت » اي الرواية الفنائية .

ما هي أتفام هذه المقطوعات المهمة للغناء في مسرحياته ؟ من الطبيعي اننا لا نستطيع معرفتها وهي لم تسجل على الاسطوانات ولم تدون موسيقياً ولم يبق أحد من الذين استمعوا اليها . ان محمد كامل الخلعي ، الذي يقول انها وضمت بمناسبة مناظر وموقع في التمثيل ، يعلق عليها بالعبارات التالية : « شهد من قبل أكابر الموسيقيين وفطاحل الملحنين بما له من بديع التلاحم الرقيق لأناشيد الطرب الأنيقة ما يزري برنة الديبار ويدهب بصوت الناي والأوتار ويطروح بالهموم والآثار ويفتني بذلكه عن الرابع . فكم له من قطعة رائفة للقدر ومدحه شارحة للصدر ومرثية مبكية للعيون ومقطمات مختلفة الفنون » (٢٧) . هذه شهادة من كان يعتبر نفسه تلميذاً للقباني وحضر معظم مسرحياته .

مهما يكن من أمر فاحمد ابوخليل القباني هو الذي اوجد المسرحية الفنائية في الوطن العربي وله يعود الفضل في تدعيمها ونشرها وقد فتح الطريق التي سار عليها من بعده سلامه حجازي وسید درويش وفي يومنا العاضر الأخوان رجباري .

□ احياء تراثه :

الى اي حد لا يزال تراث احمد ابي خليل القباني حيا ؟ ٠٠ هل مؤلفاته الموسيقية ، باستثناء عدد ضئيل منها ينشد من حين الى آخر ، أصبحت عبارة عن وثائق تحفظ في « ارشيف » تاريخ موسيقانا كالقطع الأثرية في الماحف ٠٠ ؟

هنا يطرح سؤال اساسي : الى اي حد يستطيعنا معرفة هذا التراث ؟ ٠٠ لا شك ان احصاء المؤلفات التي يتالف منها أمر ضروري لكن الامر هو أن نعرف فعلا العان هذه المؤلفات وهذا لا يتم الا اذا كانت القطة اما مدونة موسيقينا او مسجلة . لذلك لا بد من القاء نظرة عامة على مؤلفاته لنرى وضمنها من هذه الناحية .

اذا تأملنا تلك المنشعات التي اعتبرنا ان تلعيتها من قبل القباني ثابت ، نلاحظ ان ثمانية منها فقط (المنشعات رقم ١ و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ و ٢١ و ٢٢) تم تنويعها موسيقيا . أما بالنسبة للتسجيل فنعرف أن فرقه على الدرويش سجلت المنشع رقم ١ (والتسجيل محفوظ في اذاعة دمشق) وفرقه عبدالعزيز تويرة المنشعات رقم ٢ و ٣ و ٢٢ كما سجل المنشع رقم ٤ على اسطوانة بصوت سلامه جباري . فمن أصل اثنين وعشرين منشعاً يبقى اثنا عشر بدون تدوين او تسجيل . أما المنشعات التي يرجع انها له فيوجد تنويع موسيقي لسبعة منها (المنشعات رقم ٢٣ و ٢٤ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ و ٣٣ و ٣٤) وقد سجل المنشع رقم ٢٣ كل من فرقه تويرة وفرقه سليم سحاب وعدد كبير من المطربين وسجل المنشع رقم ٢٤ مطربون كبار امثال أبو الملاع محمد ونادرة وماري جبران وكذلك فرقه تويرة وعدد كبير جداً من المطربين الماصرين ويوجد تسجيل للمنشعات رقم ٢٥ و ٢٦ من قبل فرقه تويرة . يبقى من هذه الفتة أربعة منشعات (من رقم ٢٩ حتى ٣٢) من أصل اثنى عشر بدون تنويع او تسجيل . أما المنشعات المشكوك يأمر تلعيتها فمن أصل عشرين منشعاً يبقى اثنا عشر بدون تنويع او تسجيل . وبهذه المناسبة نذكر أن عدنان بن ذريل يروي أن في حوزة نديم الدرويش « نوطات » لما يقارب أربعة عشر منشعاً لأبي خليل القباني دونها موسيقينا والده الموسيقار الكبير على الدرويش وهي غير معروفة وغير متداولة (٢٨) ولا شك أن نثرها ضروري جداً عساها تلقى بعض النور على الأمور التي لا تزال غامضة بالنسبة لتراث القباني (٢٩) .

اما من ناحية الأغاني الشعبية فان أغنية « يا مسعدك صبحية » سجلت على الاسطوانات بصوت عدد من المطربين القدماء امثال عبد العزي حلمي وداود حسني وأحمد ادريس وعلى عبدالباري . كما لاغنية « يا طيرة طيري » عدد كبير من التسجيلات العديدة وهي كما ذكرنا مدونة موسيقينا . أما الانان المسرحية فتعتقد أن ستار النسيان قد أسدل عليها والأمل ضعيف في أن يتم يوماً اي اكتشاف بخصوصها (٣٠) .

ان احمد ابي خليل القباني هو عميد الموسيقى في سوريا وهو كما ذكرنا مؤسس المسرح الغنائي في الوطن العربي (٣١) فهوعلم من اعلام الحضارة العربية الحديثة غير ان تراثه يحتاج الى عناية كبيرة ، ويطلب اقامة مؤسسة خاصة لهذا الموضوع كالمؤسسات

التي تحدث في أوروبا لكتاب الفنانين والأدياء والعلماء أو على غرار « جمعية أصدقاء سيد درويش » الموجودة في مصر . ونلخص فيما يلي مهمه هذه المؤسسة .

يجب تجميع كل ما يمكن تجسيمه من مخطوطات ووثائق ومعلومات مختلفة تتعلق باتساع القباني الأدبي والموسيقي واقامة مكتبة تضم المؤلفات والمقالات المتقدمة به ليصبح مرجعاً لكل من يريد دراسته . كما يجب السعي لاحصاد مؤلفاته الموسيقية بطريقة علمية ثم القيام بتنويع أي بتدوين العانة موسيقياً ونشرها والقيام بطبع مسرحياته التي لا تزال مخطوطة . ومن الضروري خلق جو من الاهتمام بالقباني بشتى الوسائل اما بالتاليف الأدبي (٣٢) او بالسعي مع الاذاعات العربية والنوادي والمعاهد الموسيقية الى نشر العانة وتنظيم الاحتفالات والهرجانات الذكرائية المختلفة (٣٣) .

لقد ذكرنا أن بعض المناصر الدمشقية تمكنت في عام ١٨٨٤ من اقناع السلطان عبد العميد بإغلاق مسرح القباني ومنعه من التمثيل وعلى أثر العملة التي تعرض إليها في مسقط رأسه غادر سوريا . فهل نظر القباني مرة ثانية باهتماماً لتراثه العظيم ؟ نحن اذن مدعاون لمحو النبلة الكبيرة التي ارتكتناها عام ١٨٨٤ عندما جعلناه فناناً كبيراً من قطربنا يفادرنا ليبرز مواهيه بعيداً عنا ، وبذلك نبرهن أن سوريا العربية تعرف اليوم كيف تكرم عباقرتها .

جبراينيل سعادة

□ الهوامش :

- ١ - راجع شاكر مصطفى : « القصة في سوريا » ١٩٥٨ ص ١٨٩ - ٢٠٢ ، ابراهيم ترزي ، مجلة « المجلة » العدد ٦٧ نيسان ١٩٦٢ ، محمد يوسف نجم : « الشيخ احمد ابو خليل القباني » بيروت ١٩٦٣ ، عدنان بن ذيabil : « المسرح السوري منذ ابي خليل القباني الى اليوم » دمشق ١٩٧١ ص ١٩ - ٣٧ .
- ٢ - عبد العميد الملوجي : « رائد الموسيقى العربية » بغداد ١٩٦٤٥١ .
- ٣ - محمد كامل الغلاني : « كتاب الموسيقى الشرقي » القاهرة ١٩٠٤ - ١٩٠٥ .
- ٤ - نرى ايضاً كلمات بعض موشحات وأغاني القباني في حبيب زيدان : « مجموعة الأغاني الشرقية القديمة والحديثة نيوورك ١٩٦٣ .
- ٥ - ادهم الجندي : « اعلام الادب والفن » الجزء الاول دمشق ١٩٥٤ ص ٢٤٩ - ٢٥٦ .
- ٦ - عدنان بن ذيabil : « الموسيقى في سوريا » دمشق ١٩٦٩ .
- ٧ - احمد الجندي : « دواد النغم العربي » دمشق ١٩٨٤ ص ١٩ - ٣٥ .
- ٨ - فؤاد وجاهي ونبيل درويش : « من كنزتنا : في المنشعات الاندلسية » حلب ، سليم العلو : « المنشعات الاندلسية » بيروت ١٩٦٥ ، اللجنة الموسيقية العليا : « تراثنا الموسيقي : من الأدوار والمنشعات » (٤) اجزاء القاهرة . يوجد ايضاً تدوين موسيقياً لعدد من المنشعات في مجدى العقيلي : « السماح عند العرب » الجزء الثاني ص ٦١ - ٦٤ .
- ٩ - ادهم الجندي ص ٢٤٩ ، شاكر مصطفى ص ١٨٩ ، عدنان بن ذيabil ١٩٧١ ص ١٩ ويقول محمد كامل الغلاني ص ١٣٧ انه ولد عام ١٨٤٢ .
- ١٠ - محمد كرد على : « خطط الشام » مكتبة التوري ١٩٨٣ الجزء الثالث ص ١٠٠ ، راجع ايضاً ادهم الجندي ص ٣١٩ ، مذ敦وح الجابريري : « الموسيقى في حلب » ، مجلة المتران العدد ٢٢/٢١/٢٠ ص ٢٨٥ .
- ١١ - نجد قائمة بهذه العخلافات مع تاريخ مكان كل منها في كتاب محمد يوسف نجم ص ٤٠٣ - ٤١٠ .

- ١٢ - احمد الجندي من ٣٦ .
- ١٣ - هناك بعض التناقض بالنسبة لناريخ وفاته ناتج عن القصيدتين المؤرختين المكتوبتين على شاهدة قبره . وقد كتب على اسفل الشاهدة انه توفي في غرة شهر شوال سنة ١٣٧١ هـ اي في ٢١ كانون الاول ١٩٥٣ (راجع احمد الجندي من ٣٤٠) بينما يقول محمد كامل الفطحي (من ١٤٠) انه مات ليلة ٢٧ رمضان ١٣٧٠ هـ اي في ٢٨ كانون الاول ١٩٥٢ . وتقرأ في مقال داتب حداد : « ابو خليل القباني في الذكرى الـ ١٥٠ لميلاده » (مجلة هنا دمشق العدد ١٧٧ ، ١٧٧ من ٢٩) انه توفي في كانون الثاني ١٩٥٢ .
- ١٤ - محمد كامل الفطحي ، من ٣٦ - ١٤٠ .
- ١٥ - ان المرجع ترد في هذا الجدول شكل مختصر و يمكن معرفتها بشكلا الكامل بالرجوع الى الوهاشم التي ترافق المقال (فعلى سبيل المثال تقول ان كلمة « الفطحي » تشير الى كتاب محمد كامل الفطحي المذكور اعلاه وكذلك تدل عباره « تراثنا ٢ » على الجزء الثاني من مجموعة « تراثنا الموسيقي من الأدوار والوشعات » التي اتيت اپها على ذكرها) أما عباره « فرقه نورية » فالقصود بها فرقة الموسيقى العربية التي يشرف عليها عبدالعليم نورية . وكلمة « مختلف » تعنى ان الموضع سجل من قبل عدمن المطربين ومن جهة اخرى قد دللتنا المنشعات لتسهيل عرض البحث واختصاره .
- ١٦ - محمد بن اسماعيل شهاب الدين : « سفينة الملك ونفيسة الملك » ١٨٩٣ - ٩٤ .
- ١٧ - راجع مثلا بالنسبة الى الموضع رقم ٢٣ ، ادهم الجندي من ٢٥٥ .
- ١٨ - ادهم الجندي من ٢٥٥ و ٢٥٦ .
- ١٩ - احمد الجندي من ٣٢ .
- ٢٠ - عدنان بن ذربيل ١٩٦٩ من ١٣٩ .
- ٢١ - احمد الجندي من ٣٤ - ٣٥ .
- ٢٢ - حبيب زيدان من ٣٩٨ .
- ٢٣ - فؤاد محفوظ : « الألحان الشعبية العربية عبر التاريخ » ص ٤٤ .
- ٢٤ - نرى اسماءهم في ادهم الجندي من ٢٥٣ - ٢٥٤ و عدنان بن ذربيل ١٩٧١ من ٣٣ .
- ٢٥ - محمد يوسف نجم من ٤٤٠ و ٤٠٧ .
- ٢٦ - صديم الشريف : « الألحان العربية » دمشق ١٩٨١ من ١٧٣ .
- ٢٧ - محمد كامل الفطحي من ١٣٨ .
- ٢٨ - عدنان بن ذربيل ١٩٦٩ من ١٣٩ .
- ٢٩ - لا نستبعد ان تكون هناك بعض المنشعات غير المدونة او المسجلة معروفة من مطربين لا سيما القدامى، منهم فيبدو مثلا ان الموضع رقم ٢٩ معروف من قبل المطرب تجبيب السراج (راجع ادهم الجندي من ٢٥٥) .
- ٣٠ - ولكن ليس هذا الامر مقتضاها تهائيا . نذكر بهذه المناسبة ان متحف التقاليد الشعبية (قصر العظم) في دمشق قد حصل على مجموعة من الاسطوانات التي من النوع القديم (المصنوعة من المعدن و ذات شكل اسطواني) كانت ملك هاني بن نوري الكيلاني من حماه و سجل عليه عدد من الاغنيات بصوت مطربين قديما لم يوجد لها اى تسجيل على اسطوانات عادية ومن بينهم الموسقار الكبير محمد عثمان . فهل يأتي يوم تظهر فيه تسجيلات من هذا النوع لالغان غير معروفة للقبانى .
- ٣١ - في كتابه « رواد المسرح المصري » يذكر محمد كامل الدين بن الرواد الدين طوروا المسرح في وادي النيل .
- ٣٢ - لا شك ان مسرحية سعادق ونوس : « سهرة مع ابى خليل القباني » ، دمشق ١٩٧٣ قد اسهمت في احياء ذكره .
- ٣٣ - من الغريب ان يكون غاب عن ذهن سورية ان تختزل في العام الماضي ، بالذكرى المأكولة والخمسين ليلاد القباني (راجع بهذا الموضوع داتب حداد ، من ٢٨ - ٢٩) .

الأسطول الفاطمي

التواني بوبكر

تمتع البحر المتوسط منذ أقدم العصور إلى الوقت الحاضر بموقع جغرافي فريد من نوعه ، جعله مطمع كل قوة تبني لنفسها الإزدهار والسلطان في هذا المجال البحري ، وعلى الرغم من هذا لم تستطع أية قوة أجنبية أن تناول الغلواد الذي تتمتع به العرب باستقرارهم على شواطئ هذا البحر .

فكم من حضارة قامت على جوانب هذا الحوض المائي الهام ، وازدهرت ، وبلغت ذروتها .. ثم أتى عليها الزمن ، فاندرست واندثرت ، وأصبحت أثراً بعد عين ! وكانت الحضارة العربية نعمـاً فريـداً خالـداً بين أـرابـاهـاـ، وـما زـالتـ أـقـدـامـ بـنـيـ يـعـربـ رـاسـخـةـ مـسـتدـةـ الجـذـورـ إـلـىـ يـوـمـنـاـ هـذـاـ فـيـ رـقـمـ شـاسـعـ تـضـمـ شـواـطـئـ الشـامـ وـمـصـرـ وـافـرـيقـيـةـ ،ـ بـمـاـ يـعـادـلـ نـصـفـ شـواـطـئـ الـمـوـسـطـ (١)ـ .ـ وـيمـزـيـ سـرـ هـذـاـ الـخـلـودـ إـلـىـ أـنـ الـعـربـ اـتـخـذـوـ أـهـبـتـمـ لـامـطـاءـ ثـبـجـ أـمـواـجهـ وـفـقـ خـطـوـاتـ مـنـظـمـةـ مـدـرـوـسـةـ بـعـيـدةـ عـنـ الـإـرـجـالـ وـالـفـوـضـيـ ،ـ وـذـلـكـ مـنـذـ أـنـ لـامـسـ أـقـدـامـهـ مـيـاهـ فـيـ الـقـرـنـ السـابـقـ الـمـيـلـادـيـ حـامـلـينـ رـايـةـ الـاسـلامـ (٢)ـ .ـ

وسرعان ما اشتد عود الأسطول العربي القوي ، فهزم بحرية الروم ، وانتزع منها سيادة البحر المتوسط الذي زالت عنه صفة (بحر الروم) ، وغدا بحيرة عربية إسلامية بالنسبة لهذا البحر مثل سلطان الفاطميين في شمال إفريقيـةـ ،ـ ثـمـ فـيـ مـصـرـ وـالـشـامـ فـيـماـ بـعـدـ ،ـ قـةـ المـجـدـ الـعـربـيـ الـبـحـريـ ،ـ حـيـثـ بـدـأـ عـصـرـ سـيـادـةـ الـأـسـاطـيلـ الـعـرـبـيـةـ فـيـ الـمـوـسـطـ بـلـاـ مـنـازـعـ ،ـ وـاسـطـاعـتـ الـدـوـلـةـ الـفـاطـمـيـةـ النـاشـئـةـ أـنـ تـبـرـؤـتـلـكـ المـنـزـلـةـ السـامـيـةـ فـيـ تـارـيـخـ الـبـحـرـةـ الـعـرـبـيـةـ

بسبب نشأتها وترعرعها في بيئة بحرية خاصة ، شاهدت منذ أقدم العصور أقوى الأساليب وأشهر أمراء البحر الذين عرفهم التاريخ^(٣) .

ومن المعلوم أن الفاطميين قضوا على الأغالبة، وورثوا ملتهم في (رقدة)^(٤) وصراعهم في العوض الفري لبحر المتوسط . كان هذا الصراع قد ازداد حدة وعنة بعد فتح المسلمين لصقلية سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م ، فأمست منذ ذلك الحين أحدي القواعد العامة لانطلاق الجيوش الإسلامية^(٥) . ولساجاء الفاطميين ضاغفوا من ذلك النشاط ، ولم يكتفوا بموقف الدفاع وصد الهجمات ، بل وقفا موقف المجموع ، وحاولوا كسب مراكز جديدة لأنفسهم كانوا يهدفون إلى تكون امبراطورية قوية ذات قواعد عسكرية بحرية وبحرية ، كي يتمكنا منأخذ زمام المبادرة وحماية دولتهم من أي خطر مهما كان مصدره ، ومن الطبيعي أن يجعلهم هذه السياسة مهتمين بالأسطول البحري وإنشاء الموانئ الهامة كالهدية^(٦) وغيرها ، واقامة دور صناعة السفن على اختلاف أحجامها ، والبحث عن المواد الأولية كالأخشاب . ويزرت عنائهم بالجيش البحري من حيث التدريب والعدد والعدة ، وأغدقوا الأموال والهبات على رجاله ، ومحوهم الاقطاعات الواسعة بقصد تشجيعهم وبعث روح الحماسة في تنوسم ، وبذلك يكونون طوع ارادة الخليفة ، ومتقانين في مهامهم العسكرية .

وفي الوقت تشهي عبد الله المهدى بجزيرة (صقلية) ، ودعم سلطانه فيها ، ورأى في الاحتفاظ بها سبيلاً لتحقيق أهدافه في إنشاء امبراطورية عظيمة في المتوسط ، ففيها كنز طبیعی مثل الذهب والفضة والنحاس والرصاص ، وهي منطقة زراعية خصبة بمعظمه ، تتبع التفاح والبندق والجوز والقططل . ويتصدر ذلك كله صلاحيتها قاعدة لأسطول كبير . وكل أولئك يدعون إلى الاستقرار والاستفادة مما تمت به هذه الجزيرة حيث وجد الفاطميين في حيازهم شمال افريقيـة وصقلية موارد ساعدهم على بناء أسطول قوي يحقق لهم تنفيذ مشاريعهم البحريـة^(٧) .

واستهل الأسطول الفاطمي الوليد نشاطه المبكر في حوض البحر المتوسط الغربي بتدمير ملك الفاطميين بشمال افريقيـة وبسط سيطرتهم على ما جاورهم من الجهات الساحلية التي دأب أهلها على الشغب والثورات . وقد واجه الأسطول الفاطمي أبناء تحقيق هذه المهمة أسطول الأندلس ومحاولاته المتكررة لللغاـرة على ممتلكات الفاطميين^(٨) ، فامارة الأمويين بالأندلس أزعجها قيام سلطان الفاطميين على مقربة من ديارهم ، وارتقت من أهداف

الفااطميين التوسيّة . وبلغت شدة خوف الامويين بملفًا جعلهم يتحالفون مع الروم والفرنجية ضد الأسطول الفاطمي . فهناك من ذكر أن عبد الرحمن الناصر حسن علاقته مع صاحب بروفانس الذي كان حاقداً على الفاطميين بسبب غزوهم لموانئه كجنوة ، كما تعاون مع امبراطور ميزيطة قسطنطين الثامن (٤١٩-٣٤٩ هـ / ١٠٢٨-٩٦١ م) الذي كان يأمل في استرجاع صقلية وغيرها من المراكز البحريّة التي كانت في أيدي خصومه الفاطميين^(١) . وإنما في محاربة الفاطميين عمل الناصر على تحسين علاقاته بالإخشيديين في مصر ، حتى أنه أرسل بعض مراقبيه إلى الإسكندرية بقصد محاربة أسطول الفاطميين . ولما أيقن الأخشاد في ذلك أمر بلعن الخليفة الفاطمي على منابر الأندلس ، وكتب بهذا إلى جميع العمال بقصد الخط من قيمة الفاطميين^(٢) .

أما مع الروم فقد جرد الفاطميون حملاتهم العسكرية ضد أولئك الأعداء^(٣) في كل فرصة سانحة طيلة عهدهم في المرحلة المغربية ، فهذا عباده المهيدي يتبع هجماته عليهم سنين عديدة من المهدية أو صقلية ، حيث توجهت حملة بحرية من الميناء الأول بقيادة صابر الفتى ، وذلك في سنة ٩٣١ هـ / ١٥٣٥ م ، وعدتها أربعة وأربعون مركباً ، مختر عباب اليم حتى وصلت صقلية^(٤) ، ومنها شنت غاراتها على سواحل الروم ومدنهم ، فقتل الكثير ، وغنم ، وعادت إلى قواودها سالمة^(٥) ، ثم أعاد صابر الكرة في السنة التالية من صقلية أيضاً ، فافتتح عدة مواطن رومية ، واستولى على ما فيها ، وأجبه أقصاء أخرى على مصالحه بأموال ودياباج ونياب ، وعاد بجيشه إلى صقلية مركز انتقامته^(٦) ، ثم أعاد الكرة سنة ٩٣٧ هـ / ١٥٣١ م ، فالتحق في البحر بسبعة مراكب للروم ، وهو في أربعة ، فهزم خصومه ، وفتح وسبى كثيراً ، ورجع إلى المهدية^(٧) . وبذلك سن المهيدي لم جاء بهذه سنة توجيه الحملات البحرية من المهدية^(٨) وصقلية ضد الموارنة الرومية . وكان ولاة صقلية يساهمون مسامحة فعالة في هذا المجال ظرفاً لم يدركوا ليتم الاستراتيجي وامكانيات أسطولها البحري . وغير مثال على ذلك الحملة التي قادها يعقوب بن اسحق في آخر حياة عبدالله المهيدي ، ففتحت جنوة وسردانة^(٩) . وقد قال آدم متن عن اتصال الأسطول الفاطمي بالحوض الناري للبحر المتوسط منذ عهد عبدالله المهيدي وسيطرته على مياهه ما نصه^(١٠) : « ولم يكن لأوروبة سلطان على البحر الأبيض المتوسط خلال القرن العاشر الميلادي ، فقد كان بحراً عريباً . وكان لا بد من يريد أن يقضى لنفسه أمراً أن يخطب ودارب كما فعلت ثابولي وغيرته وأمالقى » .

ويظهر أن الملاحة الأوربية نفسها كانت - في ذلك العصر - على حال يرثى لها من الضعف ، ففي سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٥ م استطاعت مراكب عبدالله المهدى الفاطمى أن تغزو جنوب فرنسيه ومدينة جنوة وأن تنهما ، وأن تفعل مثل هذا بمدينة بيزا في عامي ٣٥٤-٣٥١ هـ فهذا النص يبين لنا مدى نقل وطأة الأسطول الفاطمى على أساطيل أوروبية وتحكمه في لحج البحر المتوسط ، وأن سلطة الفاطميين في المغرب تمثل قمة المجد البحري الاسلامي في البحر المتوسط وعصر سيادة الاساطيل الاسلامية لهذا البحر^(١٩) .

وظل الاهتمام بالاسطول متواصلاً وكثيراً في عهد أبي القاسم محمد القائم ، بل بلغت قوته شاؤاً بعيداً ، وفتقام خطره على الأساطيل البيزنطية ، حيث ضاعف من غاراته عليها من مواقيع المغرب وثوروه ، ومن صقلية أيضاً . ولعل قلة الثورات الداخلية في بداية عهده تركت له مجالاً للاحتمام بغرب الروم والعنابة بالاسطول أكثر من أبيه . ويقول ابن خلدون بهذا الصدد^(٢٠) : « وكان أبوالقاسم الشيعي وأبناؤه يغزون بأساطيلهم من المهدية جزيرة جنوة فتنقلب بالظفر والفنية كما وقع في أيامبني الحسن ملوك صقلية القائمين فيها بدعوة العبيد ، وانحازت أمم النصارى بأساطيلهم الى الجاحب الشمالي الشرقي ، وأساطيل المسلمين قد ضربت ضرب الأسد على فريسته ، وقد ملأت الكثير من بسيط هذا البحر عدة وعدداً ، واختلفت في طرقه سلباً وحرباً ، فلم تسبح للنصرانية فيه ألواح . حتى اذا ادرك الدولة العبيدية والأموية الفشل والوهن مد النصارى أيديهم الى جزائر البحر الشرقية مثل صقلية وقريطن ومالطة ، فملكونها ، ثم أتوا على سواحل الشام » . فهذا النص يبين لنا مدى الدور الخطير الذي شغله الفاطميون في الدفاع عن المغرب الاسلامي والمتمثل في رد غزوات الروم .

أما في عهد المعز لدين الله فقد كان للبحرية الفاطمية شأن يذكر في بلاد المغرب ومصر ، حيث اتخذ هذا الخليفة من المهدية مرفاً رئيساً من سوسة وغيرها من الموانئ ، أماكن تأوي إليها سفنه ، ولا نقلوا اذا قلنا: ان المعز لدين الله، بفضل أسطوله القوي ، جعل غربى البحر المتوسط بحيرة فاطمية^(٢١) ، وذلك نظراً لقلة الاضطرابات الداخلية في عهده ، وبفعل سياسة اللين والتفتح التي اتجهها - أحياناً - مع التأمين . ولذا وجد المجال متسماً للاحتمام بالاسطول حيث اتخذ من المراسي المختلفة مأوى لقطع هذا الاسطول . وعمل المعز جاهداً على تحصين موائه ، حتى انه قال: « لسن امتد المقام هنا - أي في المنصورية - لنجرین

البحر بحول الله وقوته اليها في خليج حتى تكون مراكبنا تحط وتقلع بحضرتنا » . ولما شئك أن هذا يدل على مدى عنايه أكثر من أسلافه بالجيش البحري حيث أراد أن يجعل من النصورية ميناءً ثالثاً من حيث الأهمية بعد المهدية وسوسة^(٢٣) . وقد كثرت في عهده المحارس والشغور مثل سبته ومليلة ووهران وجزائر بني مرغنة وبجاية وجigel وسكيكدة وبونة ومرسى الخزر وبنررت وتونس وسوسة والمهدية وصفاقس وقابس وطرابلس وبنغازى، حتى بلغ عددها على ما روى أكثر من عشرة آلاف حصن مبنية بالحجارة والكلس وأبواب الحديد^(٢٤) .

ولا عجب أن وجدنا هنا الأسطول يمثل العامل الأكبر في انتصارات الفاطميين البحري، ويعود إليه الفضل في تزويد جوهر بالأمدادات أثناء فتحه مصر^(٢٥) . ونلاحظ تقدماً ملحوظاً في قوة الأسطول الفاطمي في عهد المعز بما في ذلك القطع البحري العاملة بالغرب الأوسط^(٢٦) . ويمكننا أن نوجز أهم العوامل التي ساعدها على نمو الأسطول وقوته فيما يلي :

١ - صلاحية الموقع الجغرافي لبلاد المغرب وكثرة موانيه ، ووجود أحواض لبناء السفن مثل المهدية وسوسة وبونة (عنابة) ومرسى الخزر ، والقالمة وبجاية وغيرها ، وتتوفر المواد اللازمة لبناء السفن كالأخشاب التي تصنع منها ألواح السفن ، وال الحديد الذي يوجد في صقلية وبونة وبجاية والإربيس . بالإضافة إلى القطرن والمعجال^(٢٧) .

٢ - وراثة الفاطميين لأسطول قوي عن الأغالبة ، يعود تاريخ نشأته إلى عهد حسان بن النعمان (٧٨-٧٥ هـ / ٩٦٨-٩٦٥ م) ، حيث عملوا على تربيتها وتطويرها ، ولم يبدؤوا من الصفر في هذا المجال^(٢٨) .

٣ - وجد الفاطميون بين أهل المغرب إطاراً ذات كفاية عالية ، عارفة بالملاحة والأمور البحري ، ولها خبرة ودرأية في هذا المجال من ذمم الفيتيقين ، فكان هذا أحد العوامل في قوة بحرتهم ونجاحها^(٢٩) .

٤ - يعتبر مركز صقلية البحري الهام من العوامل التي ساعدها على قوة الأسطول وتحكمه في مياه الحوض الغربي للبحر المتوسط ، وقد أصبحت محطة بحرية هامة لل المسلمين منذ أن فتحت سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م على يد أسد بن الفرات^(٣٠) .

٥ - هذا ويمكن أن نعتبره تأصل فكرة الجهاد عند الفاطميين وتطبعهم إلى التوسيع شرقاً وغرباً ، وخوفهم من الخطر الخارجي المتمثل في الروم بصفة خاصة من أهم العوافز

التي جعلتهم يمنون أشد العناء بأمور الأسطول حتى تكون لهم قوة بحرية قادرة على تحقيق آمالهم في توسيع رقعة دولتهم ورد الخطر الخارجي المسيحي كما ذكرنا .

٦ - عنى المز بالأسطول أكثر من أسلافه لأنَّه كان يهدف إلى تكوين قوة بحرية كبيرة يسيطر بها على حوضي البحر المتوسط الغربي والشرقي على السواء ، ويقارع بها كلًا من الأمويين والروم في الحوض الأول ، والعباسيين في الحوض الثاني . كما كان ينوي أن يتخد من سواحل مصر والشام جسرًا يعبر منه إلى بغداد^(١) .

٧ - وما زاد من قوة الأسطول في عهد المز وراثته لأسطول الإخشيديين . فبعد فتحه مصر وجد بين المصريين جنداً أكفاء في ميدان الملاحة النهرية والبحرية مما . وبعد فتح مصر والشام حقق ما كان يطمح إليه في هذا المجال حيث امتد نفوذه البحري من سنته غرباً إلى أنطاكية شرقاً ، بالإضافة إلى الموانئ المطلة على المحيط الأطلسي . وبذلك بلغ الأسطول في عمله ذروة مجده^(٢) .

والى هذا الأسطول الفاطمي يرجع فتح مصر في أسرع وقت ، فقد كان همة الوصل بين جيوش جوهر الفازية وبين المز في المغرب . وفي حراسة هذا الأسطول كانت الإمدادات تصل إلى جوهر في سهولة ويسر . وقد اتَّخذ المز في بعض المدن المصرية دوراً لصناعة السفن، فأنشأ في المقص دار صناعة ضخمة ، وصنفها السبجي المؤرخ المصري المتوفى سنة ٤٢٠ هـ يقوله^(٣) : « انه لم يُرَ مثلها فيما تقدم كبراؤ وفالة وحسناً » . وقال ابن أبي طي^(٤) : « لم يُرَ مثلها في البحر على ميناء » . ويفتَّح أنَّ المز لم يهمل دار صناعة الفسطاط التي كانت تسمى « دار صناعة مصر » ، كما يعني باقامة دور صناعة السفن في موانئ مصر الهامة كالاسكندرية ودمياط^(٥) .

ولم يكن بناء السفن في مصر راجحاً إلى خوف المز من غارات الروم والفرامطة على مصر والشام فحسب ، بل كان ذلك راجحاً إلى رغبته في بسط نفوذه على البلاد التي قد يتَّخذها الأعداء طريقاً يغبون منه على مصر . بالإضافة إلى ما كان يهدف إليه المز لدين الله من اتَّخاذ مصر والشام قنطرة يعبر منها إلى بغداد حاضرة العباسين في ذلك العين^(٦) . أضف إلى ذلك أنه حرص على أن تكون لأسطوله السيادة والتلوق على سائر أساطيل البحر المتوسط . ولا غرو فقد دخلت في حوزة المعز ل الدين الله – بعد أن تم له فتح مصر والشام –

البلاد الواقعة على البحر المتوسط من أنطاكية الى سبته ، ووقدت في يده موانئِ المغربِ
الأخصى المطلة على المحيط الأطلسي (٣٧) ٠

ومن ثم ملا المعرَّكَ كثيراً من موانئِ الشامِ الهامة ، مثل صور وعكا وعسقلان ، بالسفنِ
الكثيرة المختلفة الأنواع وأهمها الشلنديات (٣٨) والشواني (٣٩) الحربية والمسطحات (٤٠)
والطرادات (٤١) والعشاريات (٤٢) والحرافات (٤٣) ٠ وقد رأينا موقف أسطول المعرَّكَ من صور
وسوهاها في حربه مع الروم ، كما رأينا كيف اتخذ جوهر من عكا وعسقلان مستودعات
للإمدادات التي كانت تتدفق على جيش الفاطميين في بلاد الشام ، حتى ان قواد المعرَّكَ
اتخذوا منها أماكن يفرون اليها مع جندهم من وجه أعدائهم ، ولا سيما الترامطة (٤٤) ٠

ولأهمية السواحل الشامية في نظر المعرَّكَ كان يعين عليها قواداً وولاة ، ليكون الاتصال
محكماً بين مصر وببلاد الشام ، وقد قررت سفن الأسطول الفاطمي التي بنيت في دور
الصناعة المصرية بأكثر من ستمائة قطعة مختلقة الإشكال والأحجام ، على حين بلغ عدد السفن
في أواخر عهد الدولة الفاطمية مائة قطعة فقط (٤٥) ٠

وهكذا استغل المعرَّكَ لدين الله موقع مصر والشام الاستراتيجي ، ف تكون أسطوله الشرقي
الضخم ، ولو قدر له البقاء طويلاً لكان هذا الأسطول أكثر ضخامة وأبعد أثراً وقد وصف
المقربي عنية المعرَّكَ بالأسطول بهذه العبارة (٤٦) : « لما سار الروم الى البلاد الشامية بعد
ستة خمسين وتلائمة اشتد أمرهم بأخذهم البلاد ، وقويت العناية بالأسطول في مصر منذ
قدم المعرَّكَ لدين الله ، وأنشأ المراكب الحربية ، واقتدى به بنوه وكان لهم اهتمام بأمور الجهاد ،
وعتناء بالأسطول ، وواصلوا إنشاء المراكب بمدينتها مصر واسكندرية ودمياط ، من الشواني
الحربية والشنديات والمسطحات وتسييرها الى بلاد الساحل مثل صور وعكا وعسقلان ،
وكانت في أيام المعرَّكَ تزيد على ستمائة قطعة » ٠

وكان للأسطول أمير يدعى « قائد القواد » ، وقد سمى بذلك لأنَّه يرأس عشرة قواد ،
كما كان يطلق عليه « أمير الجيش » و « المستوفى » (٤٧) ٠ وقد بلغ من عنية المعرَّكَ ومن جاء
بعده من الخلفاء بالأسطول أن الخليفة كان ينفق عليه في غزواته بنفسه ، ويساعده وزرمه
أو يقوم مقامه ٠ ولم يكن بحارة الأسطول في مرتبة واحدة ، فهناك جماعة كانت تتضاعى
راتباً قدره ديناران ، وأخرى تتضاعى ثانية ، وثالثة عشرة دنانير ، ورابعة خمسة عشر
ديناراً ، وخامسة عشرين ديناراً ، وسادسة خمسة وعشرين ديناراً ٠ أما أمير الأسطول أو

«مقدمة» فكان من كبار الأمراء والأعيان، وهو أمر لا بد منه على حد قول المقريزي ، ان يقوم على الأسطول كبير من الأعيان من أمراء الدولة وأقوامهم^(٤٨) . كما كان الخليفة يقطع رجال الأسطول اقطاعات عرفت باسم «أبواب الغزاة » . وكان قائد الأسطول يشرف عليه، ويتابع القواد العشرة الاشراف العلبي ، فيأمر الجميع بأمر القائد الذي تولى الرئاسة اليه^(٤٩) .

ولكي يشجع الخليفة رجال الأسطول أو الغزاة – كما كانوا يسمونهم – كان يترك لهم من الفنائين المال والثياب والمتاع ، ولا يستيقن سوى الأسرى والسلاح . وكانت الفسطاط من أهم مراكز الأسطول ، وكان الخليفة يشاهد بنفسه حفلة النفقة على الأسطول عند خروجه ، ويارك رجاله ، ويدعمونهم بالتوفيق، كما كان يحضر حفلة استقباله عند عودته . وقد بلغ اهتمام الخلفاء الفاطميين بالأسطول أنهم اتخذوا لهم «منظرة»^(٥٠) بالقص ، يحتفلون فيها بتوديع الأسطول واستقباله ، ويوضح ذلك من هذا الوصف الشيق الذي أورده المقريزي^(٥١) : «وتولى الخليفة بنفسه بحضور الوزير . فإذا أراد النفقة فيما تعين من عدة المراكب السائرة . . . فيتقدم إلى النقباء باحضار الرجال ، وفيهم من كان يتعيش بمصر والقاهرة ، وفيهم من هو خارج عنهما ، فيجتمعون ، وكانت لهم المشاهدة والجريات في مدة أيام سفرهم ، وهم معروفوون عند عشرين عريفاً يقال لهم النقباء ، واحدهم نقيب » .

وكان رجال الأسطول يشغلون مكانة سامية بين موظفي ديوان الجيش ، ولا غرو ، فإن صاحب ديوان الجيش ، وهو المستوفي ، كان أمير الأسطول . وبذلك وضع المعاذ للدين الله أساس نظام البحري في مصر^(٥٢) ، ونهج نهجه من جاء بعده من الخلفاء ، إلا أنهم لم يصلوا بالجيش والأسطول إلى ما وصل إليه المعاذ .

وليس أدل على اهتمام المعاذ بالأسطول من اعتماده على «ديوان الجهاد» أو «ديوان الماء» كما كانوا يسمونه في تنظيم شؤون الأسطول ، ووقف الأموال الضخمة للاتفاق على الأسطول ورجاله . وكثيراً ما كان المعاذ يصد هذا الديوان بالعطايا والهبات من بيت المال .

وكذلك عنى المعاذ بالأساطول التجاري لينقل السلع المصرية إلى البلدان الأخرى ، ويعود محلاً بالسلع من هذه البلدان^(٥٣) . وقد أصبح للفاطميين أسطولاً تجاريًّا ، أحدهما في البحر المتوسط ، والآخر في البحر الأحمر ، فكانت الإسكندرية ودمياط في مصر،

وعسقلان وعكا وصور وصيدا في الشام ، من أهم الموانئ الفاطمية^(٤٤) في البحر المتوسط ، كما كانت عيذاب من أهم موانئ البحر الأحمر، وكانت مزودة بأسطول حربي يقوم على حماية الأسطول التجاري والقضاء على اللصوصية في هذا البحر^(٤٥) .

وقد عنى الخليفة المعز «بديوان الاقطاع» الذي كان تابعاً «لديوان الجيش» ، وكان عمل صاحبه مقصوراً على النظر في الاقطاعات التي اقتحمها رجال الجيش وخاصة الممتلكات الكثيرة التي كانت تابعة للاخشيدين من قبل^(٤٦) .

وصفة القبول : إن المعز لدين الله نهض بالجيش والبحرية نهضة مباركة مشهودة ، كان لها أثر بعيد المدى فيما قام به الفاطميون من فتوح وما نالوه من انتصار وظفر . وما كان هذا ليتم الا باستخدام المقاتلين الطرق العلمية في المجال البحري ، وبما تهأّلهم من عدة وأسلحة ، في مقدمتها النقط الخاص باحرق مراكب العدو . كما استخدمو الكلابيب الحديدية التي ترمي على سفن العدو بقصد اغراقها أو العبور اليها بواسطة الألواح الخشبية والسلام ، كما استخدمو السيف و مختلف الأسلحة الخفيفة^(٤٧) ، وقد بلغت قطع الأسطول الفاطمي بالمغرب ما يزيد على ثلاثة ، كما بلغت في عمد المعز بمصر أكثر من ستمائة قطعة^(٤٨) . لكن شأن الأسطول أخذ بالضعف والتدهور في آخر عهدهم حيث وصل إلى مائة وعشرين سفينة فقط .

ومما تقدم يتجلّى لنا أن الفاطميين عنوا عناية كبيرة بالأسطول ورجاله في المغرب وبعد رحيلهم إلى مصر ، واحتل رجاله مكانة بارزة في ديوان الجيش وبذلك سطر الفاطميون صفحة زاهية مشرقة في التاريخ العربي ، وبنوا نسامجاً تليداً ابعت منه عبق البطولة وأريح الجماد .



هوماشه :

- ١ - ماجد عبد المنعم : الأطلس التاريفي للعالم الإسلامي ص ٢
- ٢ - الباركي : المغرب من ٣٧ حتى عبد الوهاب . بساط العقيق ص ٤٩ .
- ٣ - ماجد عبد المنعم : ص ٢ - ٢ . Gautier : le passé de l'Afrique , p. 52 .
- ٤ - القاضي النعمان : افتتاح الدعوة ص ٢٢٢ ، ٢٢١ . ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٤٠ - ٤٧ . المقريزي : اتعاظ ١ ص ٨٦ - ٨٨ .
- ٥ - الإدريسي : المكتبة العربية الصقلية ص ٢٨ - ٣١ . ابن الأثير : ج ٧ ص ٥ - ٧ . موريينو : المسلمين في صقلية Gorges M. : l'Architecture musulmane , p. 324 . ص ١١ - ١٢ .

- ٦ - احمد توفيق المدنى : المسلمين في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا من ٧٢ - ٧٣ .
- ٧ - البكري : المغرب من ٢٩ العمري المختار من ١٧٧ . ياقوت الحموي : المجمع ج ٥ من ٢٢ . Encyclopédie de l'Islam, p. 329.
- ٨ - حسن ابراهيم حسن واخر : المعز للدين اقه من ١٧٨ .
- ٩ - ارشيدال لويں : القوى البعيرية في البير المتوسط من ٢٣٤ - ٢٣٦ - ٢٣٧ .
- ١٠ - ابن حوقل : صورة الارض من ١١٧ وما بعدها . حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية من ٢٠ . Histoire de l'Afrique du nord, p. 412 .
- ١١ - ميخائيل اماري : المكتبة العربية الصقلية من ٦١ . Grand Larousse, p. 512 .
- ١٢ - ابن عذاري : البيان ج ١ من ١٤ . Le passe de l'Afrique du nord, p. 427 .
- ١٣ - نفسه ج ١ من ١٩٢ . نفسه ج ١ من ١٩٤ .
- ١٤ - ياقوت الحموي مجمع ج ٣ من ٢٠٩ . حسن ابراهيم حسن : عبدالله المهنى من ٢٠٢ .
- ١٥ - آدم متز : الحضارة الاسلامية ج ٢ من ٤٢٦ ارشيدال لويں المرجع نفسه من ٢٣٥ .
- ١٦ - صابر محمد دباب : سياسة الدول الاسلامية في حوض المتوسط من ٩٩ - ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٢ . نفسه .
- ١٧ - المقتحم من ١٥٠ - ١٥٢ .
- ١٨ - ابن خلدون : المقدمة من ١٥٠ - ١٥١ . Golvin : Le Magreb centrale à l'époque, p. 249 .
- ١٩ - مختار العبادي : تاريخ البعيرية الاسلامية في مصر والشام من ٧٧ .
- ٢٠ - التعمان : المجالس من ٥٩٢ . الصاباني : من ٧٢٠ . L'Architecture musulmane, p. 412 .
- ٢١ - حسن ابراهيم حسن : المعز للدين الله من ١٨٥ . Histoire de l'Afrique, p. 329 .
- ٢٢ - البكري : المغرب من ٣٧ - ٥٥ - ٦٤ - ٦٥ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٥ . حسن حسني عبدالوهاب : بساط العقيق من ٥٢ .
- ٢٣ - حسن ابراهيم حسن واخر من ١٨٥ .
- ٢٤ - البكري : تاریخ البعیرية الاسلامیة في مصر والشام من ٧٦ .
- ٢٥ - البكري : ثغر المکتبۃ الوطنیۃ الجزائریۃ من ٢٧ .
- ٢٦ - مختار العبادي : تاريخ البعيرية الاسلامية في مصر والشام من ٢١ - ٢٢ الى ٧٦ . Le passe de l'Afrique du nord, p. 412 .
- ٢٧ - ابن عذاري : البيان ج ١ من ١٠٢ . حسن حسني عبد الوهاب : بساط العقيق من ٤٩ - ٥٠ .
- ٢٨ - عبد الله عنان : قصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية من ١٢٦ - ١٢٧ .
- ٢٩ - البكري : ثبور الاسلامية من ٧٧ - ٧٨ .
- ٣٠ - ابن الأثير الكامل ج ٦ من ٢٣٤ - ٢٣٥ . المالكي : رياض النقوس .
- ٣١ - مختار العبادي : البعيرية الاسلامية من ٦٨ - ٧٠ . Grand Larousse, p. 521 .
- ٣٢ - ابن عذاري : البيان ج ١ من ١٨٠ . عبد العزيز سالم : المغرب الكبير من ٦١٥ - ٦١٦ . ارشيدال لويں : من ٧٢٥ - ٧٣٦ .
- ٣٣ - سرور : سياسة الفاطميين الفارجية من ٢٢١ .
- ٣٤ - محمد صابر دباب : سياسة الدول الاسلامية من ١١٧ .

- ٣٢- ابن البار الكامل ج ٢ : ٢١ . ٠ ابن حماد : تاريخبني عبيد من ٤٠ ، البداية والنهاية ج ١ ص ٢٦٦ . ٠ حسن ابراهيم حسن وآخر : المعز للدين الله من ٨٣ - ٨٤ . ٠ صابر ديباب من ١٠٢ .
- ٣٣- حسن ابراهيم حسن وآخر : المعز للدين الله من ٨٣ - ٨٤ . ٠ صابر ديباب : نظم الاسلامية من ٥٢١ .
- ٣٤- المقريزي : خطط ج ٢ ص ١٩٥ .
- ٣٥- ابن كثير ج ١ ص ٢٦٦ . ٠ المقريزي خطط ج ١ ص ٢٢٩ - ٣٢٣ .
- ٣٦- الطبرى ج ٦ ص ٢٥٧ . ٠ التسعان : الفتح الدعوة من ٢٢ - ٥٤ . ٠ ابن الأثير : الكمال ج ٧ ص ١٤٧ - ١٦١ . ٠
ابن عذاري : البيان ج ١ ص ١٧١ - ١٨١ . ٠ Encyclopédie de l'Islam, pp. 13-19 .
- ٣٧- مختار العبادي وآخر : المرجع نفسه من ٧٦ - ٧٧ .
- ٣٨- مفردنا شنتني . من المراكب المسقطة ، وتختنق بجعل العتاد والرجال . ٠ مختار العبادي وآخر : تاريخ العربية الاسلامية في مصر والشام من ٣٥ - ٣٦ . ٠ ماجد : نظم الفاطميين ج ١ ص ٢٢٤ . ٠ ابراهيم حسن : المعز للدين الله من ١٨٦ .
- ٣٩- مفردنا شونه . وهي سفن كبيرة بها ابراج كبيرة ، تشبه البوارج العربية في يومنا هذا ، وبها آلات الهجوم والدفاع . ٠ ماجد المرجع نفسه . ٠ مختار العبادي وآخر المرجع نفسه من ١٣٦ . ٠ محمد صابر ديباب : سياسة الدول الاسلامية من ١٠٧ . ٠ Dozy T.I. 717 .
- ٤٠- نوع من السفن .
- ٤١- واحدنا طراد : وهي من السفن الصغيرة القوية السريعة ، تحمل الواحدة منها نحو مئة فارس . ٠ العبادي وآخر من ١٣٥ . ٠ حسن ابراهيم حسن وآخر المرجع نفسه من ١٨٦ .
- ٤٢- من القوارب النهرية التي استخدمها الفاطميين في غزوائهم البحري واحدنا عشري .
- ٤٣- تلي الشوانى في الضخامة ، وتحمل المجنحيات وغيرها من معدات الهجوم . ٠ مختار العبادي : المرجع نفسه من ١٣٤ . ٠ حسن ابراهيم حسن وآخر المرجع نفسه من ١٨٧ . ٠ محمد صابر ديباب : نفسه من ١٠٩ - ١٠٨ .
- ٤٤- المقريзи : خطط ج ١ ص ١٩٣ . ٠ سهيل زكار : القراءة من ٣٩٣ وما يليها .
- ٤٥- خطط المقريзи ج ٢ ص ٩١٣ . ٠ حسن ابراهيم حسن : المعز للدين الله من ١٨٦ - ١٨٧ .
- ٤٦- خطط ج ٢ ، ص ١٩٣ .
- ٤٧- المقريзи خطط ج ٢ ص ١٩٣ .
- ٤٨- نفسه .
- ٤٩- نفسه .
- ٥٠- حسن ابراهيم حسن وآخر : المعز للدين الله من ١٨٨ . ٠ ماجد : الحضارة الاسلامية في المصور الوسطى من ٧٩ .
- ٥١- حسن : نظم الفاطميين من ٢٧١ .
- ٥٢- خطط ج ٢ ص ١٩٣ .
- ٥٣- تاريخ الدعوة الاسلامية من ١٨٦ . ٠ رابع بونار : المغرب العربي من ١٨٧ .
- ٥٤- مختار العبادي وآخر : المرجع نفسه من ١٤١ . ٠ ماجد : المغرب العربي من ٢٢٧ .
- ٥٥- صابر محمد ديباب : سياسة الدول الاسلامية في حوض البحر المتوسط من ١٠٨ - ١٠٧ . ٠ Gobrin : Le Magreb, p. 570 .
- ٥٦- انظر م - ١ - م مقال الاختشيد من ٥١٢ .
- Gautier. Le passé, p. 412. Dozy suplement aux dictionnaires Arabes, p. 67, leir l'espagne, p. 332
- ٥٧- مختار العبادي وآخر : المرجع نفسه من ١٤١ . ٠ ماجد : نظم الفاطميين ج ١ ص ٢٢٧ .
- ٥٨- المقريзи : خطط ج ٢ ص ١٩٣ . ٠ حسن ابراهيم حسن وآخر : المعز للدين الله من ٨٦ - ٨٧ .

□ تثبيت المصادر والمراجع :

- ١ - آدم متز : **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري** (جزآن) ترجمة محمد عبد الهادي أبو ربيه ، طبع لجنة التأليف والترجمة ط ٣ القاهرة ١٣٧٧ هـ .
- ٢ - الادريسي : **الشريف الادريسي المتوفى (٥٤٨/١١٥٦ م)** وصف البرية الشمالية والمصراوية تصحيح ، هنري بيرس ، الجزائر ١٣٧٦ هـ ١٩٥٧ م .
- ٣ - ارشيالد لويس : **قوى البرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (٥٠٠ - ١١٠٠ م)** ترجمة احمد عيسى ، نشر مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٦٠ م .
- ٤ - ابن الأثير : **أبو الحسن علي بن الكلم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (٦٢٠ هـ)** .
- ٥ - **الكامل في التاريخ (٨ أجزاء)** نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م / .
- ٦ - ابن حوقل : **أبو القاسم بن حوقل التصيبي (٣٦٧ هـ)** كتاب صورة الأرض ، بيروت مكتبة الحياة .
- ٧ - ابن خلدون : **عبد الرحمن بن محمد (٨٠٨ هـ)** المقدمة والكتاب ، نشر دار الكتب اللبناني - بيروت ١٩٦٧ م .
- ٨ - ابن خلakan : **أبو العباس شعيب الدين بن محمد بن أبي بكر (٦٨١/١١٨١ م)** وفيات الأعيان ج ٢ ، ٤ ، دار الثقافة - بيروت .
- ٩ - ابن سعد : **عرب بن سعد القرطبي المتوفى سنة ٢٨٠ - صلة التاريخ الطبرى القاهرة** ، دار الاستقامة ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م .
- ١٠ - ابن سعد المغربي : **أبو الحسن علي بن موسى المتوفى (٦٨٥/١٢٨٦ م)** كتاب الجغرافيا ، تحقيق اسماعيل العربي ، بيروت ط ١ ، نشر المكتب التجاري المقرب في حل المقرب (جزآن) تحقيق شوقي ضيف (٤٢ ، نشر دار المعارف ط ٢ القاهرة ١٩٦٤ م .
- ١١ - **أبو الفداء : العاذف بن كثیر (٧٧٦ هـ)** .
- ١٢ - البكري : **أبو عبيدة بن العزيز بن محمد مصعب العاذف (٤٨٧ هـ)** المقرب في ذكر بلاد البرية والمغرب ، تحقيق دوسلان - بغداد نشر مكتبة المثنى - جغرافية الاندلس وأوروبا ، تحقيق عبد الرحمن العجي - بيروت - طبعة سنة ١٣٨٤ هـ ١٩٦٨ م / .
- ١٣ - بوئار : **رایح : المغرب العربي تاريخه وثقافته** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ١٩٦٨ م .
- ١٤ - ثابت بن سنان وابن العديم : **تاريخ اخبار القرامطة وترجمة الحسن الأعصم** ، تحقيق سهيل زكار - دار الأمانة ، بيروت سنة ١٩٤١ هـ ١٩٧١ م / .
- ١٥ - الجودري : **أبو علي منصور العزيزي (٤٨٥ هـ)** سيرة الاستاذ جونز تحقيق محمد كامل حسن ، ومحمد عبد الهادي شعيبة ، طبعة الاعتماد ، مصر ١٩٤٥ م .
- ١٦ - جوليان : **شارل اندرية : تاريخ البرية الشمالية** ، تعریب محمد مزالی ، الشیری یو سلامہ طبع السداد ١٩٦٩ م .
- ١٧ - حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الدولة الفاطمية في المقرب ومصر وسوريا وبلاد العرب** ط ٢ مكتبة تاريخ الاسلام السياسي والبيئي والثقافي والاجتماعي (٣ أجزاء) ط ٦ مكتبة ، النهضة المصرية القاهرة ١٩٧٢ م . عبيد الله المهدى امام الشيعة الاسماعيلية مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب و مصر وسوريا وبلاد العرب (بالاشتراك مع الدكتور طه احمد شرف) مكتبة النهضة القاهرة ١٩٤٧/٤١٣٦ م .
- ١٨ - حسن علي ابراهيم : **تاريخ جوهر الصقلي** ، قائد المعز الدين الله الفاطمي ، مكتبة النهضة المصرية ط ٢ ، القاهرة عام ١٩٦٣ م .

- ١٩- العموي : شهاب الدين ابو عبد الله يعقوب بن عبد القاهر العموي الروي البغدادي المتوفي (٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) مجمع البلدان (٥ جزاء) بيروت ١٩٥٥ م .
- ٢٠- الدبياغ : عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الانصاري (ت ٤٧) كتاب معالم اليمان في معرفة أهل القمر وان (٤ جزاء) المطبعة العربية بتونس ١٣٢١ .
- ٢١- دباب : صابر محمد : سياسة الدول الإسلامية في حوض البحر المتوسط في أوائل القرن الثاني الهجري ، حتى نهاية العصر القاطمي ، ثرى عالم الكتب ط ١ القاهرة ١٩٧٧ م .
- ٢٢- سرور : محمد جمال الدين : سياسة القاطميين الغارجية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م .
- ٢٣- سالم : السيد عبد العزيز : المغرب الكبير (العصر الإسلامي) طبع الدار القومية القاهرة ١٩٦٦ م .
- ٢٤- ماجد : عبد النعم : تاريخ العضارة الإسلامية في المصور الوسطي - القاهرة ، نشر مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٣ م .
- ٢٥- ماجد : عبد النعم : علي البتا : الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي في المصور الوسطي - القاهرة ط ٢ - دار الفكر عام ١٩٦٧ م .

★ ★ ★

Dozy, R.

- 1 — Supplement aux dictionnaires Arabes Paris 1967.
- 2 — Gaulhier E. F.
Le passé de l'Afrique du nord petite Bibliothèque, Paris 1952.
- 3 — Golvin L.
Le Maghreb central à l'époque des Zirides Mitiers graphiques, Paris 1957.
- 4 — Julien ch. André
Histoire de l'Afrique du nord. payot, Paris 1931.
- 5 — Marcais Gorges
L'architecture Musulmane d'occident : Tunis - Algerie Maroc Espagne et sicile, Paris 1954.
- 6 — Provençal levi.
L'espagne musulmane aux X^{me} sicile institution et vie social larousse, Paris 1932.
- 7 — Atlas géologique de l'Algérie Redigé Par Stephon - Gazelle Adolph Jourdon imprimeur librairie Educateur Alger 1911.
- 8 — Grand Larousse Paris 1960 - 1961 - 1962 - 1963.
- 9 — Encyclopédie de l'Islam, Paris 1913 - 1934 - 1954.

السرطان الحب !!

نذير المحساني

أيها السوط يا أخي في يد العلاء بل يا أخي مهلاً .. رويدا
سامني الغسق فانتقضت فعر بدت فكانت لفاك نارا وقيدا
لست في كفه وترقني شزرأ وتبعدو علي أكثر حقدا !
ذقت عدوانه وذقتك لكن كنت منه على رفيقك أعدى
إذا نلت منه الفاغلاظا نلت من قبضتك ألفين عدآ !
وإذا ضامني به العسف واشتد على جانعي كنت أشدآ ؟
أنتما سيدان ؟ أم سيد شاءك عبداً لتمسخ العسر عبدا ؟
أشغ للكرياء تتلو الأناشيد على كل لسعة منك جلدا
أنت مني .. من دمع جلدي أماقيك وتتسبي لي العدو الآلدآ ؟
في جراحى سرحت ماذا بها لعنة انكرت بي على الموت جلدا ؟
أشتممت غير رائحة الود من خانني على القرب ودآ ؟
السطور الحمر التي منك في ظهري سلاماً كانت عليك وبردا ؟

والندوب التي اكتويت بها منك أباتت على حنائك تندى؟
صدىءَ العب في فؤادك هل كان بغير الغنوع والذل يصدا؟
إذا لم أبلّ حدى من دمعي رماك الطاغوت جمراً وحداً؟!
يا أخي الصغير نسجك من لعبي فمن ذا يكون بعدي بُرداً؟
كفَ لَوْمَ الزمان في غمرة الليل ائتلاقي فتاب نجمي وأكدى
وعلانني عبد النهالة بالسوط جريحاً فشار جرحنيَّ وقداً؟
يا رداء الباغي وراء الدياجي سوف يرددَي الباغي وما يتربَّدَي
كيف عاديتي وصافيت من لم تك سيفاً له ولم تك غمداً؟
أصغير مع الصغير الذي عربد كفراً وزاد بالسوط جنداً؟
لا تمرَّغ بعمَّة المار جفنيك ولا تنقلب مع الوحد وغدا
عُندَ بلعبي وعُندَ إليَّ بما مزقتَ منه إن كنت تملك عَوْدَا
رَدَّ لي ما أخذتَ من دميَ العرامتها إن كنت تستطيع ردا
ادْنَ مني إني وهبتك غفراني عطاءَ إليك لن يُستردَا
كن بجنبي أخاً وذق طعم عهدي وتطهر يداً وروحاً وكبدنا
كن زنادي في الليل يُقدح للساري وأشتد فيك جنحاً وزَنداً
كن ضمادي إذا تَفجَّرَ عِرقَ من شفاه الصباح يطلب وعدا
ستراني غداً أزحزع ليلاً كان بي يوم كنت بي مستبداً!

نذير العسامي

بريده في ١٤/٨/١٩٨٣

ماني المؤنس من أشعار الناس.. ولكن!

عادل العَامِل

تصادف الباحث المتخصص لأشعار الأقليمين صعوبات جمة ناجمة عن الدمار الذي أصاب تراثنا الفكري ، لأسباب مختلفة ، وضياع دواوين عدد كبير من الشعراء الذين لم يبق من شعرهم غير أبيات متتشرة في كتب المؤلفين القديمة . هذا إضافة إلى ضياع أغلب هذه الكتب المخطوطة أو تشتتها في أماكن متباينة من العالم ، في المتاحف والمكتبات العامة والشخصية ، وافتقار العديد من الكتب التراثية المطبوعة إلى الفهرسة الفنية البعيدة التي تسهل على الباحث مهمته الصعبة . وتزداد هذه المهمة صعوبة وتعقداً عندما يتعلق الأمر بواحد من أولئك الشعراء المقلين أو المغمورين لأسباب لا تتعلق بالقدرة الفنية ، في الغالب .

ولم يتخل شاعرنا الموسمن هذا ما ناله أولئك من عadiات الزمن والظروف المقدمة بمهمة استقصاء حياتهم ونتاجهم الشعري فحسب ، بل وكانت لمسيرة حياته وحالته النفسية الضطربة آثار سلبية أخرى جعلت شعره يتعرض لا للضياع فقط ، بل وللمفسن والنحل والتبيير ، أيضاً .

فكل ما نعرفه من شعر ماني الموسمن وأخباره مستمد من الفترة التي عاشها في بغداد بعد قيومه من مصر ، وطنه الأصلي، وهي فترة قصيرة قد لا تتجاوز عشر سنوات إلا قليلاً . وقد قضى هذه الفترة مضطرب الحال ، وهو ي manusi من السوداء وعبث المبيان به ، ومن الجوع والغربة والاهـمال .

ولم يكن يعني الرواة والمحدثين من أمر هذا الشاعر وغيره من وصفوا بالموسنة والجنون والحمق من الشعراء الخارجين على مأثور الناس ، سوى الشعر المقترب بالتأدلة

وال موقف المضحك ، يتحدثون به أو ينقلونه إلى خليفة أو أمير أو وزير ليزدادوا به حظوة لديه وينالوا جائزة أكبر .

ومكذا اختلطت أخبار مثل مؤلام الشعراء وأشعارهم بعضها ببعض ، وتمددت رواياتها واختلفت بتعدد الرواين واختلاف الأزمنة والأمكنة ، فنسب لبعضهم ما لم يقله أصلاً أو ما قاله غيره ، وحرفت الأشعار بعثت تتفق والرواية التي أحسن الرواين صياغتها وأعدما وفقاً للفرض المقصود .

وكان بعض الرواية يجد حرجاً ، كما يجدوا ، في ذكر اسم قائل الشعر فيفظه ممؤلفه ، أو أنه يتحدث عنه للآخرين ولكنه يتعاشي ذكره في مؤلفاته . وهذا ما لاحظته لدى أبي العباس محمد بن يزيد المروف بالمرید ، الذي تروى عنه أحاديث كثيرة عن ماني الموسوس وأشعاره ، وكان معاصرًا له ، في كتب كالاغانى والمقد الفريد ، ولكنه لا ينبع بنته شفه عنده في مؤلفه الجامع (الكامل في اللغة والأدب) ، على سبيل المثال !

وهناك الكثير من الأشعار والحكايات المنسوبة لمجاتين صادفهم الميرد وغيره ، من غير أن يذكر اسم قائلها أو نسبت إلى « آخر » أو « بعضهم » ، وما شاكل ذلك ، يجد المرء فيها مزاج مانع وطابعه الشعري ، ولكن لا يمكن الجزم في أمر قائلها للتشابه الكبير بين أمزجة هذه الفتنة من النازن والسمات الفنية لأشعارهم .

□ اسمه وشهرته :

هو محمد بن القاسم ، وكنيته أبوالحسن ، المصري (١) . وهذا ما أجمع عليه الروايات في المصادر المتوفرة ، التي تتفق جميعاً عند اسم أبيه ، لا تتجاوزه إلى ما يلقى ضوءاً على نسبة وأسرته والدينته التي قدم منها في مصر .

أما (مانع) فلقب غالب عليه ، كما يقول صاحب الأهانى (٢) ، وبعضهم يقيده بتشديد النون ، على حد قول ابن حجر المستقلاني (٣) ، ويرد في بعض الروايات (مان) ، من غير ياء ، (المانع) أحياناً ، كما في (محاضرات الأدباء) (٤) للراهن الأسفهانى .

ولكتنا لم نشر على ما يفسر سبب تلقيبه بهذا اللقب . ومن المرجح أنه أطلق عليه في بغداد ، حيث استقر بقية عمره . أذأن أحداً لم يكن مطلماً على الفترة الماضية من حياته قبل قدومه ببغداد ، والمتقل إلى بلد آخر لا يشيع عن نفسه ، في الساد ، القاباً ليس فيها ما يعزز مكانته الاجتماعية ، مما كانت طبيعة هذا الشخص .

و (مانع) ، في اللغة ، اسم فاعل من (مني) أي قدر (٥) . وجاء في (التهذيب) : « حتى تبين ما يعني لك المانع . أي ما يقتدر لك القادر » (٦) . فلاماني هو القادر (٧) . و (مانع) ، في السير ، هو مانع بن فاتك العكيم ، الذي ظهر في زمان سapor بن أردشير وزعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قدبيين : أحدهما نوره والأخر ظلمة (٨) ولا نور ، على كل حال ، إن كانت لها صلة بهذا المذهب فاطلق عليه اسم صاحبه

من قبيل التشبه . ولكنني أعتقد أن الأمر لا يتعدي كونه قد بدأ بمزحة أريد فيها مداعبة الشاعر أو التقليل من شأنه استهزاء به ، ثم التصق به اللقب بقية عمره .

كما يكتنف الفموض الظرف التي أدت إلى اصابتة بالموسسة ، التي هي د مرض يحدث من غلبة السوداء ويختلط معه الذهن «^(٩) » . وهي « أدنى حالة وأهونها من الجنون »^(١٠) . وعلى كل حال ، فانها حالة تتسم بشدة حساسية المزم لأخطائه الخاصة وصرامتها الأخلاقية ، كما يصفها علماء النفس ، ويشترك في ذلك جميع الصابرين بالوسواس^(١١) . وهذا ما كان عليه ماني الموسوس ، كما يبدو من موقفه الذوقي والأخلاقي ازاء موجودات الحياة وعلاقاتها الاجتماعية والمعاطفية .

وتعد هذه اللحظة ، الموسوس ، بكسر الواو الثانية ، كما في (الأغاني) وأغلب المصادر ، وتمني الذي تعتريه الوساوس ، أو الذي « أصيب في عقله وتكلم بغير نظام واختلط كلامه ودهش »^(١٢) . ويوردها بضمهم بفتح الواو الثانية ، كما في (الأعلام) للزركي .

ويبدو أن هذه الحالة النفسية المضطربة كانت تعاود الشاعر بين حين وآخر ، وعدا ذلك فهو انسان اعتيادي وظريف ، بل من أظرف الناس والطفهم ، كما يؤكّد الرواة . وقد ورد في شعره ذكر لهذه الحالة ، اذ يقول مخاطباً محبوبته :

فان لم يقولوا مات ، او هو ميت فزيدي اذا قلبي جنونا ووسواسا^(١٣)

وهو اقرار واضح بمعاناته هذه ، نكل ما يطلبه من محبوبته هو أن لا تزيده معاناة ، الا اذا لم يقولوا عنه أنه قد مات ، او هوميت ، أصلا !

□ حياته :

قدم الشاعر ببغداد أيام المتوكل العباسي ، كما تجمع على ذلك المصادر القليلة التي تترجم له ، والتي لا تضيف شيئاً سوى أنه كان من أهل مصر ، وتوفي عام ٢٤٥ هـ .

وإذا ما اعتبرنا أن المقصود بقدومه أيام المتوكل لا يعني أنه جاء في بداية عهد هذا الخليفة الذي كانت فترة خلافته : (٢٢٢ - ٢٤٧ هـ) ، فإن الشاعر ، كما نرى ، عاش في بغداد عشر سنوات أو أكثر أو أقل بقليل قبل أن يتوفى فيها ، على الأكثـر . اذ ليست هناك اشارة صريحة إلى مكان وفاته ، باستثنامـا جاء في هامـش من كتاب (الفاضل في صفة الأدب الكامل) ، حيث ذكر محققـه يوسف يعقوب سـكونـي أنه توفي في بغداد ، ولا أدرـي من أين أستـقـى معلومـته هذه . ولكن مـكـايـفـهمـ من سـيـاقـ الأخـبارـ التي تـتـحدـثـ عنـهـ . كما أنه ليس هناك ما يـشيرـ إلى تلك الفترةـ من حـيـاتهـ فيـ مصرـ وسبـبـ خـروـجهـ منهاـ إلىـ مدـيـنةـ السـلامـ ، ولكن رـبـياـ كان قد غـادـ مصرـ فيـ الجـيـوشـ المـاذـابةـ لـلفـزوـ وـالـجـهـادـ ثـمـ استـقـرـ فيـ بـغـدـادـ لـسـبـبـ ماـ ، كـماـ هوـ مـفـهـومـ منـ تـذـكـيرـ أحـدـهـ للـشـاعـرـ بـالـفـزوـ وـالـجـهـادـ . فقد

ذكر حبيب بن أوس(١٤) أنه كان في غرفة له على شاطئ نهرة عندما شاهد غلاماً يلقي بنفسه في نهرة يسبح فيها ، وإذا مات الموسوس يرمي بصره ، فلما خرج من الماء ، قال :

خمس الماء جلد الرطب حتى خلت لابساً غلاة خمر

قلت له : لمنك الله يا ماني ! أبْعَدْ الجهاد والنزو تخمس غلاماً قد بات مُواجراً في العمامات ؟ !

ونحن نجهل أيضاً الوضع العائلي للشاعر ، والورد الذي اعتمد عليه في معيشته قبل أن يعن له محمد عبد الله بن طاهر ، بمد توليه شرطة بغداد سنة ٢٣٧ هـ ، معاشاً مدي حياته . فالمحروف أنه لم يتكتب بشعره ولا عرفت له صنعة يعيش منها أو كان لديه مال حمله منه من مصر . ولكنه كان ، كما ييدو من أخباره ، يكتفي بالقليل من مقومات الحياة ، فلا يكلفه ذلك شيئاً . وكانت الهبات التي يحصل عليها أحياناً كافية لسد متطلبات معيشته المتواضعة المقترنة بقناعة وإباء فيه . فقد « وقف يوماً على أبي دلف ، القائد العباسى المروف ، فأنشده :

كرءات عينك عن سلسلة السيف

قال أبو دلف : والله ما مدحت قط بمثل هذا البيت ! وأمر له بعشرة آلاف درهم ، فأبى أن يقبضها وقال : نقنع من هذا بنصف درهم وهريرة » (١٥) .

وعدا تلك الحالات التي كان يراه فيها يضمهم عرياناً بيده قضية ، أو عرضة لمبعث الصبيان به ، إبان اشتداد السوداء عليه ، فإنه كان من أطرف الناس والطفهم . وكان الأمراء والأصدقاء وأصحاب الظرف يجدون متنممة في مجالسته لهم فيستدعونه بين حين وأخر ويطلبون منه معاودتهم ، ويستلطرون ضوره في أوقات سررهم ويمارحونه ويتطلغون إليه إذا ما بدر منهم ما يتزعج له شأن المزاح) (١٦) !

فكان على رقة في السلوك ورفعة في الخلق ، تتضمن من طرقته في التصرف أشياء مجالسته لداعيه من هؤلاء الأمراء وأصحابه وعدم اطالته المكوث ، لأنه كان على يقين من أن :

ملعون التغليف موصولٌ ومطيل اللثث مملولٌ

كما كان على رقة في النطق تبلغ أحياناً درجة العنف والتطرف . فننسى سمع ذات مرة مؤذناً يؤذن بصوت أو بطريقه لم ترق له ، ذهب إليه في صويمته وصفمه بشدة لأنه كان « يمطط » ، أي يتوانى في الكلام ، ولا « يمطط » ، أي لا يتبع الأصوات ، كما كان ماني يود أن يكون عليه الأذان) (١٧) !

هذا إضافة إلى الفعلة والذكام اللذين اتسم بهما ، وهما من السمات التي كان يتميز بها الظرفاء آنذاك ، واستحق بهما الوصف بأنه من أطرف الناس .

□ علاقاته العاطفية :

عاش ماني الموسوس في فترة من المهد المباغي بلغت فيها العلاقات الاجتماعية درجة من الانفتاح كان لكل طالب لذة معها فرسته في ارضاء رغباته بالقدر الذي يستطيع والطريقة التي يشاء . فقد كان عهد القلوف والجنون ما يزال يسبع زقه عند أبواب الخمارات والديارات ومحالى اللهو في بنداد الزاهرة والمدن الكبيرة الأخرى ، يل وفى القرى القرية منها . فلم يعد شاعرنا من ماجنة تراسله وتبثه الحب ، ومن غلام يتعشقه ، ولكن من غير اسفاف وتبذر واستهثار في سلوكه وفي شعره . الا أنها لا نعرف له مشوقة معينة يجاهر باسمها ، ولا غلاماً معيناً يشتهر به ويطيل التشوّق اليه ، كما كانت الحال مع الكثير من شعراء ذلك مصر . ويبدو ذلك طبيعياً بالنسبة لن كان في تلك الموضع النفسي لم يضطر . والحالة المعيشية والاجتماعية المتدينة التي كان عليها ماني . وبالرغم من هذا ، فإن من السهل على قارئه شعره أن يجد صدقًا في عاطفته لا يمكن إلا أن يكون برهاناً على نفس رقيقة متفانية في آية علاقة عاطفية تتفسّر فيها ، أو على حب راسخ تمكن منه طويلاً وأصناف حتى أسمته وتركه كما يقول(١٦) :

قد بلغت نفسه الترافق
وذاب شوقاً إلى غزال
أوضع للبين بانطلاق
لم ييق منه السقام الا
جلداً على أعظم رقصان
آذنت النفس بالفارق
لولا تصليه بالتبكي

وهو وصف نجده يتكرر في شعره باشكال متفاوتة تجعلنا ننظر إليه أحياناً فنرى رجلاً نحيلاً شاحب الوجه لا يكاد تبصر لجسمه الناحل ظيلاً(١٧) .

□ شعره :

وصف ماني الموسوس بأنه « من أشمر الناس » ، في فترة عاصم خلالها شعراء كباراً مثل البعترى ، الحسين بن الخطاب ، عبد الغزامى ، ديك الجن العمسي وغيرهم . والمتقصد بهذا الوصف ، بالطبع ، الجانب النوعي من شعره وليس جانبه الكمى . فقد كان شاعراً مطبيعاً يقول ما يخطر على ذهنه، من غير تدبر ولا تكلف ، وهو أمران يقتضيان قصداً محدداً وطول آناء ومهلاً إلى استئناف المعنى واستخدام المستحسنات المتوازنة والمستجدة في فن الشعر . وتلك خصائص أكثر ما تكون في الشاعر المعترف . ولم يكن لدى شاعرنا من الاستمناء النفسي والطموح لو الرغبة ما يدفعه لأن يكون شيئاً من ذلك ، رغم أنه كان يدرك تماماً التيبة الفنية العالمية التي يتميز بها شعره(٢٠) . وقد انكست حالة النفسية تلك على شعره شكلاً ومضموناً . فلم يشعر أو يقل شيئاً ، كما يذكر الأصفهانى(٢١) مثلاً ، الا في النزول . وكان شعره ، في الغالب ، بشكل مقطمات مستملحة قد لا يتجاوز ذهنها ، أحياناً ، للميت . هو البعين ، من لعن الدين المرقق ، أو للثناء المفرد

النابر ، على نمة سلفت أو مجالسة سنت على غير قصد أو تدبير . وقد بلغ شعره من رقة التصوير درجة تبدو معها مرنيات الشاعر و كأنها تكاد تذوب وتتلاشى في خيال القارئ ، مثل قوله :

ما أنا إذا يسقطني للبلى
لو يحسد السلك على دقة
بل وأكثر من ذلك :
غابوا فاضحى بدنبي بعدهم
عن فرشتي أنفاس عوادي
جيأ لأمسى بعض حساني
لا تبصر العين له ليّا

و شعره يزخر بمثل هذه الاشارات ، التي يقول عنها ابن رشيق أنها « من غرائب الشعر ولعله ، وبلافتة عجيبة ، تدل على بعد المدى و فرط المقدرة ، وليس يأتي بها إلا الشاعر المبرز ، والعاذق الماهر » (٢٢) .

من ذلك ما جاء كنایة عن الشجاعة ، كقوله :

كراءات عينك في العِيدا
تفنيك من سلَّ السيفِ
وقوله ، كنایة عن رقة أنامل العبيب :
لو صافع الماء القراحِ بكفهِ
لجرت أنامله كجري الماءِ
ومن تلك التشبيهات ، الرمز ، كقوله :
ترى ما أخفت شفتهاً نحوبي
كان لشاته علّت بدبيقِ
فرمز للضم بما أخفت شفتهاً .
وكذلك قوله :

خشن الماء جلدُه الرطب حتى خلتَ لابسا غلالة خمر

وهذا بيت عجيب باشاراته الرائعة الكثيرة ، وتشبيهه من أبدع ما جاء في هذا الباب من محاسن الشعر . ولو لا خشية الاطالة لانتقينا من ذلك شيئاً كثيراً .

ولم يجر ماني الموسوس ، على النعوم ، جري غيره من الشعراء في تشبيهاته ، بل كانت له ابتكاراته الخامسة . من ذلك ما أورده أبو ملال المسكري ، في (ديوان الماني) (٢٣) ، وهو يقول :

بكت عيني غداة البين دمعا
وآخر بالبكاء بغلت علينا
فما قاتبت التي بخلت علينا
بأن فمضتها يوم التقينا

وهو ما أخذه ابن الرومي ، كما يقول العسكري ، وزاد فيه ، في أبيات أولها :

ولقد يُلْفَنَا اللِّقَاءُ بِلِيلَةٍ جَعَلَتْ لَنَا حَتَّى الصَّبَاحِ نَظِاماً

وليس أدل على مكانة هذا الشاعر الذي جار عليه الزمن وعيشت بشعره الروايات المضاربة وغير الآينة أحياناً ، من تلك الآراء المريحة التي صدرت بحقه عن كبار مشفقي ذلك العصر والمصور التالية .

فقد وصفه الأصفهاني في كتابه (الأغاني) (٢٤) بأنه : « شاعر لين الشعر رقيقه ، لم يقل شيئاً إلا في الفزل ۰۰۰ » ، كما وصف شعره بالرققة آخرون مثل الأمير العافظ ابن ماكولا (٢٥) ، المزباني (٢٦) ، الذهبي (٢٧) ، وغيرهم .

وجاء في (تاج المuros) (٢٨) لمحب الدين الحسيني ، أنه « شاعر مصرى مرق أي له شعر رقيق رائق ۰۰۰ » ، وقال عنه الحسن بن محمد بن طالوت (٢٩) : « ما رأيت أحداً أحضر ذهناً منه ، اذ تقول له الجارية : عطف عليك إلفك ، فینفيها بقوله :

لِيْسْ لِيْ إِلَّا فِيْ مِعْنَفِنِيْ فَارَقْتُ نَفْسِيْ إِلَيْمَاطِيلِ

وقد أعرب أبو دلف المجلبي ، الأمير والشاعر المعروف ، عن دهشته عندما مدحه ماني بيته (٣٠) :

كَرَاءَتْ هَيْنَكَ فِيِ الْمِدَا تَغْنِيكَ عَنِ سَلَّ السَّيْوَفِ

وقال انه لم يمدح قط بمثل ذلك البيت !

ووصفه أبو شجرة ، في طبقات ابن المعتز (٣١) ، بقوله : « كان ماني المجنون من أشهر الناس وهو القائل :

نَعْلُ العَيْوَنْ قَوَاصِدُ النَّبْلِ قَتَلْنَا بِعِيْوَنْهَا النَّجْلِ
كَعْلُ الْعَمَالْ جَفُونْ اهِينَهَا تَفَرَّرْ عَنْ كَعْلِ بَلَا كَعْلِ
وَكَانَهُنْ إِذَا أَرْجَلْهُنْ مِنْ وَحْلِ

وأخيراً ، من حق من كان « من أشهر النام » علينا أن نحاول جهداً استعادة ما أمكننا ذلك من سمات الشخصية والفنية ووضع ما تيسر لنا جمعه من شعره (٣٢) في مكانه اللائق به من تراثنا الأدبي الأصيل ونهضتنا الثقافية المعاصرة .

□ الاشارات :

- ١ - الأغاني ١٨١/٢٣ ، مجمم الشعراء ٣٨٧ ، الشهابي في الرجال، قوات الوفيات ٢٥١٨/٢، تاريخ بغداد ٣٦٩/٣ ٠٠٠
- ٢ - الأغاني ١٨١/٢٣ ٠
- ٣ - نزهة الآلباب في الاقتباب (مخطوط) ، ٤٠ ظ
- ٤ - محاضرات الأدباء ٦٩/٣ ٠
- ٥ - لسان العرب ٥٣٨/٣ ٠
- ٦ - المصدر نفسه ٠
- ٧ - تاج العروس ٣٤٧/٢ ٠
- ٨ - المل والتعل ٤٩/٢ ٠
- ٩ - المتجد ٣٧٢ ٠
- ١٠ - فقه اللغة ١٣٩ ٠
- ١١ - سيكولوجية التسلو النفسي لدى الجنسين ١٠٢ ٠
- ١٢ - المتجد ٨٩٩ ٠
- ١٣ - مصارع العشاق ٩٨/١ ٠
- ١٤ - العقد الفريد ٦٦٩/٦ ٠
- ١٥ - مصارع العشاق ٩٥/٢ ٠
- ١٦ - الأغاني ١٨٦/٢٣ ٠
- ١٧ - الأغاني ١٨٣/٢٣ ٠
- ١٨ - مصارع العشاق ٩٩/١ ٠
- ١٩ - الزهرة ٣٠٤/١ ٠
- ٢٠ - الأغاني ١٨٥/٢٣ ، وفيه ان ماتي الموسوس قال للأمير محمد بن عبد الله بعد ان غنته الجاربة متoscة : « لولا رهبة الأمير لاضفت الى هذين البيتين بيتين لا يربدان على سمع سامع ذي لب فيصدران الا عن استحسان لهما » ٠
- ٢١ - الأغاني ١٨١/٢٣ ٠
- ٢٢ - العمدة ٣٠٢/١ ٠
- ٢٣ - ديوان الماعنی ٢٨٣/١ ٠
- ٢٤ - الأغاني ١٨١/٢٣ ٠
- ٢٥ - الإكمال في رفع الارتياب ١٩٩/٧ ٠
- ٢٦ - مجمم الشعراء ٣٨٧ ٠
- ٢٧ - الشهابي في الرجال ٥٦٣/٢ ٠
- ٢٨ - تاج المريض ٣٤٧/٢ ٠
- ٢٩ - بدائع البداع ١٤٧ ٠
- ٣٠ - العقد الفريد ١٦١/٧ ٠
- ٣١ - طبقات الشعراء ٣٨٣ ٠
- ٣٢ - المقالة ، في الاصل ، دراسة مرتبطة مع اشعار ماتي الموسوس واخباره ، ستظهر جميعا في كتاب واحد ٠



فتح البردة

هند هارون

دمعي يؤلقه الاشراق في الالم
 يلدمى الشفاف بجرح غير ملتمٍ
 ما دمت أمّاً تعيش العمر بالوصمٍ
 بين الصواب .. وفي اغفاءة الكتمٍ
 وحيث دفق "حنون واجف بدمي
 والنار لفهما في حرب مختدمٍ
 أو رمت أطفئها بالآه تضطزمٍ
 والسر يقسى بصدرٍ وعدَ ملتزمٍ
 في كل نابضة مشتاقٍ وفهمٍ
 ايقاعها من حنين النسيٍ والتفسِّر
 رينها والصدى .. في الأرض .. في الجرمٍ
 وفي الضلوع حصين غير مخترمٍ
 وما بقلبي من نسب الكلوم دُمسي

وجدى يمر على الأحزان كالسمٍ
 وفي فؤادي جرح ساكب أبداً
 ما دام يطعنه ثكيل يمزقني
 أعني العذاب فراق" راح يسكنني
 وفي العنايا .. بذرّاتي .. بأوردي
 يدور بين عروقي غازياً كبدى
 ان رحت أخمدتها بالدمع يفداً لظى
 والصلب في عمقه سر يلازمـه
 لو بحث ضيئت من مكتونه وسرى
 وزغردت في شفاه الحب أغنية
 بين الماشي .. على الأوتار عازفةٌ
 لكنْ أمرت ... وأمر الله مؤمنٍ
 الله يعلم ما عانيت من وصب



غفيرك الرحمة الخضراء معشبةٌ
 مفازتي .. وحيماً ما جف من أكمي

غفترانك النور في ليلي اذا سلبتْ
 ومزق الملح المتساح أثر عتني
 وطاف حول كياني وازعنا ٠٠ غضا
 غفرانك الفرح المرتاح في بصرى
 وقلة مثل ومض الطرف وائلة
 يرقى الزمان بها لا عد يع بما
 أنسى بها مولدي ٠٠ شأني وسألتي
 وأستقل سفينيا راح يرفعها
 أصعد الوجد في ركبى ٠٠ يواكبني
 أخنى الشرى ٠٠ طريق الشوق يخذبني
 سيلك الورد يا رحمن في ظئني
 وصرت حرئ على قيظ يحرقني
 وغلغل التهر في جنبي يصلبني
 وأصبح الحق جمرا في يد حسرتْ
 وبات كل قريب من أبعادها
 غفرانك الوهج الشعشاع متشارا
 في نزرة الطفل ٠٠ في ايراق وارفة
 في زرقة البحر ٠٠ في تسيع مجته
 على نصال الثكالى ٠٠ لونها شفق
 وبين أضلاع عبد شاكر أبدا
 وفي مدى شاعر رؤياك موئله
 والصالحات على ايمانه عمل

★ ★ ★

وساورته هموم الأرض والقبر
 من لي سواك بدرن الشوك والقبر
 عمري ٠٠ ويفرها فيض من الركب
 هل يفدل القلب معنى المن والكرم

يا رب ! أنت المدى ان ضل مفترب
 يا رب دل مساري في مساحته
 ورحلتي يحتويني الغيب . يسلكها
 يا رب عفوتك ٠٠ ذاك الفيض مكرمة

غشاوة كشفت والنفس وادعمة
 هذا كتابك يا رحمن مفتررة
 آياتك الفصل ان قولوا وان عملاً
 قرآنك المعجز الشريع لا زمن
 نسمو اليه .. معاييه الالى ذخرت
 الحمد لله رب العالمين .. وفي
 موارد من عيون البسيع دافقة
 ويستق القلب من ريتا مناهله
 يا رب .. اوهى من التعبير ملحمتي
 لكن أحسن خشوعاً ران في بصرى
 لكن هجودي أتلوا حكمه سورة
 للخالق الباري، التهار قانيتي
 له الصلاة صلات .. في جبائهما
 له المدامع في نماء ساطعة
 له الوجيب بقلب عابد أرق
 هذا كتابك هدي للالى ذهبوا
 فيطرون على دنياهم أثراً
 يساومون على الدينار أرضهم
 يقاتلون على الدنيا أخاً لهم
 وحدّتهم .. وتمادوا في تقرهم
 هل يطبع الألم النساب في كبدي
 وهم عبادك .. ما ضلوا .. وما نكثوا
 أن ترفع الغل عننا .. إن بفت فتة



هذا كتابك آلاء منعمة
 وبينات لمن جابوا الفضاء وما
 وعجزات لمن بالذررة اعتقدوا

منك الدليل لأهل الأرض .. للأسر
 ان رحت أسأل حيري .. والسؤال عم
 تفصل الدين والدين المتعصّم
 ينحدّ فيه ولا كون .. اليه نسي
 بالدهشات طريق واضح الرسم
 أم الكتاب .. الثاني السبع والرحم
 ومن يرد كوثر القرآن يقتسم
 عذباً فراتاً بصدر لافح العجم
 هيمات يدرك قلبي غایة الفهم
 في مجتي .. يحتونني رافعاً دعمي
 يهفو بروحني الى العلياء .. للحكم
 وكل حرف سوى ذكراه .. لم يدم
 طوق النجاة لمان .. في ونى الرغم
 لآثأ برقت في عقد منتظم
 بكل نبض على نجواه مكتشم
 للماكين يروز المجد في الرسم
 ينسود ملصالهم من أسر الأدم
 يساعدون على أبواب منهزم
 في الدين .. شرعتهم أهواه منقسم
 كيف الخلاص لهم من ضعف منقسم
 كرمي لمن جاهدوا وشاء مقتنم
 عهد السماء .. وما دانوا المصطدم
 أو زاغ مستكبر في مزلق حطم .. .

أنت الذي مرج البحرين ذا نهر
وبيرزخ حاجز للمرج ينهمـا
مقـال ذرة خـير لـست تـهمـا
نهـيت فـرعـون جـسـما عـبرـة لـهمـا
المـوـمـيـاء عـلـى الـأـبـدـان بـاقـيـة
الـظـلـمـكـ يـا رـحـمـن رـاسـة
فـي السـمـاء بـرـوج شـدـتها نـزـلا

★ ★ ★

من نعـيـاتـك لـلـأـرـضـين .. للـنـسـمـ
فـلتـشـرقـ الشـمـسـ منـ غـربـ لـذـي قـصـمـ
يـاطـلـ حـافـلـ بـالـبـغـيـ .. مـلـطـمـ
عـنـ مـسـلـكـ فيـ مـدارـ الـكـوـنـ مـنـظـمـ
وـلـيـتـضـنـ الطـفـلـ مـنـ طـيـنـ وـمـنـ سـجـمـ ..
أـنـ القـدـيرـ .. وـقـنـ - الخـلـقـ - فـي غـرـمـ
أـرـسـلـ رـسـلـكـ - مـنـ الـبـدـءـ .. لـلـعـصـمـ
كـأـنـهـمـ عـنـ سـمـاعـ الـحـقـ فـي صـمـ
جـعـلـتـمـ كـالـبـاءـ الرـائـلـ الفـسـمـ
أـحـقادـهـمـ لـجـمـادـ مـنـهـمـ
وـمـفـرـقـونـ أـضـاعـوا مـوـقـعـ الـأـرـمـ
ثـمـودـ تـهـلـكـ .. وـالـخـذـلـانـ لـلـطـفـمـ
حـتـلـهـ الـعـبـ .. لـمـ يـقـطـ وـاـنـ يـئـمـ
فـي بـطـنـ حـوتـ مـعـ الـأـسـمـاـكـ وـالـبـلـمـ
لـمـ يـئـهـ وـصـبـ فـي حـلـكـةـ الـجـهـمـ
وـبـوـاكـتـ حـلـمـهـاـ فـي خـوـفـ مـنـهـمـ
لـكـمـاـ بـرـئـتـ مـنـ شـائـنـ الـأـثـمـ
إـنـ رـحـتـ أـكـبـ .. جـلـ الآـيـ عـنـ كـلـيـ
تـرـاـكـ مـوـئـلـهـاـ فـي التـكـلـلـ القـصـمـ

يـا رـبـ .. غـفـوكـ .. لـا عـدـ لـنـافـةـ
كـمـ يـدـعـونـ غـرـورـاـ عـلـمـ خـارـقـةـ
وـلـيـمـنـيـعـ الـمـوـتـ مـنـ دـنـيـاـ مـلـفـةـ
وـلـتـوـقـفـ الـأـرـضـ وـالـأـجـرـامـ فـيـ فـلـكـ
وـلـتـمـنـعـ الـرـيـحـ وـالـأـنـوـاءـ ثـورـتـهاـ
مـعـاذـكـ اللهـ أـنـ بـقـيـازـ قـدـرـتـناـ
نـديـنـ بـالـحـبـ وـالـإـيمـانـ سـابـقـةـ
الـضـرـحـاقـ بـهـمـ مـنـ قـوـمـمـ صـلـقاـ
بـفـواـ .. وـعـاثـواـ .. وـزـادـواـ ضـلـةـ وـهـوـيـ
الـسـارـ بـرـدـ .. سـلامـ اـذـ تـؤـجـهـاـ
سـفـينـ نـوحـ عـلـىـ الـأـمـوـاجـ بـحـرـةـ
حـسـونـ عـادـ يـدـكـ اللهـ صـخـرـتـهاـ
يـا رـبـ .. كـمـ مـرـسلـ لـلـأـرـضـ مـعـتمـدـ
ذـوـ النـسـوـنـ سـبـحـ فـيـ لـيـلـ بلاـ قـمـرـ
أـيـوبـ بـلـوـاهـ شـكـرـانـ لـخـالـقـهـ
وـمـرـيمـ اـتـبـذـتـ مـنـ أـهـلـهـاـ حـيـباـ
تـنـفـتـ الـمـوـتـ نـسـيـاـ .. وـهـيـ طـاهـرـةـ
إـنـيـ الصـفـيـرـيـ يـاـ رـحـمـنـ مـغـفـرـةـ
لـكـنـيـ فـيـ حـمـاـكـ الـطـفـلـةـ اـعـتـصـمتـ

طرقـت بـابكـ ان تـاذن لـخاشـعـة
 بـثـتـ فـيـنـاـ رسـولـاـ كـانـ جـامـعـةـ
 مـحـمـدـ رـحـمـةـ لـلـعـالـمـيـنـ وـماـ
 هـوـ الـجـبـةـ اـنـ ضـاقـ بـنـاسـبـلـ
 شـعـرـيـ يـشـوبـ الـىـ محـرابـهـ خـبـلاـ
 أـتـوقـ لـلـبرـدـ الـزـهـراءـ لـسـتـ لـهـ
 وـمـجـيـيـ تـسـكـ الـتـرـيـاقـ فـيـ كـبـدـيـ
 طـيـفـ يـهـمـوـمـ فـيـ لـيلـ يـهدـهـدـنـيـ
 اوـ هـلـ سـدـيـ يـسـرـقـ الـأـسـوارـ فـيـ بـصـريـ
 اوـ حلـ خـيـوطـ عـلـىـ الـأـغـيـالـ طـلـقـةـ
 اوـ قـطـرـةـ مـنـ نـسـيـرـ كـانـ يـسـرـهـاـ
 اوـ قـطـعـةـ مـنـ نـسـيـمـ تـبـلـغـتـ نـسـجـاـ
 اوـ ذـرـةـ مـنـ تـسـرـابـ لـأـمـسـتـهـ تـقـسـيـ

★ ★ ★

لا .. لـسـتـ الـأـغـمـامـاـ عـابـرـ الدـيـمـ
 مـنـ وـالـهـ ثـاكـلـمـ .. اوـ مـدـنـ هـرـمـ
 رـجـاؤـهـاـ الـمـصـنـنـ فـيـ الـحـلـ وـالـحـسـنـ
 مـهـيـضـةـ الـجـانـحـيـنـ التـشـكـلـ وـالـعـزـمـ
 اـنـ الشـفـيـعـ لـضـفـيـيـ إـذـ طـفـتـ حـمـيـ
 وـحـيـ السـمـاءـ .. وـتـزـيـلـ لـهـشـمـ
 مـدـبـبـ بـرـدـةـ الـإـيمـانـ وـالـقـسـمـ
 مـلـئـخـ .. قـيـّـمـ .. هـادـلـفـتـهـ
 فـيـ النـجـومـ عـلـىـ سـدـقـةـ مـنـ الدـائـرـ
 فـيـهاـ الـقـادـ حـصـادـاـ غـيـرـ مـنـشـمـ
 يـضـفـيـ الـهـابـةـ .. يـسـلـيـ روـعـةـ السـمـ
 وـتـسـرـ النـفـسـ أـضـيـاءـ مـنـ التـصـمـ
 فـيـ الـخـلـقـ كـبـرـتـهـ لـلـنـاسـ .. لـلـقـمـ

مـاـ لـيـ أـعـارـضـ أـقـطـابـاـ بـمـارـضـةـ
 قـدـ يـسـتـظـلـ بـهـ قـلـبـ وـجـارـحـةـ
 يـكـفـيـ قـصـيـدـيـ أـنـيـ صـوتـ شـاعـرـةـ
 أـمـ "أـنـاـ .. يـاـ رـسـولـ اللهـ حـائـرـةـ
 بـحـكـيـتـ بـصـلـيـيـ آـهـاتـ مـقـطـمـةـ
 أـنـ النـجـيـ لـرـحـمـنـ بـشـائـرـةـ
 مـزـمـيلـ .. وجـلـ" مـنـ خـوفـ هـيـتـهـ
 أـنـ الصـفـيـ عـلـىـ الـأـكـسوـانـ .. أـحـمـلـهـ
 مـنـكـ الـسـرـاجـ بـلـيـلـ مـدـلـجـ حـيـثـ
 مـنـكـ الـفـيـاثـ لـأـوـضـ أـجـدـبـتـ وـغـيـداـ
 الـحـسـنـ رـوـحـكـ فـيـ أـسـمـيـ مـنـازـلـهـ
 أـغـضـ طـرـفيـ إـلـهـ تـلـمـسـعـ بـخـالـطـرـتـيـ
 خـلاـصـةـ الـأـلـيـاءـ الـفـسـوـ مـالـلـسـةـ

الدرء بين عيون الصخر يئمه
والجاهلية في أقسى تمردها
والمسلمون لأمر الله قد تهممْ
عفو النبوة .. أرجو أن تؤازرني
كما أحذث عن أنوارها وأنا

★ ★ ★

عزت به الأرض .. أزهت شائك التلّمِ
يتماد لونهما من صفوة الألسنِ
باركا .. يحمل السقايا زدهم
والجاهلية بين الفتل والمشنمِ
سلسل الخير غيث العارض الرهمنِ
قريش فيك النهى والرشد في العزمِ!
أرنو إليك .. رسول اللوح والقلمِ
كلاهما غيبا في مجتي وفمي
وللدعا رنين الصمت في رنبي
في كل عين وصدر الإله ظمي

أراك طفلاً على اليداء ملعنه
والوالدان رحاب الله لحد هما
ويكبر الألسن المجرروح منتصرًا
أراك .. والقسم في عشواه غاشية
مؤمثًا في ضمير الحق مؤمنًا
وترفع العجر القدسي اذ لست
أحسن أني على الرمضاء شاحنة
يندوب الدمع وجدي .. يستبي خلدي
الروح نشوتها ذكر" يهدى هما
وللنبوة أنوار طوالهما

★ ★ ★

كم عذبوك .. وكم عانيت من إزمِ
يقارعونك بالبهتان والسحرِ
ردت حجارتهم ملحومة الرجمِ
اذ مانعوك .. قبَّ التخل بالعقلِ
ورشك الفار مهد باليمام حمي
ونسجها السد في إدلاح مقتحِمِ
فوق الضحاري على الأقدام كالوشمِ
عين الإمام وشوك المشركين رُمي
عزع الفداء علي .. خير معترزمِ

يا رافعًا راية التوجيد سامة
جهرت بالدعوة العليا وقد شرروا
وفي ثقيف تمادوا في ضلالتهم
في بسرة التمر حزن قائم أبداً
وكايدلوك على الایمان واتسروا
ارادة الله في أوهنى خلائقه
والصحابي .. للصدق لاهبة
على فراشك .. في ليل النوى .. نبهت
يفديك بالنفس والأسياف مشرعة

«الله أَكْبَرٌ» والإِسْلَامُ فِي قَدْمٍ
وَنُورُ الْمَسْجِدِ الْأَقْصِي عَلَى الْمَسْمِ
بَيْنَ السَّمَاكِ وَسَرَّهُ فِيهَا مَنْكَتْرٌ
بِالْمَسْجِ يَلْخُنُ أَكْوَانًا عَلَى أَمْسِ
وَتَبَهُجُ النَّاقَةُ الْقَصْوَاءُ بِالْقَدْمِ ..
كَيْفَ الْوَصْوَلُ إِلَى نَعْمَكَ فِي سَدَمِي
رَفَعْتُ عَنْهُمْ عَنَاءَ الْجَهْنَمِ وَالْوَلَمِ
فِي حَجْرِكَ الشَّكْلِ .. مَا أَقْسَاهُ مِنْ قَمِ
وَالْحَزْنِ يَخْشُعُ فِي أَهْدَاقِ مَنْجَرٍ
وَدَمْعَتِي لَمْ تَعْدْ نَارًا عَلَى ضَرَمِي
وَلِلنَّبُوَّةِ رِيَّا الْوَابِلِ الْجَمِ
مُثْلِ الشَّرِيدِ يَوْمَ الْآمِنِ إِذْ يَفْسُرُ
يَعْلَمُ الْعَدْلُ وَالرَّحْمَنُ لِكُلِّ كُمِي
فِي رَاحِتِكَ .. خَلَفَ الْعِلْمَجُ مِنْ عَجْمِ
ضَوِ الْإِخَاءِ .. تَفَيَّثَ الرَّءْءَ مِنْ شَكْمِ

وَلِلْمَدِينَةِ أَبْسُوبَ مَهْلَلَةٍ
أَسْرِيَتْ .. ضَاءَتْ سَمَاءُ وَاسْتَوَى رَسْلٌ
شَهَدَتْ مَا جَلَّ .. مِنْ إِعْجَازٍ مَقْتَدِرٍ
يَا لِلْبَرَاقِ رَكْسُوبًا عَزَّهُ فَارْسَمَا
يَمُودُ لِلأَرْضِ مِنْ إِسْرَائِيلَهُ قَدْمَا
وَرَحْلَتْسِيَيْهِ يَا رَسُولَ اللهِ شَائِكَةَ
سَنَتْنَ لِلنَّاسِ مَا يَمْدِي بِصَرِيرِهِمْ
أَرَاكَ تَعْتَ ظَلَالَ النَّخْلِ مَتَكَنًا
الْعَيْنِ تَدْمَعُ وَالْأَضْلَاعُ جَازِعَةٌ
أَنَتِ الْمَزَاءَ لِصَدْرِيِّ إِذْ نَأَيْ وَلَدِيِّ
إِنْسَانِكَ الرَّاحِةَ الْكَبْرِيِّ لِمَوْجَدِتِيِّ
أَطْيَافُ شَعْرِيِّ عَلَى أَعْتَابِكَ اعْتَرَتْ
أَرَاكَ فِي الْفَتْحِ سِيفًا صَارِمًا وَأَبَا
وَلِلْأَسْرَيْرِ قَرَارِ بَاتِ يَنْشَدِهِ
وَلِلْجَسْوَارِ حَقْسُوقَ صَنَتْهَا وَغَدَتْ



جَرْحٌ يَسِيلُ وَيَنْزِي بِالْجَرَاجِ دَمِي
كَرْبَلَةُ الْفَدَا بِصَدْرِي .. فِي لَهَا نَسِي
شَهَدَهَا غَدَرُ أَقْوَامَ بِلَادِهِمْ
وَأَخْجَلَتَاهُ مِنَ التَّارِيَخِ وَالْأَمْمِ
بَلْ بِذَرْدَةِ نَبْتَتِي فِي دُوْمَةِ الْعَظَمِ
عَنْدَ الْحَسِيبِ .. إِذَا ذَكَرَ النَّبِيُّ سَمِيَ
أَضْفَانَهُمْ تَقِيمًا خَفْضَ مِنَ النَّقْمِ
وَكَلْمَمَ لِلْفَنَاءِ الرَّئْخَصِ وَالْعَدْمِ

أَيَا مُحَمَّدَ آَلَ الْبَيْتِ فِي كَبِيِّ
وَلِلْحَسِينِ نَزِيفٌ لَيْسَ يَوْقَمْهُ
وَكَرْبِلَاهُ عَلَى حَزَنِ الشَّمْسِ أَسْتَ
دِمَ النَّبُوَّةِ فِيهَا مَهْمَدَرِ نَزْقَنَا
يَا لَيْتَ كُنْتَ ضَرِيعًا ضَمِّهَ وَلَهَا
وَبَنْتَ فَاطِمَةَ تَسْبِي .. كَيْفَ مَوْقَمْهُ
يَضْرِبُ جُونَ أَخَاهَا .. ثُمَّ تَوْهِمَمْ
مَقْسَمَ زَيْبَ يَقْسِي فِي جَوَارِخَنَا





لل المسلمين تمادي في ذرى عَلَّامٍ
يُسافهم .. لم يبعوا النفس بالشَّكْرِ
والمفروض والروم لم يزهوا على الدَّلَّامِ
دالت مالكم .. صارت الى زَمَّمٍ !!

يا صاحب البردة الزهراء كم علم
أوفى الأوائل .. خاضوا اليَمَّ يصجم
القائمة اتصررت .. لا تاج يهز مما
أفيالهم جزعت .. أقيالهم سقطت



الوخر في الحر .. والأشلاء للخصم
كل اللغات لإسلام ومستلزم
من حكمة الله .. ما يعني عن الحكم
وللصلة بما حمد على النعم
دين التطهور قاد الكون للقسم
لحكامه اليوم تشريع لحكمكم
عروبة الدين ما يقضي على القسم

واليوم فرقنا ألف" تمزقنا
لكن عزائي قرآن تكرسه
« مليار » يعتقد الإسلام متخدماً
صلبجد الشكر في المchorة اتشرت
يجسد الآي أفكاراً لم تبشر
يخاطب القل .. يجلو كل غامضة
أم اللغات بما التزيل هل حفظت



هل للفريق نجاة .. والغثاب طمي
وجلى أناديك .. مهما شدة الجرم
وغربيتي .. أمتها يا رب .. في ندمي
هدى الطريق .. وحفظ اللوح والقليم

يا غادر الذنب .. يا رحمن .. يا مددأ
يا قابل التوب .. تهنا في ضلالتنا
وتجدي سلاحي في حل .. ومرتحل
يارب .. أنت ملاذ للاذى عرفوا



تراثاً مطبوعاً

١٩٨٠ - ٠٠٠

مروان عطية

أخذت العناية بنشر التراث العربي ، تزايد سنة بعد أخرى . فقد أقبل علماء الأمة العربية وأبناؤها في مختلف أقطارهم ، على تحقيق المصنفات القديمة وابراجها للناس في كتب ورسائل . وما ينفي التوثيق به ، هو أن بعض الباحثين العرب ، قد استوت أمامهم سبل التتحقق العلمي القويم واستقامت لديهم وسائله . فما ينفي ما نشر وله على الغایة من حيث التعری عن مختلف مخطوطات الكتاب ، واحتياج ما يصح الاعتماد عليه منها ، وضبط النص وتعميصه بالرجوع الى امئات المراجع ، والتعریف بالكتاب ذاته ، وبمؤلفه ، ووضع الفهارس المجانية المتقدمة التي تقصص عما يكتم الكتاب .

القديم . حتى أصبح الباحث لا يدرى ما تخرجه دور الطباعة في البلاد العربية كلها على الدقة والاستقصاء . ولو لا الجهود الذاتية التي يبذلها الباحثون لعرفان هذا النتاج ، والمعاولات الضعيفة التي تقوم بها بعض الحكومات لتسجيه ، أو القوائم الناقصة التي تقدمها الجلالت العلمية الرصينة ، للتتوبيه به ، لكان عسراً علينا معرفة ما يطبع من تراثنا الماضي وأثارنا المعاصرة . ولقد أصدر مجلس جامعة الدول العربية قراراً بإنشاء مركز تسجيل المطبوعات في البلاد العربية منذ سنتين طويلة ، فلم يقف هذا المركز حتى يومنا

والى جانب هؤلاء ، نجد طائفة من « الناشرين » ، قد سلوكوا سبيلاً آخر في نشر كتب التراث . وذلك باخراجها بطريقة « الأوفست » وفقاً لطبعاتها الأصلية القديمة التي نفت وأضحت نادرة الوجود .
وهنالك ، الى هذا وذاك ، كثير من كتب التراث ، يصدر في طبعات « تجارية » تقاد تكون خلوة من التتحقق . وأغلبها ماصدره بعض دور النشر التي لا هم لها الا الربح .
ومن المؤسف ما نلاحظه في البلاد العربية من اهمال تسجيل النتاج الفكري المطبوع ، سواء اكان مما ألفه المعاصرون أم خلفه

على قدميه ، ولا سجل كتابا ، ولا تولى أمره عالم يوثق به .

ولستنا نود الكلام هنا على المحاولات التي تجري لتسجيل المطبوع من انتاجنا الفكري المعاصر ، بل يهمنا ما جرى لتسجيل المطبوع من انتاج القديم .

فبعد العمل الجليل الذي قام به سركيس وأعانه عليه أحمد تيمور باشا - بخروج مجم المطبوعات ، لم يتبع أحد تلك الجهود التي بذلت قبل ربع قرن ، ولم يخرج أحد الدليل بعد الذيل على ذلك المجم ، بشكل علمي منظم .

ان تراثنا المخطوط القديم يبلغ على أقل تقدير ثلاثة ملايين ، ولقد أبدت مؤسسات مختلفة في الشرق والمغرب العناية في اظهار فنارس هذه المخطوطات ، لمعرفة ما تشتمل عليه تلك الخزان ، ولا بد أن تبذل العناية أيضا في الوقت نفسه لمعرفة ما يطبع ويتحقق من تلك المخطوطات ، فالملحان ينبغي أن يسيراً مما لخدمة تراثنا ، ويسيراً للعلماء والباحثين في الرجوع الى ما يبقى منه مخطوطاً أو ما ظهر مطليعاً ، لأن الرجوع الى هذا التراث هو السبيل الوحيد لمعرفة أنفسنا وماضينا ، وهو السبيل الأوحد لانتاج دراسات أصلية فيها جدة وعمق . ولقد آن لنا أن نبتعد في دراساتنا ، حول ماضينا وتاريخنا ، عن السلطنة والنقل وأن نعتمد على المصادر الأولى . وينبغي أن نقر قبل كل شيء أن هناك اهتماماً بنشر التراث وأقبالاً عليه . على أننا نلاحظ أن الفوضى تسود النشر ، فمن مظاهر الفوضى ، فقدان برنامج مجمع عليه يتبع في ذلك ، يقدم فيه ما يحتاج إليه كل بلد عربي على ما لا فائدة عامة فيه .

فالتراث العربي الذي نستطيع بشره ، لأن نسهم في تغذية نهضتنا ، ويشتمل على حفاظات وأفكار حضارية إنسانية تفتر بها ، لا بد من نشره وأظهاره . لكن اظهار هذا التراث لا يمكن أن يتم خلال سنة ولا سنتين ، بل قد يحتاج اظهاره إلى قرن أو قرنين . فهذا المدد الضخم من التراث يضطرنا إلى الاختيار حسب برنامج يضعه أهل الخبرة في هذا الشأن ، يقدم فيه الأصيل على العادي ، والأكثر شأنًا على ما ليس له شأن ، وما نحتاج إليه لأنه يمدنا بما نخلو به حضارتنا وماضينا ، وما يمدنا بعلاقات من التفكير والمعلم على ما هو مفيد . فلا بد أذن من وضع برنامج لهذا الأمر . ومنها اشتغال عالين أو مؤسسين علميين في نشر كتاب سوام أشرف كل منها بجهوده الآخر لم لم يعرف . فلماذا التنازع والترااث العربي وافر واسع ؟ ولقد ظهرت كتب كثيرة حققت مرئين في آن معا ، فلا بد من أن تسود الروح العلمية بين العلماء وأن يتعاونوا ولا يتنازعوا . ومنها اقبال بعض الناشرين على نشر كل مخطوط يقع تحت أيديهم لا يراون في ذلك طاقتهم ولا اختصاصهم فمنهم من يكون في الشرق ، مثلاً فينشر كتاباً عن المغرب ، فيقع في أخطاء ويعجز عن تقديم النص صحيحاً فلا بد أذن من أن يختص علماء كل بلد بما يتعلق ببلدهم من تراث الماضي لأنهم أدرى به .

ومن الغوصى اقسام المبتدئين ومن لا يحسنون النشر على اخراج المخطوطات وهذا من البناء الذي يصاد به تراثنا . وقد رأينا من نتاج هؤلاء عجائب . وهم يحسبون أن تحقيق المخطوطات عمل سهل لا جهد فيه ولا مشقة ، ولا يتطلب السمة والعلم أو الاحاطة بالمساورة . ولا سبيل إلى درء هذا

البلاء الا باحجام دور النشر عن اخراج المخطوطات التي يتحققها هؤلاء الا اذا كانت جيدة ، او بایجاد مجلات نقدية تقوم وتسدد .

ونلاحظ أن القاهرة ودمشق هما أكثر البلاد العربية نشراً للمخطوطات في هذه الفترة التي نسجل ما ظهر فيها من تراث .

ففي القاهرة يعني بهذا الأمر - الى جانب دور النشر الكثيرة المعد - وزارة التربية ثم وزارة الثقافة ، والمهد الفرنسي للآثار الشرقية ، ودار الكتب المصرية ، وهي أول من بدأ بذلك من المؤسسات ، والجمعية التاريخية المصرية ، ومعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، والمهد الألماني للآثار ، على تفاوت فيما ينشرون .

اما في دمشق فأول من يعني بهذا الأمر هو المجمع العلمي العربي .

وكان للاستاذ الجليل محمد كرد علي ، سيد النهضة العلمية بالشام ، الفضل الأولي في ذلك . وقد نشر المجمع آثاراً جيدة مفيدة، تعد مصادر ذات شأن . ثم جاءت وزارة الثقافة السورية أخيراً تسهم في النشر . وهي في أول الطريق ، وقد أدهم المهد الفرنسي بدمشق في نشر النصوص ، فاخذت نصوصاً تفيد في تاريخ الشام ودمشق .

ويلي القاهرة ودمشق بغداد ، فقد بدأ المجمع العلمي فيها بنشر النصوص وساعد على نشرها . وما نشره جيد لكنه قليل بالنسبة لما يؤمل منه . وقد أخذت جامعة العكمة في السنوات الأخيرة بخارج بعض النصوص أيضاً . وفي بيروت ذكر من المراكز التي تخرج المخطوطات بنهج علمي المطبعة الكاثوليكية . فقد أخرجت في السنوات الأخيرة طائفة من الكتب المقتنة الطبع ، على تفاوت

بينها في جودة التحقيق . وكذلك أخذت جامعة بيروت اللبنانية بنشر نصوص مفيدة تتعلق بتاريخ لبنان . في حين ضعفت جهود الجامعة الأميركية في هذا الباب .

وظهر نور جديد في السنوات الأخيرة ، في الكويت . اذ أخذت دائرة المطبوعات والنشر تقدم سلسلة من المخطوطات باسم «تراث العربي» ، فكانت بادرة خير يظهرها الكويتيون نحو التراث العربي والعنابة به . فاذا انتقلنا من المشرق العربي الى المغرب العربي ، لم نجد نشاطاً ملماساً او انتاجاً فهما في هذا المضمار . ولو لا مانشته ووزارة التربية القومية والشباب والمعهد القومي للأثار بتونس ، وكلية الآداب وكلية الصيدلة في جامعة الجزائر ، وممهد الدراسات العليا بالرباط ، وممهد مولاي الحسن بتطوان - وكله قليل - لما ذكرنا شيئاً . فال DERP مقصر عن البلاد العربية الأخرى في نشر التراث العربي ، حتى ما يتعلق به وحده .

وفي الآونة الأخيرة نشطت حركة نشر التراث العربي في السعودية ، وبشكل خاص في جامعاتها ، وفي المؤسسات التي انشأتها لاحياء التراث العربي ، وظهرت كتب كثيرة كانت على النسيان كما ساهم المجمع الأردني في احياء كتب تراثية . ونشرها نشرة علمية ، سواء بما طبع منها أم فيما نشر في مجلته الزاهرة .

ونذكر بالفضل كذلك مهد التراث العلمي في حلب الذي نشط منذ تأسيسه لاحياء التراث العربي العلمي ، وقد نشر كثيراً من النصوص التراثية . وساهم في ذلك أيضاً مسامحة ، كذلك كان للمجمع العلمي الهندي شأن يذكر في مجال احياء التراث العربي كما

وقد يكون ثمة مجلات أخرى نشرت بعض
النصوص لم نطلع عليها .

ولننتقل الآن إلى قيمة هذا النتاج من
حيث المادة والنهج العلمي في النشر .

أما من حيث المادة فلا شك أن الكثير من
النصوص التي طبعت يحتاج إليها العالم
العربي ، وتفيد في استجلاء وجوه العصارة
الإسلامية العربية ، على أن في ما نشر أيضاً
ما لا فائدة منه قط ، أو أن فائدته ضئيلة ،
وكان من الممكن تقديم غيره عليه .

وخلالحظ فيما نشر وفرة النصوص
الأدبية واللغوية ، ويلي ذلك النصوص
التاريخية والتراث . وقد زادت العناية
بالنصوص الفلسفية في هذه الفترة . وقد
ظهرت طبعات كثيرة لنصوص في الحديث
والفقه ، والعلمي منها قليل . على أن أقل
النصوص ظهوراً هي العلمية البحت المتعلقة
باليزيديات والطبيعيات والفلك وما إلى ذلك .
ولعل ذلك راجع إلى سمعتها وقلة ذوي
الاختصاص بها ، وأنه لا رغبة فيها .
وازدادت العناية باخراج في نشر الكتب التراثية
العلمية نشراً علينا معييناً يتفق مع روح
العصر وكان لمهد التراث العلمي في حلب
اليد الطولى في هذا المضمار حيث ساهم منذ
انتهائه في نشر كثير من النصوص القرائية
العلمية وفي كافة الاختصاصات . وبذلك
أغنى المكتبة العربية التراثية بهذا الجانب
العلمي النادر .

أما من حيث اتباع النهج العلمي في النشر
فيجب أن نقرر أن الميل إلى ذلك أخذ في الازدياد
لكنه لم يبلغ المأمول . والمهم أنه وضمت
قواعد للنشر .

كان لرئيس الموقر « عبد المعين خان » ، فضل
يذكر في هذا الأمر .

أما المجالات العلمية التي عنيت خلال هذه
الفترة التي تتحدث عنها ، بنشر النصوص أو
الرسائل المخطوطية بين دفتيرها ، فهي :

في دمشق : مجلة مجمع اللغة العربية ،
ومجلة التراث العربي ، وصحيفة المهد
القرناني .

وفي القلمون : مجلة مجمع اللغة العربية ،
ومجلة الآباء الدومينيكان .

وفي بغداد : مجلة المجمع العراقي ،
ومجلة المورد الراهن ، وثمة مجالات أخرى
تصدر في الجامعة كمجلة كلية الآداب وكلية
الشريعة وغيرها .

وفي بيروت : مجلة المشرق
ـ وفي عمان والاردن : مجلة المجتمع
الأردنية ، ومجلة أبحاث البرموك « والتي
تصدر عن جامعة البرموك » .

وفي السعودية : مجلة العرب الفراء ،
ومجلة عالم الكتب ، وثمة مجالات أخرى تصدر
عن جامعاتها .

وفي المغرب : مجلة تعطوان .
أما المجالات التي تصدر في بلاد ليست
عربة فنذكر منها : مجلة المهد المصري
بمدرיד ، ومجلة الأندلس بمدريد وغير ناطة ،
وصحطة أرابيكا بباريس ، ومجلة أوريانس ،
وشرقيات مجموعة سي التركية ، ومجلة مهد
الدراسات الشرقية بلينغفرا ، وذوي إسلاميك
كوراتلي ، ومجلة مدرسة الدراسات الشرقية
والأفريقية بلندن .

على أنه إلى جانب هذا الميل إلى اتباع
المنهج العلمي وتحديده تجده خروجاً عن المنهج
بعض الأحيان . وخاصة عند المبتدئين بالنشر ،
الذين وجدوا في نشر التراث العربي مجالاً
للكسب المنزلي .

حتى لقد رأيت منهم من فتح لنفسه باب
الاجهاد وهو في أول الطريق . ولا يجرؤ على
هذه الدعوى إلا من قضى عمره بين المخطوطات ،
وأنني بصدد في تقسيبها وقراءتها ودراستها .
وقدم للناس عشرات منها محققة منشورة .

وبدعت شهوة النشر عند بعضهم إلى نشر
ما سبق نشره ، لكن يأسوا ما يكون حالاً .
وأصييب التراث العربي أيضاً بسلط بعض
التجار والناشرين عليه . فقد أخذوا يمدون
نشر الكتب دون التقيد بمنهج علمي أو
الاعتماد على مخطوطات جديدة ، بل قنعوا
سرقة الطبعات الماضية وتحليتها بالأخطاء
التي لا تعد ولا تحصى ، وأغاروا على أعمال
المستشرقين فأعادوا نشرها حرفيًا . مفعلن
أسمائهم ، مضيقين إليها التعريف والخطأ .
وإذا تكرروا بذلك الأسماء لأذل ذلك المستشرقين
نسبوا إليهم الجهل وإلى علمهم النقص . وقد
ظهر من هذه الطبعات ، على نوعيها ، كثير في
بيروت أولاً ثم القاهرة . وما ظهر في بيروت
في سبيل انتزاز المال ، سيكون وحصة في تاريخ
الجهود التي بذلها لبنان للتراث العربي .
ولو كان ثمة أقلام كثيرة تندد هذا المطبوع
وتبين الخطأ فيه لما أقدم الناشرون على الارتجال ،
ولا تجاهل الكتب على السرقة . ولكن النقد
الذي نراه ، على الأقلب ، مدح أو تقرير .
ونقد المخطوطات لا يستقيم إلا إذا عارض
الناقد المطبوع بالمخطوط . ورأى بنفسه مدى
جودة عمل الناشر . أما النقد على القطن وعلى
الترجيح ، دون الرجوع إلى النصوص ، فلا

يقام له وزن . ونعتقد أن النقد البناء
ـ لا الهدامـ هو الذي يقوم الانتاج ويساعد
الناشرين ، ويزجر دور النشر .

وقد عقدت النية على نشر ثبت يعرف
بالمخطوطات المطبوعة وذلك في مجلة التراث
العربي فصنعت هذا الثبت الذي نوهت فيه
بطائفة حسنة من الكتب والرسائل التراثية
المطبوعة التي نشرت من سنة ١٩٨٠ م وحتى
الآن وذكرت فيه ما اتبع النهج العلمي أو ما
نشر أول مرة ، عن مخطوطات قديمة وإن لم
تستوف شروط التحقيق أو ما أعيد نشره
واعتمد على مخطوطات جديدة .

وابتعدت النهج التالي :

١ - ذكرت اسم الكتاب ، وناشره ،
وانتخبت هذا اللقط بدلاً من « محقق » لأن
كل ناشر ليس بمحقق .

٢ - ذكرت اسم المؤلف ، وسنة وفاته
بالسنة الهجرية والميلادية .

٣ - ذكرت عدد صفحات الكتاب في مقدمته
ونصه وفهارسه مما سجلناه بأنفسنا أو نقلناه
عن مصادرنا . وأعملنا ذكر ذلك بالتفصيل
أحياناً عندما يسر علينا رؤية الكتاب أو
معرفة عدد صفحاته حيث لا يتهما لنا الوقوف
على الكتاب بالذات .

٤ - ذكرت سنة طبع الكتاب ومكان طبعه
ورقم المجلد إن كان يتالف من مجلدين فأكثر
واسم الدار التي نشرت الكتاب .

٥ - حاولت قدر الامكان أن أتحدث عن
محتوى الكتاب وأهميته وقيمته .

٦ - اتخذت في هذا الثبت الرموز التالية
مراجعة للاختصار :



• بيليوغرافيا ، لموضع من الموضوعات ولا
سيما اذا كان من قبيل ما نحن فيه .

واله أسأل أن يجعل في هذا العمل عوناً
لكل باحث ، ويعرف بتراثنا العربي العجيب
ويلقى الفنون على كثير من جوانبه ، ويمدنا
بالقدرة لتابعة العمل في تسجيل وتعريف
ما يصدر وما يتصدر من مخطوطات تراثية
مطبوعة ، ان شاء الله .

« والله من وراء القصد »

مروان العطية
دير الزور - سوريا

ت = توفى ، المتوفى .
ج = الجزء ، المجلد .
د = الدكتور ، الدكتورة .
ص = صفحة .
مط ، المط = مطبعة ، المطبعة .
م = سنة ميلادية .
ه = سنة هجرية .

ولست أدعى أتنى قد احصلت بذلك كل
ما صدر ، فذلك أمر يعید المناقش يدرك
صعبته كل من حاول أن يصنع ثبتاً

* * *

وفرسانها لابن الأعرابي مع كتاب نسب الخيل
في الجاهلية والاسلام وأخبارها لابن الكلبي
في مجلد واحد في ليدن سنة ١٩٢٨ يعنوان =

٢ - نسب الخيل في الجاهلية والاسلام
لابن الكلبي ، هشام بن محمد بن الساب
٢٠٤ هـ = ٨١٩ .

٣ - الأعلام / ٨٧ / ٨
وهو برواية أبي منصور الجواليقي
٥٤٠ هـ

نشره : الدكتور نوري حمودي التيسى
والدكتور حاتم صالح الفنان .

٤ - من منها من ٢٠ المقدمة + من
٢١ - ٧٣ من النس المحق + من ٣٦ الفهارس
مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٥ م

- وقد قام المستشرق جرجس لوبي
دلاًّ ويداً بنشر هذا الكتاب مع كتاب ابن
الأعرابي في مجلد واحد في ليدن سنة ١٩٢٨ م

١ - أسماء خيل العرب وفرسانها
لأبي عبد الله محمد بن زياد الأعرابي
٢٣١ هـ = ٨٤٥ م
الأعلام / ٦ / ١٣١ .

نشره : الدكتور محمد عبدالقادر أحمد
٧٧ ص المقدمة + من ص ٧٧ - ٢٥٤ من
النص + من ١٧٥ - ٢٥٤ من فهارس .

٥ - ملتمزم الطبع والنشر مكتبة النهضة
المصرية بالقاهرة ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .
★ ووصلنا الكتاب برواية أبي منصور
الجواليقي ت ٥٤٠ هـ .

٦ - وطبع الكتاب أيضاً في بنداد بتحقيق
الدكتور نوري حمودي التيسى والدكتور حاتم
صالح الفنان مطبعة المجمع العلمي العراقي
١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م من ١٣٠ .

٧ - وللعلم فقد قام المستشرق جرجس
لوبي دلاًّ ويداً بنشر كتاب أسماء خيل العرب

ص ٢٦ المقدمة + ٧ لوحات من المخطوطة + ص ٢٢٢ النص المحقق + من ص ٢٢٣ - ٣٢٧ الفهارس مطبعة المدّني (المؤسسة السعودية بمصر) ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م الطبعة الأولى .

* أضاف الناشر ملحقاً فيه : « مواضع من معاني آيات العجامة ، منقوله من كتاب : « اصلاح ما غلط فيه أبو عبدالله التمّري لأبي محمد الأعرابي الفندجاني » .

وذلك من ص ٢٥٥ - ٢٧٢ .
٥ - اصلاح ما غلط فيه أبو عبدالله التمّري في معاني آيات العجامة .

لأبي محمد الأعرابي الملقب بالأسود الفندجاني ت نحو ٤٣٠ هـ = ١٠٣٨ م .
نشره : الدكتور محمد علي سلطاني .
ص ١٧ المقدمة والدراسة + ص ٢١٥
النص المحقق مع الفهارس .

منشورات مهد المخطوطات العربية في الكويت ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٥ م .
٦ - عيار الشعر :

لأبي الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا العلوى ت ٣٢٢ هـ = ٩٣٤ م .
الأعلام ٣٠٨/٥

نشره : الدكتور عبدالعزيز بن ناصر المانع .
ص ٣٤ المقدمة والدراسة + ص ٤

نماذج من الخطوط + ص ٢٢٠ النص المحقق + من ٢٦٨-٢٢١ الفهارس .

دار العلوم للطباعة والنشر بالرياض ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

قام المرحوم أحمد زكي بنشر هذا الكتاب وطبعه في دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٦ م

وcame الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة بتوصير هذه الطبعة سنة ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٥ م .

٢ - أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها .

لأبي محمد الأعرابي الملقب بالأسود الفندجاني ت نحو ٤٣٠ هـ = ١٠٣٨ م .

الأعلام / ٢ نشره الدكتور محمد علي سلطاني .
ص ٢٥ المقدمة + من ٢٧ - ٢٧٣ ص .
النص المحقق مع المستدركات + من ٢٧٥ - ٢٦٣ ص الفهارس .

طبع في مؤسسة الرسالة في بيروت ١٤٠٢ هـ = ١٩٨١ م .

* أنساف الدكتور سلطاني إلى النص المحقق ما أسعفته المصادر باستدراره على أبي محمد الأعرابي وقد بلغ المستدركة ثمانين وستين ومتني فرس (٢٦٢) وبلغ مجموع ماضمه هذا الكتاب من الغيل العربية النسوية سبعة وثلاثين وثمانمائة فرس (٨٣٧) .
وهذه سمة حسنة وظاهره هامة مفيدة في نشر تراثنا العجيب .

٤ - معاني آيات العجامة .
لأبي عبدالله العسین بن علي التمّري ت ٣٨٥ هـ = ٩٩٥ م .
الأعلام / ٢ نشره : الدكتور عبدالله عبدالرحيم عسیلان .

- ٤٦ + الفهارس من . المحقق .
- مطبعة المدنى (المؤسسة السعودية بمصر) ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة سلم فى ١٩٨٤ م - الطبعة الأولى .
- ١٤٠٥ هـ =
- ★ وطبع الكتاب في (التحفة البهية والطوفة الشهية) القسطنطينية ، مطبعة الجوابات ١٣٠٢ هـ ، ثم نشره محمد البابايدى في بيروت ، المطبعة الأدبية سنة ١٣٠٩ هـ .
- ٩ - الآيناس في علم الأنساب :
- للحسين بن علي بن الحسين الوزير المغربي ت ٤١٨ هـ = ١٠٢٧ م
- ٠ ٢٤٥ / ٢ الأعلام
- ٥٢ من المقدمة والدراسة + من ص ٥٣ - ٢٨٠ ص النص المحقق .
- وُنشر معه أيضاً كتاب آخر هو =
- ١٠ - مختلف القبائل ومؤلفها :
- لأبي جعفر محمد بن حبيب البندادى ت ٢٦٥ هـ = ٨٦٠ م
- ٠ ٧٨ / ٦ الأعلام
- من ص ٢٨١ - ص ٢٩٠ المقدمة + من ص ٣٧٢ النص المحقق + ٢٨ من الفهارس للكتابتين وأعد الكتائبين للنشر التتبّع اللّّٰمحة حمد الجاسر .
- نشورات النادي الأدبي في الرياض ، باشراف دار البيامة للبحث والترجمة والنشر الرياض - المملكة العربية السعودية ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .
- ★ وأشار الشيخ العلامة حمد الجاسر في مقدمة الآيناس من ٤٩ :
- وقد صدرت النشرة الأولى للكتاب عام ١٩٥٦ م في القاهرة بتحقيق الأسعفان الدكتور طه العاجري والدكتور محمد زغلول سلام في ١٥٦ ص (المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة) .
- ثم نشرها الدكتور محمد زغلول سلام في عام ١٩٨٠ م (منشأة المعارف بالاسكندرية) في ١٨٠ ص - منفرها دون شريكه في العمل عند ظهور النشرة الأولى عام ١٩٥٦ م وهو الدكتور طه العاجري ؟ !
- ٧ - المتغّب من كتاب الشمراء .
- لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأمشبهاتي ت ٤٣٠ هـ = ١٠٣٨ م
- ٠ ١٥٧ / ١ الأعلام
- نشره الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع ١٨ من الدراسة والمقدمة + من ١٩ - ٣٥ من النص المحقق + من ٨٣ - ٣٧ من الفهارس دار العلوم للطباعة والنشر بالرياض ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م
- وطبع الكتاب سنة ١٩٤١ م في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد ١٦ ، الصفحتان ٣٥٩ - ٣٦٣ باعتماد الدكتور يوسف المش .
- ٨ - من غاب عنه المطرب .
- لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الشعالي ت ٤٢٩ هـ = ١٣٠٨ م
- ٠ ١٦٣ / ٤ الأعلام
- نشره : الدكتور النبوى عبد الواحد شعلان .
- ٥٧ من المقدمة والدوامة + ٦ ص. نماذج من التعليقات + ٢١٠ من النص

- الأعلام ١٧٩/٢ ص ٦٨ المقدمة والدراسة + ١٠٥ ص النص المحقق + ٢٧ الفهارس .
- الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ مطبعة الجامعة - بغداد .
- نشره = الدكتور علي جابر المنصوري .
- ★ وطبع الكتاب أيضاً في الأردن (منشورات الجامعة الأردنية) سنة ١٩٨١ م .
- ونشره اسماعيل أحمد عمايرة وراجمه الدكتور نهاد الموسى .
- ١٣ - حروف المانع :
- لأبي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي ت ٣٤٠ هـ = ٩٥٢ م
- الأعلام ٢٩٩/٣
- نشره = الدكتور علي توفيق العمد .
- ٦٢ ص المقدمة والدراسة + ٨٧ ص النص المحقق + ٤٤ ص الفهارس .
- طبع مؤسسة الرسالة في بيروت ودار الأمل في الأردن ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م
- الطبعة الأولى .
- ١٤ - نثر الدر للوزير الكاتب أبي سعد منصور بن الحسين الآبي ت ٤٢١ هـ = ١٠٣٠ م
- نشره : محمد علي قرنه وراجمه علي محمد البعاوي ، في ثلاثة أجزاء :
- للجزء الأول = ٢٤ ص المقدمة + ٤٣٧ ص النص المحقق + ٦٣ ص الفهارس .
- الجزء الثاني = ٦ ص المقدمة + ٢٦٠ ص النص المحقق + ٤٥ ص الفهارس .
- الى أن أحد الناشرين عمد إلى نشر هذا الكتاب في إحدى المجالس المصرية على نسختي المتف ودار الكتب ٠٠٠ .
- ولم يذكر الناشر ولا المجلة المصرية ولا سنة الطبع ؟ !
- وذكر في مقدمة أدب الغواصين من ٢٣ بأنه نشر في مجلة « الكتاب العربي » بمصر ١٧ في سنة ١٩٦٥ بدون تحقيق .
- ★ وأما كتاب (مختلف القبائل ومؤتلفها لابن حبيب) فقد كان الفضيل الأول في إبرازه للمشترق الألماني فردوناندو مستقللاً ونشره في سنة ١٨٥٠ في غوتينجن في المانيا .
- ١١ - أدب الغواصين (في المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأسابيعها وأيامها) .
- للحسين بن علي بن العيسوي الوزير المغربي ت ٤١٨ هـ = ١٠٢٧ م
- الأعلام ٢٤٥/٢
- ٥٨ مبنى على المقدمة والدراسة . + ٩٤ ص النص المحقق + ٥٣ ص المفهوم .
- منشورات النادي الأدبي في الرياض .
- بإشراف دار الهداية للبحث وللتترجمة والنشر الرياض - المملكة العربية السعودية ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م
- وهو الجزء الأول من الكتاب .
- * وقد نشر الكتاب في مجلة « العرب » اعتباراً من السنة الثامنة من ١٦٦١ وما بعدها في رمضان ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م .
- ١٢ - المسائل العسكرية :
- لأبي علي الفارسي ، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار ت ٣٧٧٠ هـ = ٩٨٦ م .

الجزء الثاني = نشره = علي النجدي
ناصف وعبدالفتاح شلبي .
٤١١ ص النص المحقق + ٤٠ ص
الفهارس .
منشورات الهيئة العامة المصرية للكتاب
بالتاريخ ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .
★ وصدر الكتاب في دمشق منشوراً باعتمانه
بدرالدين قهوجي وبشير جويجاتي ، وذلك
ضمن مطبوعات دار المأمون للتراث بدمشق
١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م ، الجزء الأول .
والثاني منه .
١٧ - مطبع الأنفس ومسرح التأنس في
ملح أهل الأندلس .
لأبي نصر الفتح بن محمد عبيد الله بن
خاقان الأشبيلي ت ٥٢٩ هـ = ١١٣٥ م
الأعلام ١٣٤/٥ .
نشره = محمد علي شوابكة
١٤٣ ص المقدمة والدراسة +
النص المحقق + ٥٦ ص الفهارس .
مطبوعات مؤسسة الرسالة في بيروت
١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .
★ وأول طبعة ظهرت من هذا الكتاب هي
الطبعة التي نشرتها مطبعة الجوانب سنة
١٣٢٠ هـ باستنبول ، وتقع هذه النسخة في أحدي
ومنة صفحة (١٠١) منها صفحتان فهرست
أسماء الترجم .
ثم طبع في القاهرة ، نشرته مطبعة
السعادة سنة ١٣٢٥ هـ وهي لا تختلف عن
سابقتها . وعدد صفحاتها (١١٢) صفحة .
١٨ - زاد المسافر وغرة معيناً الأدب
السافر .
لأبي بحر صفوان بن ادريس التجيبي
المرسي ت ٥٩٨ هـ = ١٢٠٢ م

الجزء الثالث = ٦ ص مقدمة المحقق
٣١٠ ص النص المحقق + ٥٠ ص الفهارس
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة
وطبعت الأجزاء الثلاثة ما بين سنة ١٩٨٠ -
١٩٨٤ م .
★ وينتظر أن يتم الكتاب في سبعة أجزاء
من القطع الكبير (تراثية) .
١٥ - تاريخ الملك الظاهر :
لابن شداد ، عز الدين محمد بن علي
ابن ابراهيم الانصاري الحلبى ت ٦٨٤ هـ
١٢٨٥ م .
الأعلام ٢٨٣/٦ .
٢٩ ص المقدمة والدراسة +
٣٢٢ ص النص المحقق + ٨٤ ص الفهارس .
نشره = احمد خطيط .
منشورات دار النشر فرانز شتاينر
بفيسبادن ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م باشراف
المهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت .
١٦ - الحجة في علل القراءات السبع:
لأبي علي الحسن بن احمد الفارسي
ت ٣٢٧ هـ = ٩٨٧ م .
الأعلام ٢/١٧٩ .
الجزء الأول =
نشره = علي النجدي ناصف وعبد
الله التجار وعبدالفتاح شلبي .
٤٠ ص المقدمة والدراسة +
٣١٨ ص النص المحقق + ١٣ ص الفهارس .
منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب
بالتاريخ ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م الطبعة
الثانية مصورة عن الطبعة الأولى التي ظهرت
سنة ١٩٦٥ م .

- ★ وقدطبع هذا الكتاب أول مرة في الجزائر سنة ١٩٢٦ م ، وأعيد طبئه مرة ثانية في باريس سنة ١٩٥٧ م باعتماء الشيخ ابن أبي شنب في الطبعتين .
- ٢١ - معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار .
- للأمام الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨ ه = ١٣٤٨ م .
- ٢٢ - الأعلام ٢٢٦/٥ نشره = بشار عواد معروف + شعيب الأرناؤوط وصالح مهدي عباس .
- الجزء الأول = ٢٠ ص المقدمة مع الدراسة + ٥٠٩ النص .
- الجزء الثاني = ٢٤٠ ص تتمة النص + ١٥٧ الفهارس .
- مطبوعات مؤسسة الرسالة في بيروت م = ١٤٠٤ ه = ١٩٨٤ م .
- ★ وسبق أن طبع هذا الكتاب بالقاهرة سنة ١٩٦٧ م وتولى نشره محمد سيد جاد الحق في جزأين، ٦٩٨ ص (دار الكتب العدين) .
- ٢٢ - تاريخ الثقات :
- لأبي الحسن العجلي ، أحمد بن عبد الله ابن صالح ت ٢٦١ ه = ٨٧٥ م .
- الأعلام ١٥٦/١ وبترتيب =حافظ نور الدين علي ابن أبي بكر الهيشي ت ٨٠٧ ه وتقسيمات =حافظ ابن حجر المستقلاني ت ٨٥٢ ه .
- نشره = الدكتور عبد المعطي قلعجي .
- ٤٢ ص المقدمة والدراسة + ٤٨٤ النص + ٢٦ من الفهارس .
- دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٥ ه = ١٩٨٤ م - ط ١ .
- ٢٠٥/٣ الأعلام نشره = عبدالقادر مداد .
- ٤١ من المقدمة والدراسة + ١١٧ النص المحقق + ٢٩ الفهارس دار الرائد العربي في بيروت ١٤٠٠ م = ١٩٨٠ م .
- ★ وظهر الكتاب مطبوعاً لأول مرة في بيروت سنة ١٩٣٩ باعتماء عبدالقادر مداد .
- ١٩ - سيرة ابن اسحاق (المسماة بكتاب المبتدأ والمبعد والمفازي) .
- لمحمد بن اسحاق بن يسار ت ١٥١ ه = ٧٦٨ م .
- ٢٨/٦ الأعلام نشره = محمد حميد الله .
- ٥٠ من المقدمة والدراسة + ٣١٦ من النص المحقق + ٧٩ الفهارس .
- طبع ادارة النشر والتوزيع قونيه - تركيا ١٤٠١ ه = ١٩٨١ م .
- ★ وظهر الكتاب مطبوعاً في دمشق ضمن مطبوعات دار الفكر ١٣٩٨ ه = ١٩٧٨ م باعتماء الدكتور سهيل زكار في ٣٨٤ ص .
- ٢٠ - العمل في النحو لأبي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي ت ٣٤٠ ه = ٩٥٢ م .
- الأعلام ٢٩٩/٣ نشره = الدكتور علي توفيق العبد .
- ٤٧ ص المقدمة والدراسة + ٧ من نماذج الخطيبات + ٤١٩ النص + ٤٦ ص الفهارس .
- مطبوعات مؤسسة الرسالة في بيروت ودار الأمل فيالأردن ١٤٠٤ ه = ١٩٨٤ م .

- ٢٣ - المتنق في أخبار قريش :
لمحمد بن حبيب البنداده، ت ٢٤٥ هـ = ٨٦٠ م . ٧٨/٦
- نشره = خورشيد احمد فاروق
١٧ ص المقدمة والدراسة + ٤١٥
النص + ٤٤ ص الفهارس .
- ١٩٨٥ م . عالم الكتب في بيروت ١٤٠٥ هـ =
نشره = عالم الكتب في بيروت ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .
- * ونشر الكتاب لأول مرة في الهند(دائرة
المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، سنة
١٩٦٤ م) .
- الطبعة الأولى ١٠٩ ص باعتماد خورشيد
أحمد فاروق .
- ٢٤ - المترع البديع في تجنيس أساليب
البديع .
- لأبي محمد السجلماسي القاسم بن محمد
ابن عبدالعزيز ت بعد ٧٠٤ هـ = ١٣٥٠ م
الأعلام ١٨١/٥ .
- نشره = علال الفازي
١٧٤ ص المقدمة والدراسة + ٣٤٩ ص
النص + ١٢١ ص الفهارس .
- مكتبة المدارف بالرباط - المغرب ١٤٠١ هـ =
١٩٨٠ م - ط ١ .
- ٢٥ - فرحة الأديب (في الرد على ابن
السرافى في شرح أبيات سيبويه) لأبي محمد
الأعرابي الملقب بالأسود الفندجاني ت نحو
٤٣٠ هـ = ١٠٣٨ م .
- ١٨٠/٢ الأعلام
نشره = الدكتور محمد علي سلطاني
- ٢٧ ص المقدمة والدراسة + ١٧٨ ص
النص + ٦٥ ص الفهارس .
- دار قتبة للطباعة والنشر والتوزيع في
دمشق ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م .
- ٢٦ - شرح هاشميات الكبيت بن زيد
الأسمدي .
- بتفسير أبي رياش أحمد بن إبراهيم
القيسي ت ٣٢٩ هـ = ٩٥١ م .
- ٨٥/١ الأعلام .
- نشره = الدكتور داود سلوم والدكتور
نوري حموي التيسى .
- ١٠ ص المقدمة والدراسة + ١٩٥ ص
النص + ١١٨ ص المستدركات .
- * وطبع الكتاب لأول مرة باعتمان جوزيف
هورفتز في ليدن (بربيل) سنة ١٩٠٤ م (مع
ترجمة النص إلى الألانية) .
- ٢٧ - شرح أبيات سيبويه .
- لأبي جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل
النجاشي ت ٣٢٨ هـ = ٩٥٠ م .
- ٢٠٨/١ الأعلام .
- نشره = الدكتور وهبة متولى عمر
سالمة .
- ٣٨ ص المقدمة والدراسة + ٣٢٢ ص
النص + ٥٦ ص الفهارس .
- الناشر « مكتبة الشباب » بالقاهرة
١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .
- * ونشر الكتاب أيضاً = أحمد خطاب
الطبعة الأولى ، ٤٣٢٠ ص
طبع المكتبة العربية ، حلب ، ١٩٧٤ م .
- ونشره أيضاً = زهير غازي زاهر
في ٣٠٤ ص
الجف، مطبعة الفرات الحديثة ،
١٩٧٤ م .

المطبعة العصرية ، الكويت ١٤٠١ هـ
١٩٨١ م الطبعة الثانية واما المطبعة الأولى
فقد نشرت في الكويت ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م

٢١ - للقهرست

لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي
٤٦٠ هـ = ١٠٦٧ م الأعلام / ٦

٢٥ من المقدمة والفهارس + ٢٥٠ من
النص + ٢٢ من الفهارس
نشر مؤسسة الوفاق في بيروت ١٤٠٣ هـ
= ١٩٨٣ م

٢٢ - المطبع في التصريف

لأبي حيان النحوي الاندلسي ، محمد بن
يوسف بن علي ت ٧٤٥ هـ = ١٣٤٤ م
الأعلام / ٢ / ٥٢

نشره = الدكتور عبد العميد السيد طلب
٤٢ من المقدمة والدراسة + ٢٥٧ من
النص + ٢٨ من الفهارس .
الناشر مكتبة دار المروءة للنشر والتوزيع
في الكويت ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .
الطبعة الأولى

* وطبع أيضاً في القاهرة (مكتبة الأزهر)
باسم : « المطبع الملاخص من المطبع » ، وذلك
سنة ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م باعتماد الدكتور
مصطفى أحمد النisan في ١٢٤ ص .

٢٣ - بيان خطأ من خطأ على الشافعي
لأبي بكر أحمد بن العسرين البهقي ت ٤٥٨
= ١٠٦٦ م .

الأعلام / ١١٦ .

نشره = الدكتور الشريفي نايف الدعيس

٢٨ - تدبير العمال والأطفال والصبيان
وحفظ مصحتهم .
لأحمد بن محمد بن يحيى البلدي ت نحو
٣٦٨ هـ = ٩٧١ م .
معجم المؤلفين ٢ / ٨٦ .
نشره = ^{إذا} الدكتور محمود العاج قاسم
محمد .

٥٨ من المقدمة والدراسة + ٢٧١ من
النص + ٦ من فهرس لطراجه والمصادر
دار العربية للطباعة في بغداد ١٤٠٠ هـ =
١٩٨٠ م . منشورات وزارة الثقافة والاعلام
(سلسلة كتب التراث رقم ٩٦) .

٢٩ - الفرق بين الحروف الخمسة :
(الطاء والضاي والذال والسين والصاد)
لأبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد
البطليوسى ت ٥٢١ هـ = ١١٢٧ م .
الأعلام / ٤ / ١٢٣ .

نشره = عبد الله الناصير
١٣٠ من المقدمة والدراسة + ٤٧٥ من
النص + ١٢٩ من الفهارس .
الناشر دار المأمون للتراث - دمشق
★ ونشر الكتاب أيضاً في القاهرة - مكتبة
التنبى ١٩٨٢ م باعتماد الدكتور حمزة
عبد الله الشرطي في ٤٤٨ ص .
١٤٠ هـ = ١٩٨٤ م

٣٠ - معانى القرآن
لأبي الحسن سعيد بن مسدة الأخفش
الأوسط ت ٢١٥ هـ = ٨٣٠ م .
الأعلام ١٠١ / ٣ .
نشره = الدكتور فائز فارس ، في
جزأين .

١٣٨ من المقدمة والدراسة + ٥٥٦ من
النص + ١١١ من الفهارس

- ٩٠ من المقدمة والدراسة + ٢٤٥ من النص + ٤٠ من الفهارس .
منشورات مؤسسة الرسالة في بيروت
١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م الطبعة الأولى .
- ٣٤ - دلائل الأعجاز
لأبي بكر عبدالقاهر بن عبد الرحمن بن محمد البرجاني ت ٤٧١ هـ = ١٠٧٨ م
الأعلام ٤٨/٤
قراءة وعلق عليه : محمود محمد شاكر .
- ٢٦ من المقدمة والدراسة ونماذج المخطوطات + ٦٣٩ من النص + ٥٦ من الفهارس
طبعية المدنى ومكتبة الغانجى في القاهرة
١٤٠٤ = ١٩٨٤ م
- ٣٥ - وأول مطبوعة صدرت من كتاب « دلائل الأعجاز » هي طبعة الشيخ محمد رشيد رضا في مصر ١٣١٩ هـ - ١٢٢٠ م (مطبعة الترقى) .
ثم طبع ثانية باعتناء الشيخ محمد عبده والشيخ محمد الشنقيطي في مصر سنة ١٣٢١ هـ (مطبعة النار) .
ثم نشره محمد بن تاویت الطنجي في طلوان (المطبعة المهدية) بعد سنة ١٩٥٠ .
- ٣٥ - اشتقاد الأسماء :
لأبي سعيد عبد الملك بن قریب الأصمعي
ت ٢١٦ هـ = ٨٣١ م
الأعلام ١٦٢/٤
- نشره = الدكتور رمضان عبد التواب والدكتور صلاح الدين الهاشمي ٧٠ من المقدمة والدراسة + ٥٩ من النص + ٣٠ من الفهارس
- ☆ وقد نشر هذا الكتاب باعتماد أوتوبيرتلز، استنبول ، سلسلة النشريات الإسلامية ٣ / الطبعة الأولى سنة ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م .
☆ وطبع ثانية باعتماد محمد أحمد دهمان، ليبيا ، مكتبة النجاح سنة ١٣٥٩ هـ = ١٩٤٠ م
☆ وطبع ثالثة باعتماد محمد أحمد دهمان ، دمشق ، دار الفكر سنة

- ٢٧ - المكتفى في الوقف والابتداء في كتاب الله عن وجـل
لأنبي عمرو وعثمان بن سعيد المدائني ت ٤٤٤ هـ = ١٠٥٣ مـ .
الأعلام ٢٠٦/٤ مـ .
نشره = الدكتور يوسف عبد الرحمن
المرعشلي .
- ٢٦ ص المقـدة والدرـاسـة + ١٥٠ ص
الـنص + ٣٦ ص الفـهـارـس .
- الـهـيـةـ الـمـصـرـيـةـ الـعـامـةـ لـلـكـتابـ (ـ مرـكـ)
تـعـقـيقـ التـرـاثـ) ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ مـ
- ٤٠ - مشـكـلـ الـحـدـيـثـ وـبـيـانـ
لـأـبـيـ بـكـرـ مـحـمـدـ بـنـ الـحـسـنـ بـنـ فـورـكـ
الـأـنـصـارـيـ الـأـصـبـاهـانـيـ تـ٤٠٦ـ هـ = ١٠١٥ـ مـ
الـأـعـلـامـ ٦/٨٢ـ .
- نشره = موسى محمد علي
٣٠ ص المقـدة + ٤٧٠ ص النـصـ +
١٦ ص الفـهـارـس .
- الـناـشـرـ عـالـمـ الـكـتبـ - بـيـرـوـتـ ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ مـ
- ٤١ - الـافـادـاتـ وـالـأـنـشـادـ
لـأـبـيـ اـسـحـاقـ اـبـرـاهـيمـ بـنـ مـوـسـىـ الشـاطـبـيـ
الـأـنـدـلـسـيـ تـ٧٩٠ـ هـ = ١٣٨٨ـ مـ .
الـأـعـلـامـ ٧٥/١ـ .
- نشره = الدكتور محمد أبو الأجهـافـ .
٧٨ ص المقـدة والـدرـاسـةـ + ١١٧ـ صـ
الـنـصـ الـمـعـقـقـ + ٤٣ـ صـ الفـهـارـسـ .
- منـشـورـاتـ مـؤـسـسـةـ الرـسـالـةـ - بـيـرـوـتـ
١٤٠٣ هـ = ١٩٨٢ مـ . الطـبـعةـ الـأـولـىـ .
- ٤٢ - سـحـرـ الـبـلـاغـةـ وـسـرـ الـبـرـاعـةـ
لـأـبـيـ منـصـورـ عـبـدـالـلـكـ بـنـ مـحـمـدـ الشـاعـالـيـ
تـ٤٢٩ـ هـ = ١٠٣٨ـ مـ .
الـأـعـلـامـ ٤/١٦٣ـ .
- ٢٨ - المـغـفـلـ وـالـعـتـدـارـ
لـأـبـيـ الحـسـنـ مـحـمـدـ بـنـ عـمـرـانـ الـعـبـديـ
الـمـعـرـوفـ بـالـرـقـامـ الـبـصـريـ تـنـعـوـ ٢٧٠ـ هـ = ١٩٨٥ـ مـ .
مـقـدـمةـ الـكـتابـ ١/٣ـ .
- نشره = الدكتور عبد المـقدسـ أـبوـ صالحـ
فيـ جـزـائـنـ .
- الأـوـلـ = ٢٤ـ صـ المقـدةـ والـدرـاسـةـ معـ
نـماـذـجـ الـمـخـطـوـطـاتـ + ٢٨٩ـ صـ النـصـ .
- الـثـانـيـ = ٢٨٨ـ صـ النـصـ + ٩٩ـ صـ
الفـهـارـسـ .
- مـطـابـعـ جـامـعـةـ الـإـلـامـ مـحـمـدـ بـنـ سـعـودـ
الـاسـلامـيـ - الـرـيـاضـ ١٤٠١ـ هـ = ١٩٨١ـ مـ
- ٣٩ - اـصـطـلـاحـاتـ الصـوـفـيـةـ
لـلـقـاشـانـيـ ، عـبـدـالـرـزـاقـ بـنـ أـحـمـدـ بـنـ
مـحـمـدـتـ ٧٢٠ـ هـ = ١٣٣٠ـ مـ .
الـأـعـلـامـ ٣٥٠/٢ـ .

- نشره = الدكتور ميشيل الخوري
٢٠ من المقدمة والدراسة ونماذج خطية
٤٨٧ + ٦٨ النص + الفهارس
دار الفكر في دمشق ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م (الطبعة الأولى)
٤٥ - التوفيق للتلقيق
لأبي منصور عبدالملك بن محمد بن اساعيل الشعالي ت ٤٢٩ هـ = ١٠٣٨ م
الأعلم ١٦٣/٤
نشره = ابراهيم صالح
٤٦ من المقدمة والدراسة ونماذج خطية + ١٨٧ من النص + ٦٠ الفهارس
مطبوعات مجمع اللغة العربية في دمشق ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م
٤٦ - المفازى النبوية
لابن شهاب الزهرى ، محمد بن مسلم بن عبيدة الله ت ١٢٤ هـ = ٧٤٢ م
الأعلم ٩٧/٢
نشره = الدكتور سهيل زكار
٣٥ من المقدمة والدراسة + ١٤٥ من النص + ١٨ من الفهارس
دار الفكر في دمشق ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م
٤٧ - مشيخة ابن طهمان
لأبي سعيد الخراشانى ، ابراهيم بن طهمان ت ١٦٨ هـ = ٧٨٤ م
الأعلم ٤٤/١
نشره = الدكتور محمد طاهر مالك
٥٦ من المقدمة والدراسة + ١٨٨ من النص + ١ من المحتوى مطبوعات مجمع اللغة العربية في دمشق ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م
نشره = عبدالسلام العوفي
٢٠٣ من النص + فهرس
(الكتاب بلا مقدمة للناشر وليس له فهارس فنية تخدمه)
دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٤ م
★ وطبع الكتاب في القدس (مطبعة الجواب) سنة ١٣٠١ هـ
- وطبع أيضاً في دمشق (المكتبة العربية)
سنة ١٣٥٠ هـ
٤٣ - الوفيات
لأبي المعالى محمد بن رافع السلاويت ٧٧٤ هـ = ١٣٧٢ م
الأعلم ١٢٤/٦
نشره = صالح مهدى عباس ويشار عواد معروف ، في مجزئين
الأول = ١٢١ من المقدمة والدراسة + ٢٨٣ من النص
الثاني = ٣٩٨ من النص + ٢٣٤ من المصادر والمراجع وللمفهارس
منشورات مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م
٤٤ - التيسير في المداواة والتدبر
لأبي مروان عبدالملك بن زهر الأندلسى ت ٥٥٧ هـ = ١١٦٢ م
الأعلم ١٥٨/٤

- * ونشرت المخطوطة لأول مرة في مجلة شفهد المخطوطات العربية (مج ٢٢ ج ٤٩٧٦م)، مع مقدمة للناشر تعود بالمخطوطة ومؤلفها ابراهيم بن طهان (المقدمة من ٢٦١ - ٢٥٩ ، نص المخطوطة من ٣٠٠ - ٢٥٩) .
- ٤٨ - السنة
- لأبي عبد الرحمن ، عبد الله بن أحمد بن حنبل ت ٢٩٠ هـ = ٩٠٣ م
- الأعلام ٤ / ٦٥
- نشره = محمد السعيد بن بسيوني زغلول
- ٨ من المقدمة + ٢٧٧ من النص + ٢ من فهرس المحتويات .
- دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م
- * نشر لأول مرة في القاهرة في المطبعة السلفية ومكتبتها سنة ١٣٤٩ هـ = ١٩٣٠ م
- ٤٩ - اختلاف العلماء
- لأبي عبدالله بن نصو المروزي ت ٢٩٤ م = ٩٠٦ م
- الأعلام ٧ / ١٢٥
- نشره = السيد صبحي السامرائي
- ٢١ من المقدمة + ٢٦٨ من النص + ١٨ من الفهارس العامة .
- عالم الكتب - بيروت ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م الطبعة الأولى
- ٥٠ - صحيح ابن حبان
- لأبي حاتم محمد بن حبان البستي ت ٣٥٤ هـ = ٩٦٥ م
- الأعلام ٦ / ٧٨
- بن تقي :
- الأخير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي ت ٢٣٩ هـ = ١٣٣٩ م
- الأعلام ٤ / ٢٦٧
- المجلد الأول
- نشره = شبيب الأرناؤوط وحسين أسد ٧٦ من المقدمة والدراسة + ٣٨٨ من النص + ٢٢٠ من الفهارس .
- منشورات مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م
- * ونشره الشيخ العلامة أحمد محمد شاكر (المجلد الأول) في القاهرة سنة ١٩٥٣م
- ٥١ - أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار لأبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقى ت نحو ٢٥٠ هـ = ٨٦٥ م
- الأعلام ٦ / ٢٢٢
- نشره = رشدي بن صالح ملحس .
- في جزأين
- الجزء الأول =
- ٢٩ من المقدمة والدراسة + ٣٢١ من النص + ٤١ من الملاحق + ٤٤ من الفهارس .
- الجزء الثاني = ٣٠٢ من النص .
- ٣٧ من الملاحق .
- منشورات دار الاندلس - بيروت ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م (الطبعة الثالثة)
- * ونشر هذا الكتاب - لأول مرة - في المستشرق الألماني فريديمان وستنفيلد. في ليبسك بألمانيا سنة ١٢٧٥ هـ = ١٨٥٨ م .
- وجلت الطبعة في ٥١٨ من منها ١٤ ص. للتصحيحات ، وصدرها الناشر بمقدمه تاريخية عن المؤلف بلغ عدد صفحاتها ٢٥ ص.

- وطبع ثانية في مكة سنة ١٤٥٢ هـ = ١٩٣٢ م باعتماد رشدي صالح ملحس ٠٠
- ٥٢ - أمثال العرب
لأبي العباس المفضل بن محمد الضبي
ت ١٦٨ هـ = ٢٨٤ م ٠٠
- الأعلام ٢٨٠/٧
- نشره = الدكتور احسان عباس ١٣٥٤ + ٤٤ من المقدمة والدراسة + ٣٨ من الملحقة + ٧ من النص ٠٠ الفهارس ٠٠
- منشورات دار الرائد العربي ١٩٨١ م = ١٤٠١ هـ
- * ونشر الكتاب لأول مرة في استانبول في مطبعة الجوائب سنة ١٣٠٠ هـ ثم طبع مرة أخرى في مصر (القاهرة) سنة ١٣٢٧ هـ = ١٩٠٩ م
- ٥٣ - تمثال الأمثال
لأبي المحاسن محمد بن علي المبدرى الشيبى ت ٨٢٧ هـ = ١٤٣٣ م ٠٠
- الأعلام ٢٨٧/٦
- نشره = الدكتور أسعد ذبيان ، في مجلدين
- الأول = ٩٨ من المقدمة والدراسة + ٣٠٥ من النص + ١٩٤ من الملحقة + ١٩٠ من الفهارس العامة ٠٠
- منشورات دار المسيرة - بيروت ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م الطبعة الأولى
- ٥٤ - الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحجبها ٠٠
- لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسى الأندلسى ت ٤٣٧ هـ = ١٠٤٥ م ٠٠
- الأعلام ٢٨٦/٧
- نشره = الدكتور معين الدين رمضان ، في مجلدين ٠٠
- المجلد الأول = ٥٩ من المقدمة والدراسة ونماذج التعليقات + ٥٤٠ من النص ٠٠
- المجلد الثاني = ٣٩٤ من النص + ١١٥ من الفهارس ٠٠
- منشورات مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م الطبعة الثانية ٠٠
- * وطبع الكتاب لأول مرة في دمشق (ضمن منشورات مجمع اللغة العربية بدمشق)
- ونشره الدكتور معين الدين رمضان (ط ١ جزءان) ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م ٠٠
- ٥٥ - ستن الدار قطني
- لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد الدار قطني ت ٣٨٥ هـ = ٩٩٥ م ٠٠
- الأعلام ٣١٤/٤
- بذيله = التعليق المغني على الدارقطني لأبي الطيب محمد شمس الحق الغظي آبادي الهندى ٠٠
- معجم المؤلفين ٧٢/١٠
- الجزء الأول = ٦ من المقدمة + ٤١٤ من النص + ٥ من فهرس الجزء الأول ٠٠
- الجزء الثاني = ٣٠٢ من النص + ٢ من فهرس الجزء الثاني ٠٠
- الجزء الثالث = ٣٢٤ من النص + ١ من فهرس الجزء الثالث ٠٠
- الجزء الرابع = ٣٠٧ من النص + ١ من فهرس الجزء الرابع ٠٠

- ★ ونشر ثالثة في بيروت (مؤسسة الرسالة)
بعنوان شكر الله بن نعمة الله توجانی الایرانی
سنة ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م
- وهي أجود وأفضل النشرات جمیعاً .
- ٥٨ - الأحادیث المشکلة في الرتبة او
(أسنی المطالب في أحادیث مختلفة المراتب)
لأنبیاء عبد الله محمد بن درویش العوت
البيروتی ت ١٢٧٧ هـ = ١٨٦٠ م
الأعلام ٧٤/٧ .
- نشره = کمال یوسف العوت .
- ٢١ ص المقدمة والدراسة + ٢٧٠ ص
النص + ٤٧ ص تصویص آخر ملحقة بالكتاب
+ ١٧ ص المصادر والأیات والفهرس العام
منشورات عالم الكتب - بيروت ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م
- ٥٩ - الانصاف في التنبیه على المانی
والأسابیق التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين
في آرائهم .
- لابن السيد البطليوسی ، محمد بن
عبد الله بن محمد ت ٥٢١ هـ = ١١٢٧ م
الأعلام ١٢٣/٤ .
- نشره = الدكتور محمد رضوان الدایة
٢٢ ص المقدمة والدراسة + ١٧٩ ص
النص + ٦٠ ص الفهارس .
- منشورات دار الفكر بدمشق ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م الطبعة الثانية .
- ★ ونشر هذا الكتاب لأول مرة في مصر
(مطبعة الموسوعات) سنة ١٣١٩ هـ باشراف
واعتناء أحد علماء المعاصي .
- ونشر ثانية في دمشق (دار الفكر)
سنة ١٩٧٢ م باعتناء الدكتور محمد رضوان
الدایة .
- منشورات عالم الكتب - بيروت ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .
- الطبعة الثانية
- ★ نشر لأول مرة منفرداً في دلهی سنة ١٣٠٦ هـ = ١٢٠٦ م .
- ونشر أيضاً (مع شرح تعلیق المفتی)
في دلهی سنة ١٣١٠ هـ .
- ثم أعيد نشره فطبع بالقاهرة باعتناء
السيد عبد الله بن هاشم المدنی .
- ٥٦ - الكافي في البیزرة
- لعبد الرحمن بن محمد البلدي ت ٦٧ هـ
نشره = احسان عباس وعبدالحفيظ
منصور .
- ٤٤ ص المقدمة والدراسة + ٣٦٨ ص
النص + ٢ ص تتمة وشواذ + ٨ ص مصطلحات
البیزرة + ٣٧ ص الفهارس .
- منشورات المؤسسة العربية للدراسات
والنشر - بيروت ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .
- الطبعة الأولى .
- ٥٧ - المراسيل
لأنبیاء محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن
ادريس السرازی ت ٢٢٧ هـ = ٩٣٨ م
الأعلام ٣٢٤/٣ .
- نشره = أحمد عصام الكاتب .
- ٩ ص المقدمة + ١٩٠ ص النص +
٢١ ص الفهارس .
- دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .
- ★ ونشر هذا الكتاب لأول مرة في الهند في
جیدر آباد الدکن سنة ١٣٤١ هـ .
- ★ وطبع ثانية في بغداد (وما هي في الحقيقة
الا اعادة طبع للنشرة السابقة) وقد قام بها
السيد صبحی البدری السامرائی سنة ١٩٦٧ م

- * وهذه الطبعة صورة طبق الأصل (مسروقة مشوهة) عن الطبعة المصرية التي نشرها عبدالفتاح محمد العلوان (مكتبة عالم الفكن - القاهرة ١٩٧٩ م) ط ١، ٤٦٨ ص وهذه الدار مشهورة بالسرقة والاغارة على التراث العربي بكل وقاحة وصفاقة !
- ٦٢ - تعريف الخلط ب الرجال السلف لأنبي القاسم محمد الخقناوي ابن الشيخ ابن أبي القاسم الديسي كان حيا ١٣٢٦ هـ معجم المؤلفين ١٣٥/١١
- نشره = ٩ ! الطبعة الأولى ، في قسمين
- القسم الأول = ٢٠٣ من النص
- القسم الثاني = ٦٠٣ من النص + ٢٠ من فهرس الأعلام للتقسيم .
- منشورات مؤسسة الرسالة في بيروت والمكتبة العتيقة في تونس ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م
- ١٢ - الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به
- لأنبي. يكرر محمد بن الطيب بن محمد القاضي الباقلياني ت ٤٠٣ هـ = ١٠١٣ م الأعلام ١٧٦/٦
- نشره = محمد زاهد بن الحسن الكوثري وأشرف عليه عبد الوهاب عبد اللطيف ١٢ ص المقدمة والدراسة + ١٨١ من النص + ١٤ من الفهارس
- منشورات مؤسسة الخاتمي - القاهرة ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م
- * طبع هذا الكتاب لأول مرة في القاهرة باعتماد محمد زاهد الكوثري سنة ١٣٦٩ هـ - وطبع ثانية في القاهرة أيضاً باعتماد محمد زاهد الكوثري وافتتاح عبد الوهاب عبد اللطيف سنة ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٣ م .
- ونشر ثالثة في القاهرة (دار الاعتصام) سنة ١٩٧٨ م ، ط ١ ، ٢٤٧ ص باعتماد الدكتور أحمد حسن كحيل والدكتور حمزة عبدالله التترجي .
- ٦٠ - القول المسدد في الثواب عن متنبأ الإمام أحمد .
- لابن حجر المسقلاني ، أحمسه بن علي بن محمد الكتани ت ٨٥٢ هـ = ١٤٤٩ م الأعلام ١٧٨/١
- نشره = عبدالله محمد الدرويش ٢٨ ص المقدمة والدراسة + ٧٤ آثاره + ٤٧ ص فهرست الكتب من مرويات العافظ ابن حجر (تأليف مجهوه) + ٨ من الفهارس .
- منشورات اليمامة - دمشق ، بيروت ١٤٠ هـ = ١٩٨٥ م
- * ونشر لأول مرة في الهند (طبعة دائرة المعارف النظامية بجعير آباد الدكن) سنة ١٣١٩ هـ .
- ثم طبعت في القاهرة (معناية وتصحيح ونشر مكتبة ابن تيمية) سنة ١٤٠١ هـ .
- ٦١ - عقد الدرر في أخبار المنتظر ليوسف بن يحيى بن علي الشافعي المقنسى الشلامسي ت ٦٨٥ هـ = ١٢٨٧ م الأعلام ٢٥٧/٨ ومعجم المؤلفين ٣٤٣/١٣
- نشره = لجنة من العلماء بإشراف الناشر !
- ٥ ص المقدمة + ٣٥٠ من النص + ١٠٨ من الفهارس .
- منشورات دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

٦٤ - العلل المتناهية في الأحاديث الواهية
لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد
الجوزي ت ٥٩٧ هـ = ١٢٠١ م
الأعلام ٣١٦/٣

نشره = الشیخ خلیل المیس، فی جزأین
الجزء الأول = ١٣ ص المقدمة وفهرس
الجزء الأول + ٣٨٤ ص النص .
الجزء الثاني = ٣٨٤ ص النص + ٥
ص فهرس الجزء الثاني .
الجزء الثالث = ٣٢٧ ص النص + ٦
ص فهرس الجزء الثالث .

الجزء الرابع = ٣٠٩ ص النص + ٩
ص ملحق + ٣ ص فهرس الجزء الرابع .

منشورات دار احياء التراث العربي -
بیروت ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م الطبعة الابعة
والطبعة الأولى سنة ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م
دار الكتب العلمية - بیروت ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م
★ ونشر هذا الكتاب في الهند باعتماد ارشاد
الحق الأثري سنة ١٣٩٩ هـ

٦٥ - وفاة الوفا بأخبار دار المصطفى
لأبي الحسن السمهودي علي بن عبدالله ابن

أحمد ت ٩١١ هـ = ١٥٠٦ م
الأعلام ٣٠٧/٤

نشره = محمد معنی الدین عبدالحمید،
في أربعة أجزاء .

الجزء الأول = ٧ ص المقدمة وفهرس
الجزء الأول + ٣٨٤ ص النص .

الجزء الثاني = ٣٨٤ ص النص + ٥
ص فهرس الجزء الثاني .

الجزء الثالث = ٣٢٧ ص النص + ٦
ص فهرس الجزء الثالث .

الجزء الرابع = ٣٠٩ ص النص + ٩
ص ملحق + ٣ ص فهرس الجزء الرابع .

- للبحث صلة -



آداب التربية الإسلامية العربية

محمد صالح بويندي

١ - تمهيد :



مجال تقديم الأمم في العضارة والرقي وبناء صرح المجتمع يعود إلى التربية القديمة التي تنتهجها وترسمها الأمة لحياتها وحياة الجيل الذي تقوم بتنشطه وأعداده على أساس تلك التربية التي تضعها له لأن أهداف التربية ومقاصدها وغاياتها في حياة الأمم ، تختلف على ما تعلقه من الغايات المنشودة من وراء نظرتها للتربية ، فعملية التربية والتعليم لها أثر يارز فعال في حياة الأفراد والشعوب ، فكل تقديم يلقاء المرء في حياته ونجاح يظفر به في مجتمعه يكون مرده إلى ما ظفر به من التربية الجليلة والتعليم النافع المشرع الذي تزود به منذ صغره . ولهذا كان مجد الأمة وحضارتها يقاسان بال التربية المثلثي التي تسود مجتمعاتها ، وبالأهداف المنبعثة من وراء تلك التربية ، وبالقيم المعنوية والروحية التي تتشدّها في حياتها ، وبالبادئات التي تنادي بها ، وتلقنها أفراد مجتمعها وتأخذ بها الروح الجمعية المسيطرة على تلك الأمة .

٢ - أثر التربية في حياة الأمة :

إننا نجد الفلسفة والمثل العليا قد طفت على فلسفتنا أثينا القدماء ، وكان سocrates ينادي بالبدا الآتي : (الفضيلة هي المعرفة) واعتقد بشّارات القيم والمثل وإنما جوهر الأشياء وراسخة في عقول الناس حيث يولدون وتولد منهم وقال إن المعلم (يستخلص النتائج عن طريق الحوار مع التلميذ) ويعتقد البعض أن جمهورية تلميذه أفلاطون عن طبيعة العدل الأسمى لها صبغة تربوية في الحياة وقد لقب فريق آخر أريسطو بالمعلم

الأول، وكانت فلسفته تتلخص في المبدأ الآتي: (الفضيلة هي الوصول إلى السعادة والغير ويقولون أن تلك النظرية لم تكن مجرد تأمل في الحياة بل هي اتجاه وارادة تشتمل على الخير كله وعمله ، الواقع أن كتاب أرسسطو (السياسة) كان له أثر بارز في التربية في العصور الوسطى - وابسارتة القديمة غزت بلاد اليونان واستقرت بها ، ولكن الإساريطين لم يندمجوا مع أهلها ، وهكذا تمثلت نظرتهم إلى التربية إلى أن كان مدفعها المباشر اعداد طبقة الجند حتى ان المواليد من الأطفال كانوا يجتازون امتحانا خطيرا هو امتحان الحياة أو الموت ، اذ يُلقون في ناحية من الجبل فمن قاوم منح حق الحياة ومن مات استراح اسبارطة من ضعفه وهكذا نجد النظرة إلى التربية تختلف بمفهوم الجماعة والروح المسيطرة عليها ، وتلمح ذلك بارزا في التربية الاغريقية او الرومانية او غيرها .

٣ - نظرة التربية الإسلامية :

ان التربية الإسلامية منبثقة من روح الإسلام المتمثلة في أسس ومقاصد القرآن الكريم التي تتلخص في المبادئ الآتية : الدعوة إلى الحياة - الدعوة إلى الخير - الأمر بالمرور والنهي عن المنكر والاحتكام في كل ذلك إلى العلم والعقل ونبذ أيضاً أن مفهوم تلك التربية يتجلّى في السنة النبوية الشريفة وهي كما يقول الإمام الشاطبي في كتابه (الموافقات) راجحة إلى الكتاب الكريم وبيان له . ان الإسلام الذي ثار على الظلم والطغيان وزلزل عروش البغي والجور وأحل العدل والحكم الشوري وجعل الناس سواسية كاسنان المشط ، جعل نظرته إلى التربية (الفردية والجماعية) مستقاة من هذه المبادئ الإنسانية العالية ، وروح المجتمع التي يبشر بها هي الخير والسعادة للجميع وهذه الناس وارشادهم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم في دينهم ودنياهم ، وإذا كانت هذه المثلثة العالية هي أهداف التربية الإسلامية فمن الطبيعي أن تأخذ بذلك المفهوم الخلقي الذي حلم به فلاسفة أثينا قبل ألف السنين وبالتالي فإن المبادئ التي أخذت بها التربية الإسلامية ونادت بها هي مثالية تأثرت بها التربية الحديثة (بصورة مباشرة) قررتا طوبية ، وأهمها مبدأ الأخاء والمساواة بين جميع المؤمنين بغض النظر عن اختلافات الجنس واللون والمنصر ، وقد ظهر التجانس والاختلاف والأخاء والمساواة في أوضاع صوره بنظم التربية والحضارة الإسلامية التي تشيد بمعظمها ونقر بفنونها ومبادئها وأبطالها وأخلقاها .

ويعود الفضل بذلك إلى التربية الإسلامية القائمة عليها ، وإلى الروح العلمية التي نادت بها ، فقد قال رسول الله ﷺ : (طلب العلم فريضة على كل مسلم) وإن ما أوجده المسلمون من منشآت ومعاهد لنشر العلم ، وما أخذوا عليها من خبرات وأوقاف لا ينجد له نظيراً في تاريخ الأمم القديمة أو المعاصرة للاسلام . وهذا ما يدل على اهتمام المبادئ وال تعاليم الإسلامية بالتعلم ، وبال التربية التي يستند إليها . الواقع أن جميع مناهج التربية الإسلامية وتوجيهاتها وطرقها وأنظمتها قد تؤخذ تربية الأخلاق المثلية في نفوس النشء وهذا يدل على اهتمامها العظيم وعنايتها الكبيرة بال التربية العلائقية حتى يكاد يقترب

مشمول معاني الأخلاق والتهدیب في مفهوم تلك التربية البسامي في غایاته وأهدافه حتى ان تعالیم الدين العنیف وآراء المربین والفلسفة في الاسلام قد أجمعوا كلها على المناداة بالغلق القویم وتنمیته والت بشیر به ، واحلاله موضعاً يليق به في جميع نواحي الحياة ويکفي أن نستدل بقول الرسول ﷺ (بُعثْتُ لأُتَّمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ) فهذا دلیل على أن الدعوة الاسلامية في أصولها وقوتها وحضارتها وعلومها سعت كلها الى بعث الأخلاق السامية في الانسانية .

ولا شك في هذا الحديث النبوی الشریف يعید قاعدة کلية في بناء صرح الأخلاق العالمية لا في تعالیم الدين فحسب ، بل في التربية والتهدیب ونواحي الاجتماع ومیول الحياة ونوازعها وفلسفتها أنسها ووجودها ولم تستطع شریعة من التراث أن تبز الاسلام في هذا المضمار بعمق المعنی ووضوح الهدف وسمو الرسالة . فلا غرو اذن أن نرى التربية الاسلامية قد أولت التربية الخلقیة عنایة عظیمة وفي هذا المجال كان التوفیق حليفها فتركـت أثراً من أجلـ الآثار التربوية لأنـها تمیزـت بالفهم الكـبـيرـ للـاسـسـ النفـسـیـةـ فيـ تـهـدـیـبـ الـاخـلـاقـ والـوقـوفـ عـلـىـ بـعـضـ مـیـوـلـ الـاطـقـالـ الفـطـرـیـةـ الغـرـیـزـیـةـ لـتـلـكـ الـغـلـقـیـةـ .

٤ - طرق التربية الاسلامية في التهدیب :

ان طرق التربية الاسلامية في تهدیب وتنمیة الأخلاق تتضمن ما يلي :

١ - ان الطفل في المرحلة الأولى من التعليم لديه استعداد للتأثير والتلقی على يد مربيه فالتربيـةـ الاسلامـیـةـ قد استفادـتـ منـ هـذـهـ النـاحـیـةـ وـعـمـلـتـ عـلـىـ استـغـلـالـهـاـ فيـ التـهـدـیـبـ فأوصـتـ بـالـایـحـاءـ لـلـطـفـلـ فـيـ الـاخـلـقـ الـتـيـ يـرـادـهـوـسـهـاـ فـيـ نـفـسـهـ .ـ وـذـلـكـ عـلـىـ طـرـیـقـ الـاعـشـارـ وـالـامـثالـ وـالـحـکـمـ وـالـمـاعـظـ ،ـ فـعـنـدـمـاـ يـعـمـدـلـمـرـبـیـهـ إـلـیـ حـثـ الـطـفـلـ عـلـىـ التـعـلـیـ بـالـامـانـةـ يـاتـیـ لـهـ بـآـیـاتـ مـنـ الـقـرـآنـ الـکـرـیـمـ وـالـاحـادـیـثـ الشـرـیـفـ وـالـاحـادـیـثـ الـشـرـیـفـیـةـ وـالـامـثالـ وـالـحـکـمـ وـالـعـکـمـ لـهـ قـصـصـاـ فـیـ أـثـرـ الـامـانـةـ بـالـعـیـاـةـ وـعـاـقـبـةـ الـغـیـانـةـ وـهـذـاـ مـاـ یـؤـثـرـ تـائـیـراـ مـباـشـراـ فـیـ تـهـدـیـبـ الـطـفـلـ مـنـ النـاحـیـةـ الـوـجـدـانـیـةـ .

٢ - وـكـنـلـكـهـ عملـتـ التـرـبـیـةـ الـاسـلامـیـةـ عـلـىـ الـاستـغـلـالـةـ مـنـ مـیـلـ الطـفـلـ لـتـلـقـیـ المـدـحـ منـ قبلـ مرـبـیـهـ اوـ وـالـدـیـهـ اـشـبـاعـاـ لـفـرـیـزـةـ السـیـطـرـةـ فـیـ نـفـسـهـ وـخـوـفـهـ مـنـ الـلـوـمـ وـالـنـدـمـ فـاؤـصـتـ انـ يـمدـحـ الطـفـلـ اـذـاـ ظـهـرـ مـنـهـ فـلـ جـمـیـلـ ،ـ وـیـعـبـ الـاعـتمـادـ عـلـىـ المـدـحـ وـالتـشـجـیـعـ اـکـثـرـ مـنـ الـایـحـاءـ بـالـنـدـمـ فـقـدـ نـصـحـ السـلـمـونـ المرـبـیـهـ الاـیـکـثـرـ مـنـ تـائـیـبـ الـاطـقـالـ حتـیـ لـاـ یـمـیـتـ قـلـوبـهـمـ ،ـ وـیـخـمـدـ شـجـاعـهـمـ وـبـلـدـ اـذـهـانـهـمـ .

٣ - ولـقدـ اـنـتـبـیـتـ التـرـبـیـةـ الـاسـلامـیـةـ إـلـىـ مـحاـکـاةـ الطـفـلـ وـتـشـبـهـ بـرـفـاقـهـ الـذـينـ يـعـاـشـرـهـمـ فـیـ المـدـرـسـةـ اوـ الـحـیـطـ وـتـرـیـ انـ الطـفـلـ يـتـلـبـشـدـةـ الـاشـخـاصـ الـذـينـ يـمـیـشـ مـعـهـمـ لـأـنـهـ يـأـنـسـ بـعـادـهـمـ وـطـبـانـهـمـ فـیـ اـبـنـ سـیـنـاـ :ـ اـنـ يـکـونـ مـعـ الصـبـیـ فـیـ مـکـتبـهـ صـبـیـ حـسـنـةـ آـدـابـهـمـ مـرـضـیـهـ عـادـهـمـ ،ـ اـنـ الصـبـیـ عـنـ الصـبـیـ الـقـنـ وـمـوـعـهـ آـخـدـ وـبـهـ آـنـسـ .ـ

وهكذا ترى التربية الاسلامية أن اختلاط الطفل بغيره يكسبه معرفة وخلقًا . ويحدث مع غيره بحرية وطلقة وهذا ما يعده تدبيه انشراحًا في الصدر وانطلاقاً في النفق ويتيح له الفرصة للعمل المثير واشهار المواهب والنشاط مع غيره من الأطفال في كثير من العادات والأخلاق والأنس بهم .

كما أن اجتماع الطفل بغيره يثير لديه مجال المنافسة والمبادرة وينمي شعوره، وجود الأطفال مع غيرهم يهيئ لهم هذه الفرص ، ويجعلهم يستفيدون من تقليد بعضهم بمثابة جماعية ، ومن الأخذ بعاداتهم وصفاتهم الأمر الذي يعود الطفل على السلوك الاجتماعي مع الآخرين ليتربى على مشاكل الحياة منذ شبابه الأولى ، ولا شك فان شخصية الطفل لا تنمو الا في الوسط الاجتماعي الصالح لاظهار ميوله وتهذيب غرائزه وتمويهه على المسؤولية المشتركة ، وتكييف نفسه لانسجامه مع الغير ، وهذه هيغاية الكبرى للتربية في قديمها وحديثها .

يتضح من ذلك أن التربية الاسلامية قد استغلت ميل الطفل للتقليد منذ صغره وذلك في سبيل تنمية أخلاقه وتربيته تربية فاضلة، واستفادت من معبة الأشخاص الذين يجتمع بهم الطفل كملمه ورفاقه وكذلك من معاشرته لمن يالفهم أو يصاحبه في المدرسة والمحيط للمنافسة والمبادرة وما يتبع عن ذلك من الفوائد التربوية التي يراها المسلمون طرقاً فعالة في التهذيب الخلقي وفي ذلك يقول ابن سينا في كتابه (السياسة) : « ان الصبي يحادث الصبيان والمعادنة تفید انتشار العقل وتعل منعقد الفهم ، لأن كل واحد من أولئك انما ينبع من رأي وأغرب ما سمع ف تكون غرابة الحديث سبباً للتعجب منه ، والتعجب منه سبباً لحفظه وداعياً إلى التحدث به ثم انهم يترافقون ويتعارضون الحقوق وكل ذلك من أسباب المبارة والمبادرة والمساجلة والمحاكاة وفي ذلك تهذيب لأخلاقهم ، وتعريفهم وتمرير عاداتهم » .

٥ - النتائج المترتبة على نظرية التربية الاسلامية للتهدیب الخلقي :

يستنتج من ذلك أن التربية الاسلامية تنظر إلى أهمية تكوين الشخصية في الوسط الاجتماعي ، وترى أن الطفل يقلد غيره ويعتبر من تشجيع الآخرين وآثارتهم وكان ابن سينا يعني بقوله المدار الذكر بضرورة اعداد الطفل منذ صغره لبيئة اجتماعية تؤهله لأن يعيش ويصبح رجلاً في المستقبل يقوم بواجبه لأمته ووطنه .

والواقع أن التربية الحديثة توجه عنابة كبرى إلى هذه الناحية ، وتنظر إلى المدرسة كمركز اجتماعي وتهتم بتنظيم ميول الطفل ونشاطه مع غيره وتنفعه بأوقات فراغه . وتجعل الوسيلة في ذلك هدفاً طبيعياً لنشاته وتكون شخصيته ليشعر أن له مركزاً ممتازاً في الجماعة أو على الأقل له مكانة معترف بها بين أفرادها ، وان له فيها كياناً مستقلاً وشخصية قائمة بذاتها تهيء لها الجماعة كل فرصة ممكنة للظهور والنمو والانتاج بواسطه الاحتكاك بغيره وتقليدهم ومنافستهم ومبادرتهم ، وتعمل التربية بدورها على تقويم ميول

الطفل وغراائزه وتوجيهها الى الفائدۃ المطلوبة، وهذا العمل متم لرسالة التربية وللجهود التربوية التي تقوم بها في المدرسة أو في المنزل .

وما يجدر ذكره في هذا المجال أن التربية الاسلامية قد استعانت بتكوين عادات ومويول نافعة لدى الأطفال منذ الصغر ، وهذه العادات لها أثر يارز في التربية الخلقة ، لأنها تعود الطفل التزام النظام في حياته واحترام الآخرين والتقييد بأداب الجماعة وهذا هو روح الأخلاق في المجتمع والعاوز الكبير على انسانها ، فقد أوصى المسلمين بتعويذ الأطفال الاستيقاظ المبكر والمشي والحركة والرياضة، فنصح ابن مسکویہ في كتابه (تهذیب الأخلاق وتعظیم الاعراق) أن يعود الطفل ما يلي : « الا يكشف أطرافه ولا يرخي يديه ولا يسرع في المشي ولا يربى شعره ولا يزيّن بملابس النساء ولا يصفع في مجلس ولا يمختط او يتثاءب بحضوره غيره ولا يضع رجل على امرأة ولا يكذب ولا يخلف البتة صادقا ولا كاذبا .. وأن يتبعه طاعة أبيه ومعلميه » .

ويلاحظ أن هذه النصائح قد جاءت جميعها من صميم التربية الاسلامية المرifica، وهي من الآداب الاجتماعية التي يجدر الأخذ بها في تربية الأطفال ، والواقع أنها ترمي الى تكوين خلق مهذب رفيع واعداد رجولة كاملة في نفس الطفل ، والى ابعاد عن الميوعة الناجمة عن سوء التربية وضفت الرقابة على الأبناء والتقييد الأعمى في كل شيء وضعف النفسية والشخصية التي انتشرت بين فتيان هذا العصر الحديث ، ويزيد ذلك التقليد الماجن وتنميها الكتب المستهترة والأداب الغلية في زماننا العالى .

وإذا كانت الناظر التهذيب الاجتماعي قد اختلفت في عصرنا العاضر وتبينت طرق تهذيب الأطفال وتوجيه سلوكهم وأدابهم ، فهي لا تعدو هذا المفهوم الخلقي القوي في التربية الاسلامية . ولذلك فإن نتائج نظرية التربية الاسلامية الى التهذيب الخلقي هي الارتكاز على بناء الأخلاق العالمية لدى الأفراد وفي المجتمعات بجمع تعاليمه وتجبيهاتها وطرائقها واهتمامت أيضاً بتكوين السلوك الاجتماعي لاعداد الطفل لبيئته ومحبيه منذ صغره وشعارها « من شب على شيء شاب عليه » .

٦- الفوائد التربوية المستقاة من الطرق الاسلامية للتربية :

من ذلك يتضح أن للتربية الاسلامية أهمية كبيرة وتأثيراً عظيماً في حياتنا الاجتماعية ، لما تتمتع به من الفوائد السامية العالمية في حياة الفرد والمجموع ، ولا بد للمربي الموجه من العناية الشاملة بهذه التربية العالمية لتشمل الطلاب على أساس ديني قويم تعضده الصفات الخلقة الأخرى ، ولا تستطيع أن تفصل التربية الدينية عن التربية الخلقة لأن الأولى أساس الفضائل وأم الحسان .

ونحن العرب المسلمين لدينا والحمد لله شراث كامل من التربية الاسلامية التي لها آثار واضحة في تقديم العلوم والمعرف ، فقد ووضع الفقه الاسلامي آثاراً كبيرة في تنظيم العلاقات الانسانية والروحية والاجتماعية ، وكان تلك التربية أساس قوية في تطبيق

مبدأ المساواة واتاحة الفرص في التعليم بطريقة جعلت تعليم العلوم بمراحله المختلفة في متناول جميع الطبقات والأفراد حتى توفرت لديهم الرغبة والقدرة على التعلم ، وقد مكنت تلك الروح الديموقراطية كثيراً من الطلاب المعدمين من الظهور والتلقي على أقرانهم كالجاحظ والفناي ، وإذا كانا ناجذبها النظام حالياً ونسير بهديه فانما نرجع بذلك إلى ماضينا وتقاليدنا الإسلامية العربية العريقة ، وهناك مثالية قوية خالدة في التربية الإسلامية يظهر في وضوح روحها فيوجد مثل أعلى تتفق الآراء كلها في عده الهدف الأول لل التربية الإسلامية ، وتتضارب الجهود في الوصول إليه ونبعد أيضاً في هذه التربية المثالية تقديم المعرفة والأخلاق الفاضلة يتجلّى في الحديث المأمور ذكره « بعثت لأتم مكارم الأخلاق » و « اطلبوا العلم ولو في الصين » .

وعلى هذا فال التربية الإسلامية تضع العلم أسمى شيء في الوجود والعلماء في المكانة التالية للأنبياء وهم لا يصلحون لحمل رسالة العلم المقدسة إلا بعد تطهير أنفسهم من الرذائل والتحلّي بالأخلاقي والفضائل الحميدة السامية . وقد أدت هذه الروح المثالية إلى سمو في الخلق اعتبار أول شرط للتعليمي ، فنصح الفارابي مثلًا الطالب الذي يعتزم دراسة الفلسفة أن يبدأ بتهذيب ميوله الفريزية حتى يوجه عنائه لاحرار الفضيلة .

ان القوة المعنوية التي تحاول التربية جعلها في التلاميد وتنمية شخصياتهم بها ، تؤثر تأثيراً كبيراً في تعلمهم ، لأنها تجعلهم يثقون بأنفسهم والأمة بعاجة قصوى إلى تلك القوة لتوحيد جهودها وتقوية عزائم أبنائها لتجعلهم متلقين على مثل أعلى مشترك يوحد الجهود والغايات ، ويملا النفوس بالإيمان والعزيم والاقدام . والواقع أن ما نلمسه من ضعف الهمم بين الطلاب والتراخي المنوي وتقليل روح الأثرة والأنانية على فضيلة الإيثار والغيرة يعود قبل كل شيء إلى ضعف تلك الروح المثالية في التربية .

ان المربى الموجه يجب أن يفخر بما قام به وما حققه من التكوين الصحيح للنشء في النواحي الخلقتية والدينية في التربية واعداد شخصيات الفد الدين تهدف التربية إلى جعلهم رجالاً في المستقبل لlama والمجتمع ، بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، لا الاكتفاء بالنجاح في الامتحانات وابراز النتائج المادية .

والواقع إننا قطعنا أشواطاً بعيدة في التقدم المادي والعلمي والأدبي وتفوقنا على الأقدمين في ذلك ، ولكننا لا نزال بعيدين عن الوصول إلى مستوى المعنوي والروحي الذي أوجده تلك التربية العظيمة .

ومن ميزات التربية الإسلامية أيضًا وفضائلها الحميدة اهتمامها بتوطيد العلاقات الشخصية بين المدرس والطالب ، لأن التعليم بها كان فردية في معظم حالاته والاستاذ على اتصال دائم بالطالب الذي يستفيد منه خلقياً وعلمياً ، وكان المسلمين يفضلون أن يدرس الكتاب على مؤلفه ، لأنهم يؤمنون بضرورة ارشاد المعلوم من مناهلها الأصلية والاتصال الشخصي بالمؤلف نفسه ، وقد دعاهم ذلك الاعتقاد إلى تحمل مشاق السفر والقدوم من أقصى الجهات للاتصال بالاستاذ المطلوب ، ولو كان موجوداً في منطقة ثانية ، وهذا ما نلمسه

في مؤلفاتهم وكتبهم العديدة . وصفوة القول ان التربية الاسلامية لها ميزات كبيرة في حياة النشء العامة والخاصة ويبدو ذلك في تكوينها عقيدة ثابتة في نفوسهم وايماناً صادقاً في قلوبهم وهذا ما نحتاجه في اعداد شخصيات الجيل اعداداً قوياً .

٧ - نظرة التربية الاسلامية للتعليم في الصفر :

ان عملية التربية يجملها ترتكز أهميتها على التعليم في الصفر ، وقد اعتبرت التربية الاسلامية تلك المرحلة هامة في دور تطور الطفل وأولت التعليم في ذلك الدور عناية كبيرة في سبيل تعليمه وتهذيبه ، ولاسيما في مجال التربية الخلقية لتقويم نشاته واكتسابه العادات والصفات الحسنة الالازمة لرقمه وسعادته ليendo مواطنا صالحا لنفسه ولمجتمعه .

فالامام ابن الجوزي يقول : « أقوم التعليم ما كان في الصفر ، فإذا ترك الولد وطبيعه ونشأ عليه ومرن ، كان رده صعباً كماقيل في القديم الملم في الصفر كالنقش في العجر » .

ويرى ابن مسكويه : « أن ظهور الحياء في الطفل هو أول خطوة يخطوها نحو السير في طريق الكمال والعقل ، فإن نفسه بهذه الحالة مستعدة للتأديب صالحة للعناية لا يجب أن تهمل وتترك » .

وعلى هذا فال التربية الاسلامية تنظر باهتمام الى المرحلة الأولى من التعليم ، وتراماً صالحه للتلقى الطفل للعلوم والمعارف وتهذيبه خلقياً وتنمية بعض الصفات الطيبة والخلال الحميد في نفسه ، واكتسابه بعض العلوم والخبرات النافعة ، والواقع كما يقول ابن الجوزي أن الطفل اذا تعود على عادات سيئة يصعب تقويمها في نفسه ، ورده الى جادة الصواب بعد ذلك فمن الخير البده بهذه المرحلة قبل أن يترك المؤثرات الخطأ ، وتغرس في ملائكة وشحونه بعض العادات التقيعية ، وهناك يصعب على المربى تهذيبه على الوجه الأكمل المطلوب . ورده الى جادة الصواب .

وال التربية العدائية متفقة مع التربية الاسلامية في هذه النظرة لأهمية التعليم في الصفر وترى أن عملية التربية هي توجيه سلوك التلاميذ نحو الأوضاع المرغوب فيها منذ صغرهم .

والواقع أن الطفل يأتي عادة الى المدرسة الابتدائية في سن السادسة من العمر وفي المنزل خلال هذه المدة يكون قد تعرف على البيئة المحددة التي تكون خبراته البسيطة الأولى ، وبذلك تكون شخصيته .

وهنا يأتي دور المدرسة في تعليمها بالمرحلة الأولى ويبدو دور المربى الموجه في عملية التربية التي تهدف الى خبرات البيئة بما في ذلك اللوم والمعارف والعادات والمهارات والأخلاق للاهتمام بالتلميذ الذي يساعدته مربيه على النمو بواسطة اكتسابه هذه الخبرات في هذه المرحلة الأولى من التعليم . فهناك خصائص جسمية للطفل نتيجة لنموه السريع ،

فهو يأخذ جسمه بالطول وزنه بزيادة قليلة فيجب العناية بصحة التلميذ في هذه المرحلة الهامة وعدم ارهاقه واتعايه وهناك خصائص عقلية للطفل اذ أن علاقاته بالأشياء التي تحيط به تزداد كما وكيفا نتيجة لسمو مداركه العقلية ، كما ينمو حبه للاتلاع ويزداد انتباذه .

فالمربي الموجه يراقب نتائج تعليمه على هذا التطور، ويعمل على معرفة هذه الخصائص وكيفية استغلالها ، وهناك خصائص اجتماعية ومزاجية للطفل في هذه المرحلة الأولى التي يستفيد منها كثيراً من تقاليد مجتمعه وقيمته وأفكاره التي تجعل منه شخصاً اجتماعياً في بيئته .

ولا ريب فالطفل في هذه المرحلة من التعليم يتلقى مبادئ التربية الدينية تلقياً محسوساً فيجب استغلال هذه الناحية في عدم ارهاقه بالأمور الجبردة ، بل يلجا المربي إلى نواح محسوسة كآداء الصلاة وتقديم الاحسان للأخرين وتنمية الشعور بالعدل والحق ، وكل ذلك يصوره المعلم للأطفال في قالب عملي معقول .

ان التربية الإسلامية ترى في هذه المرحلة الأولى من التعليم فرصة ذهبية للمعلم لتهذيب الأطفال وتعويذهم الأمور الحسنة من صرفهم واكتناهم العادات العديدة ، وهذا هو هدف التربية العديدة في تربية الأطفال ، فيقول أحد المربين : « ان الطفل يأخذ الطابع الذي يلازم طوال حياته خلال السنوات الأولى من عمره » .

٨ - أهداف وغايات التعليم بنظر التربية الإسلامية :

نظرت التربية الإسلامية إلى أهداف وغايات التعليم بصورة دقيقة عملية واعتبرته عملاً أشمل وأوسع من مجرد تحصيل العلوم والمعارف ، لأنها يتضمن الامتزاج العقلي والنفسي بين الأفراد وتحصل على تقوية المصلة بين الأشخاص والطلاب بصورة عملية ، وهذا ضروري لتكوين العقل والخلق والتربية العديدة تحدث على هذه الناحية وهي المجتمعات العديدة بين المسلمين والطلاب ومجالس المجتمعات المدرسية والرحلات وأنواع النشاط المدرسي الأخرى لتلك الفانية ، فقد ترك المربون المسلمين آراء قيمة في التربية يمكن أن يستفيد منها التعليم في كل المصور فتصحو ببساطة المادة لتناسب المقول التي لم يتم تضجها والبدء بالقرب الملموس قبل الانتقال إلى البعيد المجهول ، ومن أبرز مميزات التربية الإسلامية عنيتها بالنص على الرفق في معاملة الأطفال وعلاج زلاتهم بروح المطف والرأفة ، ومن مفكري المسلمين من حمل على أساليب العنف في التربية وعدها قاتلة لهم مولدة للبغث والبعن فيقول الإمام ابن تيمية اذا كانت العقوبة شديدة كان تركها احب الى الله ورسوله .

وبالاضافة إلى ذلك فقد ابتكرت التربية الإسلامية أساليب أخرى تأثرت بها التربية قرونًا طويلة كالمناقشة والبارجة والمناقشة التي ساعدت على تحرير الفكر ولو في ميدان معين وأوجدت النشاط الذاتي ولشحذ الذهن ولاتزال المناقضة في وقتنا هذا ناحية من نواحي

النشاط العقلي والاجتماعي في جميع مراحل التعليم وفي التربية الاسلامية نجد تلقي العلم وتهذيب الاطفال واجباً دينياً وفريضة على المسلمين وبتأثير تلك المعتقدة امتلاط النفوس حماسة لاقامة الكتابات والمدارس دون تدخل من جانب الدولة بمؤازرة أولى الأمر ، وفي عصرنا الحاضر نحن بحاجة شديدة الى ناحية المسؤولية الفردية والنشاط التلقائي من جانب الأفراد في نشر العلم وتحصيله دون الاعتماد الكلي على جهود الحكومات ، كما يجري الان في بعض الدول حيث تنهال تبرعات الأفراد والمؤسسات من كل جانب للمساهمة في احداث الجامعة الخامسة والادارة التعليمية عندما يطرح ذلك المشروع لغير العمل . والمدارس الاسلامية كانت شديدة الاتصال بالحياة والناس فلم تفلق الأبواب دونهم ، فهي مفتوحة دوماً للاغنياء والفقراً ويدخلونها على قدم المساواة بينما يجد الفقراء بها كل وسائل المعرفة المتوفرة لتابعة التعليم والدروس . ومنهاج التربية الاسلامية القديمة تتفق والعادات العربية الاسلامية وتلائم بيئتها الأصلية فيقول المفضل بن يزيد انه رأى ابن أعرابية فاعجبه منظره فسألها عنه فقالت :

« اذا اتم خمس سنوات اسلنته الى المؤدب فحفظ القرآن فنلاه وعرف الشعر فرواه ورحب في مفاخر قومه وطلب مائة آباءٍ وأجداده ، فلما بلغ العمل حملته على أعناق الخيل فمرس وتفرس ولبس السلاح ومشي بين بيوت العي وأصنف الى صوت الصارخ » .

ومن آراء ابن سينا المشهورة في تربية الأولاد (البدء بتعليم القرآن الكريم بمجرد تهيئ الطفل للتلقين جسمياً وعقلياً وفي الوقت نفسه يتعلم حروف الهجاء ويلقن معالم الدين ويروي الشعر ، فإذا فرغ من ذلك ينظر في توجيهه لما يلائم طبيعته واستعداده) .

يقول ابن التوأم : (علم ابنك العساب قبل الكتابة فان العساب اكسب من الكتابة . ويروى عن الخلية هارون الرشيد انه طلب من مؤدب ولده الأمرين ان يقرئه القرآن ويعرفه الأخبار ويعلمه الأشعار ويبصره بموقع الكلام ويمنعه من الضحك الا في أوقاته) . ولهذا كانت وسائل التربية الاسلامية في التربية الأولية ومفهوم التعليم وبناء الأخلاق بصورة عامة هي :

١ - الوعظ والتلقين بطريق بيان الصالح والطالع من الأمور وحفظ معasan الأشعار والأخبار والنصائح والحكم والأمثال .

٢ - الاستعانتا بميلو الطفل الغريزية واستعداداته الفطرية بواسطة المدح والتشجيع في تربية الطفل وميله لتقليد استاذه والاستفادة من صفاته الصالحة فيقول عقبة ابن أبي سفيان لمؤدب ولده (ليكن اصلاحك ينتي اصلاحك نفسك فان عيوبهم معقودة بعيوب فالحسن عندهم ما استحسنت والقبح ما استبقعت) .

٣ - بواسطة ميل الطفل الفطري الى الاجتماع بغierre من الأطفال لتكوين عادات وميول سامية لديه منذ صغره وحياته نشاته .

٩ - مناهج التربية الإسلامية :

يتصفح لنا من ذلك أثر التربية الإسلامية في علومنا وأخلاقنا وعاداتنا ومميزاتها التربوية السامية والواقع انتا اذا اعتبرنا العضارة الإسلامية نقطة تطور هامة في تاريخ البشرية لما ترتب عليها من تغيرات عقلية واجتماعية وسياسية باقية ، فينبغي أن ننبع إلى التربية الإسلامية التي هي أساس تلك العضارة والتي لها من الآثار والخصائص ما يميزها عن سائر أنواع التربية الأخرى بنظرياتها القديمة والحديثة .

وإذا تأملنا في مناهج التربية الإسلامية في المرحلة الابتدائية نجد أنه يتضمن :

أولاً : أن كل تعليم يبدأ بالقرآن الكريم ومبادئه الإسلام وليس الفرض من ذلك سايرة مدارك الأطفال وفهمهم ما يحفظون من الآيات الكريمة فحسب . فقد اعترف المسلمون بعجز الأطفال في تلك السن المبكرة عن ادراك ذلك ، وإنما كان الهدف منه إشعار الطفل بأنه يحصل في صدره أعظم كنوز التقوى والهدى والقداسة ، فبرى في نفسه الغير والسمو وقد يربى بها عن مواضع النقد لهذا السبب ، ثم إن الطفل وإن لم يفقه للقرآن معنى أنه يهترأ باوزانه القوية وعباراته الرنانة ، فالمربون المسلمين كانوا يرون في حفظ القرآن الكريم ضرورة دينية وخلقية وتعلمية وخلقية وجعلوه أساساً للدراسات المقبلة .

ثانياً : وجود عناية عظيمة موجهة للتربية الخلقية ، وفي هذا المجال كان التوفيق حليف التربية الإسلامية التي فهمت الأسس العلمية لتربية الأخلاق العالمية فقد استعملت استعداد الطفل للتأثير بواسطة الأشمئز والوعظ والذم والتقليد والمنافسة ، واستعمالت بالشعر والقصص في تهذيب الطفل من الناحية الوجدانية وكذلك في اثناء مغيلته ولم تهمل تلك التربية أثر الزي والمظهر الخارجي كطول الشعر واعتدال المشية والنشاط والرياضة البدنية في التأثير على تكوين النشء من الناحية الخلقية في المراحل الأولى من التعليم ، كما اهتمت بأثر الاقتداء بالأشخاص في تربية الأطفال .

ثالثاً : اهتمت التربية الإسلامية بالناحية التفعية للفرد إلى جانب تربيته الدينية والخلقية ، فاعتنى بالشعر الذي كان سجل للموارد الهامة في الحياة الإسلامية ، كما اهتمت بطرق التعبير البليغ بالفصاحة والبلاغة للظهور في المجتمع والتفوق فيه وكان العرب يحبون الأطفال المؤسسين بطلاق اللسان فيقول الشاعر :

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة اللعم والدم

رابعاً - عنيت التربية الإسلامية بالسباحة والرمي والسباحة لقيمتها المثلية ، ولم تغفل القائدة المتوكحة من الرياضة البدنية من الناحية الجسمية ، وراعت الاختلاف بين طرق تدريس الأطفال وطرق تدريس الكبار ولم تكن هناك سن معينة يبدأ عندما تعلم الطفل ، ونجد العبدري يعتقد الأيام الذين يرسلون أبناءهم إلى الكتاب في سن مبكرة – أي قبل السابعة من العمر – وهي السن التي يحددها الشرع العنيف لتعليم الطفل الملاة والفضائل الخلقية حيث يقول : (يرسل الآباء أطفالهم لكتاب مبكرین بقصد التخلص من متاعبهم

بایعادهم عن السدار وليس لفرض تعليمهم القراءة ، والاطفال لا تنتفع بالتعليم قبل من السابعة ، وهذا الرأي تؤيده البحوث التربوية الحديثة فقد وجد المربى (رودلى) أن الأطفال الذين بدأوا تعليمهم في من الرابعة بدلاً من الخامسة أو السادسة أو السابعة كانوا تضفت في الرياضة والمعلومات العامة عندما اختبروا في سن الثانية عشرة من المظاهر الذين ذهبوا إلى المدرسة بعد الرابعة، إلا أنه وجد فيما يختص بالحفظ الآلي سواه بين الأطفال جميعاً ، ولم يتميز الأطفال الذين بکروا في الذهاب إلى المدرسة إلا في مادة الأشغال اليدوية .

خامساً - تعتقد التربية الإسلامية على الحفظ وقوة الذاكرة ، ويقول ابن سينا بضرورة البدء بتهذيب الطفل وتعويذه بمدح الخصال مند الفطام قبل أن ترسخ فيه العادات المدمومة التي يصعب إزالتها اذا ما تمكنت من نفسه ، والأمام الغزالي يشاركه في هذا الرأي ويقول : « إن الصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة فنيسة سانجة » .

١٠ - الآثار والمبادئ الناتجة من مناهج التربية الإسلامية ولا سيما الخلمية منها:

ان مناهج التربية الإسلامية الدينية قد هدفت إلى تربية الأخلاق الفاضلة - كما مر معنا - وتتوخّت تنمية المواهب الخلقية في نفسية الطفل مند صغره ، فقد اعتبر المسلمون بالصدق والأخلاق وحرصوا على تمويد الأطفال عليها مند المرحلة الأولى من التعليم .

ان المؤلفات الإسلامية الجديدة تفيض بالحكم والوعاظ والوصايا ، وكثيراً ما يستخدم الشعر لهذا الفرض لقوة تأثيره في النفوس ووقيمه في الأسماع بسبب اللطف والوزن والقافية وقد درج العرب منذ القديم على حب الشعر وعلى ضرورة تعليمه لأولادهم وهو يختارون لهم الشعر الذي يبحث على مكارم الأخلاق والكرم والشجاعة والعنف عند المقدرة فيقول الشاعر العربي : مكارم الأخلاق في ثلاثة :

لَيْنَ الْكَلَامُ وَالسَّخَا وَالْعَفْوُ عِنْدَ الْمَقْسُورِ

ويرى المسلمون أن الأدب هو خير زاد للطفل وان العيام من الایمان ولا شيء أثمن من الرفيق الصالح . ويروى عن اعرابية انها أوصت ابنها وقد أراد سفراً بقولها :

(اي يبني اياك والتنمية فانها تزرع المضفنيه بين المحبين واياك والعيوب فتختذن غرضاً ، وخليق الا يثبت الفرض على كثرة الشهان ، واياك والجود بدينك والبغل بمالك ، وإذا هزرت فاهزز كريماً يلين لهزتك ، ولا هزز المثلث فانه صخرة لا ينفجر ما زها ومثل لفنسك مثال ما استحسنت من غيرك فاعمليه ، وما استقبحت من غيرك فاجتبه فان المسنة لا يرى عيب نفسه والقدر أقبح ما تعامل به الناس بينهم ومن جمع العلم والسخاء ، فقد أبجاد ملامئتها ومر بالهما .

ويحث المسلمين أبناءهم على الصدق في القول والأمانة في المعاملة بنفس الطريقة التي يحثونهم بها على تعلم القرآن الكريم ، وهذا كلّه مستقى من التعاليم الإسلامية التي جاء بها القرآن الكريم والستة النبوية والتي ما زالت من الطباع والسمجايا الإسلامية العربية الغريرة في عاداتنا وبيئتنا .

ويعلّم المسلمين أهمية كبرى على اختيار الصديق والرفيق فيوصون أولادهم بمحالسة الكرام والابتعاد عن مصادقة اللئام ، فيقول ابن المتفق في كتابه الأدب الصغير : (مودة الكرام بطيء انتقطاعها سريع اتصالها ومثال ذلك كوب الذهب لا ينكسر أبداً وإن انكسر سرعان ما يلتئم ، ومودة اللئام سريع انتقطاعها بطيء اتصالها وهي كوب الفخار سرعان ما ينكسر وإذا انكسر فلن يلتئم أبداً) .

يتضح من ذلك أن التربية الإسلامية قد وجهت عناية كبيرة إلى التربية الخلقية وكرست لها الموعظ والنصح والحكم والإرشاد والمربيين الصالحين وحرست على تعليي الأطفال بالعادات العربية الأصيلة وعلى تربية الطفل وأعداده لنشأة صالحة ملؤها الكارم والرجولة والأخلاق النازية ، وعملت على تلاويم تلك الأخلاق الإسلامية التربوية الإنسانية مع البيئة والمحيط الذي تعيش فيه ، والتربيّة الحديثة مهما تعددت طرقها في سبيل التربية الغلافية فهي تتفق مع هذا الهدف في التربية الإسلامية وهو تعليي الطفل بالعادات الحسنة والأخلاق الفاضلة التي تعمل منه فرداً ذا عقيدة وآخلاقاً في حياته ليكون رجل الفد في المستقبل ، ويقوم بدوره وبواجبه في الحياة ويتعتز بيديه وأمته ووطنه وتراثه الحال .

و هنا يتضح وظيفة المربى ودوره البارز في تهذيب الطفل من الناحية الخلقية ، فيجب أن يرتكز على العلم ويستند إلى الأخلاق المثالية التي يكتسبها التلميذ ، حتى إن النظرية المثلية في التربية ترى أن كمال الذات هو هدف التربية في جميع أعمالها ومراميها وتشبة المدرسة بروضة أزهارها الأطفال وستانها المربى العريض على انانهاها وازدهارها ، ودور المربى في هذه الطريقة هو أن يساعد الطفل الذي ينمو حتى يصل إلى درجة من الكمال لا يستطيع الوصول إليها دون مساعدته . وصفوة القول : لقد اهتم المسلمون كثيراً بالتربية الخلقية بالطرق المباشرة وغير المباشرة ورأوا أن شخصية الطفل لا تنمو إلا في جو اجتماعي فبواسطة الاختلاط بالغير يكتسب الطفل معرفة وخلقًا حميداً .

١١ - الطموح والعصامية في التربية الإسلامية :

للطموح والعصامية وعلى الهمة أثر كبير في التربية الإسلامية التي عملت على تنمية تلك المفاهيم العالية في نفسية الفرد وتقويتها العمل التلميذ يعتمد على نفسه في الحياة بنجاحه وبلغه ما يريد وليس قادراً على تقويتها العمل ومكافحة الصعب بكل جد واحلاص دون ملل أو ضير ، فيقول الرسول ﷺ (على الهمة من الإيمان) وهكذا فالنجل المؤمن يتصرف بعلو الهمة التي ترافق الإيمان في قلبه ومعتقداته مدى حياته ونسعد من ذلك أن الرسول العربي الكريم قد ألح على وجوب الاتصال بعلو الهمة والطموح في كل الأمور

كثيراً وصنفها بجميع مراحل الحياة ، وفي كل أعمال الإنسان وأهدافه وقد يقرأها قالت العرب من الأبيات المشهورة :

يقدر الكد تكتسب المعالي ومن طلب العلا سهر الليالي

كما أن المصامنة تحت عليها التربية الإسلامية وتقدّرها حق تقدّرها فمعظم رجال الإسلام وعلمائهم وأدبائهم وفلاسفتهم هم عصاميون ، وقد دخلوا في هذه الحياة وقاربوا صروف الدهر وبلغوا مصايفه واكتسبوا خبرته وتجاربه الجديدة الواسعة . وهذا ما يظهر في مؤلفاتهم وأعمالهم وقصص حياتهم وتقول العرب :

**نفس عصام سودت عصاماً وجعلته سيدة هماماً
وعلمته الكر والأقداما**

كما تقول :

ان الفتى من يقول ها إنذا ليس الفتى من يقول كان أبي

والحقيقة أن التربية الإسلامية تتتمدّف خلقتها الراسخ المتن البنيان على الإيمان وقوة الشخصية لدى الإنسان ، وعلى تجاريته في الحياة ، وهذه تتوفر في المصامنة التي أنشأت نفسها بيدها وتحلت بالصبر والدأب المستمر في الحياة الذي وجدت فيه لذة ومتمنة . وترى التربية الإسلامية أن الرجل العظيم الكبير تعلو به شأنه قبيلته وبلده ومجتمعه وقد يعلو الآباء والأجداد شأنًا بالآباء فيقول الشاعر :

وكم من أب قد علا بابن له شرفاً كما علت برسول الله عدنان

وال التربية الحديثة تلح على ضرورة تعويذ الطفل على الاعتداد بنفسه والاعتماد على ارادته في الحياة لتكوين مستقبله ونشاته ، ليستطيع القيام بيده في خدمة المجتمع الكبير بعد أن تدرّب في خدمة مجتمعه الصغير وهو (المدرسة) .

والواقع أن التربية ترى المدارس جميعها مجتمعات تنمو فيها ذاتية الأفراد ، ويشجعها الاتصال الاجتماعي وما تقدمه الفرنس من الخدمة الاجتماعية ، وهكذا قد تناح المصامنة على نطاق واسع وعملي في الحياة تعجل في إقامة الارادة والصبر وسعة الجهد وتركيز الهدف بلوغ النهاية المنشودة .

والشخصية كلمة لا تؤدي معنى بمعزل عن البيئة الاجتماعية التي فيها تنمو ويشتد ساعدها ولا يتضمن تحقيق قوة الشخصية للفرد وابرازها وصفاتها واظهارها الابواعسلة الجهاد في الحياة والأمل والصبر والسمى ، كما أن مثل المجتمعية الجديدة بالمنطقة لا يمكن أن تتحقق الا بواسطة الأفراد ذوي النفوس العالية وأهل الواجب المحسنين في سبيل مبادئهم وعقائدهم ، فقد جاء في الآية الكريمة بوصف هؤلاء « من

المؤمنين رجال صدقوا الله عليه فممنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً ٠

ان النظرية المثالية في التربية تؤكد عظمة الروح الإنسانية ، وتهتم بالشخصية وتجعلها في أعلى مراتب الوجود لأنها أفضل خلق الله ، وترى من تمجيد الله أن نحترم الطبيعة الإنسانية لأنها من صنع يده ومن ذلك استطاع كل انسان أن يصل إلى غايته ، وهدف التربية هو مساعدة كل فرد لأن يفصح عن أحسن ما لديه ، ويظهر مواهبه في الحياة وتحقيق الذاتية هو الفرض الأساسي ٠

ان التربية الإسلامية ترى على الهمة وطموح الفرد مقتضاناً بایمانه العقيق الذي يحمله بقلبه مدى حياته والذي يسيطر على جميع تصرفاته ، وهو نبراسه ومشعله وهاديه في طريقة اللاعب الواضح ، ولهذا كان رائده في كل الأمور فننظرتها هذه هي أعمق مدى وأدق تصويراً من نظريات التربية الحديثة الأخرى ، لأنها جعلت تلك الشخصية تنمو في جو من المقيدة الصادقة وحسن القيام بالواجب والصبر والذائب والتضحية ٠

١٢ - الاستفادة من العلم للعمل به في الحياة :

لا تتفق المعلومات التي يتلقاها الطفل عند مدى تلقينها له في التدريس ، وتلك هي النظرة التربوية الى اكساب التلاميذ العلم والمعرفة ، لأنها لا تقتصر على حملها وتعلّمها في هذه الحياة ، بل يجب أن يمدو ذلك الى العمل بتلك المعارف للاستفادة من العلم في جميع مراقب الحياة والمجتمع ، وهذا ما أخذت به التربية الإسلامية فترى أن العلم لا تأثير له في الحياة دون العمل به في سبيل الخير والاستفادة منه في إعداد شخصية الانسان ونفع المجتمع ٠

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال (وانما يزهد الرجل في علم يعلم قلة انتفاعه بما علم) والامام الفزالي لا يكتفي بالعلم وتقديسه في آرائه التربوية ، بل يؤكّد أهمية العمل الى جانب العلم فقد ورد في كتابه (فاتحة المعلوم) : (الناس كلهم هلكي الا الماملون ، والعاملون كلهم هلكي الا المخلصون ، والمخلصون على خطير عظيم) ٠

ويقول النمرى القرطبي في كتابه (جامع بيان العلم وفضله) : (أول العلم النية ثم الاستئناع ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر) ومكذا ترى التربية الإسلامية أن العمل بالعلم هو أساس النجاح به والاستفادة من تخصيله فالدنيا والحضارة وجميع مراقب الحياة يعود التفضيل في تقديمها واذمارها الى لانسان، وما يكتسبه من تجارب وخبرات بفضل ما تعلم ٠

والواقع أن هذه العلوم والفنون قد أخذت تتداول وتنتقل من جيل الى جيل حتى وصلت اليها الراهنة وتمتنع بغيرها الأئم والأفراد ، فالإنسان بطريق العلم يستطيع أن يستفيد من فوائده ويعمل بها ويطبقها على نفسه ويأخذ بتجاربها وأثارها في الحياة

بعزم و تعميم حتى يصل الى ما يريد وتلتفت في النهاية الرئيسية المتواخة من العلم ، لفدي سُنّ المُهَبْ بن قيس بم سُدّت قومك ؟ قال بالعلم ، قيل له ان غيرك قد علم أكثر مما علمت ولم يبلغ ما بلفت قال : ذلك علم حُجْمٌ وهذا علم استعمل .

وعلى هذا يجب أن يستفيد العالم من علمه بتنمية شخصيته وتوجيه سلوكيه وادراته نحو طريق علمي صحيح مستفيداً من تجارب للعلم ومن خبرات المجتمع التي يوجهها ذلك العلم ، فالفنون هي التطبيق العملي للعلم وقد رأينا كثيراً من العلماء والمتعلمين قد حصلوا على درجات علمية عالية ولكنهم لم يستطيعوا النجاح في الحياة وكانت شخصياتهم ضعيفة خاملة ، وما ذلك الا لأنهم لم يحسوا الاستفادة من علمهم وربما زهدوا فيه ، وأدى بهم الآخر الى فقدان الثقة بأنفسهم وضعف ثقفهم و خور هممهم ، فهم بذلك قد ضربوا مثلاً سبيلاً في عدم انتساب نفوسهم بمتعلمهوهذا الوضع من أشد الأمور الخطيرة والمشاكل العادلة التي تفترض العلماء والمتعلمين وتزورهم في المجتمع فما أجرنا بدراستها والعنابة بها التحدى من الواقع بها والتردي في مساوئها .

وقد عبر بعض المفكرين المسلمين عن رأيهم في وظيفة العلم وأثره في تحقيق السعادة الأبدية بجوار الخالق سواء أكان ذلك الفلم الديني أم العلوم الدنيوية ، فصرحوا وأكدوا أن كل علم لا يساعد على تحقيق هذا الفرض ولا يبعث صاحبه على العمل للدار الآخرة يؤخذ عليه يوم القيمة ..

فالآهداف. المترتبة الناجمة عن التعصيم العلمي لا تؤتي ثمارها يائعة كاملة مشمرة ما لم يصحب تلك العلوم والمهارات عمل كامل ينتفع به المتعلم من مبادئها ، ويستفيد من تجاربها وأفاقها ، وفي ذلك يقول الإمام الفزالي : (لو قرأ رجل مئة ألف مسألة علمية وتعلمتها ، ولم يعمل بها لا تستفيده هذه إلا بالعمل ولو قرأت العلم مئة ألف سنة وجمعت ألف كتاب لا تكون مستعداً لرحمته تعالى إلا بالعمل) .

ويقصد حجة الإسلام الإمام الفزالي العمل بالعلم هو تهذيب النفس وجعلها مثالية تتصرف بالأخلاق المالية والشخصية القوية لتجاهله الحياة . بایمان وقوه عزم ، وذلك ما تقصده التربية من وراء نظرياتها وأساليبها المديدة .

ووصفه القول ان التربية ترى العلوم والمهارات تكسب صاحبها قوة في المقل والادراك تؤدي الى قوة الارادة والشخصية ، وهذه النتائج تحصل عليها من العمل . بتلك العلوم و تطبيقها عملياً والاستفادة من تجاربها وخبراتها المظليلة في الحياة ، وهذا الهدف هو غاية التربية الحديثة . في ماضيها وحاضرها على اختلاف نظرياتها وتنوع مناصبها وتبين طرقها و تعدد وسائلها .

١٣ - أهمية العلم بنظر التربية الإسلامية :

يرى الإمام الفزالي وابن مسكونيه أن العلم غذاء للروح والعقل ، وبه يزداد فهم الإنسان وقدرته على الادراك وهذا الرأي يطلق على العلوم والمعارف جميعها وعلى هذا

كانت نظرة الفقهاء ورجال التربية المسلمين الى العلم والتربية امثالية في دقتها وسموها ، كما كانت اجتماعية في غايتها وأهدافها ، ويمكن القول ان علماء المسلمين قد أحاطوا العلم بصورة عامة والعلوم الدينية بصورة خاصة بثوب قشيب من الاحترام والقداسة والسمى والدأب والعمل ، ويرى ابن خلدون في مقدمته (ان الانسان قد شاركته جميع الحيوانات في حيوانيته بالحس والحركة والذاء وغير ذلك وانا تميز عنها بالتفكير وعن هذا الفكر تنشأ العلوم والصنائع) . وفي هذا الرأي ما يفيد الاهتمام بالخبرة والتجربة الاجتماعية ، لأن العلوم والصناعات التي تنشأ عن الفكر كما يقول هذا العالم العليل لا تنبع الا في حقل العلم الواسع .

والتجربة الحديثة تعلق أهمية كبيرة على تنمية الملاكات العقلية والفكريّة لدى الطفل ، وتعمل على الاستفادة من تجارب بطريرق اللعب ، والاستفادة من معاكسته ومن تأثير العوامل الاجتماعية في عملية التربية ويقول أحد المربين في هذا الصدد :

« ان عملية التربية لا تشمل فقط كل ما نعمله لأنفسنا او ما يعمله الآخرون لنا ، بقصد تنشئتنا وتقريبنا من درجة الكمال بقدر المستطاع ، ولكنها وفق ذلك تشمل الآثار غير المباشرة التي تؤثر في أخلاقنا وطباعنا ومواهبنا الانسانية كالقواعد والنظم الاجتماعية » .

والمثالية الأفلاطونية في التربية ترى المثل الروحية خالدة لاتتغير ، وانها مثل حقيقة وحقائق لها صفة العلوم ، كما انها تشتمل على الغير وغرض الحياة هو الالتفاظ بذلك فغاية التربية أن تساعدنا اذن على فهم هذا الفرض الأساسي ، فالتجربة المثالية التي ترمي الى تحقيق الذات تتصف الفرض الاجتماعي ، وتعتبر بدوره البارز في التربية ، وهذا الرأي قد انتبه اليه ابن خلدون فقد اعتبر (العلم والتعلم امررين طبيعيين في المماران البشري) فالملمء المسلمون لم تقتصر نظرتهم للعلم بمجرد تقديسه واحترامه والعمل به ، بل اعتبروه طبيعة اجتماعية في التقدم والحضارة الإنسانية ، وبهذا أخذوا بدوره البارز في الحياة وبوظيفته في المجتمع وبالتالي قد اهتموا بعلقة العلم بالمجتمع .

والنظريّة التربوية الى الجو الاجتماعي للعلم والمدارس بصورة خاصة قد استمدت كيانها من علم الاجتماع وأبحاث علم النفس الاجتماعي وتطبيقاتهما التربوية ، وهذه العلوم قد دخلت ميدان التربية حديثاً اذ وجهت هذه الأبحاث أنظار المشتغلين بالتجربة الى ضرورة الاهتمام بالجو الاجتماعي في المدرسة باعتباره عاملاماً هاماً في صحة المدرسين النفسيّة ، وفي تكوين شخصيات التلاميذ واتجاهاتهم وميولهم وفي اكسابهم الخبرات النافعة المعيبة في المدرسة والمنفيدة في الحياة ليؤدي الى نجاح عملية التعليم تجاهماً منمراً منفياً ، فيجب أن يتوافر في المدارس جو اجتماعي سليم يساعد على تحقيق أهداف التربية ومتناهجهما الموضعية للوصول بالتعليم الى ما ينشده المجتمع من اصلاح وخير .

ويجمل لنا الامام الفزالي في كتابه (احياء علوم الدين) وظيفة العلم بما يلي :
() عندما يمتص العقل العلوم يكتسب بذلك عقلاً أو قوة تمكنه من التغلب على رغباته
الفريزية) .

على أن رجال التربية الإسلامية لم يكن غرضهم الحقيقي من وراء التحصيل العلمي مجرد اكتساب المقل وتنمية ملوكاته فقط ، بل مدفوا إلى تحقيق الفرض الأسماى من التربية ، وهو مرضاعة الله والاستماع بالسعادة الأبدية التي تتجلى في اكمال الأخلاق العالمية ، فناظرتهم إلى عملية التربية انسانية سامية . فالمثالية في التربية ترى أن غايتها هي اعداد الشخصية والخلق أولاً ، ثم المعرفة ثانياً ، ويعتبرون هذه وسليتهم إلى ذلك ، و (هربارت) يرى أن التربية يجب أن توجه نحو الأخلاق والفضيلة ومهمة التربية في نظره هي غرس الأفكار ، وستقرط يرى أن الفضيلة هي المجتمع وان الرجل لا يكون فاضلا الا اذا كان على معرفة حقيقة بالأشياء .

فالتربيّة الإسلاميّة إذ مثالية في نظرها للأثار المكتسبة من وراء العلم من أخلاق وفضائل انسانية سامية .

١٤ - صفات وأخلاق العالم والمتعلم في التربية الإسلامية :

وقد تضمنت هذه الآداب المبادلة والصفات التي يجب أن يتحلى بها كل من التلميذ والأستاذ والعالم والمتعلم في التربية الإسلامية (مبدأ التواضع) في التعليم والتهدیب مثل كل شيء وهو مبدأ جليل في كيان هذه التربية بل يكاد يكون طابعاً مميزاً لها وصفة أساسية لوجودها يصنفي عليها باهاء وكمالاً وجلاً يقتضيها كل من الأستاذ والتلميذ بما في حياتهما العامة والخاصة، فما أروع تعبير عمر بن الخطاب رضي الله عنه في هذا الشأن حيث يقول:

(تواضعوا لمن تعلموه من العلم وتواضعوا لمن تعلموه من العلم) وعلى هذا فالتواضع ضروري للأستاذ والتلميذ معاً اذا تبادلـهـ كلامـهـ ، عظيم اذا انتجهـ كلـ واحدـ منهـ في حياتهـ العامةـ والخاصةـ .

هذا هو الهدف الذي ترمي اليه التربية الاسلامية وهو تعلي النفوس بهذه الصفة المثلثة لا في التعليم فحسب بل في المجتمع الكبير الذي تقدم له التربية رجالا مؤمنين بالله وبدينهم ووطنهم وانسانيتهم وتواضعهم الجم وتهذيبهم الكبير ، فالتواضع صفة حميدة يبعث عليها ديننا العظيم في تعاليمه السامية وقد قال الشاعر (ولا تمش في الأرض مرحبا انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا) وجاء في الحديث الشريف (من تواضع الله رفعه الله والكثير رداء الله ما تجلب به عبد الا وقصمه الله) .

ومن جهة أخرى فالنفوس العربية قد طبعت على البساطة في كل شيء ، ولهذا فقد نشأت على التواضع ودرجت على التحاب ، فالناس سواسية كائنات المشط وان اكرمكم

عند الله أتقاكم، ولعل التواضع صنو المسراعي وهادها وسمانها الصافية وقفارها المترامية الشاسعة رببها في انجادها وفيانيها .

فلا غرو أنأخذت التربية الإسلامية بذلك المبدأ السامي في التعليم ، وحثت عليه العالم والتعلم والأستاذ والتلميذ مما ، فالتعاليم الإسلامية قد أوصلت به والطبيعة العربية قد نهلت من منهله .

ان التواضع في التربية وتلقي التعليم يوجد احتراما عميقا بين الأستاذ والطالب ، ويكون مثاليا كاملة وديمقراطية سامية في التعليم والتهذيب ، وهو ما تهدف إليه التربية الحديثة بجمع نظرياتها وتجاربها ومحاولاتها، لا بل هو حلم الفلسفه والمصلحين وأملهم في اصلاح المجتمع بواسطة التربية .

ولهذا فقد اعتبرى العلماء المسلمين بهذه الصفة الفاضلة وأولوها ما تستحق من الرعاية والبحث في كتب الأدب والدين والتربية .

١٥ - نتائج تلك الأداب المتبادلة :

ان التواضع في التعليم صفة سامية لا غنى عنها للطالب والأستاذ في حياته ، فالنتائج والأثار المرتقبة على الخلق الرصين المتواضع عظيمة النفع كبيرة الفائد في حياة الطالب الخاصة وال العامة وأهمها :

أولاً - ان تعويد التلميذ منذ صغره على التواضع أمر حميد تتواخاه التربية في جميع مراحلها وهو أن تنمي في نفسية الطالب احترام الغير ومحاصفه أم كبرأ ، والسير على هذه الصفة في حياته جميعها فلا تسيطر النعمة اذا ارتفع ولا تعط بـ الفاقة اذا اتضع ، وهذا ما يجعل شخصيته ثابتة مستقلة قد نشأت في جو من الاحترام والوقار لاتلعب بها المناصب والأمواء والظروف والأحوال في جميع أدوار الحياة كما يقول الشاعر لمدوده :

حالات الزمان عليك شتى وحالك واحد في كل حال

وال التربية الحديثة ترى أن ثبات شخصية الطفل بالحياة عامل أساسي في نجاحه ، وتعلمل على ملامحة تلك الشخصية مع المجتمع لجعله فردا صالحا يقوم بواجبه في الحياة على الوجه الأكمل ، بل ان المثالية في التربية تبني نظرياتها على أساس تكوين شخصية الطفل وجعلها متناسقة متزنة ، كما أن التربية الحديثة أيضا ترى أن الفرد ينمو ويتطور في إطار اجتماعي يشمل القوانين والأنظمة والعادات والحضارة الخاصة بهذا المجتمع ، وهذه العوامل تلعب دورا هاما في تكوين سير الطفولة واتجاهاته وعاداته ، والتواضع وسيلة تربوية هامة لاحترام الآخرين والتأثير عليهم والاندماج معهم في البيئة والوسط الذي يعيش فيه الفرد ، بل هو أحد وسائل الحضارة للتكيف مع المحيط والمجتمع في خلق مهذب رفيع ، لأن الحضارة بمعناها العام تشتمل بمجموع العادات والتقاليد والأنظمة التي تقبلها مجموعة أفراد من الناس تعيش في بيئه متباينة تعتزم أصحابها وتحترمون غيرهم ويتعاونون معهم .

ثانياً - ان التواضع يحدث احتراماً متبادلاً بين كل من المعلم والتلמיד ، وهذا ما يجعل الطالب يقدر شخصية أستاذه ويحترمها كل الاحترام ما دام يرى أنه موضع احترام من قبله ، وبالاضافة الى ذلك فالاستاذ بتواضعه يعطي غير مثال عملي للتلמיד الذين يتخلون بهذه الصفة ويقدرونها في معلمهم ، والتربية الحديثة تهتم بصورة قصوى بعملية احترام شخصية الطفل في التعليم وتراهاضرورية لكل عمل يقوم به المدرب .

١٦ - نظرة التربية الاسلامية الى التحصيل العلمي بصورة عامة :

ان التربية الاسلامية المستقاة من مبادئ القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة وأراء الفقهاء والمربين المسلمين قد نظرت الى التحصيل العلمي نظرة سامية ، وأوجبت الأخذ به وطلبه والسعى في مجالاته الخصبة الواسعة دوماً دون التفاف أو التخلف عن اللعاق برحبه التقديمي والحضارى الرازح .

ولذلك فقد ازدهرت المدارس الاسلامية في جميع ادوار عصورها ، وأعد المُسلمون عليها الاموال الكثيرة وأوقفوا لها المنشآت الفخمة والغيرات العميقة وكان طلاب العلم من البقاع غير الاسلامية يقصدون المامدوالعلمية الزاهية لارتشاف العلوم والفنون من مناهلها العديدة المتبرة . لقد قضى الفقهاء والعلماء المسلمين حياتهم في تحصيل العلم وفي التدريس والتاليف والكتابة وصرقوا معظم أوقاتهم ، وكرسوا جهودهم لميادين العلم الواسعة ، فتركوا لنا تراثاً عظيماً خالداً ينبع بعمله الزمان ورغم المصائب الكبيرة التي ابتليت بها الأمة الاسلامية العربية بسبب غزو المغول لها ، والتي زحفت على البلاد الاسلامية كالوباء الجارف فدمرت الحرم والنسل وقضت على الكثير من أماكن العلم وأحرقت الكتب العلمية والمجلدات الفخمة والمؤلفات الاسلامية ذات التراث العلمي الراهن منذ بضعة قرون . فان أهمية التحصيل العلمي وسمو النظرة اليه في التربية الاسلامية ما زالت متصفة بطبيعتها الاسلامي العريق وهي تتغنى من تلك التعاليم المستمدّة من فنّه الاسلامي ، ومن أراء وأعمال رجال التربية في الاسلام ، وقد ورد في الآية القرآنية الكريمة () ويرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات) . فالتراث الاسلامي تعتبر العلم أفضل الأشياء في الوجود وأسماها (وقل رب زدني علما) ، حتى قال فقهاء الاسلام وعلماؤه (ان العلم أشرف المقامات بعد النبوة وان العلماء يشفعون للناس يوم القيمة بعد الأنبياء) وقد يقال العرب من الآيات المشهورة :

العلم يرفع بيته لا عماد له
والجهل يهدم بيته العز والشرف
كما قيل :

حياة القلب علم فاغتنمه وموت القلب جهل فاجتنبه

ويرى حجة الاسلام أبو حامد الغزالى ما رأه أفلاطون (من أن المرفة شرط لازم لاتباع طرق الخير والفضيلة وتقدير المضار والفوائد والتغلب على المفاسد الغرائزية ،

فالعلم اذن برأيه ضروري لنمو الادراك والارادة في وقت واحد ، لأن الادراك يتجلّى في تربية النفس وتهذيبها وجعلها تعرف طريق الفضيلة الذي هو غايتها المنشودة وتعمل على اتباعه ، كما أن العلم والمعرفة أيضاً يعملاً على تقوية الارادة لدى الانسان ليستطيع السيطرة على نفسه والتغلب على غرائزه . ان الانسان يحتل بقواه العقلية مكاناً ممتازاً في نظام الكون ، والعقل وحده لا يكفي فلا بد من الأخلاق والتربية والتعليم وتهذيب النفس وسموها لتصبح مثالياً تتوجّي العمل الانساني والنفع العام لتقوم بدورها الاجتماعي المترتب عليها في سرج الحياة .

والنظرية المثالية في التربية تنادي دوماً بأن كمال الذات هو هدفها المباشر ، وتعمل على وضع المثل الماليّة وقيم الأشياء موضعياً في شخصية الانسان واكمالها الديني والعلمي والخلقي ، فالبيئة الثقافية والروحية كما يقول أحد المربين هي من وضع الانسان نفسه ، وقد حدثت نتيجة نشاطه الابداعي وقواه المترکزة فهي بالتالي قيم انسانية تزداد كلما انتشرت وتتوفر لها العلماء العاملون في البحث والتعليم والتربية لأنها تراث الانسانية المشترك الذي يميز الانسان عن سائر الموجودات ، فال التربية الاسلامية قد جنحت الى هذه الغاية السامية في نظرتها للتحصيل العلمي فيقول (درير) : (ان المسلمين عدوا علم الرجل في نظر المجتمع أكثر أهمية من آرائه الدينية) .

وصفوة القول أن فقهاء المسلمين ينظرون الى العلم والتربية نظرة مثالية انسانية رفيعة ، وهذا ما توخاه المصلحون ونادي به العلماء فعلى التربية أن تمكن كل فرد وكل جيل من الوصول الى تلك الغاية المتواخة من التحصيل العلمي .

١٧ - خاتمة :

وأخيراً يتضح لنا من ذلك أن أساس التربية الاسلامية وأدابها في تهذيب النشء وأثر ذلك في المناهج التعليمية هي قوية كاملة ، فيجدر بنا أن نكيف تلك التربية في مناهجنا وأن نأخذ بتلك الآداب ونوفق بينها وبين المناهج المصرية الكثيفة المعقّدة نظراً لتطور المعلوم وتقدم أساليب التربية الحديثة المبنية على علم النفس وعلم الاجتماع والبيئة .

وقبيل كل شيء يجب أن يكون المربى الموجه الناجح الذي يقوم بتدريس التربية الدينية مؤمناً بأهمية هذه المادة في تعليم الأطفال متخصصاً لتدريس الدين ملماً بالخبرة والدرائية بمعنويات الكتاب المقرر والطرق المناسبة لعرضه وتدريسه .

لا شك أن المعلم المؤمن بدينه يعطي أحسن مثال عملي لطلابه من الناحية الدينية والخلقية ، فأفضل المربين هو الذي يتبع في ميله للموضوع ورغبته في تدريسه اعتقاداً راسخاً وایماناً عميقاً حسب القاعدة (فاقد الشيء لا يعطيه) ويميل الطفل ونزاعاته تتعدد حسب رأي (مكروجل) نتيجة للمشاركة الوجدانية والآيمان الصادق من الأشخاص الذين يحبهم واني أقول : ان أقوى المربين شخصية وعلمًا وخبرة هو الذي يجب أن يقوم بتدريس الدين ، والذين لا يتحمسون لتدريسه ، أو لا يولونه عناية فائقة يجب الا يضيّعوا

إلى قائمتهم أسماء أخرى من طلابهم إذا ماسلت لهم هذه المهمة التي يرونها ثقيلة على نفوسهم ، فالمربي كما يقول أحدهم : (لا يعلم ما جمع في صدره من العلم ، بل يعلم ما اشتغلت عليه نفسه من الصفات) .

والواقع أن التربية الدينية لا تصبح أساساً للحياة والعمل في مدارسنا التي تقوم بدور اعداد رجال الدين وتهذيبهم خلقياً بواسطة هذه التربية إلا إذا تولى تلك المهمة النبيلة مربون ومربيات متقددين حمية واحلاصاً ، يراعي المربي الموجه في التربية الدينية ما يلي :

١ - شرح نصوص من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة الدالة على الأخلاق والتعاون والعقائد ويقوم بتعظيمها للأطفال بصورة تدريجية مبتدئاً من السهل إلى الصعب ، ومن الجمل القصيرة إلى المركبة الطويلة .

٢ - يجب تعويذ الأطفال على إداء العبادات كالصلوة والصوم بطريقة معجبة إلى نفوسهم ، وأن يشرح لهم المربي معانيها السامية وفوائدها وأثارها في المجتمع ، ويعلّمهم أنه ليس المقصود منها القيام والعمود والجوع والعطش ويوضح لهم حديث الرسول (ربكم تال للقرآن والقرآن يلعنك ، وربكم مصل لا يستفيد من صلاتك إلا القيام والعمود ورب صائم لا يستفيد من صيامه إلا الجوع والعطش) .

يجب تعليم الأطفال الصدق في القول والمعاملة وجميع نواحي الحياة ، وإن عماد الدين هو الصدق وإن الإيمان والكتاب والنفاق لا يجتمعان .

٣ - من الضروري الاستعانت بالمواد التعليمية الأخرى في سبيل التربية الدينية والخلقية ، ففي التاريخ ذكر للأطفال بأسلوب قصصي وحديث شيق عن حزم الرسول عليه وصبره وجهاده في سبيل هذا الدين وعدم تراجعه عن الدعوة رغم أيداء المشركين له وت奉نهم في صنوف الأسوء والأذى ، وذكر لهم حياة الصحابة وجهادهم والمسلمين الذين نشروا هذا الدين الحنيف في جميع أنحاء العالم وزلزلوا بآياتهم وعقيدتهم عرش كسرى وقيصر ، وفي الجغرافية شرح لهم الواقع الإسلامي والمناطق التي آتاه المسلمين وأثارهم بها ، ثم نتوصل بذلك إلى استنتاج آيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة في العث على الجهاد والعمل والسمعي وطلب الرزق وبذل الغير والإحسان والمعروف وبر الوالدين وإيتام الزكاة والمعج والمطف على الفقراء وغير ذلك .

وفي تعليم اللغة العربية نستعين بنصوص القرآن الكريم وبقصص وأشعار وخطب من الأدب العربي تساعد على تعليم الدين فالقرآن الكريم هو دستور النصاحة ونبع البلاغة للغة الفاد .

٤ - يجب تبسيط دروس الدين بالقدر الذي يفهمه الطلاب واستعمال الطريقة الاستقرائية وأسلوب المحادثة وأوجوبة الطلاب التحريرية والشفهية في تدريس هذه المادة ،

ويجدر بالمربي الموجه الاستعانته بقصص التربية الدينية المعدة لكل مرحلة من مراحل التعليم وبقصص حياة رجال الاسلام الموقعة بقالب شيق وأسلوب واضح مصور وخط مشكول ، فهي تبني مدارك الأطفال العية وتقوي خيالهم وتساعد على ربط المواد الأخرى وفهمها وحفظها .

هذه بعض شذرات وأبعاث من مواضيع التربية الاسلامية وأقوال الفقهاء والعلماء المسلمين وبنائهم المرح المتن للأخلاق من قواعد تلك التربية العظيمة بمناقبها السامية بأهدافها . أجل تلك آرائهم أولئك المؤمنين الذين هدفوا الى اعداد جيل مؤمن بالله وبدينه ووطنه وأمته وقيمه وأخلاقه وشعارها : (هكذا أردنا ربنا فلما حسن تأديبنا) فيجدر بنا أن ندرس تلك المواضيع وننتمق بها ونطبقها في مجال التعلم والتعليم والتربية والتهذيب وميدان الحياة بأفقها الواسع الشاسع . هذه الآراء نادى بها رجال كرسوا حياتهم للدين والعلم والتربية والخلق القويم واستقرها من منابعها الأصلية وهي : القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة وننن ننخر باقائهم وأعمالهم وتراثهم الخالد الذي تركوه وبماضيهم ومازدهم في اعداد ما يغفر به العلم الحديث بحضوراته الراهنة قائلين مع الشاعر العربي :

**أولئك أباي فجئني بمثلهم اذا جمعتنا يا جرير المجامع
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .**



منافع الأغذية ودفع مضارها

لأبي بكر الرازى

عرض: حسان الكاتب

تحقيق: حسين جموي

الكتب القيمة التي صنفها الرازى في أهمية الغذاء كتابه «منافع الأغذية ودفع مضارها» .. اذا انه بعث فيه ما يناسب الأجسام في أيام المرض، وما يناسبها في حالة الصورة ، وما يوافق اجتماعه في وجة واحدة ، وما لا يواافق ، وقد سعاه كل من ابن القطعى .. وابن النديم (كتاب دفع مضار الأغذية) وهو مقالتان ، يذكر في الأولى منه ما يدفع به ضرر الأطعمة في كل وقت ومزاج وحال ويذكر في الثانية قوله :

آراء جالينوس . لقد طبع كتاب الرازى هذا في الطبعة الغربية بمصر سنة (١٣٥٥) هـ . في (٦٨) صفحة بالقطع الكبير ودون بهامشه دفع المضار الكلية للشيخ الرئيس ابن سينا ويوجد منه نسخة مخطوطة في مكتبتي ميونيخ برقم (٨٤٠) وباريس برقم (٢٨٦٨) وفي مكتبة اسكندرية برقم (٨٢٨ و ٨٦٦) ترجم الى اللاتينية تحت عنوان :

(De Alement oriem Correctione neenondievielus).

ثم أخيراً جمعت المقالتان في كتاب صدر تحت عنوان : (منافع الأغذية ودفع مضارها) بدون آية شروح، وقد صدرت الطبعة الأخيرة

الأول : عن طريقة استعمال الأغذية .

الثاني : في طرائق دفع التخم ومضارها .

ويذكر أن الرازى قام بتاليف هذا الكتاب للأمير أبي العباس أحمد بن علي ، ومقابلاته علامتنا الرازى في مقدمة الكتاب : «رأيت أن أؤلف كتاباً في دفع مضار الأغذية تاماً مستقصى أبلغ وأشرح مما عمل الفاضل (جالينوس) فانه سها وغلط في كثير من كتاباته ... الخ » ونستوحى من هذه المقدمة أن أباً بكر الرازى صاحب لجالينوس الذي يعتبر مع أبقراط (أبوى الطب اليوناني) ونستدل على مدى ثقته بمعارفه وثقافته والعلوم التي اكتنفها ليصحح وينقض بعض

بتتحقق الأستاذ حسين العموي وأصدار دار الكتاب العربي في سوريا عام ١٩٨٤ وقد بذلك الأستاذ العموي في تحقيق الكتاب وشرحه جهوداً مشكورة بحيث أصبح الكتاب من الشروح التي أضافها .. يقع في صفحة ٣٦٥ من القطع الكبير .

٠٠ وقفة مع مؤلف الكتاب :

يعتبر أبو بكر الرازى من أشهر الأعلام في العلم والطب والفلسفة عند العرب .. بل في العالم أجمع إذ كان يسمى كتابه اللاتينية (رازيس Rhazes) .. ولقب بالرازى نسبة إلى مسقط رأسه .

ولد في الري وعاش فيما بين (٢٥٠ - ٣٢٠) هجرية (٨٦٤ - ٩٣٢) ميلادية وقضى حياته في بغداد ، وتوفي فيها ، وكان موسوعة في العلوم ، وهناك رواية متواترة بين مؤرخي المعلوم أن الرازى كان في بداية حياته يتمامل بالمرأة .. وقد نال شهرة مرموقة في الطب والمنطق والهندسة وقد انتاجاً يستحق التقدير في هذا المجال .

أولى الرازى بالموسيقا والفنان ونظم الشعر في صفره واشتغل بالسيميماء والكمياء، ثم عكف على الطب والفلسفة في كبره فبلغ واشتهر ، وتولى تدريب مارستان الري أي (مشفى الري) ثم رئاسة أطباء بimarستان المقتدرى في بغداد .

وصفه أحد أصحابه قائلاً : كان شيئاً كبيراً ، مسطحة ، وكان يملئ في مجلسه ودونه تلاميذه ، ودونهم تلاميذهم ، ودونهم تلاميذ آخر ، فيجيء المريض فيذكر مرضه لأول من يلقاه ، فإن كان عندهم علم أفادوه والا تعداهم إلى غيرهم ، فإن أصابوا في

تشخيص المرض ووصف العلاج أصابوا والا تكلم الرازى في ذلك .

كان أبو بكر الرازى طبيب الدولة العربية الأول ، وكان عارفاً بطب الأغريق ، وطب فارس ، وطب الهند ..

لقد دفع ملك فرنسا لويس العادى عشر المبالغ الباهظة لشراء مؤلف واحد من مؤلفات الرازى هو كتاب (العاوي) الذي يضم معارف في الطب منذ اليونان حتى تلك الفترة التي كان يعيشها ، وبقيت أوروبا تعتمده مرجعاً أساسياً في الطب مدة تزيد على ٤٠٠ سنة .

ولقد أقامت فرنسا لصاحب كتاب العاوي (الرازى) نصبًا تذكارياً في كلية الطب في باريس وما أحوجنا نحن العرب أن نقيم له تمثلاً في كل جامعة وفي كل كلية طب .

وتحذر المصادر أن عدد الكتب التي ألفها الرازى في الطب (٥٦) كتاباً وفي العلوم الطبيعية ٣٣ كتاباً وفي المنطق ٨ كتب وفي الرياضيات ١٠ كتب وفي الفلسفة ١٧ كتاباً وفي علوم ما وراء الطبيعة ٦ كتب وفي الكيمياء ١٣ كتاباً ولو ١٠ كتب في مواضيع أخرى مختلفة ويأتي في زمرة كتبه الكبيرة « الجامع » و « الكافي » و « المدخل » و « الملكي » و « الفاخر » ، على أن كتابي (العاوي والمنصوري) يعتبران على رأس مؤلفاته وإليهما يعود الفضل في شهرته وذريع صيته في جميع البلدان . كما يعد كتابه في الجدرى والعصبة على رأى نيويورجر سفراً من أثمن الكتب حيث ترجم إلى اللاتينية سنة ١٤٩٨ وسنة ١٥٤٨ ، وترجم إلى الانكليزية وطبع في لندن سنة ١٨٤٧ ،

وترجم إلى الفرنكية وطبع في باريس سنة (١٧٦٣) وسنة (١٨٦٩) وترجم إلى الألمانية

وطبع في لايبزيغ سنة ١٩١١ وتدل هذه الآثار التي خلقها لنا الرازى على ما له من قدرة على الصبر والتحمل وحب العمل وعلى أنه لم يجد لذة في دنياه إلا في رحاب العلم والمعلم والتأليف .

تروي لنا شقيقة الرازى (خديجة) عن حياة الرازى فنقول :

كان مطلب العلم يرافقون إليه من جميع البلدان لتلقي المعرفة على يديه ، فكان حجّة عصره ، ومرجعًا لكل الحالات المرضية المستعصية . أذكر أن صبياً يافعاً جاء يشكو اضطراباً وخوفاً من حالته التي ساءت خلال سفره حتى بدأ يبصق دماً . وقد عجز أطباء بغداد عن كشف مرضه ، فعماينه الرازى بهدوء كبير ، فلم يعثر على السبب ، فطلب من الفتى أن يتريث ويصبر فحالته لا تشير إلى خطر ، إذ ليس لديه التهاب رئوي أو سرطان وهذا تعالى صرخ المريض وانهزم دموعه قائلاً :

إذا كان أمهل الأطباء عاجزاً عن معرفة ما بي فسلام علي واستمر أخي يقلّب السبب فسأله : أي ماء شربت في رحلتك ؟ أجاب الفتى : لقد شربت هنا وهناك من ماء الآبار والمستنقعات . قال الرازى : لا شك أنك ابتليت علقة دموية ثبتت في أمعانك ، ارجع غداً لأجري لك العلاج المناسب .

وفي اليوم التالي حضر الفتى ومعدته فارغة بحسب توصية الطبيب ، الذي طلب منه تناول (نبعة الطحلب) حتى يفتق ذرعاً بها . ثم أجرى له عملية القيء . لا عملية جراحية . فاخترج من أمعائه علقة دموية مفزعنة . وتتابع خديجة (اخت الرازى) الحديث فنقول :

كثرت الشعوذة في معالجة الأطفال من مرض كان يودي بحياة الكثيرين ، فعكت

شيقي على دراسة هذا المرض وحدد أوصافه بدقة وشخص مظاهره ، وأشار إلى ضرورة الفحص الدقيق للقلب والنفاس والتنفس والبراز ، وإلى ارتفاع الحرارة المساعد على انتشار الطفح في الجسم بعد انتشاره خلف الأذن والقمع فعالج هذا الداء المسمى (العصبة) والفت كتاباً حوله ، فأتقن بذلك حياة الأطفال من السهرة والكافذين ، وكان أول المتحدثين عن (الجدرى) في معالجة دقيقة بعيدة عن الأوهام .

ثم تتابع خديجة الحديث . كان شيقي يكتب وريقات في صندوق خاص ، حكمت عليه بالتفاهة ، لكنني بعد وفاته ، أخرجت ما في الصندوق ، فإذا محتواه يقع في ثلاثة جزءاً ، أطلق عليه الأطباء (كتاب العاوي) لأنّه يجمع فيه الأمراض ، كما جمع في شخصه اختصاص الأطباء في كل مجال .

٦٠ خطبة الرازى في تاليف الكتاب :

يقول أبو بكر الرازى في تحديد نهجه في كتابه :

« واني لما أجللت الفكر في أن يكون هذا الكتاب تماماً مستقصىً في غرضه المقصود ، رأيت أنه ينبغي أن العق يذكر الأمور الجزئية التي تخص عدداً في دفع مضاره ذكر قوانين وأمور كليلة في تدبیر المطعم والمشرب جملة ، ورأيت أنه ينبغي أن أجعله مقالتين ، أذكر في الأولى منها الأمور الخاصة الجزئية ، وفي الثانية القوانين العامة الكلية . وإنما فاعل ذلك بمشيئة الله من وجل . وایاهم أسائل التوفيق لصواب القول والفعل والعون على ما يرضيه ويقرب إليه ويدنى منه . »

وهذا حين نبتدىء فنقول انه لما كان معوّل الناس في أغذيتهم على الخبز والماء

• سفوف قوي :

وصفتة أن يؤخذ من بزر البطيخ المقلي وزن عشرة دراهم ، ومن حب القلت^(١) واللوز المرو والدوق^(٢) من كل واحد وزن درهين ، فيست منه وزن ثلاثة دراهم ويشرب عليهما ماء حارا قد أغلق فيه برشاشان^(٣) إلى أن يفقد ذلك العارض .

• التعقيق :

يقول الأستاذ حسين الحموي محقق الكتاب مبينا دوره وجهده في تقديم الكتاب للقراء العرب بثوبه الجديد الذي صدر في طبعته الأولى بدمشق عام ١٩٨٤ عن دار الكتاب العربي .

وقد حاولنا جهدا ناشر معظم الكلمات التي كنا نشعر بال الحاجة إلى شرحها لاتمام المعنى و AIS القارئ .

أما الأسلوب ، فهو أسلوب علمي ينم عن عبقرية طبيب وفيلسوف وكيميائي فلم تستطع أن تغير أو تبدل في طريقة السبك والتاليف ، وأكفيتنا بالشرح والتوضيح لأهم التراكيب التي وجدنا أنها بحاجة لشيء من ذلك ، وقد أشرنا في نهاية الكتاب إلى أهم المرابع والمصادر التي كانت لنا عونا فيما ينفي ونحوه ، وإن كان ما ينفي ونحوه هو الاستفاضة في التسروح لا الاختصار بقصد الموارنة بين حجم الكتاب وعدد صفحاته ، وبين الغاية التي نهدف إلى تحقيقها في حدود الامكان .

• وفيما يلي نقدم بعض ما اختاره المحقق للقراء الكرام عن أهمية بعض الأغذية :

• السبانخ :

تحدث ابن سينا عن السبانخ فقال :

والشراب واللحم ، وكانتوا لهذه أكثر استعمالاً منهم لغيرها ، رأيت أن أبدأ بالقول فيها .

• في منافع العنطة والخبز المتعدد منها ومضارها ، وما يدفع به تلك المضار وصنوف الخبز والأواني منها في حال دون حال .

• الخبز السميد والعواري :

فأقول إن الخبز مع اعتياد الطبيعة له وورودها عليه دانياً وجري العادة بالاغتناء منه ، له مضار ينبغي أن تميز وتفضل .

فمن الخبز السميد^(٤) والعلوي^(٥) والخشكار^(٦) على مرتبته في ذلك من قلة الن غالة وكثرتها ، والقطير والمختمر^(٧) والكثير الملح والبورق^(٨) ، والمديم لذلك ، وخبز التنور ، وخبز الفرن ، وخبز الملة^(٩) وخبز الطابق^(١٠) .

فمن مضار الخبز السميد والمواري أنه أسر خروجاً من الطبيعي من الشكل ، وأنه أكثر نضجاً وتوليداً للرياح ، ويولد السدد في الكبد والعصى في الكلي في المستدين لذلك . ولذلك ينبغي أن يميل عنه إلى الشكل ، تعرية الرياح الغليظة ويسوس البطن والسدد في الكبد والفلط في الطحال والمعوى في المثانة المستعدة لذلك ويسرع إليه الامتناع وتصيبه أوجاع المفاصل ويعتريه التعبير فيها .

ومما يدفع به هذه المضار أن يكثر فيه من العمير والبورق ، ويتمهد الأكل له السكنجيين^(١١) البزوري ويأخذ بزر البطيخ وبزر الكرس^(١٢) مع السكر الطبرزد^(١٣) متى أحس بشقل تحت الأنفلاع من الجانب الأيمن . فاما متى أحس بشقل في البطن والقطن وعسر في خروج البول أو قلة فيه فليأخذ من هذا الدواء أياماً قبل الطعام بثلاث ساعات .

• البصل :

ينتفي الدم وينظم دورته ويدر البول ، وينفع في تضييد الجروح والدمامل ، وبعض أمراض الكبد والكلى ، وتبين من الأبحاث الحديثة أنه في طليعة النباتات التي تقتل البراثيم وبخاصة جراثيم التيفوس . أما فائدة البصل الغذائية فهي تفوق فائدة التفاح وفيه عشرون ضعفًا من الكلسيوم الموجود في التفاح وضعف ما فيه من الفوسفور وثلاثة أضعاف ما فيه من فيتامين آ والجديد وفيه الكبريت وفيتامين ج ومواد مدرة للبول والصفراء وملينة ومقوية للأعصاب ، ومقوية للقدرة الجنسية ومؤثرة في القلب ودوره الدم ، وفيه مادة الفلوكوئين التي تحدد نسبة السكر في الدم وهي تعادل الأنسولين في مفعوله .

• الثوم :

يعتوى على نسبة كبيرة من البروتين والأملاح والكربونات والماء ولدى اجراء التجارب عليه ظهر أنه يظهر معوي ومنبه معدى ومؤقت للإسهال الميكروبي ، يؤكل بلما على الريق أو يستعمل فص أو فصان تعجيلة ويؤكل مع اللبن الرائب لتعطير الأمعاء ومصالحة السعال والريو والسعال الديكي وهو يطرد الأرياح ويغذى الأعصاب وينشط القوة الجنسية وهو مدر للبول .

• العسل :

غذاء منشط جداً ، فهو يعطي ٣٠٠ حروري في كل مائة غرام وهو ذو قيمة غذائية كبيرة والكيلوغرام الواحد منه يعادل في قيمته الغذائية (٥) كيلوات من الطليب أو ٢٦ موزة أو ٦٠ برقة أو ٥٠ بيضة أو (١١٧٥ ر ١١٥) كغ من لحم العجل أو (١٢) كغ من الخضروات والمواد السكرية الموجودة

انها تنفع لأمراض الصدر والرئة وتزيل العطش ، ويمكن أكلها نيئة أو مطبوخة ، وعصيرها المحلي بالسكر يفيد في معلجة البرقان ، والغضى البولية ومسحة البول ، وتعتبر غذاء جيداً للمعومين والناقدين ، وهي تفيد أيضاً في أوجاع العنق والظهر والتزلات الدائنة ، وإذا طبخت أوراقها مع البقلاء ، كانت فائدتها الغذائية أكبر ، ويحسن عدم استعمال هذه الأوراق بعد أن تظهر البذور بينها » .

• السفرجل :

يعتوى على كثير من الأملأح الكلسيبة والمواد الهضمية وحامض التفاح وفيه (٧١٪) من الماء و (٥٪) من البروتين و (١٢٪) من الألياف و (٧٥٪) من السكر و (٣٪) مواد دهنية و (١٤٪) رماد ، و (١٣٪) بوتاسي و (١٩٪) فوسفور و (١٩٪) صودا و (٢٪) كلور و (١٤٪) كلس ومقدار وفيه من فيتامينات، ب، ج، ب، ب، وخصائصه للتسكين والتقوية وفتح الشهية ، وعلاج المعدة والكبد وهو يشفى الإسهال المزمن ، ويقوى القلب ، ويفيد المصابين بسل الأمعاء والصدر والتزيف المدعي والمموي ، وانهيارات الرئة ، ويفوي الهضم والأمعاء وينعن القيء ، ويفيد الأطفال والشيخوخ ، ويشفي من سيلان اللعاب ، ومن الزكام الشديد ، ومن سيلان المهلل ، وقد الشهية ، والعجز الكبدي .

ومنقوعه يفيد أكثر من تناوله ، وإذا أضيف مقدار ملعقة من مسحوق السفرجل إلى كمية من الأرز المسلوق في ٢٥٠ غراماً من الماء أفاد الأطفال المصابين باضطرابات الهضم والمسلوين والتعيلين .

فيه هي ساکر سهلة الهضم وهو يقدم
لمضلات الجسم نشاطاً سريعاً وقوياً .

● القهوة :

ان ثلاثة فناجين من القهوة يحتسيها
الانسان في اليوم الواحد ، تعتبر منها قوية ،
اما ما زاد عن ذلك فهو منه شديد الضرر
ولا فائدة منه على الاطلاق وان الاكتثار من
القهوة يؤدي الى تسمم بطيء يخفف النوم
ويزيد الهواجس ويضعف الشهية .

● الشاي :

الشاي مادة مغذية ومنشطة اذا تناولها
الانسان باعتدال وهي منبهة وضاربة اذا افطرت
بها لأن مادة الشاين الموجودة فيـه تشبه
الكافيين الموجودـة فيـ القهـوة منـبهـة لـلاـعـصـابـ
والـقـلـبـ وـمـدـرـةـ لـلـبـولـ وـهـوـ يـسـاعـدـ عـلـىـ الـهـضـمـ
بعـدـ الطـلـامـ ، وـيـفـيدـ الشـاـيـ فـيـ دـفـعـ المـطـشـ
وـمـسـاعـدـةـ الـجـسـمـ عـلـىـ مـقاـوـمـةـ الـحرـ ، هـذـاـ
وـيـؤـذـيـ الشـاـيـ بـعـضـ الـأـشـخـاصـ ذـوـيـ الـاسـتـعـدـادـ
لـلـبـداـنـةـ وـتـولـدـ الـحـصـيـاتـ لـأـنـهـ يـسـبـ لـدـيهـمـ
خـلـلـاـ فـيـ اـحـتـرـاقـ الـأـغـذـيـةـ وـبـالـتـالـيـ يـسـبـ تـراـكـ
الـرـمـالـ وـتـرـسـبـهاـ .

● البابونج :

ينشط الهضم ويجلب النوم ويخفف
الحرارة والتهاب المجرى البولي وينفع
الرمد والبثور والعلكة والوجه والعرب
ويذهب اليقان ويدر البول .

● البيض :

مادة غذائية هامة تحتوي على الفسفور
وال الحديد والفيتامينات والكلسيوم والبروتين

والكبريت والبوتاسيوم والزنك والنحاس
والصوديوم والكلور واليود وهو غذاء كامل
لذا فان تناول بقضة او بقضتين صباحاً يمد
الجسم بعاجته الغذائية بما يعادل ٣٥٠ غراماً
من الحليب او ٥٠ غراماً من اللحم .

● الحليب واللبن :

غذاء حيواني كامل ، ولا حد للفوائد
التي يجنيها الانسان منه ويكان يكون مستحيلاً
 علينا ان نجد غذاء يماثل الحليب في خصائصه
وصفاتـهـ ، فهو أساس حـيـاةـ الـأـنـسـانـ وـالـحـيـوانـ
وـعـمـادـهـ ، فـكـلـ الـكـانـتـ الـلـبـوـنـةـ تـعـتـمـدـ عـلـىـ
الـحـلـبـ فـيـ حـيـاتـهـ الـأـوـلـىـ .

● ولا ي Benn الا شادة بدور المحقق الأستاذ حسين
العموي ، الذي بذل جهداً مشكوراً في شرح
كثير من معانـيـ الكتابـ حتىـ انـ هـذـهـ الشـرـوحـ
فاقتـ عـلـىـ مـاـذـةـ الـكـتـابـ مـرـاتـ ٢٠ـ فـمـدـدـ صـفـحـاتـ
الـكـتـابـ الـأـصـلـيـ كـمـاـ يـذـكـرـ مـحـقـقـ الـكـتـابـ
كـانـتـ ٦٨ـ صـفـحةـ ، بـيـنـماـ جـاءـ الـكـتـابـ الـمـحـقـقـ
يـضـمـ ٣٦٥ـ صـفـحةـ اـضـافـةـ إـلـىـ مـلـقـعـ منـ اـعـدـادـ
الـمـحـقـقـ الشـارـحـ يـقـعـ فـيـ نـوـرـ خـمـسـينـ صـفـحةـ
تـعـدـتـ فـيـهـ عـنـ قـيـمةـ كـثـيرـ مـنـ الـمـادـ الـغـذـائـيـ
الـهـامـةـ ٠٠٠ـ كـالـعـسلـ وـالـقـهـوةـ وـالـشـاـيـ وـالـبـاـبـوـنـجـ
وـالـبـيـضـ وـالـحـلـبـ ٠٠٠ـ الخـ اـضـافـةـ إـلـىـ قـائـةـ
بـالـمـارـاجـ ضـمـتـ ٦٥ـ مـرـجـعاـ وـجـمـلـ لـهـ فـهـرـساـ
مـفـضـلاـ لـسـهـوـلـةـ الرـجـوعـ إـلـىـ الـمـادـ الـمـطـرـوـحـ فـيـ
الـكـتـابـ ٠٠٠ـ وـهـذـاـ الـعـلـمـ جـعـلـ إـيـضاـ قـيـمةـ
مـضـاعـفـةـ لـكـتـابـ عـلـامـتـاـ الـرـازـيـ إـذـ أـنـهـ
بـشـرـوـحـهـ الـفـاضـيـ صـارـ قـرـيبـ الـمـتـنـاـولـ وـالـفـهـمـ
مـنـ جـمـيعـ الـمـقـمـقـينـ الـمـعـاصـرـينـ لـلـاستـفـادـةـ مـنـهـ .

دمشق : حسان الكاتب

العواشي :

- ١ - السميد : الدقيق الأبيض ، ويقال له السميد بالدال وهو المادة الأساسية التي تدخل في صناعة العلوى .
- ٢ - العوارى : الغبار الأبيض المصنوع من الدقيق المنخل المقطوف بشكل جيد وفي القانون لابن سينا (الطصين الأبيض) قريب من النشا لكنه أسمى .
- ٣ - الخشكار : (الخشر) هو ما خشن من الدقيق . وهو كلمة فارسية . والخشكار (القرني) ما بقي في المنخل بعد الاتصال . وهو ما نسيه (النخالة) . ينبع في اورام الثدي .
- ٤ - الغطير والمختمر : الغبار الغطير هو كل ما اعجلته قبل اوانه في الاختمار والمختمر عكس ذلك تماما .
- ٥ - البورق : ويقال له (النظرون) وهو الوى من اللع ، ولكن ليس له نفس وهي كلمة فارسية وليس يونانية .
- ٦ - الملة : هنا نوع من الغبار الرقيق العيد النجع وللي اللفة موضع الغبزة ، كان الاصمعي يقول : لا يقول احدكم اكلت ملة ، بل يقول : اكلت خبزة ، وانما الملة موضع الغبزة .
- ٧ - الطابق : الناس من الغبار يقول صاحب العين ، الغبار الذي قد ذهب طعمه وبذلك من شدة الطبع ، وهو هنا الغبار المدور المرقق النافع الذي تسميه العامة (طبر الصاج) . وقال ابن دريد معانى كثيرة في انواع الغبار وذكر صاحب العين .
- ٨ - السنكينين : وهي كلمة فارسية معربة بمعنى شراب من الخل والحل .
- ٩ - الكرفنس : نبات ثانوي حولي من الفصيلة الخيمية Ombellifcres او ما زرع على انه نبات طبي لم تحوال بعد ذلك الى نبات عذائبي .
- ١٠ - الطبرزاد : ويقال له (الطبرزاد) وهي كلمة فارسية اصلها تبرزد وهو السكر العصب ولعله المقصود بـ (السكر نبات) الذي تستخدمه العامة لتهديد الصوت وترطيب الحنجرة والحلق .
- ١١ - القلت : وبما كان المقصود به (القلت او الجلت) وهو نبات يشبه نبات (الاقاليا) الذي يسمى (الشوكه المقرية) من فصيلة القطنيات يكثر في البلدان الحارة . وإذا كان المقصود به الجلت فمن اسماته (المصفصة ، والقصص ، والبرسيم المجانزي ، والرطبة) اذا كانت غصبة اما اذا جفت فيطلق عليها اسم (القلت) وهي نبات عشب يغمر جلوره تتربع قليلا الا أنها تتعقق كثيرا في التربة والسلط : حب بين الشعر والبرادا فتت اندرد من قشره . ويقول ابن دريد السلط : هو حب يشبه الشعر او هو الشعر بعينه .
- ١٢ - الدوقو : نوع من البدور .
- ١٣ - الفراص رقيقة يوضع فيها مسحوق الأدوية .

★ ★ *

أبواب دمشق

نادية الفزى

يصل المسافر الآتي من البحر... من ثغور بلاد الشام القديمة إلى خانق الربوة
 جبل عن يمينه وجبل عن شماله .. نهر .. نهران .. نهر .. نهر .. نهر .. نهر ..
 أنهر كالتعويذة تستهل السهل الفسيح الذي ينبعق فجاة أمام نظر المسافر
 الآتي من الغرب .. عن وردة السهل .. وردة كبيرة تبث أنواع عطورها
 الفريدة ، مختلقة سندس البستان مختلقة جو الشام العلو المدفوع العالم ،
 المصبوج بالدم والعرائق على مدى العصور ..

قد تكون دمشق ، هي (إرام) .. كما
 ذكر بعض المؤرخين .. ذات العياد .. ذات
 العشرين ألف عمود في أيام آرام .. بل قيل
 في مبالغات وصف عدها أنها كانت أربعمائة
 ألف عمود .. وأواة يا دمشق لتبقين .. فلقد
 قال رسول الله ﷺ :

ستكون دمشق في آخر الزمان أكثر
 المدن أهلا .. ولأهلها معلقا .. وأكثر أبدا
 وأكثرها مساجد .. وأكثرها زهادا ..
 وأكثرها مالا .. وأكثرها رجالا .. وأقلها
 كفارا ..

لتقول دمشق على مدى الأجيال ..
 كلمتها الخالدة الدائمة .. (أهلا وسهلا)
 .. دمشق ترحب بكم .. دوما دمشق ..
 ترحب بكم ..

أهلا وسهلا تقول الدمشقية لضيوفها
 حين تفتح باب بيتها .. بل أهليون وسهليون بل
 مئة أهلا ومئة سهلا .. تفتح الأبواب مشرعة ،
 ويستقبل الدمشقيون الضيوف فإذا البلدة
 قناديل وفوانيس وتصدور ، وتبقى دمشق
 على مر المصور شامخة لا تضيرها غائلة من
 الدهر الا رأيناها تشتد وتعمر .. وتلبس
 التشيب من عاداتها والوانها ..

وفي قيل عن قيل عن كعب الأحبار قال:
يبقى في دمشق مسجد يبقى بعد خراب الدنيا
أربعين عاماً

* * *

فلنصل مت أمام مدینتنا المقدسة التي
أحبها الرومان كثيراً و قالوا عنها : دمشق
الجميلة المقدسة . . . ولنصل مت أمام مدینتنا
المباركة التي ذكر مسجدها العظيم في القرآن
الكريم . . . فلقد جاء في مقدمة سورة (التين)
بسم الله الرحمن الرحيم (والتين والزيتون
وطور سينين وهذا البلد الأمين) . . .

اما البلد الأمين فهو مكة . . . أما الطور
فحيث كلام الله موسى عليه السلام . . . أما
الزيتون فهو مسجد القدس . . . أما التين فهو
مسجد في دمشق . . . ويقال انهم ادركوا فيه
شجرة من تين قبل أن يبنيه الوليد . . . فما
اروع أن تنبت نبتة في مقر عبادة . . . وما
اخشع العبادة في الساحات التي يطلها شجرة
التين . . . وأي ثمر أشهب هو : انه أشهب من
العسل . . .

انما دمشق الصبية . . . دمشق المعمرة
. . . دمشق الخرافة . . .

قبل أن تكون دمشق . . . كانت هناك
بعيرة واسعة . . . بيوت تجف تدربيجام مرور
الزمان والأحتقاب العيولوجي . . . ولقد جفت
البعيرة على خمس مراحل جيولوجي حتى يبقى
منها بعيرة العتيقة وبعيرة الهيجانة . . .

وفي الزمن البعيد . . . كان الانسان القديم
يسكن الكهوف المعيبة بدمشق . . . وكان
انسان نيادرتال قد ترك في العلال الأربع
التي تعحيط بدمشق . . . وكان لمدينة بربة
شأن عظيم ومنها انطلق الانسان نزولاً الى

السهل الجاف لبني أول حجر في دمشق . . .
اما اليوم فلقد أصبحت بربة حياً من أحياه
دمشق . . . أصبحت الأم ضلماً من أضلاع
وليدتها . . . انه منطق الحياة . . . والتطور
. . . والأضواء . . . هذه الأضواء التي فرضت
الدنيا والتوسيع على دمشق . . . فانطلقت
عبر التاريخ . . . من أسوارها الثلاثة مشكلة
هيكلها النجمي الرائع العالمي . . . مشكلة شكلاً
نجماً خامرياً سادياً سباعياً . . . يشع ويمضي،
يجدب الناظرين في الليل الهدوء . . . أترى
دمشق زمان كانت أجمل من دمشق الان؟ . . .

□ الشام :

كان يقال لها . . . ارض بني كنعان . . .
وقد تكون الشام قد سميت لاتجاهها نحو
الشام أي الشمال بالنسبة لكتة وكلمة (شام)
حتى في الوفيات القديمة تعني - بدون
شك - الشمال وليس اليسار . . .

وقد تكون قد سميت باسم (سام بن
نوح) واسمها (شام) بالعبرية . . .

اما دمشق فقد يكون اسمها مشتقاً من
(DO-MESKOSS) أي مسكن مضامن
(فالدو) للتضييف ومسكون هو المسكن . . .
وقد تكون منسوبة الى قائد غزاماً
فيها وهو (DAMASCUS) . . .

وقد تكون [دم . . . شق] ترمز لدم شق
الأرض حين قتل قabil إخاه هابيل . . .

فاسم دمشق قديم قديم . . . ورد في
اللوائحة الارامية . . .

ومن الأقوال في بنائها أن جبرون بناتها . . .
فمن؟ . . . وما هو جبرون؟

جبرون من أبناء سليمان بن داود . . .
بنته الشياطين . . . وكان الشيطان الذي بناء

يدعى جيرون وهو سقيفة مستطيلة على عمد .. وسقائف على عمد .. وحوله مدينة تلوف بجيرون (هذا القول لاسحق بن أيوب القرشي) .

ويقال ان نوحا بنها حين هبط من السفينة وأشرف على جبل حشم أى تل حران .. فكانت أول مدينة خطت بعد الطوفان ثم دمشق ..

ومن الممكن أنها إرم ذات العاد .. وليس موضع أكثر حجارة من دمشق ..

ويقال هنا جيرون وبريئ اللدان كانا أخوين .. ابني سعد بن لقمان بن عاد .. هنا اللدان بناتها ويعرف باب جيرون وباب البريد باسمهما ..

ومن الممكن أن يكون (المازر) .. غلام براهيم الغليل .. وكان حبشاً وهبه له مرود بن كنعان حين خرج ابراهيم من النار .. واسم الفلام دمشق .. - هو الذي بنى المدينة أو (بيوراسب) الملك اليوناني الذي بنى بابل وصور؟ ..

أو دمشق دمشق (DAMASCUS) .. غلام الاسكندر؟ ..

وفي كل الأحوال فان من بنى دمشق وأسوارها .. بناتها في موقع الكواكب السبعة .. مرجحاً بالكواكب على أبواب دمشق .. فياب كيسان لنزل .. والباب الشرقي للشمس .. وباب توما للذرّة .. وبالباب الصغير للمشتري .. وباب الجايبة للمريخ .. وباب الفراديس للطارد .. وباب الفراديس الآخر المسدود للقمر (ابن عساكر) ..

له در الشام .. هذه الأرض المباركة ..

قال ابن تبيع : تغرب الشام .. وتعم الشام .. حتى تكون في المuran كالرمانة ولا يبقى فيها خربة من جبل أو سهل الا عمرت .. ويفرس فيها من الشجر ما لم يغرس في زمان نوح .. وتبني فيها القصور اللاعنة في السماء ..

وقيل المكس في بلاد الشام ..

ماذا يمكن أن يروى عن دمشق .. كل ما يروى قليل .. قال أبو هريرة عن رسول الله ﷺ بأن دمشق واحدة من أربع مداين الجنـة وكثيرون لا يستطيعون تفسير اللغز الرباعي للأمور التي ذكرها أبو هريرة عن الرسول أذ قال :

الملاك أربعة : جبريل وميكائيل وسرافيل وزورائيل ..

واختار الله من النبـين أربعة : ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد ..

ومن المهاجرين أربعة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ..

ومن الموالـي أربعة : سلمان الفارسي وبلال الأسود وصهيب الرومي وزيد بن حارثة ..

ومن النساء أربعة : خديجة بنت خويلد ومريم بنت عمران وفاطمة بنت محمد وآسية ..

ومن الأهلـة أربعة : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وربـب ..

ومن الليالي أربعاً : ليلة القدر وليلة النحر وليلة الجمعة وليلة النصف من شعبان ..

ومن الأيام أربعة : الجمعة ويوم الفطر ويوم النحر ويوم عاشوراء ..

ومن الشجر أربعة : السدرة والنخلة
والتينة والزيونة .

دمشق هي التينة .. دمشق التي هي
من مداين الجنة ..

ثياب أهلها خضر .. هي مدينة الأشجار
ومدينة الأنهر .. هكذا قال كعب الأحبار .

ما أصل هذه المدينة ؟ ومتى وجدت ؟
من سكنها ؟ ومن عمرها ؟ كيف عاش
أهلها ؟ كيف أمروا غارات الأعداء المتلاحقة
عبر عصور وعصور .. كيف استطاعوا حماية
مدينتهم ، كيف زرعوا أشجار غوطتهم ؟

التي كان يرعى فيها غنم يعقوب عليه السلام ؟
ما سر هذه المدينة التي أشرف عليها
عيسى بن مرريم عليه السلام .. فما أن وصل
إلى الفوطة ورأى شجرها حتى داخلته الروعة
والسکينة فقال : (يا غوطة) .

وقيل آدم قد خلق من طين الجاية
وعجن بمام الجنة ؟

وأسوار دمشق المزدوجة وما تبقى من
هذه الأسوار الداخلية والأحجار التي شاهد
في أحياي المدينة العتيقة إلى اليوم !

وتعلن عن حضارات موغلة في القدم .
فلنلتصرور مما .. حادثة زلزال دمشق
الكبير .. الذي تعرضت له المدينة بعد سلسلة
من الزلازل ضربت كل بلاد الشام إلى انطاكيه
.. لم تتأثر دمشق بالزلزال الأولى بقى
سورها كما هو وبقيت أبوابها مغلقة .. إلى
أن حل نهار السادس من ربيع الأول لسنة
١٢٥٩ .. كانت دمشق آمنة .. عاشرة ..
زاهرة .. والناس فيها قد أتوا إلى بيوتهم
هائنين منهم من نام ومنهم من تهبا للنوم في
تلك البيوت الرائعة الجمال ... كانت

الساعة هي العاشرة ليلاً وكما ورد في التذكرة
المساء بالدر المكتنون والجمال المصون من
فرائد المعلوم لكمال الدين الفزى المتوفى
عام ١٢١٤ هـ . قال في وصف الزلزال ..
ولسوف اقتطع من النص لطوله :

رجفت الأرض رجفة مقلقة برياح
وعواصف .. ورعد قواصن .. فطاشت
لها المقول وحصل غاية في الذهول تخلعت
الستقوف وتشقت العبران .. وهدمت في
الشام بيوت لا تحصى وسقطت رؤوس ماذن
دمشق .. الشرقية والغربية في جامع بني
آية .. ومتاراة العروس ذهب منها شيء
يسير .. ثم رجفت الأرض في اليوم التالي
فسقطت من الجامع الأموي جداره الشرقي
والشمالي .. وسع لها صوت هائل ..
وبقيت الرجفات والامتحازات تتواли ليلاً
نهاراً حتى آخر شهر ربیع الأول .. مات
من مات من الأنفس .. وهدم ما هدم من
البيوت ..

عندئذ فتحت أبواب دمشق كلها ..
وخرج الناس إلى الفلاة اتقاء للزلزال العظيم
حتى هذا ..

عاد الزلزال مرة أخرى في ربيع الثاني
السادس منه .. بعد صلاة المشاء في الجامع
الشريف ب نحو ثلث ساعة .. رجفت الأرض
الرجفة العظمى .. صارت الجبال تمور
والأرض تغور .. والمياه تفور .. ودام
الحال كل الليل .. تضرع الناس لعلامة
النبوء وحارث المقول .. وطاشت الرجال
الفعول .. وشمل الزلزال كل القرى
والمدن والمناطق المحيطة حتى حوران وحمص والتل
وغيرها(١) .

عندئذ وقع سور دمشق من طرف نهر
بنياس .. وسدت الطرق ..

بقي أهل دمشق ثلاثة أشهر تحت الخيام
خارج دمشق ٠٠

ورغم كل هذا الخراب عمرت الشام من
جديد ٠٠ عمر الجامع والبيوت وساعدت
الدولة العثمانية آنذاك في إعادة بناء الجامع
العظيم ٠

لكن أبواب دمشق وأسوارها لم تكن
مؤسسة للوقاية من الزلازل فقط كان لها
شأن آخر ٠

و قبل أن أبدأ ببعض أبواب دمشق
وذكرها ٠٠ أريد أن ألفت الانتباه إلى الأبحاث
التي تشير إلى الأسوار الثلاثة التي تحيط
بتلاته دمشق ٠٠ دمشق الكنعانية ٠٠ ثم
دمشق الآرامية ٠٠ ثم دمشق الرومانية
اليونانية التي جددت أبوابها جميعاً من قبل
المسلمين ٠٠ بل فتحت في أسوارها أبواب
جديدة أخرى ٠

ولربما كان هنا هو السر ٠٠ الذي
يفسر وجود بعض أبواب الضخمة في داخل
المدينة عدا أبواب العارات والأحياء وأبواب
الخانات بالذات التي شاهدنا في منتصف كل
منها باباً صغيراً يدعى (الخوخة) يفتح
للداخلين والخارجين لثلا يلجا إلى فتح
الأبواب الضخمة في كل حين وعلى مسار
الساعات والدقائق ٠

دمشق مقرمة بالأبواب ٠٠ تغلق
المدينة أبواب أسوارها لتحفظ السكان من
المهاجمين وتغلق الأحياء أبوابها ليظل لكل
حي رجاله وفرازنه وميليشياته(٢)
وتغلق أبواب الخانات ليستتب الأمن في
الليل ٠٠ وتغلق أبواب البيوت لتبقى كل
أسرة مشرأها في معزل عن الآخرين ٠٠ ويُغلق
الدمشقيون أبواب نفوسهم ٠٠ يفتحونها

بمقدار وكان لباب النفس خوخة كبيرة
الأبواب يصل منها الدمشقي على العالم بعددر
وذكاء ٠٠ لقد علمته الأحداث هذا العذر
علمه تيمورلنك وهولاكو والصلبيون
وغيرهم ٠٠

فإذا وثقوا بذلك ملكوك من نفوسهم
ما شئت ٠٠ وفتحوا أبوابها وشرعواها
٠٠ وهناك العجب العجاب ٠٠ فأهل دمشق
كمدينتهم ٠٠ كفراديسهم ٠٠ كأشجارهم ٠^١
كوردهم ٠٠ عطاء ٠٠ عطور ٠٠ عطور ٠٠

و حذر ٠٠ حذر ٠٠ انه منطق الأبواب
٠٠ منطق نفوس أهل مدينة لا يمكن معرفتها
ومعرفتهم بسهولة ٠^٢
رمان هم ٠٠ قشور خارجية متمسكة ٠^٣
وعالم داخلي مرصوص ٠٠ ذكي ٠٠ متزوج
٠٠ خير ٠

فلتنزل إلى دمشق القديمة ٠٠ ولندر
حول سورها العموري الكنعاني العجري
الثقيل فلقد كانت هناك بداخله دمشق
صغيرة فيها معبد وقصر ولها أسواق وأحياء
منفصلة وسوق كبير تعطيه به حدائق
وبساتين ومساكن للطبقات غير الميسورة ٠

كان نمط البيوت الكنعانية مشابهاً
لبيوت دمشق القديمة الموجودة حالياً ٠٠ باحة
في الوسط ٠٠ حولها غرف ٠٠ مدخل في صدر
الباحة يكون مبلطاً على الأغلب ٠٠ وقد
توجد بشر وقد يوجد في البناء طابق آخر ٠^٤
و سطح مسوار يفترش عليه الزبيب والقمح
والملونة ٠

بانياس أو نهر (أبانا) أو (باناس)
هو الذي كان يعد المدينة شملاً ٠٠ وعلى
ضفتيهبني السور ٠٠ وتؤكد منطقة (السبعين
طوال) أن كل الشوارع العرضانية محدودة
بالسور ، مسدة في نهايتها ٠٠

أما الأبواب القديمة فهي :

باب جيرون - باب البريد - باب الفراديس الداخلي - باب الغواصين في سوق العرير . وتحتؤكد الدراسات الحديثة وجود مدينة عمورية بسور وأبواب .. تتولى مع الأبواب التي فتحت في الأسوار الحديثة بذلك لتكون ما يشبه السلسلة ..

ولنعلم أن المورين كانوا عرباً هاجروا من شبه الجزيرة العربية .. وكانوا في البدء وثنين يلهثون إلى عبادة الشمس والنجمون . وتؤثر عليهم الجهات الأربع المرتبطة مع النجوم ..

وعمور أو عمورو هي لفظة التدليل التي تطلق على كل بلاد الشام .. ولكن لا يمكن أن يكون اسم عمر أو عمرو هو اسم عموراً نفسه .

الموريون هم الذين بنوا المعبد الذي كان يسمى بمعبد (حود) الإله الذي تهول وشوهد منقوشاً فيها بعد بهيمة العمل الأعظم (بل) .

ولا بد من يزور دمشق القديمة .. من أن يلاحظ أرقتها المقطوعة بشكل فجائي عند السور العتيق .. وهذا ما يؤكّد وجود دمشق الكنامية المسورة ..

□ جيرون :

نطفة دمشق هي جيرون .. فلنبدأ من جيرون ..

قد تكون تصغيراً لكلمة فينيقية تعنى الغريب أو الدخيل المستجير .. كذلك في السريانية وما أقرب كلمة (الجار) العربية من جيرون ..

وقد تكون من الجرن والغوض ..
فلقد وجد في منطقة جيرون حوض كما قال
ياقوت الحموي ..

من هو جيرون ؟ انه جيرون بن سعد بن عاد .. حل بأرض دمشق .. وأحضر المرمر .. ثم شيد بناء جيرون .. وسماهـا (إرم .. ذات الماء)

ان دمشق كما قال المسعودي .. هي ارم صاحبة قصبة جيرون .. وأبوابه التحاسية العجيبة .. وقد يتعارض هذا القول مع النقش الذي وجد على حجر في بيت العبادة الذي تهول إلى المسجد الجامع وكان في النقش الكلام التالي :

« بنى هذا المعبد دامشقيوس على اسم الالهة ازيـس » . ازيـس هو نجم المشتري فهو دامشقيوس هو الذي بنى المعبد فعلاً ؟ لم وسمه عن المعبد القديم .. معبد (حدد) .

وفي قيل عن قيل ان منطقة جيرون ، المتاخمة لباب الجامع الأموي الشرقي هي من بناء سليمان بيتها الشياطين !! وان الشيطان الذي بناها يدعى – جيرون – وهي سقيقة مستطبّلة على عمد .. وحولها مدينة دمشق . وفعلاً .. فان الباب الشرقي في معبد جوبيرت كان يدعى باب جيرون .. وهو نفسه باب الجامع الأموي الآن .. وكلمة جيرون تعني باللغة اليونانية الهيكل أو قناء الدار وهذا مسكن ..

وقد يكون جيرون شيئاً .. لكنه شيطان آدمي .. مهندس معمار نابعة في ذلك العين .. سميت المنطقة باسمه ..

السقيقة قد زالت .. وفواتتها الحديثة بعد ذلك قد اندثرت .. ولم يبق الا الدرج

العجري النازل الى المعلقة خلف الجامع الاموي
.. والا مقهى يدعى قهوة التوفرة تطلله
خيمسة وتقطنه من جنباته .. ويجلس اليه
رجال يقرقرون التراجيل والى جانبهم ..
فواراة جيرون المشهورة .. التي تحولت الى
بعرة عادية .. مرصوفة بالبورسلين البلدي
الأزرق .. محاطة بقفص حديدي ..

وأولاد منها يستقون .. وبالماء يلمبون ..
وبالرغم من كل هذا ..

فالمنظر ساحر يأخذ بالأباب .. وباب
الجامع الاموي الشرقي الخشبي الكبير الذي
تعرسه نافذتان مسدودتان بالحجر .. يطل
بجبروت على فواراة جيرون .. وعلى ماتبقى
من باب جيرون بل من أبواب جيرون الثلاثة
التي تشاهد الى اليوم الباب الصفي سالك
وبيان جانبيان مردمان بالأترية حتى ثلاثة
ارباعها ..

وبائع فلافل يقلن فلافله المشهورة مع
اذان الظهر .. أوان خروج الأولاد من
المدارس يقول بائع الفلافل : جيرون ملك ..
كان ملكا .. وربما كان شيطانا ايضا تاريخ
باكمله يعلم أمانيا في هذه الفسحة الرائعة ..
عمد وأحجار وأبواب ومياه وفوارات .. أسواق
أسطورية .. وحارات للغرباء .. وفنادق
في الخيال .. نساء مجهولات الزي رجال
مجهولون .. بعيد وأفراط وأضاح ..

بائع فلافل .. يقلن فلافله وقت الظهيرة
ويواكب أبواب دمشق ..

اقتراب : يا حبذا لو ثانتي بوحد من
فنانينا القديرين .. ينعت لنا فوارنة جديدة
.. يصنع تمثلا خرافيا لجيرون .. يجري
ماء حقيقيا كما لو كان الماء يجري من
فواراة جيرون قادما من بستان العجاجية(٣) ..

لو ينطلق الماء منها بشحن ذراع رجل
علي كما كان ينطلق .. لو يهبط الماء من
حولها فكانه شجرة وارفة ولكن من ماء ..
يا حبذا .. لو تصير درجات معبد
جيبيتر الخارجية .. مسرحا .. لو يبعث
تاريخ هذا الباب الرائع .. المختفي تحت
الانقاض ..
لو نجعل لقهى التوفرة مذاقا فولكلوريا
خاصا ..

لو موسيقى .. شيء من الماضي .. لو
تعود أيام جيرون ..
لو تبني القبة الرخامية التي بنيت عام
٣٦٩ هـ ..
أتراها تحتفل بافتتاح مياه نافورة
جديدة كما بنيت في الماضي .. عام ٤١٦ ..
وأجرت ليلة الجمعة لسبع ليال خلون من
ربيع الأول عام ٤١٧ ..

ا لا تعيد بناء ما سقط منها في صفة
عام ٤٥٢ من جمال تعاكست به ..
ا لا تعيد بناءها بعد حريق الابدين
ورواق دار الحجارة ودار خديجة عام ٥٦٢
لله درك يا جيرون المعروفة عام ٥٥٩ بمد
رجوع أسد الدين شيركوه الى دمشق ..
لله أنت يا جيرون المحترقة بغمورك
وعطرك وفناشك وملاهيك ..

لو لم تكوني جميلة يا جيرون .. لما
ذكرك (ابن جبير) في القرن السادس في
وصف خاص بك ..
او ما عرفت الفتنة التي وقعت بين
أنصار الأمويين وأنصار الضحاك بن قيس
بيوم جيرون ؟ ..

عندك الغرافيّة يا جيرون معقودة
بالعرض لا بالطول .. وفي المصور الفاتحة
كانت ساحتك تعج بالنجمين .. والمشعدين ..
ان باب جيرون .. هو ما يسمى اليوم
باب التوفّرة ..

□ باب البريد :

ما هو باب البريد ؟
باب من أبواب دمشق الداخلية ...
ووفق بعض الآراء فهو باب المدينة الكنمني
الغربي .. وكانت فيه دار أبي الدرداء ..
وهو في غرب المدينة .. يتالف من ثلاثة
فتحات : الكبيرة في الوسط .. وفتحتان
جانبيتان .. وهو ثغر دمشق .. حارسها ..
وحاميها الأئم ..
مسكينة دمشق .. دمشق الشانق ..
دمشق الهدم ..

في قرب باب البريد .. في دار هناك ..
وفي عام ١٤٤٧ بعد قرون وقرون من انشاء
الباب .. قتل سليم باشا والي دمشق ..
بعد أن هدم عليه العامة المخدع الذي كان
فيه .. هدموه على رأسه .. فقتل هو ومن
معه ..

شهد هذا الباب ملايين الناس .. شهد
طفولة كنعان وأرام وأشور أشده .. ويونان
ورومان وأشوريين وأمويين وعباسين ..
شهد فاطميّن وسلامقة وقرامطة وأتابكة
ومماليك وأيوبيّن وعثمانيّن وافرنسيّن
وانكليز .. وشهد طفولتنا ..
الباب ليس صامتاً هذا المساء .. انه
يذكرنا بحادثة وقت أثناء مذابح دمشق ..

يا جيرون ..
يا جيرون المترفة في فتنة تيمورلنك في
القرن التاسع .. أكواها من التراب ظلت ..
ثم جاء (كمشـ بـنا طـلو) نائب قلمة
دمشق فجعلك مخزن للخشب .. ووجد فيك قتيل كذلك ..
أهكذا شأن العظاماء يا جيرون ؟ ..

كيف ؟ كيف كان لباب جيرون في القرن
السابع شأن آخر .. فكان سبباً لمناقشات بين
الفقهاء .. وألفت فيك الرسائل ..
ثم سد فرخك الشمالي يا جيرون ..
وزعم أن فيه مزاراً كريماً .. ثم منع المرور
منه ؟ لماذا ؟ ..
كيف حصل كل هذا ؟ حتى جاء الأشرف
(قايتبي) سنة ٨٩٢ فأمر بهدم مخزن
الخشب وأعيد فتح بابك ؟ كيف عادوا فاذلوك
يا جيرون .. وجعلوك مخزن حطب من جديد
للفرن القريب ؟ ..

اما تزال عتبة باب الجنوبي داخل دكان
اليوم ؟ وفرخك المهدوم بين يطلب
الإنقاذ ؟ ..

إيه يا مدخل الأضاحي الرومانية ..
من هناك كانت تساق .. تجمع في الأقبية ..
حتى تصل الى الباب الجنوبي للمعبد ..
أقباء معقودة .. وعدد منصوبة يفرق بينها
عضد محكمة ..

يا مدخل المراسم في المعبد الروماني
عند جيرون .. يا مدخل ينزل اليه بدرجات
تحت الأرض .. أو ما اكتشف العرافي الكاتب
المجد حين نزل ما تحت الساعات ليقوم
بعض العماير فوجد تحت الأرض هذا الرواق
الغرافي ..

هذه هي دمشق الصفيرة التي كان يحرسها نهر بانليس .. أبانا .. وكان النهر الثاني بربد Per - Per وتعني هذه الكلمة (الفراشة) وكانت العرب تدعوه خرخار أو خرخار .. غالباً هو بربد وليس نهر الأغورج البعيد عن دمشق .. وكانت المدينة الوسطى .. الaramie .

بنيت هذه المدينة .. دمشق الaramie عام ٨٤٣ ق.م. حيث شق نهر قنوات .

أما سور دمشق الaramie .. وهو سور الثاني .. الحلقة الوسطى من أسوار دمشق المتعاقبة فيعود إلى ما بعد ٢٥٠٠ - ١٥٠٠ ق.م

ورد ذكر سور الaramie في تقوش الآشوريين وفي التوراة .

وقد وردت عبارة عن بولس الرسول في الانجيل .

ولما تمت أيام كثيرة .. تشاور اليهود ليقتلوا .. فعلم شاؤول بمكيدتهم و كانوا يرافقون الأبواب أيضاً نهاراً وليلياً ليقتلوه . فأخذه التلاميذ ليلاً وأنزلوه من السور مدللين آياته في سل ..

جرت هذه العادلة عام ٤١ م

وان المدة التاريخية التي مرت بين بناء سور الaramie والروماني تعادل خمسة وalfالـ الى الفي عام .

ما هي الأبواب الaramie ؟

ندور مع السور : نبدأ من باب السلامة - باب توما - زقاق باب توما - التقاطع تلة العجارة - الباب الصغير الaramie - الشارع المستقيم - بين السوريين - باب الفراديس الaramie .

في عصر اليوم التاسع من تموز عام ١٨٦٠ م .. أمر الوالي العثماني باخراج الرعاع المسلمين من المسلمين .. ليطوفوا في الشوارع وهم مكبّلون .. بالقيود ارهاماً للثوار من المسلمين والدروز .. وكان قد نصب المدافع على أبواب الجامع الأموي بمحنة العالية ..

ولما وصل الرجال المقيدون بموكبهم اليائس إلى باب البريد .. ذقون طولية ثياب مهلهلة .. نظرات حقد .. كان بباب البريد ينتظر .. وهجم بضعة من الناس على الخضر فيبطشوا بهم .. وخلصوا رفاقهم .. ونادوا بالجهاد ..

Sad الهرج .. وهجم بعض الأواباش المجهولي الهوية على المسيحيين في بيوتهم ومحلاتهم .. فقتلوا الرجال وسبوا العمال .. وهتكوا الأعراض ..

والمؤسف أن أساس الفتنة كان حدثاً تافهاً ..

فلقد طلبت بعض العقول المثيرة للفتنة من بعض الصبيان أن يرسموا الصليبان على أرض الشوارع .. فأمر الوالي التركي بكبس الصليبان .. فقادت الفتنة .

وباب البريد .. واقت .. ثابت .. يرى أولاده .. أولاد دمشق يقتتلون في الفتنة لا يستطيع فعل شيء .. فلقد دخل الشيطان بينهم في ذلك اليوم الصيفي بعيد .. ان جبرون .. وسقط بباب البريد وأعمدته قد هدمت ..

□ ذلزال دمشق الكبير ؟

يمكن اعتبار باب الغواصين .. باباً ثالثاً للمدينة المموروية .. وهو في سوق الحرير .. كذلك باب الفراديس الداخلي ..

أما الأبواب المتبقية من الأبواب الأرامية فهي :

- ١ - الفراديس (العمارة الداخلية)
- ٢ م بين الباب المزدوج .
- ٢ - باب المناخية (الفرج الداخلي)
- ٣٧٥ م بين طرف الباب المزدوج .
- انها أبواب الشام القديمة .
- أبواب الفياع التي يقال عنها (اللغاوة) واللغاوة هي التي تدعى الركبان اليها . وهي الشام والشامين والشامات . معناها الطيب أطلق اسمها على دمشق من اطلاق العام على الخامس .

□ أبواب دمشق في السور الروماني :

- كان لدمشق قبل أن يسكنها العرب . سبعة أبواب على السور الروماني : في جانبيها الشمالي ثلاثة أبواب لأنه أكثر الجوانب تحصينا . وحوله النهر .
- والفراديس . أما الأبواب فهي :
- ١ - الباب الشرقي (شرق) .
 - ٢ - الباب الكبير (باب الجاية) غربا .
 - ٣ - باب توما .
 - ٤ - باب الجينيق .
 - ٥ - باب الفراديس (في الشمال) .
 - ٦ - الباب الصغير .
 - ٧ - باب كيسان (في الجنوب) .

طلت هذه الأبواب على عهدهما . حتى انتهاء الدولة الأموية . اذ قدم العباسيون وهدموا سور دمشق . بعد ذلك . جرت الترميمات والتغييرات فأعيد فتح أبواب وسد

غيرها . وفتحت أبواب جديدة . وجددت أبواب قديمة .

في دمشق النامضة . وفي سورها الأشد غموضا . كانت هناك أبواب صنفية أخرى تفتح عند الحاجة إليها . لكن هذه الأبواب اختفت . ولربما تحول أكثرها إلى أقواس داخل البيوت الشامية المتعددة المتعددة المتعددة في معيط دمشق .

الفوطة . الفراديس . النيرب .
الجاية .

يا دمشق النامضة . يا ذات الأسواق
البهيجة والباشورات والبضائع والدفوف .

يأتيك الناس من كل صوب . يبيعون تحت أسوارك . وداخل باشورات أبوابك يكتبون . يكتسبون . ويكتسب أهل دمشق على مر المصور السبق التجاري الأول .

حين خلداك الماليك يا دمشق . خلدوا
أنفسهم فيك . حين نقشا أسماءهم على
أبوابك . ظلت أبوابك . وبقي منهم
أساؤهم .

* * *

كنت يا دمشق . مدينة مقدسة .
نظيفة . كل باب من أبوابك كان يحمل
على كتفه جاماً ومتذنة .

بعض المآذن كانت أبراج كنائس .
وكان عند أبوابك الكبرى حمامات للغراء .
فانت تعين النظافة يا ابنة الأنهر السبعة .
والأبواب المجهولة المختفية بين العمارت
والأسوار .

ما حكاية هذه الأرض المباركة ..
أرض اذا قسم الغير فلها منه تسعه عشرات ..
وجزء لسائر الأرض؟ ..

- فلنر الى خالد بن الوليد :

طلت دمشق حلما في رأس عمر بن الخطاب .. فتابع تغذية العملة الإسلامية التي أرسلها (أبو يكر) بقيادة عمرو بن العاص لفتح بلاد الشام .. أما الصديق رضي الله عنه .. فقد توفي قبل انتصار العرب في اليرموك بعشرة أيام واستخلف الخطاب من بعده ..

كانت الجيوش الإسلامية بقيادة أبي عبيدة بن الجراح .. ويزيد بن معاوية وشريحيل بن حسنة .. وعمرو بن العاص .. وخالد بن الوليد ..

وصل خالد الى ثيبة (المقاپ) في الفوهة .. تقدم جيشه وجعافله المتصررة راية رسول الله صلی اللہ علیہ وسَلَّمَ السوداء .. التي تسمى (المُثَابَ) ..

كانت دمشق الرومان .. منقلة الأبواب .. مسلحة الأسوار في ذلك العام البعيد عام ١٣ - ١٤ هـ .. وكان الشهر .. شهر رجب ..

- سار خالد الى دمشق .. حاصر .. طالت أيام العصا .. وتواتت الرسل بين أبي عبيدة والروم .. والروم لا يقبلون بالتسليم .. وقيل حوصلت دمشق حولاً كاملاً وأياماً .. نزل خالد على الباب الشرقي ويزيد بن معاوية على الباب الصغير والجراح على باب الجابية ..

وطال انتظار حكام دمشق .. ولم يأت مدد هرقل .. وال المسلمين يزدادون قسوة واصراراً ولا يفارقون الأبواب والأسوار ..

يدخلك الغريب .. يفتسل .. يفرد ب ساعته .. يشتري أهل دمشق .. يحبون كل جديد .. كل عطر .. يبتسمون ..

لقد بقيت أسواق كثيرة حتى يومنا هذا، منها .. سوقية باب الجابية التي بناها نور الدين عام ٥٦٠ هـ .. ومنها سوقية باب الصغير التي تدعى البашورة الى الان ..

اما هذه الأبواب .. فقد جددت بهندسة عربية إسلامية .. عدا الباب الشرقي الروماني الذي لم يتمدد ..

أقواس مخمسة .. نعل حسان .. باب قديم من حجر يقول .. دمشق ترحب بكم ..

□ الباب الشرقي :

- سمى بالباب الشرقي لأنه شرق البلد .. وهو أكبر الأبواب .. ارتفاعه الى أول القوس ٢٩٢ سم وعرضه ٢٨٨ سم ..

- كان له شأن كبير أيام الرومان .. وكان يتألف من ثلاثة أبواب ، سند الكبير وفرخ الجنوبي .. وبقي الباب الشمالي ..

- بني أيام Septeme Sever ، Karakalla ، مئتا سنة قبل المسيح وقليل من المئة الثالثة ..

- باب ثابت هو .. وصل الى القرن المشرين كما بناه الرومان ..

- لقد دخل منه خالد بن الوليد عند فتح دمشق عنوة وحيلة .. ودخل منه عبد الله بن علي العباسي عند سقوط الدولة الأموية ..

- ما هي حكاية ابن الوليد ؟ ما حكاية (جائق) الفيحاء العليقة الرأس .. عند قاسيون ؟ ..

الباب الكبير .. ورموا بالخيال .. وعلى
ظهورهم القرب التي عبروا بها خندقهم ..
ولا يسمّهم الا الليل ..

حفيظ اذرعة بشرية تتحرك في العتمة ..
صوت نقيق ضفادع .. افراح داخل دمشق
الرومانية ..

ثبتت الخيال جيداً .. وسعد القمّاع
ومذعور .. ثم لم يدعوا أحجولة الا وثباتها
والمكان أحسن مكان في دمشق ..

وهل يخترق خالد بن الوليد .. الا
اصعب العصون .. وأعلى الأسوار؟ ..

- تسلقوا جميعاً انحدروا .. بعفهم
يعمّي بعضاً .. جند على السور .. وجند
في الخنادق .. وجند أصبحوا داخل دمشق ..

قال ابن الوليد : الله اكبر ..
هللا .. كبروا : الله اكبر ..
كبار الذين على رأس السور .. فنهاد
الدمشقيون اليهم ..
ونزل خالد .. فقتل البوابين .. وثار
أهل المدينة .. وفرّع الناس ..

وحطم ابن الوليد .. بنفسه .. ومن
معه .. أغلق الباب الشرقي الروماني
الكبير .. وفتحوا الباب للفتح العربي
الإسلامي ..

- قيل ان الأبواب الأخرى قد فتحت
بعد ذلك صلحاً او خوفاً ..

- ربما .. لكن المهم ان الجيوش
الإسلامية التقت عند (المقلاط) باحشة
القصر هي .. انها اليوم مكان مجهول في
منتصف سوق مدحت باشا .. الشارع

وكان أبو عبيدة أحب الى سكان دمشق
والروم من خالد .. لحكمته ولبنه وقدرته
على المقاومة .. لكن المقاومة دامت ..
والسياسة ازدادت .. وأبواب دمشق بعيدة
المنال ..

- لما يزيد فشدَّ والجراح يقاوض
ويسايس منعاً لسفك الدماء .. وخالد ازداد
شدة ويقي اكبر الأبواب صاماً في وجهه
خالد بن الوليد .. والكل متقدون ..

- الذي حدث في ليلة فتح دمشق ؟
أن ولد للبطريقي(٤) مولود ..
فصنع له(٥) ..
أكل القوم وشربوا .. وغفلوا عن
مواقهم ..

وخلد يعلم بكل ما يدور داخل الأسوار
.. خالد لا ينام .. خالد لا ينائم .. لا يهمه
برد او مطر .. او حر ..
ولا يخفى عليه .. من أمرهم ..
شيء ..
أعد خالد الخيال وشد السلال ..
وانتظر اللحظة الخامسة ..

كان القوم يلهون ويشربون .. حين
تقدّم ابن الوليد .. والقمّاع
ومذعور بن عدي ..

وكان القائد هو الذي يتقدّم .. كان
خالد في أول الصف .. في رشقة الرمح بعيداً
عن الغوف ..

قال : اذا سمعتم تكبيرنا ايها الجناد
فارقو البنا .. وانهدا على الباب ..
تسلقوا الباب الأصغر .. ثم ارتقوا

اليونان جعلوا هذه العجائب ملمساً حتى لا
يسوس في دمشق القلع ولا الشمير .
أترى ؟ لو ظلت الساعة المائة المقامة
عند باب الساعات (الساغة) والتي كان
يعرف بها الوقت في كل ساعة من النهار
والليل بهندسة مائية عجيبة .. وعلى الساعة
حياة وغراب وعصافير .. كلما تمت ساعة
من الوقت خرجت الحياة .. ووزرقت
العصافير وسقطت حشة من فم الغراب في
الطست ..

ترى ؟ لو بقيت هذه الساعة .. أكنا
عنينا ساعات الأذهار والتراقيس والعصافير
اما (المسكية) فقد اطلق عليها اسمها
لرائحة المسك التي كانت تبقي حين تفاص
قناديل وشموع الجامع الأموي ..

وهل من المقول أن الطلاسم التي كانت
تصد الحشرات .. كانت فعلاً تردها عن
الجامع ؟

فلما احترق .. احترقت الطلاسم ..
وعادت الحشرات ..

أحقاً يا دمشق السحر ؟ ..

وهل يمكننا التخييل .. والمأمون قد
وصل من بغداد الى دمشق رقيقاً .. فسمن
فيها ..

وهل يمكننا تخيل القبة التي بناها
المأمون في (دير مران) وهو مكان يشرف
على الربوة .. فإذا الضوء يبلغ ثيبة المقاب
(الثانيا) وجبل الثلج (الشيخ) ..

□ هلا اتجهنا الآن حول السور الى الباب
الصغير ..

وهو أصغر أبواب دمشق .. لارتفاعه
٢٧٣ .. وعرضه ٢٠٥ .. وهو الذي

المستقيم .. الشارع الارامي .. شارع
السور الكتوماني .. الذي اقترح بأن يسمى
شارع الفتاح .. فمدحت باشا (١) لا علاقة
له الا بفتح طريق بين الدكاكين التي جشت
على خاصرته ..

- أبو عبيدة في دمشق عام ١٤ هـ ..
وكان لدمشق الأمان .. الأمان ..

- ثم وصلت الكاراث مع طاغون دمشق!

- في عام ١٨ هـ اشتغلت دمشق به ..
ومات الكثيرون .. وصل عمر بن الخطاب
إلى (الجاية) ولم يدخل دمشق .. فالعرف
في الأوبئة الفظيعة أن يبقى أهل المدينة
الموبعة داخل مدينتهم .. فلا يخرجون ..
وأن يبقى من هم خارج المدينة .. فلا
يدخلون ..

* * *

يا دمشق المسك .. كان مكحول ..
إذا أطفئت قناديل الجامع الأموي يعتري من
رائحة المسك .. (المسكية) (٧)

يا دمشق القناديل ..

يا دمشق الأساطير ..

في أيام الوليد بن عبد الملك .. وحين
أمر ببناء المسجد الجامع في موقع الكنيسة ..
احتقر البناؤون موضعاً .. فوجدوا باباً من
حجارة مقلقاً .. فلم يفتحوه حتى جاء الوليد
فأمر بفتحه ففتح الباب بين يديه .. فإذا
مباراة فيها تمثال انسان من حجر على فرس
من حجارة .. في يد التمثال الواحدة : الدرة
التي كانت في المحراب تشع كالمراج .. ويهـ
الأخرى متبورة .. فأمر بها فكسرت فإذا
حبة قمع وحبة شعر .. قيل ان حكماء

نزل عليه يزيد بن أبي سفيان في حصار دمشق .

وفي مقبرته دفن بلال مؤذن الرسول ﷺ
الذي سُكِنَ في داريا . . . وعاش وتزوج فيها .
ومات فيها . . .

فوق الباب قوس عربيبة . . . وسوق القوس قوس عليها كتابات . . . وكان هذا الباب مركزاً لجمع الميليشيات الشعبية . . . ومنطقة تجمع أحداث دمشق .

ومنه دخل تيمورلنك إلى دمشق عام ٨٠٢ هـ . . .
وصل تيمورلنك . . .

بجيشه الصفراء وألويته الجرارة
وضفائره اللائعة السوداء . . . وعيونه المائلة
النامقة شرس هو تيمورلنك . . . قاس كالهملايا . . . وجبار كآسيا . . . وظالم كبعر الظلمات . . .

تيمورلنك كان يريد كل شيء . . .

لما وصل إلى دمشق . . . نزل عند سفح جبل اللنج . . . (جبل الشيخ) في قطنا . . .
أرسل إلى نائب دمشق رسولاً للمفاوضة
الصلحية . . . فقتل النائب هذا الرسول قبل أن يسمع كلامه . . .

حدث ذلك في دمشق كما حدث في حلب
تماماً . . .

لم يقدر نواباً المدينتين قوة هذا القاتم الأصفر . . . فاعتصم أهل الشام وجيش الشام في المدينة . . . وأغلقت أبوابها تجاه السكر الأصفر المؤلف من : رجال آسيا رجال توران . . . وأبطال ايران . . . ونمور تركستان . . . وفهود الخشان . . . ومقرر الدشت

والخطا ونسور المغول . . . وكواسر الجثا .
وأفاعي خجند . . . وثعابين ايدكان . . . وهوام خوارزم . . . وجوارح جرجان . . . وعقبان صفانيان . . . وضواري حصار شادمان . . . وفوارس فارس . . . وأسود خراسان . . . الخ .

غلطة ارتكبها نائب دمشق المفروض بالسلطان . . . قضت على أعظم مدينة في الأرض . . .

في أول وقعة قتل من عسكر تيمورلنك الفان . . . فارسل تيمورلنك يطلب من أعيان دمشق رجلاً من عقلائهم . . . للصلح .
فلما وصلت الرسالة اشتَرَّ أهل دمشق واختاروا (القاضي تقى الدين بن مصلح العنبلـي) فلقد كان انساناً طلق اللسان يعرف بالتركية وبالأعمية .

أرخوه من أعلى سور بسرياق ضخم ومعه خمسة أنفس . . . فلما رجعوا بعد ساعة أخبروا الجماعة بتلطُّف تيمورلنك .
وبعزوته عن القتال (قتال دمشق) لأنها بلد الأنبياء وشرح العنبلـي معasan تيمورلنك .
فانقسم أهل البلد إلى قسمين ، قسم راغب بالقتال وقسم راغب عنه . . . وكان أكثر أهل البلد يرون مخالفة العنبلـي . . . لكن رأيه غالب في النهاية فراراد أن يفتح باب النصر فمنعه من ذلك نائب قلعة دمشق وقال :
تعرق البلدة اذا فتحنا الباب . . .

زاد تيمورلنك من خبثه ودهائه . . .
وطلب (الطقزات) وهي عبارة عن تسعه أصناف يطلبها اذا أراد الدخول صلحًا الى مدينة ما . . . من مأكله ومشروب وملبس .
أقنع ابن مقلح الناس فأرسلوا اليه ما طلب . . .

ثلاثة أيام .. ودمشق تحرق ..
وتيمورلنك يتفرج ..
رجل تيمورلنك .. وعمرت دمشق ..
من جديد ..

* * *

ولقد اصطدم الفاطميون .. في أثناء
فتح دمشق التي دخلوها من منطقة الميدان
بعجماعات الأحداث فيها .. الذين شكلوا ما
يشبه المليشيات الشعبية .. وكان يرأس هذه
المليشيات شخص .. اسمه محمد بن عصودا
.. الذي اتفق مع القرامطة فيما بعد نزحوا
الفاطميين وقتلوا جعفر بن فلاح والي دمشق ..
وجعفر بن فلاح هو والي دمشق آنذاك ..
وقد قتل عام ٣٦٠ هـ .. حين وصل القرامطة
إلى دمشق .. ونصبوا على أسوارها السلام
.. تلقوا .. فتعوا الأبواب غصباً ..
وأقاموا بأهلها ما لا عين رأت ولا أذن
سمعت ..

لما وصل القرامطة إلى دمشق ..
تجمعوا في الرحبة فجمع جعفر خواصه
واستشارهم .. فاجتمعوا أن يكون لقاء
الoramطة في أطراف البرية قبل أن يتمكنوا
من العمارة ..

ووقت الواقعة .. ووجد جعفر قتيلاً
بين النبار سيناً وأنه كان مريضاً ..

ويقال إن الشخص الذي قتل جعفر
يدعى أبو محمد محمد الحسن بن أحمد
القرمي (الأعمى) ..

اما محمد بن عصودا .. فقد وصل إلى
جثة جعفر .. واجتث الرأس ثم صلبه على
حائط داره ..

بعد ذلك طلب مالاً .. فدفعه أهل
دمشق الأغنياء ..
لم يكتف .. طلب أكثر .. فدفع أهل
دمشق .. عاد فطلب أكثر ..
وابن مفلح يروح ويجيء ..
طلب منهم الأسلحة فرمواها ..
حتى أدرك أن أهل دمشق قد فرغوا من
كل شيء .. هدم الخوف ..
عندئذ .. طلب تيمورلنك من ابن مفلح
أن يرسم له أحيا دمشق وحارتها .. فاضطر
ابن مفلح إلى رسمها .. عندئذ قسم تيمورلنك
المدينة ..
ونزل أمراء التتار عليها مطالبين
بالأموال والمتاع .. وحل البلاء العظيم ..
ودخل التazzi من الباب الصغير .. نهت
البيوت .. وهتك الأعراض .. وسيق
الذكور ما فوق الخمس سنوات مربوطين
بالعيال ..

وأشعلت النار في المدينة الخالدة ..
انها من المرات المؤسفة التي رحبت فيها
دمشق بقادم ما .. فكان ترحابها خاطئاً ..
قال بهاء الدين البهائى يرشى دمشق
(المظلومة) :

لهفى على تلك البروج وحسنها
حفت بهمن طوارق العدشان ..
لهفى على وادي دمشق ولطفه
وتبدل الفرزلان بالشيران ..
وكان يوماً ريحًا عاصفاً .. ضيضاً ..
طرح الرجال في النار .. واحتارت
دمشق حتى سقطت سقوف جامع بني أمية ..

فلقد أراد أن يأخذ بثار أخيه اسحق بن
عصودا ..

* * *

ولقد ارتبطت معظم الأحداث الشعبية
واللبيسيات بباب الصغير .. وحتى ما قبل
ثلاثين عاماً ظلت الأحياء القديمة كالشاغور
والميدان لها رجالها وزعماؤها وشجعانها
وحماتها ..

بل أكثر من ذلك .. وبعد المظاهرات
في حي الميدان والشاغور والصالحبة في العصر
الملوكي كانت تقام استعراضات عسكرية
للعرافيش ..

* * *

بل أكثر من ذلك .. فان المقاومة
الحقيقية للافرنسيين والإنكليز .. انطلقت
من تلك العارات الضيقة المترعة الفاضحة
.. من دمشق الحقيقة .. من أبواب دمشق
الحقيقة .. من دمشق الفريقة في المسک
والقناديل والليمون والفل ..

يا دمشق القل .. أما زلت ترحبين
أما زلت تذكرين؟

كيف هرب ساجينك أيام المئانيين في
الفترة التي ذكرتها .. هربوا من باب
الصغير ! من هربهم ..

Hammam Zummam al-ahiyah .. ومن زقاق الى
زنقة .. من بيت الى بيت .. وصلوا الى
باب الصغير ثم هربوا الى الغوطة .. ومنها
الى العالم الواسع ..

* * *

يروي باب الصغير حادثة غريبة وقعت
خلال الحملة الصليبية الثانية على دمشق ..

قال الباب :
كنت مقلقا .. مصفعا بالعديد ..
شأن كل أبواب دمشق التي تختلف عن أبواب
القاهرة المثلفة بالجلد .. ترمي الي أن
الصلبيين أصبعوا على عتبات الأبواب ..
وأن الفقيه المالكي عبد الرحمن العلولي
قد استشهد في ربوة بردى ..
ماتت الشمس الى الفروب .. أقبل
الليل .. أقبل الصمت ..
طلب المتعب راحته ..
عاد كل الى مكانه ورقد .. نامت
الجناد والنام ..
أهل دمشق ورجالها كانوا على الأسوار
كلها .. وكانوا قريبين مني ..
المدو كان قريبا جدا .. في منطقة
القنوات ..
وصلت المؤنات .. رأيتها أنا الباب
الصغير الخالد .. ورشق المدو بالتشاب
والأخجار والسهام التاريه .. ولم يظهر أحد
من عساكر دمشق .. كانت الأمور تجري في
السر .. رجل يصطاد رجلا .. حتى ظن
بالكيدة ..
وقد سمعت وصفا لما جرى آخر أيام
حصار الصليبيين ..
قال : أخرج الناس الصدقات على قدر
أحوالهم .. جلسوا في الجوامع نساء ورجالا
وصبياناً نشروا مصحف عثمان .. بكوا
وتفصرعوا ..
وفي الصباح ..

إذا قائد كبير من الصليبيين .. طوبل
اللعنة .. يركب حمارا .. وقد علق



هذا الأمير الذي لم يبق من ذكره سوى حجر
بناء تربته الذي نقل الى المتحف الوطني بعد
هدم التربة (أثناء شق شارع الثورة) ..

* * *

يا ابواه دمشق .. يا من شاهدت
رؤوس القتلى وشعورهم محملا على الجمال
كل جمل يجعل فارسين .. ورایة منشوره ..
ورؤسا مدمما لقتلي .. وأهل الشام يفتحون
الأبواب يصرخون .. يحتفلون بنصرهم ..
ونصر معن الدين ..

والأسرى مربوطون كل أربعة في حبال
معقدة .. مرتزقة وتركبولة ومرجندية ..
انها لوحة من لوحات المزينة الصليبية ..
كان الرومان قد استخدموها حين جروا
زنobia في روما مكبلة بسلاسل من ذهب ..
فمنطق العرب لا يرحم .. غالبا
ومغلوب ..

ولا غالب الا الله ..

* * *

□ باب توما :

ينسب هذا الباب الى عظيم من عظماء
الروم اسمه توما .. وتسميه العرب باب
توما .. ولقد كانت على بابه كنيسة جعلت
مسجدًا ..

نزل عليه .. يوم فتح دمشق .. عمرو
ابن العاص .. ودخل منه نور الدين عندما
فتح دمشق اعاد بناء الملك ناصر داود ..
ثم رممه تنكرا ..

في منطقة باب توما دار خالد بن الوليد
ومسجده .. وفي هذا المسجد كان خالد يصلّي
قبل الفتح ..

التعاوين على رقبته وعلى عنق العمار ..
وقد جمع الخيالة .. والكتب .. والرجالات ..
تقدّم نحو السور .. والصلبيّون من
خلفه .. وقد شربوا وصلوا للصلوة ..
للموت .. وركبوا جميعا الا من يحفظ
الخيام ..
وكان يقول : وعدني الله انتي افتح
اليوم ..
وفتح أهل دمشق الأبواب .. وخرجوا
من الباب الصغير .. واستسلموا للموت ..
وأغاروا وحملوا حملة رجل واحد ..

واذ بشاب شجاع من أحداث دمشق ..
يندب مباشرة الى الرجل الطويل اللعيبة ..
الذي يتقدم الصليبيين .. يفترق هذا الشاب
الصفوف .. ويضربه في مقتل ويرميه أرضًا ..
ثم يقتل حماره ثم يأتي شاب آخر فيطیح
برأس الزعيم الصليبي ..

وحمل الرجال .. وانهزم الفرنج ..
وبعدهم أهل دمشق الى الخيام .. حتى حال
بينهم الليل .. فلما أصبحوا .. وجدوا
الصلبيّين قد أذروا ..

ترى ؟ من هو هذا الشاب ..
من هو طریبون الحق المنشق ؟ ..
من هو هذا الفدائی المجهول ؟ .. لأیة
أسرة كان ينتمی ؟ .. أي أب أنجبه ؟ .. وأیة
أم أرضعته ؟ .. لا شك أن له اخنادا الى الآن
لا يعرفون عنه شيئا ولا يدركون شجاعته التي
كانت عام ٥٤٣ هـ .. هذا الشاب كان من
آل الدبوسي ..

ولقد دافع أمير دمشق الاتابکي العظيم
(معن الدين أونر) دفاعاً بطوليّاً خارقاً ..

الباب جميل جداً .. له قاعدة من الأخيار الرومانية الضخمة .. وقوسه مخمسة .. وكان أمامه جسر روماني .. اختفى مع الأيام ..

وظل المسجد والمنذنة إلى جانبه .. إلى عام ١٩٤٠ تقريباً .. حتى رفع المسجد لترميم الطريق .. وتعریضه .. وجاء المهندس ايکوشار فهد المئذنة بعد ذلك ..

□ باب السلامة :

طوله ١٤٤ وعرضه ٢٩٨ سم .

يسمى باب السلام وهو في شمالي المدينة .. اسم جميل يرمز إلى السلام .. ومنه كانت الصعوبة الفائقة لأن العدو كان في عملية اختراق المدينة .. فالأشجار الكثيفة .. والأنهار تشكل غابات دفاعية أقوى وأشد صعوبة من الأسوار ..

باب السلام باب جميل .. يصل إليه القاصد إلى السلامة في طريق عنبر يفصله عن النهر خط واحد من الأبنية .. فإذا سكينة مطلقة .. وأصوات الأقدام تسمع على استنطاع العواري النظيفة ..

وهناك في باب السلام .. (شان آخر) .. فكان دمشق الحديثة ليست دمشق .. كان شيئاً ما يهيمن على العي .. شيء من الأمان .. شيء من الاطمئنان ..

أبواب مطلقة لو يفتح أي باب منها .. لو يطلع أي إنسان .. لو تطلع امرأة وتقول أهلاً وسهلاً .. لو تعرف باحات البيوت .. لو تقطفت أزهار الشام التدفيعة .. لو عطر النهر يسري .. لو شجرة تين زاهدة هناك .. تنادي .. لو عطر نهر يسري ..

انه لنفر باب السلام المهيمن قرب باب السلام ..

فاسم هذا الباب لم يأت عبثاً .. أبداً .. لم يأت عبثاً ..

يعد هذا الباب أجمل أبواب دمشق .. قوسه عربية بدعة .. وقد بناء نور الدين .. ثم تهدم فجده الملك الصالح أبوب .. ورم بعد ذلك حديثاً ..

□ باب الجاوية :

قال أبو هريرة : خلق الله آدم من طين الجاوية .. وعجهن يوم الجمعة ..

وحين خرج كعب الأبيار من باب الجاوية .. ووصل إلى الكسوة قال : أما وقوفي على الثنية فلان البنيان يتصل من باب الجاوية حتى يصل إليها ..

تصل إلى مطلقة باب الجاوية .. تستقبلنا عن بعد .. المئذنة الفيدروزية (جامع سنان باشا) .. تُنَعَّر إلى سوق محدث باشا .. أول زقاق عن يميننا .. ثم أول زقاق عن يسارنا فإذا .. ييرز .. فجاء .. باب غريب الأطوار .. مطمور في غرابة الهواء الذي تملؤه نتف الصوف .. وأكياس الصوف هنا وهناك .. باب مغروس بين الدكاكين .. يمشي تحته أشخاص لا يعقلون به .. يافطات انتخابية ملصقة على أحجاره الآبدية .. أوراق النمـي لوجهـه العـي تـنمـي الأشخاص .. وتعشق العجارة الموجلة في القدم ..

بيكي باب الجاوية ..

محاولة لرفع عجلة مرمية هناك !!
محاولة لزحزحة الباب الخشبي المصفع

بالعديد ! الباب لا يتعرك.. العديد لا يتعرك..
الزمان وحده .. هو الذي مشى .. وترك باب
الجافية .. في هذه الزاوية ..

كان هذا الباب هو الباب المقابل للباب
الشرقي .. قبل أن ينعرف السوق إلى وضعه
العالجي .. وكان له شأن كبير كالباب
الشرقي تماماً ..

باب ثلاثي .. الأوسط كبير .. وحوله
باب فرخان .. من كل باب منها كان ينشق
سوق يمتد إلى داخل المدينة .. وأغرب
الفرائض أن الباب الأوسط كان للناس ..
والبابان الجانبيان واحدهما كان لمن يشرق
بدابته .. والثاني لمن يغرب بدادته ..

أي .. وبدقة تامة .. كان نظام السير
الموحد .. يطبق منذ ألف من السنين ..
طريق للعجلات الداخلة .. طريق للعجلات
الخارجية .. طريق للبشر ..

سد باب الجافية الكبير .. وفرخه
الصغير الشمالي .. بقى الجنوبي الصغير ..
فain ضاع الباب الكبير .. والفرج الشمالي
أين ! ..

أمن هذا الباب دخل أبو عبيدة دمشق؟
عام ١٤ هـ ..

ومن هذا الباب .. كان الانطلاق إلى
الجافية (أشهر مناطق تجمع القبائل العربية
في جنوبى الشام .. والجافية اليوم قرب
(نوى) في حوران ..

ماذا يريد هذا الباب العتيق أن يتكلم ..
أ يريد أن يروي لنا قصة قتل الأمير شهاب
الدين محمود بن تاج الملوك بن ظهير الدين
أتايك ؟ ..

كان ذلك العام .. عام زلزال هائلة ..
رجت لها بلاد الشام .. من أقصاها إلى أدنىها
وملا دخل شعبان وكان موافقاً شهر نيسان ..
جاء رعد هائل مختلف من عدة جهات ..
وانتشر البرق .. وتزلت جبات من البرد ..
كان وزن العبة الواحدة منها في الفوطة والمدرج
ثانية دراهم .. وقالوا سبعة عشر درهماً ..

ومات الطير .. وأتلف الزرع والشجر ..
وتهيا الجو المأساوي إذ هلت ليلة
الجمعة .. الثالث والعشرين من شوال ..

وفي أثناء نوم شهاب الدين في فراشه
ليلة الجمعة المذكورة .. ولما انصف الليل
انقض غلمان شهاب الدين .. وقتلوه ..
كان الأول يدعى : البعش .. حارس
شهاب الدين الأمين ..

والثاني يوسف الخادم .. الذي وثق
به الأمير في تومه لديه ..

والغركاوي .. الفراش الرائد
حواليه ..

قتلوا الأمير ثم انسروا في الليل بهيم
وما درى أحد ..

كشف الأمر في أولى ساعات الصباح ..
فهرب البعش .. وأمسك بيوفوس ..
والغركاوي ..

أخذنا إلى باب الجافية .. وهناك صلبا ..
كل منها في طرف من طرق الباب ..
ليكونا عبرة لمن يعتبر .. وطعاماً للفربان
والنسور ..

وطلت الجثتان حتى أمر برفعهما ..
والباب ساكت .. ودماء المالك تسيل

استلم الحكم بعد شهاب الدين ٠٠
آخره الأمير جمال الدين أتابك ٠٠ فإذا
مرض يلم به في جمادى الأولى ٠٠ وصار
يُثقل تارة ويغفر أخرى ٠٠ حتى اشتد به
المرض ٠٠ ووقع اليأس منه إلى أن قُضي
نحبه في ليلة الجمعة ٠٠

الغريب ليس هو المرض ٠٠ ولا الموت ٠٠

الغريب أن الأخ مات في نفس اليوم ٠٠
والليلة نفسها ٠٠ التي قُتل فيها أخيه قبل
عام وفي الساعة نفسها ٠٠

سار الملك الجنائزي ٠٠ اخترق العي
المعروف اليوم بالمعمارية ٠٠ وهي جبورون ٠٠
اخترق السور القديم ٠٠ ثم قطعت الجنازة
باب الفراديس ليُدفن جمال الدين في مقبرة
الفرداديس ٠ (وقد زالت مقبرة الفراديس
منذ القديم) ٠

فَإِنْ يَقُعْ بَابُ الْفَرَادِيسِ

انه في القسم الشمالي من المدينة ٠٠
الباب الذي كان يفتح منطقة المماراة على
ما كان من فراديس الشام ٠٠ يسمى اليوم
باب المعارة ٠٠ وهو باب مزدوج ٠٠
الخارجي منه بني بمحاراة رومانية ضخمة ٠٠
وعلى عتبته كتابة طمست ٠٠ وهو من أسوأ
آبوب المدينة حالاً ٠

هناك نظريات تقول أن هناك عدة
آبوب فراديس مؤدية إلى بعضها بحسب توسيع
المدينة ٠٠ باب العديد - باب عند ستيرية
باب الفراديس المزدوج ٠

□ فِي بَابِ الْعَدِيدِ :

ظرف المغاربة بالقصارين فأخذوا إياهم
قتلهم أهل دمشق ٠٠ وقالوا النفي ٠

أما المغاربة فقد وصلت من ناحية
(المؤذنة الكبرى) (العلبيوني) إلى باب
الجافية وحتى باب العديد ٠٠

طللت المناوشات دائرة بين أهل البلد
والمغاربة وباب العديد مفتوح على علم
الأمير ظالم في دار الامارة ٠٠ فأمر بإغلاق
الباب ٠٠ ورتب قوماً على جسر (باناس)
للحراسة ٠٠ فلما اشتد انهزام الناس ٠٠
والمغاربة ٠٠ ضرب الأمير بيده على فخذه ٠٠
ثم استدعى رمحه وعبر جسر بانياس وحمل
على المغاربة ٠٠ لكنه انهزم ٠٠

- جاءت المغاربة حتى الفراديس ٠٠

كان هناك أجمل البناء ٠٠ وأحلى
الدور ٠٠ وأروع القصور ٠٠ وخرجت شرارة
العربيق الأولى واحتقرت دمشق حتى مسجد
القاضي ٠

والنار تشتعل ٠٠ والمغاربة يهزجون
بأغانيتهم الوحشية ٠٠ ويصرخون صرخات
العرب ٠٠ ويدخلون دمشق من باب العديد ٠٠
احتراق تلك الليلة درب الفحامين ٠٠
- درب القصارين - ثم غربت النار مع الريح
إلى مسجد معاوية ٠٠ أحريقت درب السماق
- حمام العمجمي - زقاق المشاطين - والقنوات
واحتقرت المؤذنة الكبرى والصفرى ٠

باب العديد مفتوح ٠٠ المماراة تلتهب
٠٠ المغاربة يعيشون ٠٠ دمشق تهترئ باكلها
٠٠ حتى حجر الذهب (العصرونية) احترق
٠٠ احترق الفرب والشرق والشمال
والفرداديس والجنوب وقصر حجاج (المجاجية)
٠٠ يا للأحوال الكبرى ٠٠ للعراقة الكبرى
٠٠ يا للعجب ٠

انها نفسها ٠٠ التي جعلت دمشق
تقاوم وتتمر من جديد ٠

الواقعة بين البابين ترمي باكياس الطعن الى
النام .. فيمحن العجانون .. وتقد
الأفران .. وترتفع في الجو الصباحي الباكر
رائحة خبز دمشق .. رائحة قمح الشام ..
وكان هناك جسر أمام باب الفرج ..
كملت عمارته أيام المالك ٧٣٦ هـ .. وكان
الباب يغلق كل مساء شأنه .. شأن كل
الأبواب ..
وتبقى دمشق .. سرية .. محفوظة ..
آمنة .. مؤمنة ..

إيه يا باب الفراديس .. فله تاريخه
ومنه عبر كعب الأحجار ومكحول دخولاً من
قاسيون الى دمشق ، الماخصة ذات الجسور
الاثنتي عشر .. فمنذ آلاف السنين ودمشق
ترتکز على جسورها .. تعبرها الناس ..
ينظرون في مياه

بردي : فرفار .. وأبانا ..
بانياما .. ثم بقية الأنهر يزيد وثورا ..
والقنوات وغيرها .. ويلثمون خد دمشق ..

□ باب الفرج :

هو باب أحدثه نور الدين .. لم يكن
هذا الباب موجوداً من قبل .. أسماء باب
الفرج تفاؤلاً لما وجد من الفرج لأهل البلد
يفتحه ..

اذا لاحظنا أسماء الأبواب الشمالية ..
فانتنا نسمع فيها تفاصي : السلام - الفراديس
الفرج - أسماء معطرة آمنة خضراء .. عنى
بها العرب الكثير .. وأرادوا الكثير ..

وهذه الأسماء ولا شك .. تعبير عن
نفسية العربي المستمتع بالطبيعة .. الفارق
في تأملات النفس الكبri ..

الفرج .. باب مزدوج .. الداخلي
على حداء السور قبل أن يدفع الى ضفة
بردي .. عصاداته الأولى ذات نقوش عربية
مخرمة والثانية اكلتها الدكاكين التالية
للنقطة (بين السورين) أمام الباب ..
عصادتان .. يقوم عليهما قوس سقطت ..
ومن الشرق والغرب .. رسمت زهرة الزينة
(اللوتس) .. رمز نور الدين الشهيد
(بعض أمراء المالك) .. وفي داخله
المدرسة النورية في الصباح الباكر .. في
دمشق الأيوبية .. كانت طاحونة بباب الفرج

اما باب العينق .. فلم تصل الى اليد
طرائفه وحوادثه الفامضة ..
هذه هي الأبواب المفتوحة .. وهناك
أبواب كثيرة مسدودة او مزالة منها ..
وأهمها :

□ باب كيسان :

ينسب هذا الباب الى كيسان مولى معاوية
على قول ابن عساكر .. وقد سده نور الدين
وفتح باب الفرج ..
وقد جدد فتحه في زمن المالك ٧٦٥
وفي عام ١٩٣٩ أقيمت كنيسة على
مدخله (بمساعدة الفرنسيين) واتخذ من
الباب نفسه مدخلاً لبعض الكنيسة .. فاختفى
عن الانظار ..

انه باب له قيمة تاريخية ودينية كبيرة
وان العادلة التالية تؤكد قدم هذا الباب لأنها
تعود الى عام ٤١ م ..
عندما زار القديس بولس دمشق في ذلك
العام بعد تجواله في بعض البلاد العربية مدة
ثلاث سنوات عاد بعدها الى دمشق ..

ولما تمت أيام كثيرة تشاور اليهود
ليقتلوه ..

فعلم شامون بمكيدتهم .. و كانوا
يراقبون الأبواب ليلاً نهاراً ليقتلوه .. فأخذوه
التلاميذ ليلًا وأنزلوه مدلن أيام بسل ..
هذا هو النص القديم .. فماذا تقول
الحكاية؟ ..

قبير صغير موجود في حنانيا .. يقال
له قبر جرجس البابا ..

سمع جرجس بالنصرانية فأمن بها ..
وكان أدرى بتنقلات القديس بولس الذي
تنصر قرب دمشق .. وفي تلك الليلة اجتمع
رأي اليهود على التخلص من بولس .. وهل
هناك .. الا القتل من وسيلة .. حوصل
بولس .. ربما كان في منزل (يوحنا) ..
(أو جوداس) .. ربما كان هناك سرداد ..
طويل بين منزل يوحنا وبين منزل حنانيا ..
فالسور ..

كل شيء ذهب في كتمان المصور ..
المهم أن القديس بولس وصل إلى حنانيا ..
عقد جرجس حبلاً طويلاً .. حول سلة
من خوص دمشق .. يا خيرزان دمشق المتقد ..
في هذا السل تجمع بولس .. وفيه
وبمساعدة جرجس البابا وبعض التلاميذ ..
في ليل كيسان الصامت .. أدللي بولس وهرب
من اليهود .. حتى طرسوس فاططاكية ..

النتيجة في الغداة كانت على حساب
جرجس .. لقد ضحى البابا بنفسه من أجل
التشير النصراني وقطع رأسه بعد أن تأكدت
قصة أسماهه في تأمين هرب بولس ..
وما زال قبره هناك إلى اليوم .. مضاءً

دائماً بقنديل ناعم .. وأهل دمشق يعتبرونه
شهيداً ..

في قبو تحت كنيسة حنانيا .. يوجد
باب مغلق يؤدي إلى سرداد ..
لربما كان هذا السرداد يوصل إلى الدار
ما .. ومن بين الدور يصل المتخفي إلى منزل
يوحناس أين هذا الباب المجهول؟ .. أي دار
هي؟ لا أحد يدري ..

لقد من غنم يعقوب .. ورعى في مرج
الفوطة .. والفوطة ممزوج ترابها بدماء
شهداء أهل الشام .. وبدم الزاة أيضاً ..
ويا فواكه الشام الحلوى .. ففيك
عصارة الماضي .. فيك سلافة الشهداء ..
فيك مسك دمشق ..

* * *

حادثة أخرى من كيسان .. يقول
كيسان :

كان يوم أربعاء مستهل المحرم ..
والطالع للعالم الجوزاء .. وصل إلى ظاهر
دمشق جيش بقيادة الأمير أسد الدين شيركوه ..
رسولاً من نور الدين صاحب حلب ..
وخيم العسكر بناحية القصب من مرج دمشق
(مز القصب) ..

كان عدد العسكر ألفاً ..

وتكررت المراسلات بين الأسوار فلم
تسفر عن شيء ..

وغلا سعر الأقرات .. لأنقطاع الواسلين
بالفلات من الفوطة .. حتى وصل نور الدين
بعسكره إلى شيركوه .. في صفر .. فخيّم
بعيون فاسرياً عند دومة .. ثم زحف إلى



أبواب دمشق الغربية .. و كان في موقع سوق الارواح في اول سوق الحميدية ..

وعندما قرر الوالي المثاني (شروانى باشا) توسيع سوق الحميدية .. هدم هذا الباب العظيم .. وكان ذلك عام ثلاثة وستين وثمانمائة ١٨٦٣ م .. وفي هذا العام .. منه منة واحدى وعشرون سنة فقط .. هدم هذا الباب الذي شهد الفتح السلاجقى الذى كان بين عامى ٤٦٨ - ٤٩٠ هـ ..

فبعد التخلخل الفاطمى الذى هز البلاد هزا .. لم تستطع دمشق أن تصمد أمام الفتح السلاجقى التركمانى الذى قضى على الدولة الفاطمية فى دمشق .. ولقد أظهر التركمان من الجلادة والفروسية والشجاعة العربية ما أدهش الناس فى أثناء الحصار ..

وكان الظلم قد زاد فى الشام أيام الفاطميين .. وجلا أهلها عنها .. وخلت الفوطة من فلاحيها .. وارتقت الأسعار حتى أكل الناس بضمهم فملا .. أكل الناس

ودمشق ما زالت لم تفتح بعد .. دمشق الجائعة .. الضيافة المهزولة .. عندئذ .. عاد (اسز) .. السلاجقى التركمانى .. للمرة الثالثة الى دمشق المعاصرة .. ودخلها صلحًا بلا مقاومة .. فلم يكن هناك باب يقاوم .. أو رجل يقف .. أو امرأة تلد .. في عهد الفواطم ..

كان القصع قد نفذ .. وأصبح سكان دمشق ٣٠٠٠ بدل ٥٠٠٥ .. أفنادهم الفقر والغلاء ويقي خبازان في المدينة .. يبعد أن كان فيها مئة أو مئتان ..

وأكلت الكلاب والستاني والفترا .. وكان الناس يقفون في الأزقة الضيقة فيأخذون المعذازين .. فيدعونهم ويشوونهم ..

البلد من شرقه .. كان يرسل العيون .. وبياتيه الخبر .. حتى كان .. يوم الزحف ووقع الطراد بينه وبين عسكر دمشق .. كانت الخيول تهمهم .. وقد جن جنون الطراد والتزال .. وكل فارس يهمز فرسه .. وبغير سرعة وبينما هم على هذا الحال تسلل بعض جند نور الدين الى سور كيسان الدباغة .. من قبلى البلد .. وليس على سور حارس او نافخ بوق .. لسوء تدبير صاحب الأمر ..

وكانت هناك امراة يهودية تنتظر .. فما أن شاهدت عسكر نور الدين حتى أدللت اليهم حبلا من سور باب كيسان .. فتسقطوه وحصلوا على السور ولم يشعر أحد ..

ركض الرجال .. قطعوا أختاب الباب .. الشرقي بقوتهم .. وكسروا الأغلاق .. فدخل منه جند نور الدين ..

ثم فتح باب توما .. ومن هناك دخل نور الدين رسميًا مع خواصه ..

وسر الناس جميعا .. وزال الباس .. ربما لخيانته اليهودية .. سد نور الدين باب كيسان وفتح باب الفرج .. فلربما وقعت الخيانة مرة أخرى من ذلك العي .. عليه لا من أجله هذه المرة ..

في ذلك العام .. ثار في دمشق وباء مختلف الحميات .. مات الشيوخ والشبان .. وعانت دمشق من البلاء .. حتى انحر عنها البلاء .. وكان ذلك في عام ٥٤٩ هـ ..

□ باب آخر .. هو باب النصر :

كان باب النصر او .. باب السرايا .. او باب الجنان .. او باب السعادة .. أحد

حتى وصل السلاجقة .. فعادت دمشق
فعمرت .. وعاد أهلها فرجعوا .. وعادت
نساؤها فولدن وفتحت الأبواب للجميع ..
هل رأينا إلى بردى .. فلتتخيله أكبر
بكثير .. أعرض بكثير .. ولنعد إلى دمشق
سنة ١٢٣٥ هـ في ولاية درويش باشا الشماني
أنه النهر الذي حمل جثث الفرقى في واقعه
المزرة .. التي كانت بين درويش باشا والأمير
بشرى ..

يومها أطلقت عساكر دمشق المدافع
والزنبركات .. ففهم الأمير بشير هجمة
واحدة .. دكت أسوار دمشق الغربية ..
فامتلأت الأسوار والأبواب ..

أسر الكثيرون .. وقطعت رؤوس يومها
وظل بردى عدة أيام يحمل الفرقى من عسكر
درويش باشا حتى بلغ عددهم ١٢٠٠ رجل
بين قتيل وجريح ..

بردى بكى وغسل دماءه .. دمشق عادت
فيreau رضية .. يا لجبروتك يا دمشق ..
ولنمر على بقية الأبواب عدا :

باب الخضراء - باب الجينيق وقد مررت
به مروراً - باب العمارة عند مدخل العمارة
باب المربيعة أو المصلبة كما تدعى الان - باب
الجتان المسود - باب العديد وقد ذكرته -
باب ابن اسماعيل عند حارة الخطاطب على
السور الجنوبي ..

أبواب .. أبواب ..

البريد وجiron والخواصين وباب زقاق
عطاف والقصاعين وباب الشاغور وباب دار
البلطى وباب القلعة ..

* * *

أمن سذنته الباب الشرقي سوف ينزل عيسى
عليه السلام ..
وآدم خلق من طين الجابية ؟ ..
أغمى يعقوب ترعرى في مرج الفوطة ؟
أبيقى الجامع الأموي أربعين عاماً بعد
خراب الدنيا ؟ ..
لم تعد دمشق الحديثة أبواب ..
أما أبواب دمشق القديمة .. فكلها الان
مفتوحة .. أبواب الأسوار والأبواب الوسطى
والأبواب الداخلية وأبواب العارات .. أما
أبواب نفوس أهل دمشق .. فيفتحونها
بقسط .. كما تفتح الغوطة .. حتى يشقوا ..
فإذا وثقوا .. فالله أكبر ..

* * *

ستظل مدينة الأنهر السبعة قائمة ..
ستزيد نسب الماء في تشرين الأول ..
وسترتفع الينابيع الأزهار في نيسان ..
وسيطير أهل دمشق يستقون من مياه
جبالهم العذبة المغبوبة في مغارات الصواعد
والنوازل ..

لن ينزل الآن الملك الأشرف في ظاهر
دمشق من ناحية القبلة ، فيقطع الماء عن
قلعتها ويُسند نهر بانياس .. لن يقطع نهر
القنوات الوائل إلى باب الجابية ..

من أجل الماء خرج عسكر دمشق وقاتلوا
 أصحاب الملك الأشرف ..

من أجل الماء والقمع قاتل الرجال
والنساء حتى أعادوا الماء إلى دمشق ..
وهم دوماً أعادوا بناء ما احترق من
بلدتهم ..

ودوماً تبقى دمشق تقول أهلاً وسهلاً .
بل أهلين وسهيلين .. بل منه أهلاً وسهلاً .
وتبقى لافتتها التاريخية الواسعة كالأقدار .
تقول للجميع بخط عربي أصيل . . .
أهلاً وسهلاً .. دمشق ترحب بكم .

ودوماً بنوا ما دمره الأعداء ..
ودوماً كانوا رضيين في فراديسهم ..
ودوماً .. سوف تزهر أشجار الفوطة
التي صنعتها الإنسان منذ آلاف السنين زرعها
. . وستقاها وقطفها .. ورعاها شجرة
شجرة .. سنبلة سنبلة .. نبتة نبتة ..



□ العواشي :

- ١ - وصف زلزال دمشق لكمال الدين الغزي .
- ٢ - الدكتور سهيل زكار .
- ٣ - هو البستان الواقع خلف الحلبوني أي « زلاق الجن » ومكان تجمع الباصات
نة - بطريرك الروم .
- ٤ - احتفل به ومنع من اجله الطعام .
- ٥ - الواقع انه هو الذي شق بعد ان تراكمت فيه الدكاكين والدور دونما انتظام . ويعتبر الشارع الحالي انعاماً
عن الشارع المستقيم خاصة في منتهي القرية (باب الجابية) .
- ٦ - سميت المسكية لانتشار دائرة مسک الجامع الاموي فيها .
- ٧ - هو في المصادر (قبس) لكنى عرفت منها للنترة الطالية .



□ مراجع البحث :

- خطط الشام للعلامة الاستاذ محمد كرد على
- تاريخ دمشق لابن عساكر
- مكتنفات تغير تاریخ دمشق القديم للأستاذ غسان سبانو
(ادم ذات العداد)
- تاريخ دمشق لابن القلانس حققه د. سهيل زكار
- دمشق القديمة : ابراجها ، اسوارها ، ابوابها للدكتور صلاح الدين المجد
- في رحاب دمشق للأستاذ محمد احمد دهمان
- وصف دمشق للفارس دارفيو
Le chevalier d'arvieux

استدراك

على ديوان «ديك الجن»

خير الدين شمسى باشا

أواخر عام ستين وتسعمئة وألف أخرج أديبا حمص الشاعران في
الأستاذ محي الدين البرويش رحمة الله ، والأستاذ عبدالمعدين
الملوхи مد الله في حياته ، ما عثرا عليه في بطون الكتب من شعر
شاعر حمص الذي شهد بتتفقه «أبو نواس» وزاره في منزله تقديرًا وأعجابا ،
وغرف من بعره «أبو تمام» وحقق شعره صغيرا ، ذلك هو عبدالسلام بن
رغبان المعروف بـ (ديك الجن) وشراحه ونشراه ديوانا مرتب القافية . وفلا
في المقدمة :

«ونحن نجد ثرفا لنا واكراما لشاعرنا، أن يدلنا كل أديب يشعر بقرابة الأدب ، وكل شاعر، على بيت واحد أو شطر واحد لهذا الشاعر لا يجده في الديوان ، لمستطيع ضم ما فاتنا في هذه الطبعة إلى طبعات لاحقة . . . ومن أجدر من «ديك الجن» بقرابة الأدباء ونسب أخوان الصفاء ، وهو أول من قرر هذه القرابة حين قال :

بكاك آخر لم تحوه بقرابة بلى ان اخوان الصفاء القارب «
انتهى

وكنت أثناء قراءاتي في كتب الأدب أتعثر على بعض الأبيات لهذا الشاعر الذي
ظللتة الأيام فضاع معظم شعره ، فكتبت أنقل ذلك على صفحات الديوان بحسب القافية ،
ومنه ما ليس موجودا في الديوان ، وما هو موجود على اختلاف في بعض الألفاظ . وقد
أخبرني الصديق الأستاذ عبدالمعدين أن بعض الأدباء مهمتهم بالخراج ديوان موسع لهذا
الشاعر ، فرأيت من المفيد نشر ما عثرت عليه كما قرأته في مصادره ليضاف إلى ديوانه . والله
الموفق .

١ - روى الشيشاطي في كتابه (الأنوار ومحامن الأشعار) (نشرته وزارة الاعلام في الكويت ١٣٩٧ م ١٩٧٢ م) . في الجزء الأول من ٣٨٥ في باب التطير من الأبل والكرامية لها ، لأنها تعيل القبلائين وتبثت الغلان ، وتصيرها كفراب اليبين ، البيتين التاليين لـ (ديك الجن) وأشار المحقق في العاديـة الى أنهاـما في حمـاسةـالـغالـديـن (٤٩٥ / ٢) والـزـهرـة (٢٥٨) :

ما المـنـياـاـ الاـمـطـاـيـاـاـ وـماـ فـرـقـ شـيـءـ تـفـرـيقـهـاـ الـأـعـبـابـاـ
ظـلـ حـادـيـهـمـ يـسـوقـ بـقـلـبـيـ وـبـرـىـ أـنـهـ يـسـوقـ الرـكـابـاـ

★ ★ ★

٢ - وروى أيضاً في الجزء الثاني ص ٢٧٤ في باب البواشيق الأبيات التالية :
قال : ولديك الجن من قصيدة :

تـنـشـرـ فـيـهـ جـبـاتـ النـفـوسـ
وـدـاهـيـةـ كـدـاهـيـةـ بـسـوسـ
أـشـبـهـمـ بـمـشـيـغـةـ جـلـوسـ
وـغـضـفـاـ يـنـتـظـمـنـ الـأـرـضـ نـظمـاـ
لـهـاـ فـيـ كـلـ مـعرـكـةـ ضـجـاجـ
وـمـرـبـ حـبـارـيـاتـ فـوـقـ جـلـسـ
وـفـيهـاـ :

مـعـجـسـةـ لـدـاهـيـةـ شـمـسـوسـ
بـارـؤـهـاـ بـعـسـ"ـ أوـ حـسـيسـ
وـأـمـ الـوـحـشـ فـيـ يـوـمـ عـبـوسـ
بـطاـوـيـةـ الـأـجـادـلـ اوـ بـزـازـةـ
تـرـاهـاـ فـيـ بـرـاهـاـ مـنـفـصـاتـ
فـانـ الطـيرـ فـيـ شـرـ وـعـرـ
وـفـيهـاـ :

هـمـوسـ زـيـارـةـ الـقـرـنـ الـهـمـوسـ
إـلـىـ الـعـاذـيـنـ كـالـقـصـبـ الـبـيـسـ
وـأـرـقـ مـنـسـرـ أـنـسـ نـهـوسـ
فـتـعـسـبـهـ تـكـحـلـ مـنـ وـرـوسـ
وـجـهـبـورـةـ كـجـهـبـورـةـ الـقـسـوسـ
تـكـشـفـ عـنـ غـلـالـةـ خـنـدـرـيـسـ
أـعـارـهـاـ النـفـوسـ يـداـ عـرـوسـ
وـأـحـمـرـ مـذـبـحـ وـقـرـأـ وـزـورـ
وـأـبـيـضـ مـاـ اـطـمـانـ مـنـ الذـنـابـيـ
وـأـسـوـدـ لـهـنـمـ السـيـرـيـنـ جـونـ
وـأـصـفـرـ قـمـةـ وـحـجـاجـ عـينـ
إـذـاـ بـعـثـتـ سـمـعـتـ لـهـاـ ذـهـاءـ
كـانـ عـلـىـ الـقـرـاـ دـبـيـاجـ وـشـيرـ
كـانـ جـاجـنـاـ مـنـهـاـ وـهـاماـ

★ ★ ★

٣ - قرأت في (ثمار القلوب) للشاعري (دار نهضة مصر ١٩٦٥ م) ص ٢٣٩ ما يلي :
ـ (ثمار النعور) هي الثدي ، من قول مسلم بن الوليد وهو من استعاراته الحسنة :

فقطت باليديها ثمار نعورها كايني الأساري أثقلتها العبومع
وأخذنه (ديك الجن) العصي فقال :
ـ ظلت بها أجني ثمار نعورها فتوسعني سبا وأوسعها صبرا
وأخذنه كشاجم فقال :

ـ غذتها نعمة ولديذ عيش فانبت صبرها نهر الشباب
ـ وما أملح قول ابن المعتز :
ـ لا ورمان النهدود فوق أغصان القندود
ـ وقول الصابي من أبيات :

ـ وقال شفاعة الرمان مما
ـ فقلت له : أصبت بغير قصد
ـ ولكن ذاك رمان الصدور

* * *

ـ وذكر صاحب كتاب (الأنوار ومحاسن الأشعار) أيضاً فيما يروي عن
ـ الخيل (ج ١ / ص ٢١٧) قال :
ـ ولعبد السلام بن رغبان :

ـ وأحمد من أولاد أوج عجته
ـ متكتفاً لو أنه جارى الصبا
ـ مستقبلاً أعلى الذرا مستعرضاً
ـ حر الأهاب وسيمه بر الآباء
ـ بكريمه محض النصاب صميما
ـ ان قيد جامك زينة او ريفن ريفن بيته او ريع ريع ظلبيما
ـ فارعنت فيها الوحش عن مهجاتها وجعلته بنفسهن زيميا
ـ وهذا من الكلام الجزل ، الحسن النظام الصحيح الأقسام » .

انتهى

* * *

٥ - وقرأت في كتاب (شمار القلوب) أيضاً (ص ٢٧) ما يلي :

(شمس الله) عهدي بالأخير السيد ادام الله تأييده ينشدني فائنة (ديك الجن) من أولها الى آخرها . وهي فائقة رائقة يزداد حسنتها لجريها على لسانه ، وتكتسي شعراً انيقاً من عباراته . ومنها :

وَصَفَرَاوِينَ مِنْ جَنْبَ الْأَمَانِيِّ إِذَا جَنَّبَتِ وَمِنْ حَلْبِ الْقَطَافِ
أَدْرَأَ مِنْهُمَا فَلَكَا وَشَمْسًا وَشَمْسَ الله مُسْرَجَةُ الْفَلَافِ

★ ★ ★

٦ - وقرأت في (شمار القلوب) أيضاً (ص ٦٩) ما يلي :

(ديك الجن) هو عبد السلام بن رغبان الحمصي : شاعر ملق في المحدثين . أدرك زمان التوكيل ، حتى قال في قصيدة له :

حَتَّى حَسِبْتَ أَنْوَ شَرْوَانَ مِنْ خَلْمِي وَخَلْتَ أَنْ نَدِيمِي عَاشِرَ الْخَلْفَاءِ^(١)

ولست أعرف سبب تلقيبه بـ (ديك الجن) . ويشبه أن يكون قال بيته يشتمل على ذكر ديك الجن فلقب بذلك ، كما لقب كثير من الشعراء بأقوال تجري لهم مجرى الشواذ والتوادر . انتهى

٧ - وقال الشاعري في موضع آخر من (شمار القلوب) (ص ٤٧٠) ما يلي :
(ديك الجن) يضرب مثلاً للديك النجيب العاذق . الكبير السنفاد . ومنه سبي (ديك الجن)
الشاعر المشهور ، وهو أحد شعراء سيف الدولة بن حمدان . انتهى .

★ ★ ★

٨ - وقرأت في كتاب (خزانة الأدب) لابن حجة الحموي (دار القاموس الحديث للطباعة والنشر - بيروت) ص ٧٨ عنده ذكر (التغيير) في القوافي قوله :

التغيير هو أن يأتي الشاعر ببيت يسوغ فيه أن يقعن بقواف شتى فيتغير منها
قافية يرجعها على سائرها يستدل بتغييرها على حسن اختياره . [وأورد أمثلة ثم
قال] ويعجبني قول (ديك الجن) :

قولي لطيفك ينشئي عن مضجعي عند المقام الرقاد الهجوع الهجود الوسن .
فسى انام فتنطفي نار تاجج في العظام الفؤاد الضلوع الكبود البدين .
جسد تقلب الاكبف على فراش من سقام قتاد نموع وقود حزن
اما أنا فكما علمت فهل لوصلك من دوام معاد رجوع وجود ثمن
فهذه القوافي المشبطة يقابل كل بيت بما يليق منها ، والأولى أولى وأرجح . انتهى .

★ ★ ★

٩ - وقرأت في الديوان (ص ٨٦) مايلي : وقال يفضل العب الآخر :

شرب على وجه العبيب الم قبل وعلى الفم التبس الم قبل
غص ، وينسى كل حب آخر
كھوی جدید او کوصل مقبل
ما ان احسن الى خراب مقفر درست معالمه كان لم يؤهله

وأشار ناشرا الديوان الأستاذان الدرويش والملوحجي ، الى ان هذه الأبيات في (محاضرات الأدباء) . وورده في (المسناعين) قوله (وهو ديك الجن) يخالف آبا تمام في قوله :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما العب الا للعبيب الأول
كم منزل في الأرض يالفه الفتى وحنينه أبدا لاول منزل
انتهى

أقول : وجدت في (ديوان الصباية) لابن أبي حجلة المطبوع بخط الامام الشعراوي (رض) في اواخر شهر ذي القعدة ١٢٧٩ وهو ضمن مجموعة كتب في المشق بمكتبة الدكتور عبدالكريم اليافي (ص ٣) . وهي أيضًا في الطبعة اللبنانيّة لـ ديوان (الصباية) المجلد مع كتاب (تزين الأسواق في أخبار المشاق) من منشورات (دار : حمد ومحبوب) ص / ٥ : ما يلي :

[قال في شرح البيت] :

في دارها بالغيف ان مزارها قريب ولكن دون ذلك اهواه
فإن قلت : الفضل للمتقدم و هل غادر الشعرا من متقدم ؟

قلت : نعم ، في الخمر معنى ليس في النب ، وأحسن ما في الطاوس الذنب فدع كل صوت بعد صوتي فاني : أنا الصانع المعكى والأخر الصدى فكم ترك الأول للأخر ، ولا اعتبار بقول الشاعر :

نقل فؤادك (بيتي أبي تمام)

فقد سقط في يده ، وقيل في الرد عليه :

افخر باخر من كلفت بعجه لا خير في حب العبيب الأول
اتششك في ان النبي محمدًا ساد البرية وهو آخر مرسل

وقال (ديك الجن) العصبي يرد على (حبيب) قوله المتقدم :
 كلب الذين تحدثوا أن الهوى لا شك فيه للحبيب الاول (٢)
 ما لي أحبن إلى خراب مفتر درست معالمه كان لم يؤهل
 فتال (حبيب) حين بلغه قول (ديك الجن) المذكور :
 كلب الذين تغروا في قوله ما الحب إلا للحبيب المقرب
 من مأكل أو طعم ما لم يؤكل افقطليب في الطعام ما قد ذقت
 فتال (ديك الجن) أيضاً حين بلغه قول (حبيب) هذا :
 ارحب عن العب القديم الأول وعليك بالمستانف المستقبل
 نقل فوادك حيث شئت فلن ترى كهوي جديد أو كوصل مقرب
 وقال أبو البرق ، وسلك بينهما جادة الاصناف ، وبقوله يعب الاعتراف ، لأن
 أحسن في المقال حيث قال :

زادوا على المعنى فكل محسن والعق فيه مقالة لم تجهل
 العب للمحبوب ساعة وصله ما العب فيه لآخر ولا ولأول
 انتهى

★ ★ ★

١٠ - وقرأت في معجم الأدباء (طبعة دار احياء التراث العربي - بيروت المchorة)
 (ج ١٣ من ٢٩١) هذا البيت :

فنا تنصب في ثغر التراقي كما ينصب في المقل الرقاد
 وكتب الشارح (عبدالخالق) في الحاشية ما يلي :
 « كانت في الأصل « فتى » ينصب في ثغر القوافي » (٣)

فأصلحت إلى ماترى . وقد جهدت أن أغثر عليه في مطانه كشرح المكبري وكتابي
 الابانة في سرقات المتنبي والواسطة وما شاكل ذلك فلم أجدهما . والبيت لديك الجن وأساسه
 عبد السلام ابن رغبان - بفتح الراء - والثانية جمع ثغرة : وهي التقدرة في النثر ، وكل
 ثغرة بين عظمي الترقوقتين » ، انتهى .

أقول : لعل المحقق لم يخطئ التوفيق في تصحيحه ، ذلك أن البيت ورد في معرض
 (السيف والرقب) عند ذكر بيتي أبي الحسن الناشئ :

قال ياقوت : وحدثت الحالع قال : حدثني أبو العسن الناشي ، قال : كنت بالكوفة في سنة خمس وعشرين وثلاثة ، وأنا ألمي شعرى في المسجد الجامع بها والناس يكتبونه عني ، وكان المتنبي اذ ذاك يحضر منهم ، وهو بعد لم يعرف ولم يلقب بالمتنبي فامليت القصيدة التي أولها :

بآل محمد عُرف الصواب وفي أبياتهم نزل الكتاب
وقلت فيها :

كان سنان ذابلة ضمير فليس عن القلوب له ذهاب
وصارمه كبيعته بغشم مقاصدها من الغلق الرقاب
فلسحته يكتب هذين البيتين . ومنها أخذ ما أنشدتموني الآن من قوله :
كان الهمام في الهيجا عيون وقد صفت الأسنة من هموم
وقد طبعت سيفوك من رقاد فما يخطern الا في فؤاد
قال الحالع : وأصل هذا لأبي تمام :

من كل أزرق نظار بلا نظر الى المقاتال ما في متنه اوَّد^(٤)
كانه كان ترب العب مد زمان فليس يعجزه قلب ولا كبد
وعليه وقع المتنبي : وسبق الى ذلك (ديك الجن) أيضاً في قوله :
فنا تنصب في ثغر التراقي كما ينصب في المقل الرقاد
[ثم قال ياقوت] : وأبيات المتنبي أمثل من الجميع اذا تركت العمبية .

١) - وقرأت في كتاب (أبو تمام الطائني تأليف خضر الطائني) وهو مطبوع في العراق (من ٤٢) الأبيات التالية على غير ترتيبها في الديوان وعلى اختلاف بعض الانفاظ :

بها غير معدول فداو خمارها وصل بعشيات الفبوق ابتكارها
وقم انت واشرب كاسها غير صافر ولا تسق الا خمرها وعقارها
موردة من كف ظبي كانوا ما تناولها من خده فادارها
فقام يكاد الكاس تعرق كفه من الشمس أم وجنتيه استعارها
أقول : سقط من العجز لفظة (من) ولعله من خطأ الطابع :
فطئلنا بآيديينا تُتعِّنِّ روحها وتأخذ من القداما الراح ثارها
فقل من عظيم الوزر كل عظيمة اذا ذكرت حاف العفيقان نارها

ومامي كما وردت في الديوان (ص ٣٨) :

وصل بعضيات الغبوق ابتكارها
بها غير معدول فداو خمارها
ونتل من عظيم الردف كل عظيمة
وقم انت فاحتث كاسها غير صادرها
فقام تقاد الكاس تعرق كفه
من الشمس أمن وجنتيه استعارها
ظللنا بآيديينا نتعتع روحها
فتاخذ من أقدامنا الراح ثارها
موردة من كف ظبي كانما تناولها من خده فادارها

★ ★ ★

٢ - قصيدة في رثام (ورد) المنورة في الديوان (ص ٤٠) قرأتها في كتابي (تزين الأسواق) المذكور آنفاً لدادو الأنطاكي و (مداعع العشاق) للدكتور زكي مبارك، مختلفة في بعض الفاظها مما جاءت في الديوان (ص ٤١ و ٤٠) وفيما يلي بيان الاختلاف :

| | | | | | | | |
|--------------|---|------------------------------|---------------------------|--------------|---|------------------------------|----------------------|
| في الديوان | : | قر أنا استخرجته من دجنه | لبليتي وجلوته من خدره | في الديوان | : | قر قد استخرجته د د د | عند الانطاكي ومبارك: |
| عند مبارك | : | فتقتلته وله عليّ كرامته | فلعي العشا د د د | عند الانطاكي | : | فلعي العشا د د د | عند مبارك |
| في الديوان | : | عهدي به ميتاً كاحسن نائم | والعنز يسفع عبرتي في نعره | في الديوان | : | عهدي به ميتاً كاحسن نائم | عند الانطاكي |
| عند مبارك | : | لو كان يدرري الميت ماذا بعده | بالعي حلّ بكى له في قبره | في الديوان | : | لو كان يدرري الميت ماذا بعده | عند الانطاكي |
| عند الانطاكي | : | بالعي منه د د د | ويكاد تخرج قلبه من صدره | في الديوان | : | غصص تقاد تفيف منها نفسه | عند مبارك |
| عند مبارك | : | ويكاد د د د | ويكاد يخرج د د د | عند الانطاكي | : | ويكاد د د د | عند مبارك |

★ ★ ★

١٣ - بقافية النون : في الديوان (ص ١١١) :

خن ياغلام عنان طرفك فاتنه
عني فقد ملك الشمول عناني
في كتاب مقلد المباحثين:
خن ياغلام عنان طرفك فاحمه
خن ياغلام عنان طرفك فاحمه
في الديوان : سكران: سكر هوى و سكر مدامه
أنى يُفِيق فتى به سكران
فتى به سكران

* * *

١٤ - قافية الماء في الديوان (ص ١١٢ / ١١٣) رثاؤه لجاريته :

١ - يا طلعة طلع العِمام' عليها وجني لها ثمر الردى بيديها
٢ - روَّيَتْ من دمها الشرى ولطاما
٣ - حكمت سيفي في مجال خناقها
٤ - فوحق نعليها وما وطئ العصى
٥ - ما كاه قتليها لأنى لم اكن
٦ - لكن ضنت على العيون بعسنها وانفت من نظر الحسود اليها
قرأتها في (تزيين الأسواق) و (مدامع المفاسق) على اختلاف يسير في ترتيب
الأبيات وفي بعض الألفاظ . وفيما يلي البيان :
الترتيب : عند الانطاكي و عند مبارك هكذا : الأول ثم الثالث وبعدة الثاني فالرابع
حتى السادس .

المفاسق : □

في البيت الأول : عند الانطاكي و مبارك (فجني لها)
في البيت الرابع : عند الانطاكي (لما وطئ العصى)
عند مبارك (وما وطئ الشرى)
في البيت الخامس : عند الانطاكي و مبارك (أبكي اذا سقط
الذباب عليها)

في البيت السادس : عند الاطاكي

لكن بخلت على العيون بلحظها
وأنفت من نظر العيون اليها
وأنفت من نظر العيون اليها
وأنفت على الوجود بحسنها

★ ★ ★

١٥ - وللاديب اللبناني (رئف خوري) رواية (ديك الجن ، الحب المفترس) نشرتها دار المكشف عام ١٩٤٨ في سلسلة (أشهر المشاق) أورد فيها أبياتاً من شعر (ديك الجن) تغتال في بعض الفاظها عما وردت في الديوان ، نذكرها فيما يلي بحسب ترتيب القافية :

- | | |
|--------------------------------|---------------------------------|
| قافية التاء من ٢٨ البيت الثالث | : قال ذو الجهل قد حلمت |
| وعند خوري | : قال ذو الجهل : لو حلمت |
| قافية الدال من ٣٣ البيت الأول | : مفارق خلّة من بعد عهد |
| وعند خوري | : مفارق خلّه من بعد عهد |
| البيت الثاني | : بحق الود كيّف ظللت بعدي ؟ |
| عند خوري | : بحق الود كيّف غدوت بعدي ؟ |
| قافية الدال من ٣٤ البيت الأول | : اذا استعتبرت في الظلماء وحدني |
| وعند خوري | : « في الظلمات » وهو خطأ |
| البيت الثاني | : |
| ووجد تنفسى وعلا زفيري | وافتت عبرتي في صحن خدي |
| عند خوري | : |
| ووجد تنھي وعلا زفيري | والت عبرتي من فوق خدي |
| البيت الخامس | : يقول : قتلتها سفهًا وجهلا |
| عند خوري | : يقول : قتلتها ظلّه وجهلا |
| البيت السادس | : كصياد الطيور له انتحاب |
| عند خوري | : كذباب الطيور له بكاء |

قافية الراء ص ٣٩ البيت الرابع : موردة من كف ظبي كانما
 عند خوري : موردة من كف ظبي كانه
 قافية البيت الخامس (القندرة) :
 وعند خوري : (العذرره) وفسرها بالواسعة النتنة
 ص ٤٧ البيت الرابع : أترك لذة الصباء عمداً
 عند خوري : أترك لذة الصباء صِرفاً
 ص ٥٣ البيت الأول : تكلَّفنَ اسعد الفريبة ان يكت
 وعند خوري : تكلَّفنَ اسعد العززين اذا بك
 ص ٥٥ البيت الأول : لم تبلِ عينك أبيضاً في أسود
 عند خوري : لم تبك عينك أبيضاً في أسود
 ص ٦٦ قافية البيت الثاني (الدهر)
 عند خوري : (العصور)
 ص ٥٧ البيت الثاني :

بآبى بذلك بعد صونك للبلى ورجعت عنك صبرت او لم أصبر
 وعند خوري :
 بآبى بذلك بعد صون للبلى . . .

★ ★ ★

٦ - ووقفت على البيتين التاليين في كتاب (المستطرف) للأيشيمي (نشر مصطفى
 البابي الحلبي ١٣٧١-١٩٥٢ ج ٢ / ٢٠٧)

ولِي كَبَدْ حَرَسِي وَنَفْسِ كَانَهَا
 كَانَ عَلَى قَلْبِي قَطَاةً تَذَكَّرَتْ عَلَى ظَمَاءِ وِرْدًا فَهَزَتْ جَنَاحَهَا

٧ - في كتاب (التمثيل والمعاضرة) لأبي منصور الشاعري (نشر عيسى البابي
 الحلبي - القاهرة ١٣٨١ هـ) في (باب الأمثال السائرة للمولددين) (ص ١٠٠)
 هذا البيت ، وهو ليس في الديوان :

سبعان من جعل الاداب في عَصَبٍ خطٌّ وصيَّرَهَا فِينَا عَلَى هُصْبٍ

وفي أيضاً (من ٩٩) :

وشافي النصح يعدل بالأشافي ومن جعل القوادم كالغواصي
وليس القدر الا بالأشافي
وفي الديوان (من ٦٧) :

وشافي النصح يعدل بالأشافي وليس القدر الا بالأشافي
وفي (خاص الخامس) للشاعري (دار الحياة بيروت ١٩٦٦ م / من ١٢٨) :
أبا عثمان معتبة وصبراً وشافي النصح يعدل بالأشافي
وفي (نهاية الأربع) للنميري (المؤسسة المصرية من ٩٨) :
وشافي النصح يعدل بالأشافي وليس القدر الا بالأشافي

١٨ - وفي الديوان (من ٦٧) :

اذا شجر المودة لم تجده سماء البر أسرع بالجفاف
وعند الشاعري (التثليل والمحاورة) (من ١٠٠) وكذلك في نهاية الأربع :
من ٩٨ :

اذا شجر المودة لم تجده بغيث البر أسرع في الجفاف
وفي (خاص الخامس من ١٢٨) :

اذا شجر المودة لم تجده سماء البر أسرع في الجفاف
١٩ - وفي الديوان من ٣٢ :

رق حتى حسبته ورق الورد جنياً يرف بين الرياح
وفي (خاص الخامس من ١٢٨) :

رق حتى حسبته ورق الورد نديماً يرف بين الرياح

□ العواشي :

١ - ورد في الديوان من ٧١ كما يلي :

حتى توهمت نوشرون لسي خولا وخلست أن نديمي عاسير الغلضا

٢ - ذكر بهذه المناسبة البيت المشهور لمجنون ليلى :

محا جيمها حب الال كنْ قبلهما وحكت مكاناً لم يكن حلّ من قبل

٣ - وهي في الديوان : « فتى ينصب في ثغر الشيفاني » وقال ناشره في الشرح : المعنى : هذا الفتى بالثغر الصحاري وينصب فيها انصباباً كما يالق النوم العيون وينصب فيها »

٤ - الورد : الاعوجاج .

ابن البيطار

ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد

محمد أمين الميداني

□ توطئة :

حفلت كتب التراجم والسير في مكتبة التراث العربي بالحديث عن العلماء والأدباء في شتى اليابدين و مختلف المجالات . فكان أن حفظت هذه الكتب أخبار شهرتهم وحوادث علومهم وأمارات نبوغهم ، ودونَ أصحابها ما ذاع من صيت هؤلاء العلماء والأدباء وما الفوه ووضعوه من كتب ومجلدات وقد تركوا بصماتهم على أحداث عصرهم شاهداً على ما عرفته تلك العصور من ازدهار وتقدم وتالق في ميادين المعرفة و مجالات العلوم والأداب والفنون . وجاء المحدثون ليتفضوا ما على كتب للتراث هذه من غبار ويجلوا ما لف أصحابها من نسيان أو إهمال وليرمّونا على سيرهم وما جادت به قرائتهم وما خطته أقلامهم وما توصلوا إليه من طرق للدراسة ومناهج للبحث والتاليف .

الذي كان حسب رأي ابن أبي أصيحة^(١) : «أوحد زمانه وعلامة وقته في معرفة النبات وتحقيقه واختياره ومواضع بناته ، ونعت أسمائه على اختلافها وتتنوعها»^(٢) .

وهو بنظر أحد المستشرقين الطبيب العربي الوحيد الذي وقف حياته كلها للدراسة علم النبات^(٣) .

وكتب التراث العربي ورجالاته قد حظيت بالقدر المقبول من الاهتمام على أن هذه الحظوة لم تكون كافية ولا عادلة فكان نصيب بعضهم من الدراسات والبحوث ووافر الاهتمام بهم وبأعضائهم أكثر من بعض . وانطلاقاً من ذلك جاء مقالتنا هذا محاولة متواضعة لتسليل مزيد من الأضواء وللقت انتباه المختصين إلى واحد من علماء النبات والأعشاب وهو ابن البيطار ،

ب - رحلاته ومكانته العلمية :

ان العلوم التي وقف عليها ابن البيطار حياته وجبه وتفانيه لها كانت دافعاً له للاتصال من قطع الى آخر ومن بلد الى بلد .

بعد أن تلقى هذا العالم علومه الأولى في الأندلس اتجه نحو المشرق حوالي عام ٦١٨-٦١٧ هـ / ١٢١٩ م - بعد أن سبقه اليها أستاذه أبو العباس حوالي عام ٦١٣-٦١٤ هـ / ١٢١٦ م^(٨) - مارأ في البداية بيلدان المغرب العربي ليجتمع هناك بالباحثين في علم النبات والمستشرقين به . فكان يجوب الأماكن ليتمنى الأعشاب ويفصلها ويذكر فوائدها .

ومن المغرب تابع ابن البيطار طريقه بعد ذلك فزار آسيا الصغرى مارأ بمدينة أنطاكية ليصل منها الى سوريا ولينتقل بعدها الى مصر، ومنها رحل الى الحجاز، فغزة ، فالقدس، في بيروت ، وقد زار اليونان حسب رواية احمد المستشرقين^(٩) .

وقد زادت هذه الرحلات من خبرة هذا العالم في ميدان علم النبات وساعدت على اكتشاف المزيد من الأعشاب . وكما قلنا لم يكن ابن البيطار يألوا جهداً في سبيل الاجتماع بالعلماء العرب أيها حل . فكان لقاوه - على سبيل المثال - بنفيص الدين وتاج الدين البلغاري وغيرهم كثير^(١٠) .

ولم تقتصر علوم ابن البيطار على النبات والأعشاب بل شملت الطب والصيدلة أيضاً ، وفاقت شهرته على جميع الصيادلة في المقومن الوسطي^(٤) ، حيث كانت له تفاسير لأسماء أدوية كتاب ديسقوريدس^(٥) .

١ - في التعريف بحياة ابن البيطار :

ان لمحه وجيزة عن حياة هذا العالم العربي وعن رحلاته ومكانته العلمية والمصر الذي عاش فيه ضرورية لأن تجعلنا نقف على المشوار الذي قطمه قبل أن تطرق للقسم الثاني من هذه المقالة والذي يبحث في منهج ابن البيطار في الدراسة واكتشافاته العلمية وأغنى به مكتبة التراث العربي من كتب مؤلفاته .

آ - اسمه ولقبه وتاريخ وفاته :

هو ضياء الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد المالقي - نسبة الى مدينة مالقة في الأندلس^(٦) - المعروف بابن البيطار . ولد هذا العالم في الرابع الأخير من القرن السادس الهجري (لم يعرف تاريخ ميلاده بالضبط^(٧)) في مدينة مالقة ، وتلقى تعليمه في مدينة اشبيلية حوالي عام ٦١٧ هـ / ١٢١٩ م ، على أيدي علمائهما أبي العباس النباتي ، وعبد الله بن صالح ، وأبي الحجاج .

أما وفاته فكانت في مدينة دمشق في شهر شعبان من عام ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م .

مكانته العلمية :

أما في مصر فقد اتصل ابن البيطار بالملك الكامل الأيوبي^(١١) الذي كان يحكم مصر ودمشق^(١٢) . واعتمد الملك الكامل الأيوبي على هذا العالم في الأدوية والحتائش وجعله مقسماً في أيامه وحظياً عنده^(١٣) ، فسلمه حوالي عام ٦٢٨ هـ ١٢٣٠ م منصب رئيس العشائين وأصحاب البسطات في الديار المصرية^(١٤) ، وكان جعله رئيساً للأطباء في مصر^(١٥) . وكان تقاضي هذا العالم في خدمة الملك الكامل الأيوبي واخلاصه لذكراه دافعاً له ليقي في خدمة ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب^(١٦) بعد وفاة أبيه ، فكان حظياً مقرراً عنده في الوقت الذي عرف فيه ابن البيطار وذاع صيته واشتهر شهرة عظيمة .

ج - عصره :

عاش ابن البيطار في عصر عرف باضطراب الأحوال السياسية وتدحرج الأوضاع العامة . ففي الأندلس كانت دولة الموحدين على وشك الانهيار ، فحمد الناصر ، محمد الناصر ٥٩٦-٦١١ هـ / ١٢١٤-١١٩٩ م - أحد أحفاد مؤسس دولة الموحدين عبد المؤمن الكومي^(١٧) - انهزم أمام جيوش الفرنجة وفر إلى مراكش ، وكان أن سقطت بعدها دولة الموحدين عام ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م^(١٨) بعد أن تعاقب على حكمها عدة أمراء لم يفلح أحد منهم في البقاء على هذه الدولة .

أما في العراق فقد كانت الخلافة الإسلامية

تعيش عصيبة أو قاتماً . فالفرس والأتراك يتحكمون بمقاليد الحكم ، ويسيرون أمور الدولة على حسب أهوائهم . وكان الخليفة العباسيون العبرة في أيديهم^(١٩) . وكان الخطير يتحقق بالخلافة العباسية منذ أوائل القرن السابع للهجرة ، فالمغول بقيادة جنكيز خان استولوا على بخارى وسرقند وبليخ حوالي عام ٦١٧-٦١٦ هـ ١٢٢٠-١٢١٩ م ، ولقي المسلمين على أيديهم ضرباً مختلفة من الذل والهوان والمعذاب . وكانت نوايا المغول تتجه نحو غزو العراق الذي اجتاحته جيوشهم بعد معارك مختلفة انتهت بين كرٌ وفرٌ إلى أن بلغوا تخوم بغداد عام ٦٣٥ هـ ١٢٣٧ م^(٢٠) ليحاصروها ويضربوها بالمناجيق وكان أن سقطت بغداد عام ٦٥٦ هـ ١٢٥٨ م وكان ذلك إيذاناً بزوال الخلافة العباسية .

أما حالة العلم والعلماء فكانت في أصعب أوقاتها . فبعد أن عرفت بغداد ذلك العصر الذي تالت فيه العلوم والأداب والفنون، حيث كانت حركة الترجمة من لغات الشعوب والأمم المختلفة، على ما حوتها من آداب وعلوم وفلسفات ، إلى اللغة العربية على أشدتها في ذلك الوقت، وفتحت هذه الحركة أمام علمائنا وأدبائنا آفاقاً جديدة ووضعت بين أيديهم إمكانات هائلة ما كانوا ليصلوا إليها أو يعرفوها لو لا تلك الترجمات الغزيرة، لتجيء بعدها القراءع والأفكار العربية

فتريد عليها وتبتكر فيها بعد أن تمثلها ووعتها وشرحتها . بعد ذلك العصر المتألق أصبحت معلم الأزدهار والتقدم تض محل وشعلة الحضارة تتلاع ب بما رياح الاضطرابات والانقسامات والعرووب التي عرفها القرن السابع للهجرة ، إلى أن خبت وانطفأت مع استيلاء المغول على بغداد .

أما في الأندلس فان الحركتين العلمية والأدبية كانتا في أوج الازدهار والتقدم منذ أوائل الحكم الإسلامي فيها وبخاصة أيام الناصر الأموي (٢١) . فقد كان الاهتمام والاعتناء بمختلف نواحي العلوم والآداب والفنون جلياً واضحاً ، والآثار العمانية المتعددة والمتشترة في أطراف الأندلس شاهدة على هذا الاهتمام ، وذلك الاعتناء . الا أن هاتين الحركتين سرعان ما أصابهما الضعف مع تعاقب حكم الدول على الأندلس الى أن سقطت في أيدي الأفرنج عام ١٤٩٢ هـ / ٨٩٧ م (٢٢) .

٢ - منهج ابن البيطار في الدراسة والبحث واكتشافاته العلمية وما اغنى به مكتبة التراث العربي :

لعلنا في هذا القسم نبلغ بيت القصيد فننترف على ما أسمهم به ابن البيطار ، بنبوغه وتفوقة ومهاراته ، في العلوم التي برع فيها وأضاف إليها المزيد من الاكتشافات مغنياً مكتبة التراث بمؤلفاته ودراساته وببحوثه التي كان لها الإثر البعيد واليد الطولى في تطوير علوم

النبات والصيدلة والطب مبتدئين بشهادة تلميذه فيه .

أ - شهادة ابن أبي أصيبيعة في ابن البيطار :

كان ابن أبي أصيبيعة صاحب كتاب (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) تلميذاً لابن البيطار ، وقد صحبه في الكشف عن النباتات في منطقة دمشق ، وحدثنا ابن أبي أصيبيعة عن اجتماعه بأسناده وعن أخلاقه ومنهجه في الدراسة والبحث وطريقته في الكشف عن النباتات والأعشاب فقال: « وأول اجتماعي به كان بدمشق في سنة ثلاثة وثلاثين وستمائة، ورأيت أيضاً من حسن عشرته وكمال مروءته وطيب أعرقه وجودة أخلاقه ودرايته وكرم نفسه ما يفوق الوصف ويتعجب منه ، ولقد شاهدت معه في ظاهر دمشق كثيراً من النباتات في مواضعه ، وقرأت عليه أيضاً تفسيره لأسماء أدوية كتاب ديسقوريدس ، فكنت أجد من غزارة علمه ودرايته وفهمه شيئاً كثيراً جداً ، وكانت أحضر عدداً (٢٣) من الكتب المؤلفة في الأدوية المفردة ، مثل كتاب ديسقوريدس وجاليونوس والساقي وأمثالها من الكتب الجليلة في هذا الفن فكان يذكر أولاً ما قاله ديسقوريدس في كتابه باللغة اليوناني على ما قد صححه في بلاد الروم ثم يذكر جملة ما قاله ديسقوريدس من نعمته وصفته وأفعاله وما يتعلق بذلك . ويدرك أيضاً جملة من أقوال المؤاخرين فيه . ومواضع الغلط والاشتباه

ما لم يذكره وووصفت فيها عن ثقات المحدثين
وعلماء النباتيين ما لم يصنفه وأسندت في جلبيع
ذلك الأقوال الى قائلها وعرّفت طرق التقليل
فيها بذكر ناقلها واختصمت بما تم لي به
الاستبداد^(٤٥) وصح لي القول فيه ، وصح
عندى الاعتماد عليه .

(الغرض الثاني) صحة النقل فيما أذكره عن الأقدمين وأحرره عن المؤخرين فما صح عندي بالمشاهدة والنظر وثبت لدلي بالخبر ، ادخرته كثراً سرّاً وعددت نصي عن الاستعارة بغيري فيه سوى الله غنياً وما كان مخالفًا في القوى والكيفية والمشاهدة الحصبة في المنفعة واللاماهية للصواب والتحقيق أو أن ناقله أو قائله عدلاً فيه عن سواء الطريق بذاته ظهرياً وهجرته ملياً وقت لئاقه أو قائله ، لقد جئت شيئاً فرياً ولم أحاب في ذلك قديماً لسبقه ولا محدثاً اعتمد غيري على صدقه .

(الفرض الثالث) ترك التكرار حسب الامكان الا فيما تمس الحاجة اليه لزيادة معنى وتبیان .

(الغرض الرابع) تقرير مأخذة بحسب ترتيبه على حروف المجمم مفقى ليسهل على الطالب ما طلب من غير مشقة ولا عناء ولا تعب.
(التبيه الخامس) التبيه على كل دواء وقع فيه وهم" أو غلط تقدم أو متاخر لاعتماد أكثرهم على الصحف والتقليل واعتمادي على التجربة والشاهددة حسب ما ذكرت قبل .

الذى وقع بعضهم فى نعنه ، فكانت أراجح تلك الكتب معه ، ولا أحده يغادر شيئاً مما فيها ، وأعجب من ذلك أيضاً أنه ما كان يذكر دواء إلا ويعين في أي مقالة هو من كتاب ديسقوريدس وجالينوس ، وفي أي عدد هو من جملة الأدوية المذكورة في تلك المقالة «^(٢١)» .

بـــ منهجه في الدراسة والبحث :

ان الأسلوب الذي سلكه ابن البيطار في وضعه لمؤلفاته والطريقة التي اعتمد عليها في بحوثه ودراساته تستحقان كل تقدير واعجاباً . وحربي بن يضع مناهج للدراسة والبحث في آيامنا هذه لأن يعتمد لها لما فيها من براعة ودقة وأمانة علمية . ولترى لابن البيطار نفسه أن يحدثنا عن الأغراض التي توخاها والمنهج الذي اتبعه في التأليف حين أخرج كتابه المشهور (الجامع لمفردات الأدوية والأعذية) .

كتب ابن البيطار في مقدمة كتابه هذا :
(الفرض الأول) بهذا الكتاب استيعاب القول
في الأدوية المفردة والأعذية المستعملة على
الدوام والاستمرار عند الاحتياج إليها في ليل
كان أو نهار ، مضافا إلى ذلك ذكر ما يتضمن
به الناس من شعارات ودلائل واستوعبت فيه جميع
ما في الخمس مقالات من كتاب الأفضل
ديستوريدس بنصه وكذلك فعلت أيضاً بجميع
ما أوردته الفاضل جالينوس في السنتين مقالات
من مفرداته بنصه ثم ألحقت بقولهما من آقوال
المحدثين في الأدوية النباتية والمعدنية والحيوانية

(الفرض السادس) في أسماء الأدوية
بسائر اللغات المتباينة في السنوات مع أني لم
اذكر فيه ترجمة دواء الا وفيه منفعة مذكورة
أو تجربة مشهورة «^(٢٣)».

أن يلتفت انتباه الباحثين والمختصين وأن تترجم
كتاباته ومؤلفاته لتكون في متناول كل طالب
للعلم وكل مجتهد للدراسة والبحث .

ج - اكتشافاته العلمية :

لقد أسمم ابن البيطار في مجال النبات
والصيدلة باكتشافاته العلمية البارزة سواء عن
طرق العثور على نباتات جديدة أثناء تع gioale
ورحلاته ذاكرا خواصها وفوائدها الطبية ، أم
بالشروط واللاحظات التي دونها فيما يتعلق
بتخزين النباتات المختلفة وحفظها وبمؤلفاته
المهمة في علم الأقربادين .

١ - ففي ميدان حفظ النباتات وتخزينها:
كان ابن البيطار : «أول من شرح تأثير التخزين
والحفظ على المواد الفعالة والكمونات الغذائية
الموجودة في النبات» ^(٢٩) : مما سمح فيما بعد
بوصف «الأسس العلمية لحفظ وتخزين النباتات
الطبية والقطرية ، بالإضافة إلى الحبوب أمثل
الحنطة وغيرها» ^(٣٠) . وبذلك سبق هذا العالم
بشروجه الدراسات الحديثة التي اعتمدت أصلًا
على مؤلفاته ومؤلفات غيره من العلماء العرب
لوضع الأصول التي ساعدت على حسن تخزين
وحفظ مختلف أنواع النباتات والحبوب لتصنع
إلى ما نعرفهاليوم من أسس وطرق لحفظ
والتعليق .

٢ - أما عن عثوره على نباتات جديدة :
فسيكون من الإطالة أن نعدد كل ما عثر عليه

ومن هذه المقدمة نلاحظ أن أسلوب ابن
البيطار في وضعه لمؤلفاته كان البدء بالتعريف
باسم أحد الأدوية ثم اعطاء عدة مرادفات لهاـذا
النوع مع العودة إلى ما كتبه الطلم اليوناني
ديسقوريدس وكذلك العالم جالينوس فيما
يختص هذا النوع ومن ثم يستشهد ابن البيطار
بالمحدثين من العلماء العرب في أيامه وبالدرجة
الأولى الفافقـي واسحقـ بن عـمرانـ والـدينوري ^(٣١) .
كما عرفنا ذلك من شهادة ابن أبي أصيـعـة .
وكـانـ ابنـ البيـطاـرـ يـعتمدـ عـلـىـ الـخـبـرـةـ
وـالـتجـربـةـ وـلـاـ يـتـرـدـ عـنـ نـبـذـ ماـ يـراهـ مـخـالـفاـ لـماـ
شاـهدـهـ وـلـسـهـ بـعـدـ الـخـبـرـةـ وـالـتجـربـةـ معـ الدـقةـ فيـ
الـنـقـلـ وـعـدـمـ التـكـرارـ حـرـيـصـاـ فـيـ الـوقـتـ نفسـهـ
عـلـىـ حـسـنـ التـرـتـيبـ عـلـىـ حـرـوفـ الـمـجـسـمـ معـ
التـبـيـيـهـ عـلـىـ كـلـ وـهـ أوـ غـلـطـ اـرـتكـبـهـ أـحـدـ مـنـ
الـأـقـدـمـينـ اوـ الـمـحـدـثـينـ مـبـدـيـاـ رـأـيـهـ فـيـ حـالـ وـجـودـ
تـنـاقـضـاتـ اوـ اـخـلـاقـاتـ بـيـنـ الـعـلـمـاءـ الـمـخـصـصـينـ ^(٣٢) .
مـحـفـظـاـ لـكـلـ دـوـاءـ بـاسـمـ الـذـيـ يـعـرـفـ فـيـ مـوـضـعـ
نبـاتـهـ مـتـرـجـمـاـ لـهـ إـنـ كـانـ فـيـ مـنـفـعـةـ اوـ فـانـدـةـ،ـ
وـفـيـ هـذـاـ كـلـ الصـدـقـ وـالـأـمـانـةـ الـعـلـمـيـةـ الـتـيـ
يـجـبـ أـنـ يـتـحـلـيـ بـهـمـاـ كـلـ بـاـحـثـ اوـ دـارـسـ،ـ
وـهـكـذـاـ كـانـ حـالـ ابنـ البيـطاـرـ الـذـيـ وـضـعـ مـنـهـجاـ
فـرـيدـاـ فـيـ الـبـحـثـ وـطـرـيـقـةـ مـثـلـ لـلـدـرـاسـةـ فـاستـحقـ

فلوز البربر اسم بربري لأحد النباتات الذي احتفظ به ابن البيطار حين وضع مؤلفه الشهور (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية)^(٣٥) . وفي ذلك ما يدل على الدقة والأمامنة العلمية اللتين تحدثنا عنهما أتساء تعرضاً لطريقته في البحث والتأليف .

ومن النباتات التي جاء ابن البيطار على ذكرها الموجودة في مناطق (مصر) هناك العديد المعروف منها في أيامنا هذه ، فعلى سبيل المثال لا الحصر : البامية ، الترمس ، الشمام ، الطroxون ، الهليون^(٣٦) .

اما عن النباتات الجديدة، ففي خلال تجواله بالقرب من مدينة قسطنطينية (الجزائر) ، قطف ابن البيطار لأول مرة نبات Le PYRETHRE أو ما يسمى بغرديب . وفي تونس عثر على نبات Le TAFRAIT دللغ^(٣٧) . وفي ليبيا دوّن ملاحظاته لأول مرة عن نبات L'OUCHCHAR^(٣٨) . هذا عن رحلته في بلدان المغرب^(٣٩) ، أما في بلدان المشرق فقد قطف ابن البيطار في غزة او ما يسمى بخشيشة La PASSERINE المصسور ، وفي القدس قطف Le COIX LACRYMAJOB ، وفي لبنان Le DAPHNOÏDES أو ما يسمى بشولة الصبار^(٤٠) . أما مؤلفاته الهمة في علم الأقرباب الذين فسخروا لها فقرة خاصة الا أننا نشير سلفاً الى الطريقة

ابن البيطار أثناء تجواله وتنقلاته بين قطر وآخر، وحسيناً أن نشير هنا الى بعض النباتات سواء المعروفة منها في أيامنا هذه لدى عامه الناس، أو تلك التي هي أقل تداولاً . ومعرفة مشيرين في الوقت نفسه الى ظاهرة جد هامة في طريقة التدوين التي اتبعها ابن البيطار لأسماء النباتات إلا وهي احتفاظه بالأسماء البربرية للنباتات التي وجدها وقطفها^(٤١) ، فعلى سبيل المثال نبات Argan أو (ارجان) وهو ما يعرف ثمره في بلدان المغرب باسم (لوز البربر) . فقد كتب ابن البيطار عن هذا النبات ما نصه : « (لوز البربر) ابن رضوان^(٤٢) هو ثمر شبيه بصنوبر البلوط أصفر اللون في أحد جوابيه ثقب غير فاذة الى داخله وداخله شيء بحب الصنوبر يجلب من شجر كبار بالمغرب الأقصى حار يابس للبطن ودهنه ينفع من الطرش القديم ووجع الأذن تماماً يبتأ والشربة منه التي تمسك البطن نصف درهم . لي هذا^(٤٣) هو الهرجان والبربر بالمغرب الأقصى يسمونه أرجان وهو شجر يكون بالمغرب الأقصى بقبيلة مراكش يبلاد حاحا وركراكا كثير الشوك حديده يمنع شوكه من الوصول الى جنبي ثمرته ويستخرج من ثمرته دهن بأن تعطى ثمرته المز أو الإبل تأكله عند نضجها على شجره ، فإذا أكلته ورمت بنواه من بطونها فحيثئذ يلقطونه ويكسرونه كاللوز ويأخذون به فيطحن كالزيتون ويستخرج منه دهن يتأدم به وهو عندهم من أفضل الأدهان وأرقها وسمى زيت الأركان^(٤٤) .

وتحريزها ومنافعها مبيناً الصحيح منها وما وقع
الاشتباه فيما .

ولقد ذكرنا في معرض حديثنا عن منهجه
في الدراسة والبحث الأغراض التي توخاها حين
وضع مؤلفه هذا ، وحسبنا ان تشير هنا الى
شهادة ابن أبي أصيبيع – الذي كان كاتبه
(عيون الأنباء في طبقات الأطباء) أعظم الكتب
أوأفاتها في تراجم الأطباء العرب^(٤٢) – فقد
قال : « لم يوجد في الأدوية المفردة كتاب أجمل
ولا أجود منه »^(٤٣) ، ذاكراً أن ابن البيطار قد
صنف كتابه هذا للملك الصالح نجم الدين أيوب
حين كان مقيناً في مصر^(٤٤) .

لقد كان المرجع الأساسي لكتاب (الجامع
لمفردات الأدوية والأغذية) حسب رواية
الدكتور مايرهوف^(٤٥) – كتاب أحمد الفاتقي
المتوفى سنة خمسمائة وخمسين هجرية .

طبع هذا الكتاب في القاهرة (بولاق) سنة
١٢٩١ هـ - ١٨٧٤ مـ في أربعة أجزاء وقد
ترجمه إلى اللغة الفرنسية الدكتور لوسيان لوكلير
Lucien LECLERC وساحت هذه الترجمة
بالقيام بأبحاث عديدة في علم الأقرياذين عند
العرب . وقد قام ابن منظور صاحب (السان
العرب) بوضع مختصر لكتاب ابن البيطار ،
وهذا المختصر موجود في الخزانة التيمورية^(٤٦) .

٢ - ومن كتبه المشهورة أيضاً كتاب
(المغني في الأدوية المفردة)^(٤٧) ، وهو مرتب

التي اتتهجا ابن البيطار وأمثاله من العلماء
العرب في وضعيهم لكتب المقاير من شرح
للمرادفات اليونانية والمعربة واللاتينية مما
جعل علماء الغرب أمثال سيمون دي كوردو
Simon DE CORDO يحدون حذفهم فيما
بعد في وضعهم لمحاجتهم ومؤلفاتهم^(٤٨) .

د - كتبه ومؤلفاته :

لقد كان حصيلة ما تركه ابن البيطار من
كتب ومؤلفات دليلاً واضحاً وبرهاناً جلياً على
تفوق هذا العالم ونبوغه في مجالات النبات
والطب والصيدلة مما جعله يرقى إلى مصاف كبار
علماء المسلمين الذين أغروا المكتبةين العربية
والإسلامية بالبحوث والدراسات والمجلدات ،
وان لم فقل نحن أحفاد أولئك العلماء باستغلال
ذلك الرصيد الهائل من المعرفة والعلوم تاركين
لأوروبا أن تستفيد منه وستستله في بناء
حضارتها ومجدها العلمي ، فحرى بنا اليوم
أن نولي هذه الثروة العلمية اهتماماً ونكرس
لها من وقتنا ما يعيد إليها بريقها ولعلها بالبحث
والدراسة والتقييب .

أما ما عرفناه من كتب ابن البيطار
ومؤلفاته فهي :

١ - كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية :

هذا الكتاب من أشهر كتب ابن البيطار
عمد فيه إلى ذكر الأدوية المفردة وأسمائها

بحسب مداواة الأخصاء ، وقد استعمله ابن السوئيدي^(٤٨) - تلميذ ابن البيطار - لتأليف كتابه (السمات في أسماء النبات)^(٤٩) .

لقد أتى ابن البيطار كتابه هذا بعد أن كتب (الجامع لمرفات الأدوية والأغذية) مما أتاح لهذا العالم أن يضيف عدداً لا يأس به من الوثائق الجديدة في كتابه المغني ، الذي ينقسم إلى عشرين فصلاً يحوي كل واحد منه على الأدوية النافعة لمعالجة مرض من الأمراض ،

فعلى سبيل المثال :

الفصل الأول : يحوي على الأدوية المتعلقة بمعالجة أمراض الرأس .

الفصل الثاني : يحوي على الأدوية المتعلقة بمعالجة أمراض الأذن .

الفصل الثالث : يحوي على الأدوية المتعلقة بمعالجة أمراض العيون .

أما الفصول الأربع الأخيرة من هذا الكتاب القييم فهي :

الفصل السابع عشر : يحوي على الأدوية المستعملة للتجميل .

الفصل الثامن عشر : يحوي على الأدوية المستعملة ضد الحرارة أو فساد الجو .

الفصل التاسع عشر : يحوي على الأدوية المستعملة ضد السووم .

الفصل العشرون : يحوي على الأدوية الأكثر استعمالاً في الطب^(٥٠) .

ولم يكتف ابن البيطار في كتابه هذا بذلك الأدوية بل أدى برأيه فيها بعد أن أخضمنا للتجربة واللاحظة . فمثلاً مما ذكره عن مرض الجدري . أنه حالماً ظهر البقع عند الطفل يجب أن نذلك له باطن القدم بالحننة مما يجنبه - حسبما لاحظه ابن البيطار - أن تظهر مثل هذه البقع على العيون^(٥١) .

وقد لاحظ لوكلير أن (المغني في الأدوية المفردة) كان متadelاً في التفصيات المتعلقة بعلم الأمراض على خلاف تلك المتعلقة بالتاريخ الطبيعي وفي هذا النطاق نجد عدة وقائع لا نجدها في كتاب (الجامع لمرفات الأدوية والأغذية)^(٥٢) .

ولازال كتاب (المغني في الأدوية المفردة) مخطوطاً^(٥٣) ، وقد ساعد هذا الكتاب على التعرف على حياة ابن البيطار^(٥٤) . وقد أهدى هذا العالم كتابه المغني للملك الصالح نجم الدين أيوب^(٥٥) .

٣ - كتاب (الإنابة والإعلام بما في المنهاج من الخلل والأوهام) : والمنهج هو كتاب ابن جزءة^(٥٦) (منهاج البيان فيما يستعمله الأنسان) مخطوط - وقد رتبه ابن جزءة على العروض وجمع فيه اسماء الحشائش والععقاير والأدوية^(٥٧) . وفي كتابه (الإنابة والإعلام بما في المنهاج من

العالم الإسلامي ابن البيطار ، الذي شملت علومه واختصاصاته مجالات النبات والصيدلة والطب، وان كنا قد أغفلنا من ذكر أخباره أو كغير قدره وسعة اطلاعه وعلومه وعظيم تفوقة وبنوعه فعدرنا أنها محاولة متواضعة أردنا منها أن نلفت انتباه أخواتنا المشتغلين والمتخصصين في علوم ابن البيطار لعل ما بقي من كتبه المخطوطة أو المطبوعة – وما أندرها – يلقى الاهتمام للترعرع للطبع والشرح والتعليق ، فمهما تعاقبت القرون والسنون على كتب التراث فإن قيمتها لا تضيع ويريقها لا يتلاشى وبخاصة ما جاء به بنوغ ابن البيطار وذكاؤه ، فما قامت عليه علوم الصيدلة والنبات قد بني على هذه الكتب وعلى غيرها من مؤلفات العلماء العرب والتي لها علينا ولأصحابها الحق كل الحق بالحفظ والإشادة والتذكير .

- ١ - الخل والأوهام) عمد ابن البيطار الى شرح أدوية كتاب ديسقوريدس (٤٠) .
- ٤ - كتاب (ميزان الطيب) ولا يزال مخطوطاً (٥٩) .
- ٥ - كتاب (الأفعال الغريبة والغواص العجيبة) (٦٠) .
- ٦ - (رسالة في الأقضية والأدوية) (٦١) .
- ٧ - (مقالة في الليمون وشرابه ومنافعه) (٦٢) .
- ٨ - كتاب (جامع المنافع البدنية في طب البربر) (٦٣) .
- ٩ - (رسالة في تداوي السموم) (٦٤) .

□ الغاتمة :

وبعد ، فهذا غيض من فيض لما احتوته مكتبة التراث العربي ، وما كتبه المستشرقون عن



□ هؤامش :

- ١ - هو موقف الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الغزري : طبيب مؤرخ ولد في مدينة دمشق عام ٥٩٦هـ / ١٢٠٠م . سليل عائلة خرجت علة أطباء «أقام في مدينة دمشق وتوفي بمصر» . المعروفة اليوم يصلفه - (حوران) عام ٦٦٨هـ / ١٢٧٠م . له عدة مؤلفات أشهرها (عيون الأنبياء في طبقات الأطباء) . راجع الأعلام لغير الدين الزركلي منشورات مطبعة كوشتناسوس وشركاه «القاهرة» : ١٣٢٤هـ / ١٩٥٤م . الطبعة الثانية ج ١ ص ١٨٨ . والموسوعة الإسلامية الصادرة باللغة الفرنسية الطبعة الثانية منشورات :

E. J. BRILL LEYDE - G. P. MAISONNEUVE et LAROSE S. A. PARIS 1971

- الجزء الثالث من (٧١٥ - ٧١٦) .
- ابن أبي اصبعية . عيون الأنبياء في طبقات الأطباء «باب الرابع عشر» ص (١٠١) . شرح وتحقيق الدكتور نزار رضا . منشورات مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٥م .
- لوسيان لوكلير : دراسة تاريخية ولغوية عن ابن البيطار . مقالة منشورة في المجلة الآسيوية الصادرة باللغة الفرنسية من (٤٣٧) . شهر حزيران من عام ١٨٢٦م .

LECLERC Lucien « Etude Historique et Philologiques sur EBN BETTAR » Journal Asiatique . Juin 1962, p. 437.

- ٤ - جلال مظفر . اثر العرب في الحضارة الأوروبية . منشورات دار الرائد بيروت ١٩٦٢ م . ص (٢٢٣) .
- ٥ - ديسقوريديس : طبيب يوناني ولد في عين ذرية في آسيا الصغرى في القرن الأول بعد الميلاد .
- ٦ - مالقة - حسب ما أخرجه ياقوت العموي في مجمع البلدان . منشورات دار صادربيروت ١٩٧٧ م . الجزء الخامس ص (٤٣) : « مدينة بالأندلس عاصمة من أعمال رأس سورها على شاطئه البعير بين العبرة والمرية » .
- ٧ - هناك من المستشرقين من ذكر أن ولادة هذا العالم كانت في عام ١١٩٧ م . الا ان الدكتور لوكلير لم يعتمد هذا الرأي . راجع لوسيان لوكلير . تاريخ الطب العربي . منشورات برت فرانكلين - نيويورك ١٨٧٦ م . الجزء الثاني ص (٢٢٥) .
- LECLERC lucien. Histoire de la médecine arabe. Editions Burt Franklin, N.Y. 1876. Tome II, p. 225.*
- ٨ - المرجع السابق ص (٢٢٦) .
- ٩ - روثية باسية . الأسماء البربرية للنباتات في الجامع لفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار . في مجلة الجمعية الآسيوية الإيطالية . لعام ١٩٩٩ م . ص (٩٦) .
- BASSET René. les nom berbères des plantes dans le traité des simples d'Ibn ELBEITAR. Giornal della Società Asiatica Italiana. Volume Doclicesiom 1899, p. 53.*
- ١٠ - لوكلير . تاريخ الطب العربي . الجزء الثاني ص (٢٢٨) .
- ١١ - هو محمد بن أيوب من سلاطين الدولة الأيوبيّة . ولد بمصر وتولى حكمها بعد وفاة أبيه سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٧ م . وأمنت حدود الدولة الأيوبيّة أيام حكمه تصل إلى ديار الشام ، كما دخل ابنته (الملكة المسعود) سنة ٦٢٠ هـ / ١٢٢٢ م . ملكة المكرمة . وقد تولى الملك الكامل في دمشق عام ٦٢٥ هـ / ١٢٣٨ م . ودخل في قلعتها . راجع الأسلام للزركلي . الطبعة الثانية الجزء السابع . ص (٢٥٥) .
- ١٢ - الدكتور احمد السعيد سليمان . تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الأسر العاكمة . منشورات دار المعارف بمصر عام ١٩٧٢ م . الجزء الأول من (٤٢) .
- ١٣ - محمد بن شاكر بن أحمد التكتبي . قوافل الوفيات من (٤٣٦) . وهو ذيل على كتاب وليات الاعيان لابن خلكان . حققه وبصيغة وعلق حواتيه محمد محيي الدين عبد العميد . وطبع في مطبعة السعادة بمصر ، ١٩٥١ م .
- ١٤ - ابن أبي أصيبيعة . عيون الأنباء في طبقات الأطباء . الباب الرابع عشر .
- ١٥ - أرنست سيكينبرجر . النباتات المصرية لابن البيطار . مقالة منشورة في مجلة المعهد المصري الصادرة باللغة الفرنسية . الجزء الثاني ، رقم (١٠) لعام ١٨٨٩ م . القسم الثاني من العدد من (٣) .
- SICKENBERGER Ernest. « les Plantes Egyptiennes d'Ibn Beithar ». Bulletin de l'Institut Egyptienne. Deuxième Série No. 10. Année 1889. Deuxième Partie, p. 3.*
- ١٦ - هو أيوب بن محمد بن أبي بكر بن أيوب من كبار ملوك بنى أيوب في مصر . ولد في القاهرة عام ٦٠٣ هـ / ١٢٠٦ م ، وولي الحكم بعد وفاة أبيه عام ٦٣٥ هـ / ١٢٣٨ م . مات الملك الصالح بالتصورة في مصر عام ٦٤٧ هـ / ١٢٤٦ م . ولد عزف بالشجاعة والعزم أيام حكمه . راجع الأسلام . للزركلي . الطبعة الثانية الجزء الأول من (٣٨٢) .
- ١٧ - هو عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلى بن مروان ، أبو محمد الكلمي ، مؤسس دولة الوهابيين في المغرب ، وأفريقيا وتونس . كانت ولادته عام ٤٨٧ هـ / ١٠٤٦ م في مدينة تاجرت قرب تلمسان في الجزائر . ينويه أميراً للمؤمنين عام ٥٢٦ هـ / ١١٣١ م بعد أن تم له الأمر في المغرب الأقصى عقب وفاة المهدي ابن تومرت . دخلمراكش عام ٥٤١ هـ .

- ١٤٦ م و خضع له المفاسن الأقصى والأوسيط . استولى على أشبيلية وقرطبة وغرناطة والجزائر والمهدية وطرابلس الغرب . توفي في رباط سلا عام ٥٥٨ هـ / ١١٦٣ م ونقل إلى تيميل ليدفن فيها . راجع الأعلام . للزركلي ، الطبعة الثانية . الجزء الرابع . من (٣١٩) .
- ١٨- محمد أسعد طلس . تاريخ الأمة العربية . عصر الاتساق . الطبعة الأولى . منشورات دار الأندلس بيروت ١٩٥٨ م . من (٢٥٤) .
- ١٩- محمد أسعد طلس . تاريخ الأمة العربية عصر الانتماء . الطبعة الأولى منشورات دار الأندلس بيروت ١٩٦٣ م . من (٨) .
- ٢٠- المرجع السابق من (٩) .
- ٢١- هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الرحمن الداخل ، أبو المطر الروانى الأموي . كان أول من تلقى بالخلافة من رجال التولى الأموية فى الأندلس وكان ذلك عام ٢١٦ هـ / ٩٢٨ م . ولد فى عام ٢٧٧ هـ / ٨٩٠ م فى قرطبة وتوفي فيها عام ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م . راجع الأعلام للزركلى الطبعة الثانية . الجزء الرابع . من (٩٩ - ١٠٠) .
- ٢٢- محمد أسعد طلس . تاريخ الأمة العربية . عصر الاتساق . الطبعة الأولى من (٢٥٧) .
- ٢٣- وأمهه قصد : أحضر دراسة عدة من الكتب .
- ٢٤- ابن أبي أصيبيع . عيون الأنباء في طبقات الأطباء . الباب الرابع عشر .
- ٢٥- ولعله قصد (الاستاد) .
- ٢٦- نقلنا ما جاء في هذه المقدمة من أحدث نسخ كتاب ابن البيطار (الجامع لفردات الأدوية والأذية) . الجزء الأول من (٢ - ٢) . والمطبوع حسب ما ورد في الصحفتين (٢١٠ - ٢١١) من نهاية الجزء الرابع في مطبعة ابن ابراهيم بن محمد على (بولاق) . حيث تمت طباعة هذه النسخة في أواخر القرن من ستة مائتين وalf واحد من وتعين هجرية . وهذه النسخة موجودة في المكتبة الوطنية لمدينة سترايسبورغ بفرنسا تحت الرقم س ١١٤٥٤ .
- ٢٧- هو أحمد بن داود بن وند الدينوري ، أبو حنيفة . عالم ومؤرخ نباتي وهو من أوائل المسلمين الذين قاموا بوضع اسمه تصنيف النبات في القرن الثالث الهجري . ترك عدة مؤلفات منها ما طبع مثل « الأنبات الطوال » وهو منتشر في التاريخ . لم يعرف تاريخ ميلاده ، إلا أن وفاته كانت في عام ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م . راجع الأعلام . للزركلى . الطبعة الثانية الجزء الأول . من (١١٩) .
- ٢٨- لوكلي . دراسة تاريخية ولغوية عن ابن البيطار . من (٤٣٤) .
- ٢٩- الدكتور علي مجدوب . علوم الزراعة والبيطرة في الحضارة الإسلامية . الإسلام اليوم : مجلة المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة . العدد الأول . ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢ م . من (٥٧) .
- ٣٠- المرجع السابق . من (٥٧) .
- ٣١- لوكلي . تاريخ الطب العربي . الجزء الثاني من (٢٢٦) .
- ٣٢- يدا ابن البيطار يذكر ما كتبه أحد العلماء العرب عن هذا النبات وهو ابن رضوان . وابن رضوان هذا هو على ابن رضوان بن علي بن جعفر ، أبو الحسن : طبيب ، رياضي ومن العلماء من أهل مصر . لم يعرف تاريخ ميلاده وكانت وفاته عام ٤٤٢ هـ / ١٠٦١ م . له عدة مؤلفات وترجمات ومن كتبه المطبوعة « دفع مضار الإيدان » . وقد كان حبيب ما ذكره ابن تفريزيرى : من كبار الفلسفه في الإسلام . ومن كتبه في هذا المجال « حل شكوكه الرائي على كتب جالينوس » . المستعمل من المتفق في العلوم والصناعه « التوسيط بين ارسسطو وخصوصه » . راجع الأعلام . للزركلى . الطبعة الثانية . الجزء الخامس من (١٠٠) .

- ٣٤- ويقصد هنا ابن البيطار نفسه .
- ٣٤- ابن البيطار . كتاب الجامع لغيرات الأدوية والأغذية . مطبعة اسماعيل بن ابراهيم بن محمد على ١٢٩١ هـ / ١٨٧٤ م . الجزء الرابع ص (١١٦) .
- ٣٥- رئيسيه باسية . الأسماء البريرية للنباتات في الجامع لغيرات الأدوية والأغذية لابن البيطار . ص (٥٨) .
- ٣٦- ارنسن سكينبرجر . النباتات المصرية لابن البيطار . ص (١١ ، ١٠ ، ٩) . ذكر سكينبرجر أن ابن البيطار أشار إلى تسع وتسعين نباتاً من نباتات مصر وانه (اي سكينبرجر) أكد وجود واحد وخمسين من هذه النباتات . وان هناك أحد عشر نباتاً لم يتمتع أحد على وجودهم وانه قد توصل لتحديد خمسة منها على خلاف السنة البالية وانه رفض وجود أو طعن في ستة ولائين نباتاً وبذلك يكون المجموع تسع وتسعين نباتاً . راجع مقالته ص (٣) .
- ٣٧- جاء ابن البيطار على ذكر هذا النبات في كتابه (الجامع لغيرات الأدوية والأغذية) ، الجزء الثاني ص (٩٥) : « (دلخ) أبو العباس النباتي يقال مخصوص الدالساكن اللام بعلها دال آخر مضمومة ثم فين معجمة اسم بلاد بيت المقدس للنوع المريض الورق من الكلخ المعروفة بفرطانة من بلاد الأنجلوس بالكلغ الدلي . وبغيرها من بلاد البربر بالتأفيرا مختبر عندهم في النفع للأوجاع ويزد في الباه شرباً قال المؤلف هذا النماء المسمى باليونانية سفنتوليون » .
- ٣٨- لوسيان لوكلير . تاريخ الطب العربي . الجزء الثاني ص (٢٢٦) .
- ٣٩- المراجع السابق . ص (٢٢٦) .
- ٤٠- المراجع السابق . ص (٢٢٨) .
- ٤١- جلال مظہر . اثر العرب في الحضارة الأوروبيّة . ص (١٩٨) .
- ٤٢- الدكتور ثناles حمارنة . تراث الأطباء العرب . مجلة التراث العربي . العدد الرابع . السنة الثانية . آذار ١٩٨١ م . ص (٣) .
- ٤٣- ابن أبي أصيبيعة . عيون الأنبا في طبقات الأطباء . الباب الرابع عشر .
- ٤٤- شحاته فتواتي . تاريخ الصيدلة والعقاقير في المهد القديم والوسيط . منشورات دار المعرف بمصر ١٩٥٩ م . ص (٦٩) .
- ٤٥- المراجع السابق ص (١٦٩) .
- ٤٦- راجع مجلة الجمع العلمي العربي . دمشق . المجلد الثالث . الجزء العادي عشر - تشرين الثاني عام ١٩٧٢ م . ص (٣٦) .
- ٤٧- في ترجمة قوات الوفيات اسم الكتاب (المفتى في الطب) .
- ٤٨- هو ابراهيم بن محمد بن علي بن طرخان الانصاري ، أبواسحاق ، عز الدين ، من ولد سعد بن معاذ ، من الاوسن ، نسبة الى السويداء . طبيب دمشقي كانت ولادته عام ٦٠٠ هـ / ١٢٠٤ م . عمل طبيباً في « اليمارسان التسويي وبيمارسان باب البريد » في دمشق . نه في الطب « الذكرة الهاشمية » . و . الباهر في خواص الجواهر . توفى عام ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م . راجع الأعلام . للزرکلي . الطبيعة الثانية . الجزء الأول ص (١٠) .
- ٤٩- شحاته فتواتي . تاريخ الصيدلة والعقاقير في المهد القديم والوسيط . ص (١٦٩) .
- ٥٠- لوسيان لوكلير . تاريخ اطباء عند العرب . الجزء الثاني ص (٢٢٥ - ٢٢٦) .

- ٥١- المرجع السابق . ص (٢٣٦) .
- ٥٢- المرجع السابق . ص (٢٣٦) .
- ٥٣- هذه المخطوطة موجودة في باريس وهناك عدة روايات لرقم هذه المخطوطة . فقد كتب لوكلير أنها تحت الرقم /١٠٠٨/ في المجموعة القديمة ، أما في المجموعة الجديدة فهي تحت الرقم /١٠٢٩/ . أما في موسوعة بروكلمان ص (٦٤٨) فالمخطوطة موجودة في باريس تحت الرقم (II/٢٩٩٠) ، أما في الملحق الأول لنفس الموسوعة ص (٨٩٧) فهي تحت الرقم (٥٧٧٧٥٦٢٣) .
- ٥٤- لوسيان لوكلير . تاريخ الطب عند العرب . الجزء الثاني ص (٢٣٦) .
- ٥٥- الموسوعة الإسلامية الصادرة باللغة الفرنسية . الطبعة الثانية . الجزء الثالث ص (٧٦٠) .
- ٥٦- هو يحيى بن عيسى بن جرارة البقدانى ، أبو علي . لم يُعرف تاريخ ميلاده . كان ياخذ من أهل بغداد ، وامام انتطب في عصره . كان مسيحياً واسلم في سنة ٦٦٦ هـ وانتصل بالقديس ياش العباسي . من كتبه بالإضافة للمنهاج : « تقويم الأبدان » وهو مطبوع . و « الاشارة في تلخيص العبارة » و رسالة « الرد على النصارى » و رسالة في « فضائل الطب » كانت وفاته في سنة ٤٩٣ هـ / ١١٠٠ م .
- ٥٧- راجع الأعلام . للزركلى . الطبعة الثانية . الجزء التاسع . ص (٢٠٢ - ٢٠٣) .
- ٥٨- في الفاتيكان نسخة منه وقد ترجم الى اللاتينية عام ١٥٣٢ م . الاعلام للزركلى . الطبعة الثانية . الجزء التاسع . ص (٢٠٢) .
- ٥٩- ابن أبي أصيبة . عيون الأنبياء في طبقات الأطياه . الباب الرابع عشر .
- ٦٠- الاعلام . للزركلى . الطبعة الثانية . الجزء الرابع ص (١٩٧) .
- ٦١- ابن أبي أصيبة . عيون الأنبياء في طبقات الأطياه . الباب الرابع عشر .
- ٦٢- الموسوعة الإسلامية الصادرة باللغة الفرنسية . الطبعة الثانية ١٩٧١ . الجزء الثالث ص (٧٥٩) .
- ٦٣- موسوعة بروكلمان . الصادرة باللغة الألمانية . الملحق الأول لعام ١٩٣٧ م . ص (٨٩٧) .
- ٦٤- المراجع السابق . ص (٨٩٧) .

★ ★ ★

كتب تراثية وفكريّة

العالم الإسلامي اليوم THE MUSLIM WORLD TODAY

تأليف س. أمجد علي^(١)

هو الكتاب المصور الوحيد الشامل الذي يتناول العالم الإسلامي الراهن في مجلد واحد. مقدمته تزود بمعلومات ثمينة كتبها الملاحة البارز ن. أ. بالوخ وتوطنته المثيرة وضمنها آل. بروهي ومدخله يروي بقصة مثيرة تحرر العالم الإسلامي وخلاصه من سيطرة الاستعمار واليقطنة السياسية والدينية التي كانت سبباً ذلك الخلاص والتحرر .

يتناول الكتاب بفصوله البلدان الستة والأربعين الإسلامية المستقلة ويفرد لفلسطين دراسة خاصة .

وهو يصف في كل فصل أرض البلد جماء ثم يصف شعبه الذي يعيش فيه ثم يعطي خلاصة عن تاريخه من أوغله في القديم إلى أحدث في العصر الحاضر . ويطرق الكتاب إلى الاقتصاد أيضاً بوقائعه وأرقامه وشأنه مقاطع عن الشؤون المالية والتخطيط والزراعة والصناعة والنقل والتجارة والتربيـة والصحـة ويخص الكتاب ببعضين مستقلين في الفصل السادس انتشار الإسلام والنجاح الذي لقيه في أوروبا وأمريكا .

وثمة خريطة لكل بلد من البلاد الإسلامية والعربية وألف صورة ملونة وهذا يضفي على الكتاب قيمة وأهمية خاصة :

الفصل الأول : مقدمات .

الفصل الثاني : مسلمو الشرق الأقصى .

الفصل الثالث : مسلمو الشرق الأوسط .

الفصل الرابع : مسلمو شمالي إفريقيا .

الفصل الخامس : مسلمو جنوبى الصحراء الإفريقية .

الفصل السادس : مسلمو أوروبا وأمريكا .

والكتاب صدر ضمن سلسلة يصدرها المجلس الوطني للهجرة في باكستان احتفالاً بدخول القرن الخامس عشر الهجري وقد ظهر عام ١٤٠٥ هـ الموافق ١٩٨٥ م في اسلام آباد ويقع في ٦٢٧ صفحة من القطع الكبير تزينه اللوحات والرسوم الملونة والخرائط وهو يعنى موسوعة ممتازة في التاريخ الاسلامي والعربي باللغة الانكليزية . والراجح ان كل بلد اشرف على كتابة الفصل الذي يتعلق به وجدالو عمدة البلاد العربية الى اصدار موسوعة اكثر تفصيلاً وتحصيناً بالوطن العربي اجمع .

* * *

ملتان تاريخها وفن عمارتها : تاليف : أحمد نبي خان

MULTAN HISTORY AND ARCHITECTURE

كتاب صادر عن معهد التاريخ والثقافة والحضارة الاسلامية التابع للجامعة الاسلامية في اسلام آباد باللغة الانكليزية .

تعد ملستان من أقدم مدن باكستان وقد استمر تاريخها الثقافي والديني بشكل متواصل مدى خمسة آلاف سنة . وبعض البراهين الأثرية تثبت أن تلك المنطقة قطنها الناس حتى قبل التأريخ في حضارة يسمونها الهندوسية Indus Civilization وفي فجر التاريخ كانت ملستان متوازية في الفضل حتى بداية التاريخ الميلادي اذ أصبحت احدى عشرین مقاطعة تابعة لامبراطورية الأخمانية في القرون الأولى الميلادية وشاعت فيها عبادة الشمس وشيدت لذلك معابد في أرجاء المدينة الى أن جاء الفتح الاسلامي فاندخل فيما اجتماعية ودينية جديدة . بعد انهيار اماراةبني سماح انتشرت فيها الدعوات الاسماعيلية التي كانت تتنظمها الغلالة الفاطمية في مصر ثم تحولت المدينة في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الى مركز كبير للسلسلة السهروردية التي كان على رأسها شيخ الشيوخ بهاء الدين زكريا ، وحانقة هذه السلسلة في تلك المدينة كانت مشهورة في العالم الاسلامي باسمه وفي هذا الوقت تدققت جموع المهاجرين من مختلف المراكز الثقافية والحضارية في آسيا الوسطى وايران عندما اجتاح المغول مدينة ملستان وقد أعطى هذا الوضع تلويناً متتنوعاً للمجتمع المحلي فظهر أدباء بارزون ووصفية وعلماء وقادة وشعراء وعماريون ومهندسوون وملوك وحكام . وبينما كانت قوافل الناس المتاجرة من مختلف البلدان تأتي الى ملستان تبدأ وتجارة كان بعض الملثانيين يذهبون لزيارة المراكز الأخرى في العالم الاسلامي وبالفعل تكونت فيها لبنة اجتماعية وثقافية وسياسية جديدة متميزة عن المراكز الجغرافية السياسية في شبه القارة الهندية .

لقد ساهمت ملستان خاصة في وضع وتطوير اسلوب في فن البناء متميز وفريد ورغم أن أقدم شواهد هذا الأسلوب ظهر في مواضع أخرى ولكن استقطابه وتمثله تمّاً في هذه

المدينة بالذات بسبب الخدمات المتميزة التي كان يتطلبها الصوفية السهوروبيون وخاصة بهاء الدين زكريا وحفيده الشيخ ركن الدين ركن العالم .

لقد شاهد الداعية السهوروبي المظيم بهاء الدين نماذج فن العمارة الاسلامي أثناء اقامته في مختلف مراكز العالم الاسلامي وعندما تقدمت به السن وأراد أن يبني قبره في ملستان نقل ملاحظاته الى عمال البناء والمهندسين في آسيا الوسطى وكانت تلك المحاولة الأولى من نوعها على أرض باكستان وتبعه حفيده الشيخ ركن الدين الذي بني بيوره نصباً فاخراً يكون قبراً له بعد وفاته وهو مثمن القاعدة يستدق كلما ارتفع وتزيينات الفريج أصبحت نموذجاً يحتذى للنصب الجنائزية على مدى القرون الثلاثة التالية .

الكتاب يقع في ٣٩٠ صفحة من القطع الكبير مزین بالزخارف والنقوش ولوحات الأضرة الشهيرـةـ التي تمثلـنـ العـارـةـ الـاسـلامـيـةـ فيـ أـوـجهـ .ـ وـ فـيـ الـمـاحـقـ ذـكـرـ لـاـ روـاهـ المؤـرـخـونـ العربـ عنـ مدـيـنةـ مـلـسـانـ وـمـعـبدـ الشـمـسـ فـيـهـاـ (ـبـالـلـفـةـ الـعـربـيـةـ)ـ منـ أـمـالـ الـقـزوـيـنـيـ والـاصـطـغـرـيـ وـيـاقـوتـ الـعـمـوـيـ وـغـيـرـهـ .ـ

نقططف ما جاء على لسان ياقوت في معجم البلدان في مادة ملستان .ـ وـ مـولـتانـ :ـ بـضمـ أولـهـ وـسـكـونـ ثـانـيـهـ وـالـلـامـ يـلتـقـيـ فـيـ سـاـكـنـانـ وـتـاءـ مـثـانـهـ مـنـ فـوقـ وـآخـرـهـ نـونـ وـآكـثرـ ماـ يـسـمعـ فـيـ مـلـسـانـ بـغـرـ وـاوـ ،ـ بـلـدـ فـيـ بـلـادـ الـهـنـدـ عـلـىـ سـمـتـ غـرـةـ قـالـ الـأـصـطـغـرـيـ .ـ وـ أـمـالـ مـلـسـانـ فـيـ مـدـيـنةـ نـعـوـ نـصـفـ الـمـصـوـرـةـ وـيـسـمـيـ فـرـجـ بـيـتـ الـذـهـبـ وـبـهـ صـنـعـ تـعـظـمـهـ الـهـنـدـ وـتـعـجـ الـهـيـ منـ أـقـصـيـ بـلـدـانـهاـ وـيـتـقـرـبـ إـلـىـ الصـنـمـ كـلـ عـامـ بـمـالـعـظـيمـ يـنـقـعـ عـلـىـ بـيـتـ الصـنـمـ وـالـمـعـتـكـفـينـ عـلـيـهـمـ وـسـمـيـ الـمـولـتانـ بـهـذاـ الصـنـمـ .ـ وـانـسـاـ سـمـيـ الـمـولـتانـ فـرـجـ بـيـتـ الـذـهـبـ لأنـهـاـ فـتـحـتـ فـيـ أـوـلـ الـاسـلـامـ وـكـانـ بـالـمـولـتانـ ضـيقـ وـقـعـطـ فـوـجـدـوـاـفـيـهاـ ذـهـبـاـ كـثـيرـاـ فـاتـسـمـواـ بـهـ النـعـ .ـ

★ ★ ★

مدينة اج او اش - تاريخها وفن عمارتها - تاليف احمد نبي خان UCHCH HISTORY AND ARCHITECTURE

قدم المعهد القومي للأبحاث التاريخية والحضارية في باكستان لهذا الكتاب بقوله : « جرت العادة أن نقرأ تواریخ الملوك ومسالکهم ونعرف الكثير عن عواصمهم ولكن ندر أن ننوه بأهمية المراكز أو المدن الصغيرة التي أثرت تأثيراً بالغاً في النمو الحضاري والثقافي لمنطقة ما .ـ وـإـذـ أـرـدـنـاـ أـنـ ذـكـرـ أـحـدـ هـذـهـ الـمـارـكـرـ لـتـبـيـهـ عـلـىـ أـهـمـيـةـ الـاسـلـامـ فـيـ وجـهـ الـاجـتـمـاعـيـ الـعـضـارـيـ فـانـاـ لـنـ تـجـدـ فـيـ مـنـاطـقـ الـهـنـدـ الـوـسـطـيـ أـفـضلـ مـنـ (ـاجـ)ـ .ـ

مدينة صغيرة تبعد على طرف الصحرا وتعمل في طياتها أخبار الماضي وتطالبنا أن نسير سور صفتها التاريخية في العصر البرونزي وفي المصور التاريخية المغلقة في القدم وهو أمر لا بد من بعثه في المستقبل بانتظار ذلك فان الدكتور أحمد نبي خان أخذ على عاتقه أن يجمع في مؤلف واحد جميع الواقع التاريخية التي يمكن التقاطها في

المؤلفات المتوافرة ويعكيها في قصة عن مدينة اج ذلك أن تاريخ منطقة ما هو جزء لا يتجزأ من قدرها .

وفي هذه الصفحات لا يتكلم الدكتور خان على الملوك فقط بل ينظر نظرة أوسع فيتناول بالبحث الأولياء ومربيدهم لأنهم هم الذين أعطوا المكانة الدائمة والقيمة الدائمة في تاريخ المنطقة بأسراها ومن خلال هؤلاء الأولياء والصوفية ندرك إلى أي مدى والتي أدى عمره كان تأثير الإسلام في شعوب الهند . وان التعداد الزمني أو التاريخي لأولئك الأولياء مع الرؤساء الإداريين والشخصيات السياسية يزودنا بمعيار تقديرية به مجريات التاريخ ودون ذكرهم يصبح تاريخ اج قصة فتيرة اذا ان هذه المدينة تمتلك بكونها عاصمة مرة واحدة طوال تاريخها وذلك بزمن ناصر الدين قباجةـ (المزمي) (٢) ولكنها ظلت على التاريخ ملتفة التقاة من الدراويس الدين آثرروا الاقامة في الجزء الأسفل من المجرى الشرقي لنهر (السوتوتلنج) ونفثوا آثارهم اللطيفة على السواء في المستوطنين وفي القبائل الرحيل من الصحراء الشرقية . ولا عجب ان المساكن التي شغلتها أولئك الأولياء ومقاماتهم وبيوتات عبادتهم تشفل اليوم أمكنة بارزة بين الأبنية التي لم تتدثر . وقد خصص الدكتور خان جزءاً كبيراً من كتابه للنسق المعماري الذي شيدت به تلك الأبنية كما أبرز المكانة التي تشفلها في النموذج العام لتطور الآثار في المنطقة . فهندسة العمارة وهي مما كان يسمى (مدرسة المثان) أمر مزدهر وجذاب وهي تبني بالتأثيرات الواردة من آسية الوسطى . والدراسة تبرز الأسلوب المبتكر بصرف النظر عن الطين والخشب المتوافرتين في تلك المنطقة ذلك أن أسلوب الأجر هو الصفة المميزة لهذه الهندسة والأطر الخشبية هي هيكلها الغليفي ولكن الترميم المتألق الصقيل كان يعتدبه المؤمنين والثبوذين على السواء . وما دام ذلك السحر المعماري يسم تلك المبانى فإن الناس يحتشدون حولها يطلبون الارشاد والعزاء من الأولياء في دار الفتاء لأجل دارالبقاء .

ان (اج) تجسد في التاريخ رسالة الغالدة للعرب المسلمين . وقد أجاد الدكتور أحمد نبي خان في وضع خطة كتابه كما أجاد في الأسلوب والكتابه لذا جاء مؤلفه المصدر الرئيسي للمعلومات عن تاريخ المدينة وفنها المعماري » . يذكر المؤلف في مدخل الكتاب لغة عن باكستان ويعتبرها أرضًا قامت عليها أعظم حضارات الشرق القديم ونشأت فيها مدن كبيرة وصنفية ساهمت في صنع التاريخ بعدها عواسم في فترات معينة بينما شهر بعضها الآخر مثل اج وملتان ودياليور وباكستان ولاهور ويشاور بكونها مراكز للثقافة والحضارة منذ فجر التاريخ .

ويذكر أن اج عندما أصبحت عاصمة بزمن ناصر الدين قباجة المزمي تحولت إلى مركز عالي استقطب علماء الدين والأدباء والفنانين والمهندسين وان بلاطه أصبح ملتقى جميع أولئك المهاجرين من البلاد البعيدة إلى آسية الوسطى لاجئين أو مستعطفين أو مؤيدين كما ان وزيره عين الملك كان زعيم الفن والعلم وظهرت في المدينة شخصيات بارزة أمثال : محمد عوفي منهاج الدين سراج جرجاني ، ضياء الدين سجزي ، شمس الدين محمد الكاتب البلغى الخ . ويروى كيف أنها قباجة الغانقات والماء والماء والسراي (القصور)

في أرجاء المملكة ومن بين المدارس التي اشتهرت المدرسة الفيروزية ومن أشهر من كان فيها المؤرخ منهاجي سراج الذي أشرف على كتابة أول تاريخ للسندي (الشاهنامة) وأقدم مختارات من تراث الشعراء الفرس وهو (لباب الأدب) . ومع زوال ملك ناصر الدين تقلص المجد المادي لمدينة اج ولكن عظمتها الروحية ظلت متألقة ومسيطرة دائمةً وقدم إليها صوفيةً عظام وشخصيات روحية عاليةً لتعظ الناس وتدعو إلى العياة الفضلى وبفضل هؤلاء ثبت الإسلام أقدمه في القارة .

قيل الكثير عن أصل الكلمة اج ربما كانت مشتقة من أوشاس الله السعر وربما شيدها غزارة في الآلات الثانية قبل الميلاد ثم فقدت أهميتها على مر الزمن حتى القرن الرابع ق.م ، اذ يذكر المؤرخون اليونان أن الاسكندرى يبني مدينة جديدة هناك وسماها الاسكندرية لذا يطلق عليها البعض اسم أوشا الكسندرى ساماجين الاسم القديم بالاسم الجديد .

ويرى الكسندر كاتنفهم ان الاسم ربما ياشق من أوشا او اوتشا اي المكان العالمي والشرف ولكن هذا غير مرجح وقد أطلق عليها آسماء أخرى مثل باسماد اوساوندي عند المؤرخين العرب وشاصبور او اسكالاندا الكوفي واج المقصوم على أي حال فان الاسم الذي تعرف به الان هو اج او اش .

والمدينة القديمة تقسم الى عدة أحياe يعيش في كل حي اتباع أحد الأولياء المشهورين اج الجيلاني اتباع بانداغيني محمد غاووس المشهور بالجيلاني الثاني اج البخاري وكانت أكبر قسم من المدينة بخدماتها وبيوتها يسكنها اتباع البخاري المخدوم في حين اج مفلة Mughla كانت مركز الماقولات الادارية للسلطنة الدلهية حيث يعيش نسبة أهل المدينة والهاجرون المنقول . وقد دعمت المناطق الثلاث من وقت لآخر بالصون وبالبوابات القوية ويفصل ٣٠٠ ياردة بين اج البخاري واج الجيلاني بينما تقع اج مفلة نائية منهما ولا تبدو هذه الفوارق في المدينة الآن مع ان معالم هذا التقسيم يمكن تمييزها فيما تزال اج الجيلاني واج البخاري تزدهران منطبقتين من مناطق المدينة على حين اج مفلة أصبحت قرية قريبة على الأرضيات . وثمة عدد لا يحصى من المباني الغربية والأكواخ التي تدل على حضارة بائنة تتناثر هنا وهناك وتدرك بالماضي المعجد . المساجد والخانقاه وأضرحة الشيوخ تلقى التقدير والاحترام الذي تستحقه ولا يدأنها كانت ، أيام الازدهار ، تزيين مختلف الأماكن في المدينة لقد صممها المعلم المعماري ونفذها بفخامة عالية وبها نشأ أسلوب جديد في فن العمارة متميز عن الفن الذي كان مالوفاً في الأماكن الأخرى المجاورة فقد كان السقف المسطوح تطوراً حقيقياً والأضرحة ذات القبب والمساجد كانت اشتقاً رفيناً ومتطروراً لأسلوب ملтан في فن العمارة ولكن تميز شخصية فن العمارة في اج أمر بديهي في البناء كما في التزيين .

ويلقى المؤلف نظرة تاريخية على المنطقة ماراً بالمهود القديمة ثم يفتح الاسكندر والعكام اليونان حتى يصل الى الفتح الاسلامي فيروي سببه كما ورد على لسان المؤرخين العرب ونسمع لأنفسنا عرض تلك الرواية مسبحة نظراً لقلة تداولها ورغبة في التذكرة .

هـ العجاج بن يوسف الثقفي سير عبد الله بن نهان الى خور الديبيل لتخليه النسوة اللاتي ولدن في جزيرة الياقوت مسلمات ومات آباءهن وكانتوا تجارة فاراد ملوكها التقرب بهن الى العجاج فآهدها ان يه فعرض للسفينة التي كان فيها قوم من ميد الديبيل في بوارج فأخذوا السفينة بما فيها فنادت امرأة منهن وكانت من بنى يربوع يا حجاج ! وبلغ العجاج ذلك فقال لبيك ! فراسل الى داهر يسأله تخليه النسوة فقال انا أخذهن لصوص لا أقدر عليهم فأغنى العجاج عبد الله بن نهان الديبيل ففازهم وقتل في ذلك القزو بارض السندي ففتح البلدان)٣(

ثم استاذن العجاج الخليفة وسر محمد بن القاسم الثقفي ومع ستة آلاف مقاتل وجهوه بكل ما يحتاج اليه حتى المسال والابر والخيوط ، فسار محمد الى مكران فقام بها أياماً ثم أتى فتربور ففتحتها ثم سار الى ارمائيل ففتحتها ثم سار الى الديبيل وأنزل الناس منازلهم ونصب منجينيتاً يقال له المروس كان يمد به خسمائة رجل وكان بالديبيل بد عظيم عليه دقل (الدقل الخشبة العظيمة يرفع عليها القلع الذي تجري به السفينة وهو السارية العظيمة) عظيم وعلى الدقل راية حمراء اذا هبت الربيع اطافت بالمدينة وكانت تدور ، والبد صنم في بناء عظيم تحت منارة عظيمة مرتفعة وفي رأس المنارة هذا الدقل وكل ما يعبد فهو عندهم بد فحصروا وطال حصارها فامروا الدقل بجر المروس فكسره فتطير الكفار بذلك ثم ان معدماً اتى وناهضهم وقد خرجنوا اليه فهزهم حتى ردّهم الى البلد وأمر بالسالمين فنصبوا وصدّ على الرجال وفتحت عنوة ٠٠٠ ثم عبر محمد مهران مما يلي بلاد راسل الملك على جسر عقدة – وذاهراً مستخف به – فلقيه محمد والمسلمون وهو على فيل وحوله الفيلة ومعه التكاكبة فاقتلوناواقتلاشديداً لم يسمع بمثله وتراجل ذاهراً فقتل عند المساء ثم انهزم الكفار وقتلهم المسلمين كيف شاؤوا وقال قاتله :

الغيل شهد يوم ذاهراً والقنا
ومحمد بن القاسم بن محمد
أني فرجت الجمع غير معود
حتى علوت عظيمهم بمهند
فتركته تحت العجاج مجنداً
متعرّف الغدرين غير موسد

فلما قتل ذاهراً غلب محمد علي بلاد السندي وفتح مدينة راور عنوة وكان بها امرأة لذاهراً فخافت أن تؤخذ فاحترقت نفسها واجواريها وجميع مالها ثم سار الى برهمنبا اذا العتيقة وهي على فرسخين من المنصورة ولم تكن المنصورة يومئذ ، كان موضعها غيبة وكان فيها المنهزمون من الكفار فقاتلوا ففتحها محمد عنوة وسار يريد الرور وبغور فلقائه أهل ساوندي (أي اج) فطلبو الأمساك فأعطاهم اياه واشتربط عليهم ضيافة المسلمين ثم أسلم أهلها بعد ذلك ثم تقدم الى بسمدو صالح أهلها ووصل الى الرور وهي من مدنان السندي على جبل فعصرهم شهوراً فصالحوه وسار الى السكة ففتحوها ثم قطع نهر بياس الى الملتان فقاتلها أهلها وانهزموا فعصرهم محمد فجاءه انسان ودهله على قطع الماء الذي يدخل المدينة فقطعه فجعلوا فالقوا بآيديهم ونزلوا على حكمه فقتل المقاتلة وسبى الندية وسددة البد

وهم ستة آلاف وأصابوا ذهباً كثيراً فجمع في بيت طوله عشرة أذرع وعرضه ثمانية أذرع يلقي إليه من كوة في وسطه فسميت المليان فرج بيت الذهب والفرج الثغر . وكان بد المليان تهدي إليه الأموال ويخرج من البلاد ويحلقون رؤوسهم ولعاصم عنده ويزعمون أن صنمَه هو أيوب النبي عليه السلام وعظمت فتوحه ونظم العجاج في النفقَة على ذلك الثغر فكانت ستين ألف الف درهم ونظر في الذي حمل فكان مائة ألف الف وعشرين ألف فتى قال ربنا سنتين ألفاً وأدركنا ثارنا ورأس ذاهر (٤) .

كان محمد بن القاسم الثقفي في السابعة عشرة من عمره عندما فتح السند ثم مات الوليد بن عبد الملك وولي سليمان بن عبد الملك فاستعمل صالح بن عبد الرحمن على خراج العراق وولي يزيد بن أبي كثير السكري السند فعمل محمد بن القاسم مقيداً مع معاوية بن المهلب فقال محمد ممثلاً :

اضاعوني واي فتي اضاعوا ليوم كريمة وسداد ثغر

فبكى أهل الهند على محمد وحبسه صالح بواسطه فقال :

فلئن ثويت بواسطه وبأرضها رهن العذيد مكبلاً مغلولاً

فلرب فتية فارس قد رعتها ولرب قرن قد تركت قتيلاً

وعذبه صالح في رجال من آلبني عقيل حتى قتلهم وقال حمزة بن يبيض العنفي
يرثي محمدأ :

ان المروءة والسماحة والنلى لمحمد بن القاسم بن محمد

ساس الجيوش لسبعين عشرة حجة يا قرب ذلك سوداً من مولد

وكانت وفاة العجاج في شوال سنة خمس وتسعين ووفاة الوليد وتولية سليمان في جمادى الآخرة سنة ستة وتسعين وفي تلك السنة عذب محمد وقتل بواسطه كما في الكامل وفتح البلدان وغيرها من كتب الأخبار .

والاليوم لم تفقد اج على صفحها مكانتها مكرراً دينياً يقصده المؤمنون لمشاهدة مزاراتها وقبور الصوفية والأولياء المشهورين أمثال أبي حنيفة الكازمي وبيبي جاوندي . وقد كان أعيد اصلاح المزارات وترميمها في القرن التاسع .

كتاب اج يقع في ١٠٠ صفحة من القطع الكبير وهو مزين بالرسوم والصور واللوحات .

الخصائص الديمografية للشعب العربي الفلسطيني

كتاب يضم أبحاث الندوة التي دعا اليها المهد العربي للتدريب والبعثة الاحصائية في بغداد وعقدت في تونس في الفترة بين ١٣ - ١٥ / ٨٤ / ١٠ ، وحضرها نخبة من الديمografيين العرب ليعالجوا المسالة السكانية للشعب العربي الفلسطيني من كافة جوانبها الفكرية والاحصائية والاقتصادية والاجتماعية والديمografية مع كيفية استخدام المقاييس المباشرة وغير المباشرة ولا يخفى ما لهذا الكتاب من أهمية نظراً لأنّه يتناول بالبحث حالة مفردة الشعب يتعرض كل يوم لمحاولات الإبادة ولابشع الوان الاستعمار الاستيطاني الذي يقتطع مجموعات من البشر من أراضيهم ليصبحو الأجانب ويجلب مكانهم شذوذ الآفاق من كل أقطار المعمورة ليصيّعوا وطننا كسيحاً في أرض لا يمتلكونها .

يقع الكتاب في ٦٩٢ صفحة ، بعض مقالاته كتب باللغة الانكليزية وطبع في بيروت ، دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع عام ١٩٨٥ .

★ ★ ★

ملخص حول الأوضاع والامكانيات الاقتصادية والاجتماعية للشعب العربي الفلسطيني

صدر عن اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا وطبع في الأمم المتحدة في نيويورك عام ١٩٨٥ . وهو دراسة موجزة ومكثفة للأوضاع والامكانيات الاقتصادية والاجتماعية التي يعيشها الشعب الفلسطيني الموزع حالياً في مختلف بلدان غربي آسيا نتيجة تشرد الجزء الأكبر منه مع قيام العدوان الإسرائيلي عام ١٩٤٨ ، ووقوع الجزء الآخر تحت سيطرة هذا العدوان المباشرة في الأراضي المحتلة .

وتحدد الدراسة الى التعرف على هول المماناة التي يعيشها الفلسطينيون بعد أن جرّدوا من أراضيهم ومواردهم . وفي الفصل الأول فقرة عن الشعب الفلسطيني من الزاوية التاريخية وفيها فوائد تاريخية وتراثية مهمة منها ما ورد عن تزييف الدعاية الصهيونية فيما يخص جدب فلسطين قبل مجيء الصهاينة . فقد رکز عدد من الصهاينة ومنهم الغبيري الزراعي غرانت والمندوب السامي هربت صموئيل على مقوله جدب فلسطين فوسم صموئيل مثلاً سهل مرج ابن عامر الذي انتقل الى الحركة الصهيونية بأنه « صحراوي في معظمها وغير مستغل قبل مجيء الاستيطان الصهيوني » على حين ان هذا السهل نفسه ورد ذكره في كتاب لورانس أوليفانت *Haifa or Life of Modern Palestine* عام ١٨٨٧ بأنه « بحيرة ضخمة من القمح المتداوِج حيث ترتفع تلاله المتوجة بالقرى كالجزر وسطها وهي تقدم للناظر احدى الصور البالغة التأثير عما يمكن تصوّره من الغصّب الوفير » وفي عام ١٨٩٧ وصف الكاتب الأمريكي مارك توين فلسطين لدى زيارته لها بأنها « رقعة من الخضراء المشابكة » لقد كانت فلسطين قبل الاحتلال الصهيوني أرضاً خصبة عاملة بالزراعة والمزارعين الفلسطينيين .

ومنها ما يعلن للناس جميماً عداوة بريطانيا المستعكمة للعرب وذلك فيما يتعلق بتطبيق قانون الطابو وهو قانون أصدرته الدولة العثمانية في القرن السابق ولم يتم تطبيقه على نحو شامل حيث بقيت مساحات عديدة من الأراضي غير محددة أو سجلة واستمر الفلاحون يعيشون ويعملون فوق الأرض على النحو الذي كانوا عليه في القرون السابقة . وكان أول اجراء اتخذته السلطات البريطانية عقب احتلالها فلسطين مباشرة خلال العرب المالية الأولى وقبل صدور حكم الانتداب هو تعليق عمليات انتقال الأراضي وذلك من تشرين أول ١٩١٨ حتى ايلول ١٩٢٠ وعندما أعيد فتح السجلات البريطانية في ذلك التاريخ الأخير تبين وجود استملاكات يهودية تقدر مساحتها بنحو ٦٥ ألف دونم ويرجع الدارسون لتلك الفترة بأن هذه الاستملاكات تمت على شكل انتقالات غير مشروعة في غضون فترة التعليق التي استغرقت ٢٢ شهراً .

وفي الفصل الثاني احصاء الشعب الفلسطيني ومناطق توزعه ثم تتوالى الفصول فتتناول أوضاع الشعب الفلسطيني الاقتصادية والاجتماعية والتقرير يقع في ٢٩ صفحة من القطع الكبير .

□ العيد الذهبي لمجمع اللغة العربية ١٩٣٤ م - ١٩٨٤ م :

مسرد كامل لمقرراته اللغوية ، تسجيل تصويري لمؤتمراته السنوية ١٩٧١-١٩٨٤ بقلم الدكتور عدنان الخطيب .

يسرد الدكتور المؤلف في الفصل الأول وقائع احتفالات مجمع اللغة العربية في القاهرة بعيدة الخمسين وقد دامت خمسة أيام من ١٨ جمادى الأولى المافق ٢٠ شباط حتى يوم ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٤٠٤ هـ الموافق ٢٤ شباط ١٩٨٤ في هذا الاحتفال يصف الدكتور ابراهيم مذكور رئيس المجمع ماصننه المجمعيون خلال نصف قرن بقوله : « ان درس المجمعيين جاد وان بحثهم عميق واستقرت لديهم مبادئ لها شأنها فهم يرون ان اللغة ظاهرة اجتماعية تسير بسير الزمن وتتطور بتطور المجتمع وهي ملك لأهلها وفي وسعهم ان يغدوها بغيرها بغيرها لا ينقطع واستطاعوا أن يسيروا العربية في الفاظها وتراكيتها ، في كتابتها وأملائتها ، ويرهنوا على أنها في مرورتها واستقامتها ليست أقل كفاية من اللغات العية الكبرى في مواجهة متطلبات العلم والحضارة واجهت ذلك في الماضي البعيد ولا تزال تهلاً لواجهته اليوم وللمجمعيين في ذلك توصيات وقرارات تملأ صفحهم ومعاضر جلساتهم ويضيفون إليها جديداً كل عام ويقبل الباحثون والدارسون عليها ويفيدون منها ما استطاعوا » .

صدر الكتاب عن دار الفكر بدمشق عام ١٩٨٦ وهو في ٣٦٥ صفحة .

□ نداء اقبال ، مؤتمر اقبال بدمشق :

احتفالاً بذكرى ميلاد اقبال قامت السفارة الباكستانية في دمشق بالتعاون مع وزارة الثقافة والارشاد القومي في الجمهورية العربية السورية بتنظيم ندوة فكرية مدتها ثلاثة أيام في مكتبة الأسد في الفترة الواقعة من ٩ - ١١ تشرين الثاني ١٩٨٥ التي فيها مجموعة من العلماء

والمفكرين البارزين بعوّثاً تتناول حياة الشاعر وفلسفته ولا غرو فان اقبال هو الشاعر الوطني للباكستان ويدعونه شاعر الشرق وكان لا يبني يخاطب الأمة العربية في مؤلفاته وينذكرها بأمجادها القابرة .

طبعت المعاشرات والقصائد الملقاة في هذا المهرجان في كتاب ليتسنى لمن فاته سماحتها الرجوع إليها والافادة مما تتضمنه من معلومات زاخرة تقوى الأواصر الفكرية المتيدة بين الشعبين السوري والباكستاني صدر الكتاب عن دار الفكر بدمشق عام ١٩٨٦ في ١٨٤ صفحة .

□ العلاقات بين الحضارتين العربية والأوروبية :

هذا الكتاب هو سجل وقائع ندوة همبورغ (ألمانية الغربية) التي عقدت بين ١١ - ١٦ نيسان عام ١٩٨٣ وكانت الحلقة الأولى من الحوار العربي الأوروبي وشارك فيها عدد من كبار الشخصيات الثقافية والفكرية من البلاد الغربية ومن أوربة الغربية وكان الهدف منها تقرب وجهات النظر لدى الفريقين إزاء المشكلات الإنسانية المعاصرة ومحاولة ايجاد الملول المناسبة لها بروح من التعاون والتفاهم دعماً للسلام العالمي وتحقيقاً للتنمية التي تتطلع إليها الدول العربية وتعيناً للأختلاف المتبادل . وقد أعد الندوة لجنة متخصصة ضمت ممثلين عن كل من المجموعتين الأوروبيتين والغربيتين عقدت عدة اجتماعات في السنوات ١٩٧٨ و ١٩٨١ و ١٩٨٢ و ١٩٨٣ وأقرت برئاسة الندوة ومواضيعاتها .

ولكل موضوع طرح في الندوة دراستان يقدم الجانب الأوروبي واحدة والجانب العربي واحدة وكل بعث كان يلقيه مفكر من أحد الطرفين يعقب عليه مفكرون من الطرف الآخر .

انتهت الندوة إلى اصدار مجموعة من التوصيات منها أن يصار إلى طبع وقائهما في كتاب وقد أشرف على هذه الطباعة لجنة من مستشاري وموظفي جامعة الدول العربية إلى جانب لجنة من المفكرين الأوروبيين والكتاب في ٤٥٨ صفحة وصدر عن الدار التونسية للنشر عام ١٩٨٥ .

□ فهرس المخطوطات العربية في مكتبة ستراسبورغ الوطنية والجامعية .

كتاب من منشورات معهد المخطوطات العربية التابعة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أعده الدكتور نزيه كسيبي . بعد أن صدره الدكتور خالد عبد الكريم جمعة مدير معهد المخطوطات العربية قدم له المؤلف فأعطي لجنة عن مكتبة ستراسبورغ وما تعلوه من مؤلفات مهمة تتعلق بالحضارة العربية الإسلامية . في المكتبة سبع مجموعات غالباً ما أغلقت أهميتها في المصادر البيبلوغرافية .

- ١ - مجموعة ورق البردي منها ٦٨٠ بردية باللغة العربية .
- ٢ - مجموعة النقود والمسكوكات ومنها ٥٠٠ قطعة إسلامية .

٣ - القطع الفخارية والمظلمة .

- ٤ - مجموعة الأختام والمازدين الزجاجية الإسلامية - السنوج (١٢٥٠ قطعة) .
- ٥ - الخرائط ومنها نسخة منقولة بالحرف العربي من خريطة الشريف الادريسي عن البنجاب تاريخ ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م .
- ٦ - مجموعة الكتب المطبوعة النادرة كمؤلفات ابن رشد والزمراوي والكتبي المترجمة الى اللاتينية .
- ٧ - المخطوطات ومنها ٢١٤ مخطوطاً باللغة العربية .

وهذا القسم الأخير هو موضوع الكتاب وقد رتب المؤلف هذه المخطوطات حسب تسلسل الأحرف الهجائية والحق عمله بفهرس لها حسب موضوعاتها العامة وفهرس للأعلام والأماكن والمصادر والمراجع . والكتاب في ١٩٥ صفة وصدر عام ١٩٨٥ في الكويت .

□ المدرسة القرآنية :

كتاب يضم محاضرات أو دروساً للقاها ساحة الإمام محمد باقر الصدر سجلها الناشر صوتيًا ثم نشرها دون زيادة أو نقصان تتناول التفسير الموضوعي والتفسير التجزئي في القرآن الكريم ثم السنن التاريخية في القرآن الكريم وأخيراً عناصر المجتمع في القرآن الكريم نشره دار التعارف للمطبوعات في بيروت ١٩٨١ .

وهو يميز بين مدارس التفسير المختلفة اتجاهين مهمين : أحدهما يسميه التجزئي والمفسر في إطار هذا المنهج يسرى مع المصحف ويفسر سوره تدريجياً بان يلتقي الضوء على مدلول الآيات التي يريد تفسيرها في سياقها الذي وردت به وهذا الاتجاه بدأ في عصر الصحابة والتابعين بتفسير بعض آيات القرآن وشرح مفرداتها وانتهى بالصورة التي قدمها ابن ماجة والطبرى وغيرهما من كتب في التفسير في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع . أما الاتجاه الثاني وهو الاتجاه التوحيدى أو الموضوعي فيحاول أن يقوم بدراسة موضوع من موضوعات الحياة العقائدية أو الاجتماعية كما ظهرت في القرآن الكريم مثل عقيدة التوحيد في القرآن أو النبوة في القرآن أو المذهب الاقتصادي في القرآن . وهو يرى أن هذين الاتجاهين مختلفان في ملامحهما وأهدافهما وخصائصهما الفكرية . ولكن لاينبغي أن يكون المقصود الاستفهام عن التفسير التجزئي واتماً اضافة اتجاه الى اتجاه ثم يختار موضوعاً ليفسره هو سنن التاريخ في القرآن الكريم هل للتاريخ البشري سنن في مفهوم القرآن الكريم ؟ هل له قوانين تتحكم في مسيرته وحركته وتطوره ؟ ويؤكد فكرة السنن التاريخية مستخلصة من نصوص أكد عليها القرآن .

وأخيراً يبحث عناصر المجتمع في القرآن الكريم وهي :

- ١ - الإنسان .

٢ - الأرض أو الطبع

٣ - العلاقة المعنوية التي تربط الإنسان بالأرض كما تربط الإنسان باخيه الإنسان

ويتناول كل عنصر بالدراسة ليصل إلى صورة شاملة للفلسفة القرآنية من وجه نظره. فهو يرى أن القرآن الكريم لا يطرح نفسه بديلاً عن قدرة الإنسان الخلاقة ولا عن مواجهة وقابلية كادحاً في ميادين الحياة والمعرفة والتجربة وإنما طرح نفسه طاقة روحية موجهة للإنسان مفبرقة لطاقاته معركة له في المسار الصحيح فهو كتاب هداية وتوجيه لاكتشاف وعلم.

والكتاب في ٢٥٧ صفحة من القطع المتوسط.

□ آراء حول قديم الشعر وحديثه :

بدأت مجلة العربي على أصدار سلسلة فصلية باسم (كتاب العربي) كل عدد منها يتناول موضوعاً واحداً بقلم عدة مؤلفين أو يكون مجموع مقالات أو موضوعات لكاتب واحد.

وقد تناول الكتاب الثالث عشر الصادر في ١٥ تشرين الأول ١٩٨٤ الشعر قديمه وحديثه دراسات يقلل عدده من أشهر النقاد العالم العربي تذكر منهم على سبيل المثال الدكتور محمد مت دور والدكتور ذكي نجيب محمود والدكتور أنيس المقدسي والأستاذ شوقي بنداري وغيرهم وقدم لهذه الدراسات الأستاذ محمد الربيعي رئيس العزيزير.

والكتاب في ١٧٦ صفحة وفيه آراء طريفة وصريحة ومفيدة.

□ وحدة الوجود في الفكر العربي :

صدر منشورات اتحاد الكتاب العربي كتاب للأستاذ محمد الراشد بعنوان «وحدة الوجود في الفكر العربي الله والإنسان والعالم». يدرس في المقدمة وحدة الوجود كاشكال حضاري ويبرز أهمية هذه المشكلة فيقول:

«وحدة الوجود من أهم التيارات الفكرية في التراث الإنساني عامه والعربي خاصة ولكن أهميتها ذات حدود سلبية وايجابية فهي التي تساهم باعطاء العضارة أفقها الوجودي كما أنها قد تساهم بانهيار العضارة».

وفي المدخل العام يقدم تعريفات ومواضيل يدخل بعد ذلك إلى الفصل الأول فيبحث فيه وحدة الوجود في الشرق الأقصى (الهند - الصين). في الفصل الثاني يتناول المؤلف وحدة الوجود في الفكر العربي عند الأغريق والغرب الأوروبي وخاصة عند أسيغورزا وفي الفصل الثالث يدرس وحدة الوجود في الفكر العربي القديم. ثم يعالج في الفصل الرابع مواقف الفارابي وأبن سينا من هذا الموضوع. في الفصل الخامس يتناول وحدة الوجود في المغرب

العربي عند ابن مسرة وابن السيد البطليموس وابن باجه وابن طفيلي وابن رشد وفي الفصل السادس يصل إلى وحدة الوجود في الفكر (العربي) الحديث في ذكر محمد اقبال وأحمد حيدر وغيرهما .

ويختتم الدراسة في الفصل السابع بوحدة الوجود في الفكر العلمي .

والكتاب مقالة حديثة لتيار فلسفى قد تم فيه الكثير من المعلومات المقيدة والكاتب في الختام يرحب بكل حوار أو مناقشة تخطر على بال القارئ وهو في ٢٧٩ صفحة .

□ شعر من المهرج :

ديوان زكي قنصل ج ١ دقيقه لنوفيا وعروضياً ابراهيم جمعة من منشورات وزارة الثقافة في دمشق عام ١٩٨٦ والكتاب يضم بين دفتريه معظم منظومات الشاعر حتى أواخر سنة ١٩٨٤ ولم يراع في ترتيب القصائد التسلسل الزمني .

وفي مطلع الكتاب حياة الشاعر في كلمات مع اشارة الى بداياته الصعبه في ارض المهرج وعاصمته وميله الى المطالمه وتكون ثقافته الأدبية بعد ان سبقه اخوه الشاعر الياس قنصل ووالدهما .

وقد زار الشاعر وطنه سوريا عدة مرات ولقي الحفاوة وأعجب بالنهضة العمرانية والثقافية الحديثة .

الكتاب يقع في ٤٧٠ صفحة والشعر رقيق عميق عنيد ولا عجب فالشاعر أحد أعمدة أدب الاغتراب الذي يتناول على البعد آلام الوطن وأماله برئيشه مضمونة بالعنين .

□ جواد العلم للشاعر خوان فان هالين :

صدر عن المهد الاسپاني العربي للثقافة كتاب (جواد العلم) للشاعر خوان فان هالين قدم له بكلمة فرانشيسكو غارفياس ضمن مجموعة ابن زيدون الشعرية برقم ٥ في مدريد عام ١٩٨٥ .

والمؤلف مجموعة من الدواوين نال عليها جوائز أدبية متعددة ورغم أن المؤلف مولود في محافظة مدريد في قرية تورييلدونيس فإنه يعيش بأنه أندلسي وكتابه ذات حافل بالأصداء العربية الأندلسية فواح بمواصفات تاريخية عبيقة الجذور .

□ معنة العرب في الأندلس : تأليف الدكتور أسعد حومد .

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام ١٩٨٠ في بيروت وهو الآن قيد الطبعة الثانية . ويتألف من مقدمة وخمسة اقسام يعرض المؤلف فيها ما لقيه العرب المسلمين في الأندلس على يد السلطات الاسبانية بمدحقوط دولتهم في غرناطة عام ١٤٩٢ ويشير إلى تكتفهم بالمعهد وحيثهم بالایمان الذي قطعوه اذا أسلم العرب المدن والقواعد صلحاً ثم يقدّم مقارنة طويلة بين نكبة الأندلس ونكبة العرب في فلسطين ويفتخرون أن تكون حبائل الاستثمار ما تزال شركاً محدوداً ويأمل وتأمل معه لا تصبح فلسطين ملكاً مضاعاً !

في القسم الأول من الكتاب تناول المؤلف باختصار قصة الفتح الإسلامي للشمال الافريقي واسبانيا ثم تناول التاريخ العربي في الأندلس حتى سقوط غرناطة وتوقف عند حكم الطوائف الذي كان مقدمة لانهيار الدولة الإسلامية ثم يذكر سقوط أمهات المدن بسطة وروندة والمرية ومالتا وانهاء الحكم المغربي في الأندلس بسقوط غرناطة .

في القسم الثاني تعرض المؤلف للمعماقة التي عامل بها المسلمين الإسبان ابان حكمهم في الأندلس وفصل في بسط القواعد الأساسية التي وضعها القجهاء في معاملة أهل الذمة والأحكام التي تطبق على أشخاصهم وأموالهم وأرضهم وأشار الى احترام عهود الأمان التي يعقدونها مع أهل البلاد المفتوحة صلحاً ثم يبيح ما لقيه العرب من العكاظ الإسبان بعد سقوط غرناطة من المعاصلة السبعة التي دامت مدة قرن وربع القرن .

وفي القسم الثالث : تناول المؤلف الثورات التي قام بها العرب وكيف كانت السلطات في إسبانيا تجد هذه الثورات ذريعة لابادة بقايا المrob ونهب أموالهم واجبارهم على ترك أراضيهم .

القسم الرابع جمل عنوانه خاتمة المحتلة وتناول فيه أفعال محاكم التفتيش الشنيعة .

وفي القسم الأخير أورد المؤلف بعض مقالاته الأندلسية من الشعر يرثون به أنفسهم وحضارتهم في الأندلس .

في الطبعة الثانية هذب المؤلف الطبيعة الأولى وأضاف ثلاثة فصول توسيع في بسط تاريخ دول الطوائف وفي ابراز الواقع المغربي البعض ملوكها ابان حروب المصير مع الإسبان وكذلك تناول الأسباب التي رأها قررت مصير الأندلس وقضت على الحضارة الأندلسية الفريدة .

فاطمة عصام صبري

□ العواشي :

١ - س امجد على ولد وتعلم في دلهي وحصل على درجة الشرف في شهادته الجامعية وحصل على شهادة الماجستير على يد البروفيسور سب. يونغ . ذاول التدريس قبل الاستقلال في دلهي وبعد الاستقلال في لاہور وأصبح رئيس تحرير مجلة هसليہ باستانیہ وظل يكتب مدى عشرين عاماً كما شغل منصب مدير عام لقسم الاعلام والطبعات في وزارة الاعلام في باكستان .

٢ - السلطان ناصر الدين فاجة المعزى الملك العادل كان من مماليل الشهاب محمد بن سام الفوري خديه زماناً وقاتل اعداء فولاہ الشهاب السندي فلكلها وفتح البلاد الى ساحل البحر وفتح لاہور غير مرة وساس الامور واحسن الى الناس وقاتل جلال الدين خوارزم شاه سنة احتى وعشرين نزتمتة وقاتل الغلچ ستة ثلاث وعشرين وستمائة فهزهم وتزوج يابتش قطب الدين ابيك واحدة بعد اخرى وكانت تزوج بابنة تاج الدين البیز وکان ولی عهده بعلیه ابنته علاء الدین بہرام شاه سبط قطب الدين ابيك . وزوجته بین الملك فخر الدين انجسین بن ابی بکر الاشمری . وکان من اجواد الدنيا اجتمع اليه السادة والاشراف ووقف العلماء عليه من العراق وغزران والفور وغزنة وکان عمره احسن العمور وزمانه انصر الازمان ولم يزل على ذلك حتى هزم شمس الدين الباشمش وغرق ناصر بعاه السندي في التاسع عشر من جمادی الآخرة خمس وعشرين وستمائة .

٣ - كتاب نزهة الفوازير وبهجة المسامع والنوازير .

٤ - الكامل لابن الالبير ج ٤ ص ١١١ ذكر قتل ذاهر ملك السندي . ٨٩

نشاطات في خدمة التراث

إعداد: عبداللطيف الأزناوط

والثقافة والعلوم ، واتحاد الجامعات العربية لتحقيق هذا المشروع العربي
الهام

٢ - ضرورة تدعيم الجامعات العربية للرابطة مؤتمرها الثاني ومادياً بتسهيل مهمة المقارنين وتوفير الظروف الملائمة ل القيام بنشاطاتهم العلمية والمساهمة في أعمال الرابطة ومؤتمراتها ودفع اعانت واشتراكات وتسهيلات أخرى لعمل الرابطة .

٣ - ضرورة دعوة الجامعات العربية للرابطة إلى آية نشاطات علمية أو ملتقيات أو مؤتمرات لها علاقة ما بالأدب المقارن .

٤ - ضرورة تأسيس فروع للرابطة في مختلف الأقطار العربية لتكون روافد لها ، وعلى أعضاء الرابطة العمل على تحقيق ذلك .

٥ - يوصي المؤتمر كل المقارنين العرب بضرورة مكتبة الأمانة العامة لاعلامها بكل ما يجري من مستجدات في مجال

□ توصيات المؤتمر الثاني للرابطة العربية للأدب المقارن^(١) :

بدعوة من رئاسة جامعة دمشق (كلية الآداب) عقدت الرابطة العربية للأدب المقارن مؤتمرها الثاني ، في الفترة المتعددة من ٦ - ٩ تموز ١٩٨٦ وكان موضوع المؤتمر [الأدب العربي المقارن : مجالاته النظرية والتطبيقية] وحضر المؤتمر باحثون جامعيون من ثمانية بلدان عربية هي : سوريا - الأردن - فلسطين - الكويت - العراق - مصر - السودان - الجزائر .

وقد دارت الأبحاث العلمية في ثلاثة محاور :

١ - الأدب العربي المقارن .
٢ - الأدب العربي المقارن والعالم .

٣ - الأدب العربي في علاقته مع الأدب الأخرى .

كما اتى المؤتمر في ختام أعماله التوصيات التالية :

١ - ضرورة تأسيس مركز عربي للأدب المقارن ، ويطلب من مكتب الرابطة الاتصال بالمنظمة العربية للتربية

الأدب المقارن عربياً وعالمياً لنشر تلك المعلومات والأخبار في نشرة الرابطة

٦ - يوصي المؤتمر أعضاء الرابطة بتزويد الأمانة العامة ، والمقر الدائم بكل نتاجات أعضاء الرابطة لتكون أرشيفاً ومنطلقاً للبحث .

٧ - تدعينا لما ورد في بيان المؤتمر الأول (١٩٨٤) بشأن ترجمة كتب في الأدب المقارن فإن المؤتمر يؤكّد ضرورة ترجمة كتب نظرية في الأدب المقارن .

٨ - كما يوصي بضرورة عقد ندوات علمية في مختلف الجامعات حول إسهامات رواد الدراسات الأدبية المقارنة العربية .

٩ - يوصي المؤتمر أن تدور أعمال المؤتمر الثالث (١٩٨٨) حول موضوع : « المناهِب الأدبية ومتلائتها في الأدب العربي ونقدِه » .

★ ★ ★

□ الآثار الإسلامية في الوطن العربي^(٢) :

عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وضمن سلسلة وقائع مؤتمرات الآثار التي تقدم نتائج المكتشفات الأثرية الجديدة في البلاد العربية في شكل بحوث ودراسات ، والتي تناقش مستقبل العمل الأثري . مصدر كتاب بعنوان (« الآثار الإسلامية في الوطن العربي ») وينقسم الكتاب إلى ثلاثة معاور تبحث في العمارة العربية الإسلامية والتنقيبات الأثرية والفن والحضارة .

وقد اهتم المchor الأول بالتطور التاريخي للمدينة العربية ، التي تعيش حالة من الجذب الدائم بين الأصالة والمعاصرة فهي لم تعد مجرد بنيات معمارية ، بحكم أنها أصبحت خاصة لمنطق التطور المعاصر . ولكن الجدير بالاهتمام هو البحث في إشكال تطور هذه المدينة لفهم طبيعة تغيرها حتى تتلامم مع حاجيات العصر . فهناك جهد ملحوظ لتعديل المدينة العربية الإسلامية ، واحتضانها لمنطق العصر ، ولكن هذا الجهد يحتاج إلى تحفيظ يأخذ بعين الاعتبار الموارم السياسية والاقتصادية والديمغرافية والعاصيرية ، فقد كان للمدينة العربية الإسلامية نظام معين تخضع له ، وتنظم حياتها واحتياطاتها وفق ذلك النظام . ولكن هذا النظام بدأ يتعرض الآن إلى الاهتزاز ، نتيجة دخول الحضارة المعاصرة بكل ثقلها إلى المدن العربية المعاصرة .

فإذا كانت المدينة العربية الإسلامية توفر الأجهزة والمنشآت الدينية والاجتماعية كالجامعة والمدرسة والعام .. فإن مقتضيات الحياة المعاصرة تتفرض تغييراً في مورفولوجية المدينة حتى تتلامم مع حاجيات الحياة .

فالمدينة العربية تواجه عدداً كبيراً من التحديات التي فرضها العالم المعاصر ، برغم الارتباط الروحي بين هذه المدينة والأنسان العربي . فهي لم تعد تعكس اليوم القيم الروحية والجمالية المعيبة بها ، أي أنها أصبحت في شبه قطيعة مع محيطها الخارجي ، ويتحدث الدكتور شوقي شعث عن إشكال وطرق صيانة مدينة من المدن العربية الإسلامية ، متغداً من مدينة (حلب) نموذجاً، ذلك أن البحث في صيانة المدن العربية الإسلامية ليس بالأمر الهين ، رغم تشابه

عناصر وجودها ، نظرًا للوحدة الجغرافية والتاريخية والبشرية والمقائدية التي كانت قائمة فيما بينها في فترات طويلة من فترات التاريخ .

ثم تعرض باحثون آخرون إلى نماذج من المعمار العربي ، شارحين كيفية تطوره وتوع الاهتمام الموجه إليه ، باعتبار أن التراث المعماري جزء لا يتجزأ من فكرة الأمة ووعيها التاريخي .

وفي هذا الجزء الخاص ، تعرض باحثون إلى تجارب متعددة في مجال صيانة المدن كشكل من أشكال صيانة الوجه الحقيقى للمدن العربية الإسلامية . وقد كشف هذا الجزء عن ثراء المعمار العربي الإسلامي وغزاره ابداعاته في مختلف المجالات .

ولا غرابة في ذلك لأن المدينة العربية ساهمت مساهمة فعالة في نشر الإسلام وتركيبة العصارة الإسلامية لأن الإسلام دين حضارة، لا يستوفى كل أغراضه ولا يتحقق كل آماله الروحية والاجتماعية إلا في إطار المدينة حيث توافر الأجهزة والمنشآت الدينية والاجتماعية كالجامع والمدرسة والحمام . . .

وإذا ما تحدثنا عن الناحية المعمارية في التاريخ العربي الإسلامي، فلا بد من الإشارة إلى أثر الفنون العربية قبل الإسلام في الفن الإسلامي ، من حيث اهتمامها بالمارقة وتخطيط المدن ، والتحت والتشكيل والفنون الزخرفية ، والكتابية والزراعة وطرق الري، والعمارة وتخطيط المدن .

وفي هذا الاتجاه يتحدث الدكتور عبدالرحمن الانصارى عن أثر الفنون العربية قبل الإسلام في الفن الإسلامي مبرزاً جوانب الاستفادة وطبيعة الروابط التي تجمع بين

الفنون في المعمرين ، وبعد تبيان مختلف وجوه الالقاء والاختلاف ، يخلص الباحث إلى أن الجسور متصلة بين المعاشرة العربية والمعاصرة الإسلامية، وذلك لأن العرب هم مادة الإسلام، فكان طبيعياً أن ينقلوا تعبيرتهم الإنسانية إلى الشعوب التي فتحوها ، ويبلوروا تعبيرتهم هذه بما يتناسب مع الرسالة التاريخية لسلام .

أما الدكتور عفيف بهنسى فقد عرض بحثاً عن أثر الفن العربي الإسلامي على الفن الغربي ، ذلك أن الفن العربي الإسلامي ليس إلا حصيلة حضارية مديدة لعالم الشرق العربي ، وكان على الفنانين الذين زاروا هذا العالم ، أن يأخذوا عن هذا الفن أساليب جديدة استحوذت بسرعة على قلوب المتدوين، وكان لها رواج بعيد المدى، مما دفع الفنانين المستشرقين وبسرعة إلى أعلى مراتب الشهرة .

وقد استهوى الأوروبيين الفن الشرقي الغربي لديهم والذي يقترب مما أسماه بالفن التطبيقي ، أما التصوير والنقوش، فلم يكن بطرافة الفنانين التزيينية الأخرى رغم تقدمه وتطوره ، خلافاً للأعتقدان السائدان بأن الرسم كان ممنوعاً على المسلمين .

وقد ازدهر الفن الشرقي في حياة الأوروبيين ، في البلاد التي كان فيها وبين العرب تجارة مستمرة ، أو مبادرات للتمثيل дипломاسي كما كان في أيام الحكم العثماني .

وتحدث الدكتور عبد الهادي التازي عن [مصادر الآثار الإسلامية] ، معتبراً أن القرآن الكريم هو أهم تلك المصادر باعتباره قد اهتم بتحديد أقدس الأمكنة في عالمها الإسلامي ، كما أكد على وجود مصدر آخر من المصادر المبكرة أيضاً ، وأعني بذلك

□ مكتبات المخطوطات في الهند : (٢)

وضع الأستاذ عبد الرحمن عبد الجبار الغرياني تقريراً عن أهم مكتبات المخطوطات في الهند التي تشتهر بمخطوطاتها وطبعاتها القديمة في التفسير والحديث والفقه واللغة العربية . مع الاشارة أن هناك مكتبات قيمة في كل مركز من مراكز التربية والتعليم المنتشرة في أنحاء بلاد الهند :

١ - مكتبة رضا الشعيبة :

رام فور (شمال الهند) : وهي من أقدم مكتبات الهند الشهيرة للمخطوطات النادرة ، أنشأها التواب السيد فيض اشخان بهادر والي رامفور في ١٧٩٤ م / ١٨٠٨ هـ ، وطار صيتها في الآفاق في النصف الآخر من القرن التاسع عشر الميلادي بفضل جهود الأمير السيد كلب علي خان بهادر ، وازدهرت المكتبة في عصر محمد رضا علي خان بهادر الذي تولى عرش الولاية سنة ١٩٣٠ م ، وعين الأستاذ امتياز على عرشي أميناً للمكتبة ، وبعد استقلال الهند أدارتها الحكومة ، وبلغ عدد المخطوطات فيها ١٤٠٠٠ مخطوطه ، معظمها باللغة العربية والاردية والفارسية . ونشر فهرس المخطوطات العربية في ستة مجلدات ، وعدد مخطوطات علوم القرآن والحديث وأسماء الرجال ١٤٢٠ مخطوطة .

٢ - مكتبة خدا بخش للعلوم الشرقية :

يانكي فور بنتن ، (ولاية بهار) : وهي مكتبة عظيمة تمتد بين مكتبات الهند بمخطوطاتها النادرة في علوم القرآن والحديث ، وضع حجرها الأساسي والد خدا بخش الشيخ محمد بخش (ف ١٨٧٦ م) الذي كان مولعاً باقتناص الكتب النادرة . وترك لابنه خدا بخش ١٤٠٠ مخطوطة حين وفاته ،

مصنفات الحديث الشريف ، وخاصة كتب الصاحب ، البخاري ومسلم ، وما يأتي في منزلتها من المرويات والمأثورات .

هذه المصادر مجتمعة تؤكد على ثراء المعلومات ووفرتها ، خاصة فيما يتصل بتطور المعمار العربي الإسلامي ، كما لا يفوتنا في هذا المجال أن نبين أهمية الرحلات كمصدر للأثار الإسلامية ، فستظل هذه الرحلات المرجع الأساسي لما شيده المسلمون في الشرق والغرب .

وتضمن هذا الكتاب جزءاً كاملاً تحدث عن الوثائق والنصوص ، الصاحبة لندوة صناع . وقد أبرزت هذه الوثائق جهود المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في مجال المحافظة على المدن والواقع التاريخية ، ومدى تطور العملة العربية الإسلامية لصيانة مدينة القروان .

كما تضمن هذا الجزء أيضاً تعريفاً بمشروع قانون الآثار الموحد ورعاياً لتقارير الدول العربية عن أوضاع الآثار .

ويأتي هذا الكتاب في نصوصه وتوصياته تأكيداً على الاهتمام العربي في كل المستويات ، بالمعمار العربي الإسلامي صيانة ورعاية واهتمام ، باعتباره وجهاً مشرقاً من وجود العضادة العربية الإسلامية ، وترسيخاً للهوية القائمة منذ عصور تاريخية .

كما روى الشيخ عبدالفتى في حيدر آباد وهو من أفراد الأسرة ، واشتهرت مكتبة مدراس « بمكتبة أمانتي » .

٦ - المكتبة السعيدية :

بعيدر آباد : هي مكتبة ثانية لأسرة القاضي بدر الدولة ، وفيها ثلاثة آلاف مخطوطه في الحديث والقرآن والفقه والكلام ، ومديريها العالي الشیخ عبدالفتى حفظه الله وكلتا المكتبيتين لأسرة القاضي بدر الدولة تملکها السيدة خير النساء زوجة الشیخ محمد غوث ، وهي حالة الشیخ عبدالفتى المذكور ، وكلتا المكتبيتين في حالة كثيبة ، تحتاج إلى نظام وإدارة وتنسيق وموئنة مادية ، وإلا يخشى التلف والفساد عليها .

٧ - المكتبة الأصفية :

هي مكتبة أنشأها الأمراء المسلمين في حيدر آباد ، والآن تديرها الحكومة وهي كبرى المكتبات في حيدر آباد ، وفيها مخطوطات جيدة ، وطبعات قديمة .

٨ - مكتبة متحف سالار جنك :

أنشأها نواب مير يوسف علي خان سالار جينك (الثالث) ، وهي من المكتبات الشهيرة في الهند ، تحتوي على مئتي الف كتاب من مطبوع ومتخطوط ، وعدد المخطوطات فيها ٢٦٥٠ مخطوطة ، والعربيّة فيها ٢٤٥٩ ، وخطوطات علوم القرآن والحديث وأسماء الرجال والفتاوی لأهل السنة تبلغ ٢٩٨ مخطوطة . وكتب السنة والتفسير والفقه والفتاوی للشیعیة تبلغ ٢٧٤ مخطوطة ، ولها فهرس منشور من دائرة المعارف بعیدر آباد . وفي حيدر آباد مكتبات أخرى مثل المكتبة العثمانية ومكتبة آزاد .

واستطاع خدا بخش بجهوده الفردية أن يقدم لlama الاسلامية أروع مكتبة طار صيتها في الآفاق ، وسار إليها الركبان ، ويبلغ عدد المخطوطات والمطبوعات فيها ٤٦٩٨ نسخة ، وعدد المخطوطات العربية ٤١٦ نسخة ، وقد ظهر إلى الآن ٣٢ جزءاً من فهارسها، منها جزءان للحديث وجزآن للقرآن وعلومه ، ويقدر عدد مخطوطات التفسير والحديث حوالي ألفي مخطوطه ، ومن نفائس المخطوطات: مصحف بخط النسخ بقلم ياقوت (٦٨٨هـ) ، والأمالي لأبي القاسم عبدالمالك بن محمد بن عبد الله ، وتاريخ دمشق ، وهي نسخة وحيدة كاملة في العالم .

٣ - مكتبة الجمعية الآسيوية بكلكتا :

أيضاً من المكتبات الشهيرة في الهند لخطوطاتها الكثيرة والمطبوعاتها ، ويقدر فيها عدد المخطوطات أكثر من ألفي مخطوطه ، وتديرها حكومة البنغال .

٤ - مكتبة الحكومة الشرقية :

هي مكتبة قيمة عظيمة في جنوب الهند ، وصدرت فهارسها المشروحة في اللغة الانجليزية ، وعدد المخطوطات العربية فيها حوالي ١٥٠٠ مخطوطة ، معظمها في الحديث والتفسير والأدب والكلام .

٥ - مكتبة أسرة القاضي بدر الدولة :

بمدراس : أسرة بدر الدولة من الأسر العلمية التي لعبت دوراً مهماً في نشر الثقافة الإسلامية في الهند ، وهاجر بعض أصحابها إلى حيدر آباد واشتهر من هذه الأسرة الأستاذ الدكتور حميد الله (فرنسا) ، وتوجد في هذه المكتبة ٧٠٠ مخطوطة ، غالباً في علوم القرآن والسنة والفقه والكلام والعربيّة ،

وزرنا بعض أسر النواب ورأينا هناك
مئات من المخطوطات يعرضونها على المشترين
يبيعونها بشمن بخس .

٩ - مكتبة المعهد الهندي :

للدراسات الإسلامية (تابعة لمؤسسة
مدرد بدھلی) : هي مكتبة حديثة انشاها
الحكيم عبدالحميد الدھلوي ، وصارت المكتبة
من كبرى مكتبات الهند من حيث المخطوطات
توجد فيها خمسة آلاف مخطوطة معظمها
بالمربيّة . وجدير بالذكر أن فيها مخطوطات
كثيرة مصورة من مكتبات روسيا ، وهي من
ابعد المكتبات في تنسيقها ونظمها وادارتها .

١٠ - ١١ - مكتبة الجامعة العربية : بدھلی ومكتبة أبي الكلام - آزاد بدھلی :

مكتبتان قيمتان ، وفيهما عدد غير قليل
من المخطوطات ، والجدير بالذكر أن ما في
مكتبة الجامعة الملة أهديت إليها من مكتبة
دار الحديث الرحمانية وقت استقلال الهند
سنة ١٩٤٧ م التي كانت من أهم مكتبات
الهند .

١٢ - مكتبة آزاد بالجامعة الإسلامية بعلى كره:

وهي مكتبة عامة للجامعة ومن كبرى
مكتبات العالم وفيها عدد من المخطوطات
العربية من الكتاب والسنة والفقه والأدب .

١٣ - مكتبة دار العلوم ديويند :

هي مكتبة عظيمة شهيرة في الهند ، تحتوي
على آلاف من الكتب القيمة ، وفيها عدد كبير
من المخطوطات ، الا أن شهرة المكتبة من
كثرة الكتب المطبوعة القديمة .

١٤ - مكتبة ندوة العلماء - بلکناؤ :

هي مكتبة دار العلوم ، وكبيرة جداً ،
يرجع تاريخها إلى وقت تأسيسها قبل ست
وثلاثين سنة ، وأهديت إليها مكتبة العلامة
عبدالنبي الحسني ومكتبة النواب نجم الحسن
ومكتبة النواب علي حسن خان بن النواب
صديق حسن خان . وعدد المخطوطات فيها :
التفسير ٧١ مخطوطة ، وعلوم الحديث
والصطلاح وأسماء الرجال ٢٢٠ مخطوطة ،
والفقه وأصوله ١٥٠ مخطوطة .

١٥ - المكتبة الناصرية :

في بلکناؤ وهي مكتبة مشهورة بكتابها
القيمة النادرة ، وفيها مخطوطات جيدة .

١٦ - مكتبة دار المصطفين :

أعظم كره : دار المصطفين تعتبر أكاديمية
علمية ، إسلامية كبيرة ، أسسها العلامة شibli
النعماني بعد انزاله عن دار العلوم (ندوة
العلماء) ، ثم خلفه تلميذه البار العلامة السيد
سلیمان الندوی ، ثم اجتمع في هذه الأكاديمية
نخبة ممتازة من المؤلفين ، ويهودهم صارت
مكتبيها من نفائس المكتبات في الهند ،
ويوجد فيها عدد من المخطوطات
العربية ، وهي أكبر مكتبة في شمال الهند
للكتب الدينية والاسلامية .

١٧ - مكتبة طوك :

وقد أخبرني بعض الاخوة أن في طوك
عدها كبراً من المخطوطات العجيدة في مختلف
العلوم والفنون الا أن مكتبة طوك غير معروفة ،
ولذلك لا تستطيع القول فيها أكثر من ذلك .

١٨ - مكتبة يومي :

وهي مكتبة شهيرة تحتوي على كتب قيمة
وفيها بعض المخطوطات ، وقد سمعت من

بعض الاخوة عنها كثيراً ، ولكن ليس لدى معلومات عن المكتبة .

١٩ - مكتبة الجامعة السلفية :

بنارس : مكتبة حديثة انشئت سنة ١٩٦٦ م ، وقد أهدى المكتبة بعض المكتبات الأهلية كمكتبة العلامة محمد أبوالقاسم الحدث البنarsi التي يبلغ عددها قرابة خمسة آلاف كتاباً من نفائس كتب التفسير والحديث والأدب .

٢٠ - مكتبة بومباي :

مكتبة شهيرة تحتوي على كتب قيمة وفيها بعض المخطوطات وقد سمعت من بعض الاخوة عنها كثيراً ، ولكن ليس لدى معلومات كثيرة عنها .

ومكتبة العلامة الأديب عبدالمجيد العريبي البناري التي تحتوي على أكثر من الفي كتاب في علوم الأدب واللغة ، والحديث والتفسير ومكتبة عبدالرحمن باقا الفازيفوري ، وبعض مكتبات ميرته وغيرها . وبهذه المكتبات الأهلية صارت هذه المكتبة من أنفس المكتبات للكتب القديمة .

هذه هي نبذة عن المكتبات الإسلامية التي نالت شهرة عظيمة في بلاد الهند ، وطار صيتها في الآفاق . ومعظم هذه المكتبات تحتاج إلى مساعدة مادية وتشجيع أدبي ، فإن قلة وجود الخبراء في مكتبات الهند يلتفت إلى حد كبير ، وقد لاحظنا في بعض المكتبات سوء التنظيم والتنسيق ، وهذا لقلة امكاناتهم المادية والأدبية ، حتى رأينا في بعض المكتبات القيمة أن بعض المخطوطات النادرة قد أكلتها العشرات ، وتحتاج الكتب إلى تجليد جديد ،

ونظراً لأهمية المخطوطات أصدرت الحكومة الهندية قراراً يمنع اخراج المخطوطات من الهند إلى البلاد الأخرى ، ومن المعلوم أن هناك مكتبات أهلية ، بعض عليها أصحابها بالتوارد مع عدم امكاناتهم ليحتفظوا بها .

* * *

□ سلسلة « نصوص تراثية » (٤) :

تقررت اصدارات سلسلة تراثية من مائة كتاب يعنوان « نصوص تراثية » : وقد وضع السيد محمود الأرناؤوط الذي كلف بالاشراف على السلسلة منهاجاً لها وهدفاً . تم التأكيد من خلاله على تقديم نصوص مختارة بعناية ودقة من بطون المصنفات والمجاميع التراثية المخطوطة ، أو الطبوعة من كتب التراث ، على أن يكون لها تأثير طيب النتائج في الأوساط الاجتماعية كافة ، كما تم التأكيد على أن هذه السلسلة مفتوحة لمشاركة الأساتذة الباحثين في كل مكان من الوطن العربي ، بشرط أن يتلزم المشاركون بالنهج الموضوع .

و جاء في التقديم الذي كتبه الأستاذ محمود لأول نص صدر من السلسلة - وهو نص « الأولئ » من كتاب « المعارف » لابن قتيبة المتوفى ٢٧٦ هـ بتعتير محمد بدر الدين القهوجي - جاء فيه :

لقد كانت غايتنا من اصدارات هذه السلسلة هي تقديم الزاد الثقافي إلى القراء على طبق من ذهب ، فكان أن اقتصرنا في البرنامج الذي وضعناه لها على تقديم نصوص مختارة بعناية ودقة من بطون بعض المصنفات والمجاميع التراثية المخطوطة . وربما انتقينا مجموعة من النصوص مما

جرى طبعه من كتب التراث ، على أن يكون للنصوص المختارة تأثير طيب النتائج في الأوساط الاجتماعية كافة ، فكان أن اشتربطنا لقبول أي من النصوص التي رشحت للصدور في « السلسلة » – أو تلك التي سيجري ترشيحها مستقبلاً – أن تثال حيتها من الدراسة والتحقيق ، بحيث لا يدع محقق النص أي لفظة ترد في النص مما يحتاج إلى الضبط . والشرح ، والتعريف ، والبيان ، والتغريج . والتوثيق دون أن يفي به على أفضل وجه ، وأن يشير في نهاية كل نقل إلى المصدر الذي استقى منه المعلومات التي دونها ، وأن يقوم بعهرسة علمية لجميع ما ذكر في النص من الآيات ، والأحاديث ، وأبيات الشعر ، والأعلام ، والبلدان ، والأماكن ، وال الموضوعات .

فهرس مخطوطات الأدب في المتفع العراقي(٤) :

صدر فهرس بعنوان « مخطوطات الأدب في المتفع العراقي » أعدته أسامة ناصر النقشبendi وظبياء محمد عباس وضمنها وصفاً لألف وتسع مائة وسبعين وخمسين مخطوطة ، فيها أربع مائة ديوان ، من بينها مجموعة مهمة من دواوين شعراء العراق الذين عاشوا بعد القرن العادى عشر للهجرة ، ومجاميع شعرية وأدبية نادرة .

وقد اشتمل الوصف على ذكر عنوان المخطوطة ، اسم المؤلف ، ترجمته ، اقتباس بعض الأسطر من أول المخطوط ، معلومات عن المحتويات وسبب التاليف والأبوب والقصول والباحث ، أهمية النسخة ومميزاتها وما تتضمنه من حواش وشروح وتعليقات ومتلکات وسماعات واجازات ومقابلات وفوائد وقراءات ، نوع الخط ، اسم الناشر وتاريخ النسخ ومكانه وترجمة الناشر اذا

كان من الأعلام ، مقاس المخطوطة والمصادر والمراجع التي ذكرت المخطوطة ومؤلفها ، بالإضافة إلى الالاح إلى طبعات المخطوطة ، إذا كانت قد طبعت ، والإشارة إلى كونها محققة أو غير محققة ، وأخر طبعة صدرت لها .

ومن نوادر المخطوطات التي تضمنها الفهرس نسخة من « سعر البلاغة وسر البراعة » للشاعر ، كتبت في عام ٤٨٢ هـ و « ديوان المستنصريات » بخط ابن أبي العذيد ، و « ديوان العمامرة الكبرى » لأبي تمام كتب ٥٠٤ هـ ، و « نوح البلاغة » ، كتبت ٥٥٦ هـ ، ونسخة فريدة من « الفصول الأدبية والمراسلات العبادية » للصاحب بن عباد ، كتبت ٦٢٨ هـ ، ومجموعات تضم كتاباً ورسائل فريدة ، منها « فصول التماثيل في تباشير السرور » لابن المتن ، و « دارات العرب » للأصمعي ، و « وصايا أفلامون » و « المختار من شعر ابن المتن » ، كتب ٦٤٥ هـ .

وذكر المعدان أنها فصل العدیث عن المجامع الشخصية ، التي هي أشبه ما تكون بالذكرات الخاصة ، والتي تنقل الكثير من الرسائل والقصول والقصائد غير المعروفة ، كما في « المجموعة الوسطى » لأبي الثناء الآلوسي ... كما أن بعض المجامع تضمنت حكايات ومعاورات شعرية ومناظرات وخواطر وتعليقات وردوداً ونقولات ، إضافة إلى تسجيل بعض الأحداث والأخبار والفوائد التاريخية ... وبعض تلك المجامع تمثل نتاجات لما كان يدور في المجالس الأدبية ، ومنها : مجموعة أحمد بن رمضان الهيثمي وصالح السعدي الموصلي وأبي الفتح التونسي الدمشقي وخليل النعاجي المقدسي ومحمد أمين المرمى وعبدالوهاب النائب ويحيى بن عبد الرحمن البيلكى وغيرهم ، ومعظم هذه المجامع كتبت بخطوط جامعها .

وقع الفهرس في ٧٨٣ صفحة من القطع المتوسط ، وذيل بكتابين للأعلام والأمكنة استfrica الصفحات من ٦٦٣ إلى ٧٥٨ ، وعرضت في بقية الصفحات نماذج مصورة لبعض المخطوطات .

* * *

□ أعداء المكتبات والكتب التراثية:(٤) :

كتب الباحث الأستاذ (محمد حافظ عبداله الرفاعي) دراسة قيمة عن أعداء التراث المكتوب .. والتي نشرت في الملحق الأسبوعي «التراث من التراث » لمجريدة المدينة السعودية المدد ٦٠٥ ويعده فيها أبرز وأهم أعداء الكتب والمكتبات التي تضم في خزانتها ذخائر التراث العربي والإسلامي وهي :

أولاً - البشر :

لعل بعضنا ت慈悲ه الدھشة عندما يسمع بأن البشر من أشد أعداء الكتب ، وبخاصة عندما يقف على الجهود ، التي بذلت ، ولا تزال تبذل ، في المحافظة على الكتب والمخطوطات ، ولكن عجبه سينزول عندما يدرك أن التاريخ سجل لنا أحداثاً اليمة ، ووقائع جسيمة ، أصابت مجموعات هائلة ، وأعداداً كبيرة من الكتب ، كان للإنسان دور كبير في وقوفها .. سواء كان ذلك الدور عدائياً ، قدس به الاعتداء على ثمار الفكر الإنساني ، أو غير عدائياً مقصود ، انتهاقاً نتيجة الجهل واللامبالاة وعدم العيطة .

وعلى سبيل المثال : فقد امتدت يد الدوّان على مكتبة الإسكندرية ، قبل الفتح الإسلامي . وبمده ، فقضت على الآلاف

المؤلفة من كتب العلم والحكمة ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل زعم بعض الكتاب أن هذا العمل الشنيع قام به والي مصر عمرو بن العاص - رضي الله عنه - بأمر من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بعجة أن المسلمين ليسوا بحاجة إليها ، ولكن هذا الزعم الباطل يسقط أمام كل من تمعن في تعاليم الإسلام ، وتتبع أخلاق المسلمين ، إبان الفتوحات الإسلامية ، إذ يجد أن المسلمين ليس من عادتهم إطلاقاً حرق الكتب الدينية اليهودية والنصرانية ، وإذا حصل شيء من هذا فلا يتجاوز الكتب ، التي تتحدث عن الوثنية ، وتروج لها ، كما يجد حرص المسلمين على الانتفاع بكتب الطلب والحكمة ، والفلسفة ، وينتفعون الكثيف في سبيل ترجمتها ، وتعريف المسلمين بها . أما أعداء العرب فال تاريخ يشهد بأن هناك من يعرصون على طمس معلم العصارة ، ودك حصنون المدينة ، وخير دليل على ذلك - المأساة الكبرى ، التي أصابت البلاد والعباد ، من الهجوم المغولي ، وما رافق ذلك الهجوم من اعتداء على الكتب والمخطوطات ، حتى إن مياه نهر دجلة اصطدمت بالسواد (لو نداد المخطوطات) من جراء القاء آلاف الكتب والمخطوطات فيها ، ولم يغادر القائد المغولي (هولاكو) مدينة بغداد إلا بعد أن حولها إلى خراب ، في حين أنها كانت تعد من أجمل مدن العالم آنذاك .

وبمثل تلك الفظاعة يستمر أعداء الثقافة في ممارسة نشاطهم العدوانى تجاه الفكر الإنساني . حتى القرن العشرين ، وخير شاهد على ذلك جرائم اليهود المستهدفة للكتب العربية والثقافة الإسلامية ، ولا أحد يجهل دور الصهاينة البارز في قضية احرق المسجد الأقصى ١٣٨٩/٦ـ وما تلك العريمة التكرياء

الا واحدة من الجرائم الموجهة ضد الفكر الانساني ، بهدف القضاء على التراث المكتوب .

ثانياً - النار والماء :

لا يخفى على الجميع أن ما تلتهمه النار من الكتب ، خلال فترة قصيرة ، قد لا يمكن تعويضه في سنوات ، وربما لا يمكن استعادته على الأطلاق .

أما الماء فرغم أنه من الوسائل الشائعة في إخماد النار ، إلا أنه غير مجد ضد الكتب والمخطوطات ، وذلك لاحتمال التلف ، الذي قد يسببه وصول الماء إليها من التصاق الأوراق ، واصابتها بال霉 ، إلى سيلان المداد بالنسبة للمخطوطات ، وغير ذلك من الأضرار ، التي تصل إلى أبعد حد من التلف ، الذي تسببه النار نفسها ، الأمر الذي يجعلنا نعتبر الماء ضمن أعداء الكتب ، شأنه شأن النار .

وحرصاً على المواد المكتبة يجب أن يكون مبني المكتبة معداً لمقاومة العريق ، ومزوداً بالنبهات « الأوتوماتيكية » بعيداً عن شبكة المياه والمجاري المائية ، أما في حالة نشوب العريق فيجب استعمال الأجهزة ، المحتوية على « ثاني أكسيد الكربون » كما يجب التشديد على عدم التدخين ، داخل المكتبة .

ثالثاً - الرطوبة :

تلعب الرطوبة دوراً هاماً في تلف الكتب ، رغم أن وجودها بنسبة معينة يعد ضروريًا لرونة الورق . وقابلية على الالتشام ، فالرطوبة المالية جداً والتي تصل إلى ٧٥٪ تعطي الفرصة لننمو الفطر (العفن) الذي

يترتب عليه اضماع الورق ، وتحول لونه إلى بقع كريهة ، ذات لون أسود أو بني ، كما تسبب في جفاف الجلد ، الذي يعمي الأوراق .

أما الرطوبة القليلة التي تقل عن ٣٠٪ فانها تتسبب في جفاف الورق واضعافه وقابليته على التصف ، لذا يستحسن أن تكون نسبة الرطوبة قريبة من الوسط ، أي بين ٤٥-٥٥٪ فقط .

رابعاً - العرارة والضوء :

عند تعرض الأوراق للحرارة أو الضوء القوي لفترة طويلة ، ونتيجة سقوط أشعة الشمس عليها ، أو نتيجة الإضاءة الصناعية ، فإنها تفقد لونها وتضعف مقاومتها ، وتصبح هشة ، وسرعان ما تتفصف وتتكسر ، عند أدنى استعمال ، ولكنها تحافظ على الكتب القيمة ، والمخطوطات النادرة ، والوثائق المهمة ، أكبر فترة ممكنة من الزمن ، يجب أن نهيئ لها الجو المناسب ، بحيث يكون جو المكتبة ، بين ١٨-٢٤ درجة مئوية فقط ، وهذا يساعد على اطالة حياة الأوراق ، ويؤخر تقادمها .

خامساً - الهواء الجوي :

يعتبر الهواء الجوي الملوث مسؤولاً مباشرةً عن بعض التلف ، الذي يحدث للكتب نتيجة تفاعله مع المواد الداخلة في تركيب الورق ، وتحلل مواد اللصق والتجليد ، وذلك لتوفر عناصر التحلل والأكسدة فيه (كالأسجين ، النتروجين ، بخار الماء ، ثاني أكسيد الكربون .. الخ) كما أن الهواء الملوث يصدئ المعدن ، ويفقد المادة البروتيرية الموضعية على أغلفة الكتب بريقها ولمعانها .

ولكي نتفادى خطورة الهواء لا بد أن يكون بالكتبة جهاز تكثيف مركزي ، يمكن التحكم في درجة حرارته ، بحيث تكون درجة جو المكتبة بين ٢٠-٢٤ درجة مئوية ، وان يتولى فريق الصيانة مسؤولية تشغيل التكثيف ، والاشراف عليه ، طوال ٢٤ ساعة يومياً لأن أي تعطيل في التكثيف – ولو لمندة قصيرة – تتعكس آثاره الضارة على المواد المكتبة نتيجة التغير الكبير المفاجئ . الذي يحدث في درجة الحرارة والرطوبة .

سادساً – العشرات والقوارض :

هناك عدد كبير من العشرات والقوارض ، بعضها يعيش بين الكتب ، ويتنفس على صفحاتها ، وبعضها الآخر يشن هجومه عليها ، كلما ستحت له الفرصة الملائمة ، وقد أمكن التعرف على أكثر من سبعين نوعاً من العشرات ، كلها بمثابة أعداء الكتب ، منها على سبيل المثال (قارضة الورق ، الأرضا ، دودة الكتاب ، العنة ، الفطريات الخ .)

لكن العلماء تكثروا من ايجاد طرق مقاومتها ، ووسائل القضاء عليها ، ومن هذه الوسائل طريقة التبخير الكامل للمكتبة والمخازن ، وهي طريقة ناجحة في القضاء على العشرات وابادتها ، كما أن هناك طرقاً أخرى ، الهدف منها طرد العشرات ، والقوارض ، ومنها من زيارة المكتبة ، مثل طريقة توزيع خليط من حامض (البيوريك) و « النشا » على ظهور الرفوف والدواويب (وهي طريقة وقائية) .

سابعاً – الأنانية والعيث :

يعتبر جمهور القراء نفسه في بعض الحالات مسؤولاً مسؤولية مباشرة عنضرر ،

الذي يلحق الكتب ، وذلك بتمزيقه ، أو قصه بعض الصور والغرائب والأوراق من الكتب ، ويكون ذلك اما بداعي المبت ، والطيش ، او بداعي الأنانية ، وحب التسلط ، الأمر الذي يوقع المسؤولين بالكتبة في حرج أمام القراء والباحثين الآخرين .

وي يكن العدد من هذه الظاهرة العجيبة بتأمين أكثر من نسخة واحدة ، بالنسبة للكتاب ، وتسهل عملية الاعارة ، بالإضافة إلى نشر الثقافة والوعي المكتبي ، بين عموم القراء المتردد़ين على المكتبة ، وتعتبر عملية ملاحظة القراء عن طريق الشاشة ، التلفزيونية « من انجع وسائل القضاء على ظاهرة العيث ، وافتقاء بعض الصور واللوحات والغرائب ! ومن الوسائل الحديثة المستعملة ، لحماية الكتب والوثائق في المكتبات الكبيرة عملية المفتلة الكهربائية و « الألكترونية » ، بالنسبة لجميع مقتنيات المكتبة ، بحيث تصدر إشارات تنبهية متتابعة ، عند محاولة أي شخص الخروج بأي كتاب أو ورقة ، من داخل المكتبة ، وهذه الوسيلة أثبتت نجاحها وفاعليتها في المحافظة والابقاء على مقتنيات المكتبة .

* * *

أهم مراجع البحث :

- ١ - الإجراءات الفنية للمكتبات : د. أحمد أنور علي .
- ٢ - عالم الكتب والقراءة والمكتبات : د. محمد أمين البنهاوي .
- ٣ - ماذا بعد احرق المسجد الأقصى : عبد العميد السائح .
- ٤ - أشهر مشاهير الإسلام في العروب والسياسة : رفيق المطرم .
- ٥ - الإسلام وفلسطين: رفيق شاكرالنشة .

[[المسرح والتراث العربي : (٥)]]

في الثقافة العربية فان افضل السبيل هو العودة الى التراث العربي الذي يختلف عن الحضارتين اليونانية والاغريقية لاستنبط اشكال ومضامين تمثل بحق « الروح » العربية .

٢ - ولأن التراث العربي يحمل طابعاً مميزاً خاصاً، هو نتيجة تطور تاريخي للمجتمع العربي الاسلامي بفنونه وأدابه وعلومه فان استلهام هذا التراث لا بد بالضرورة ان يؤدي الى اثراء اي عمل مسرحي عربي ينشد التأصيل على صعيد الهوية القومية .

٣ - ان التراث العربي هو نتاج الثقافة المدونة والمنقولة والشفاهية وهو يشكل مجموع التكوينات المميزة للشعب العربي في المشرق والمغرب وهذا ما يؤهله لاعطاء البديل الحقيقي لنيل الفعل المسرحي عن ساحة الاداب العربية في الماضي ولمسرح العالمي القائم أساساً على النقل والاقتباس عن الغرب او على الاشكال الغربية في المسرح .

والجيل الجديد الذي تحمل مسؤولية توظيف التراث في المسرح العربي يحاول تصايل عطاءاته انطلاقاً من تقديم أعمال سرخية هادفة ابتداء من السينينات حيث عرف المسرح العربي العديد من الأبحاث والدراسات والتجارب التي دارت كلها أو معظمها حول معور أساسي هو : هل عرف العرب المسرح أم لا ؟ وهل بالامكان التعامل مع التراث العربي كركيزة أساسية للعمل المسرحي العربي ابرازاً للشخصية الثقافية المميزة لlama ، وانطلاقاً من ضرورة البحث عن صيغة مسرحية عربية مميزة ومختلفة عن المسرح الغربي ؟

في محاضرة للدكتور سمير سرحان عن [[المسرح والتراث العربي]] يحاول أن يجد العلاقة بين المسرح والتراث العربي . وذلك من خلال المراحل التاريخية التي ظهرت وتطور فيها مسرح خيال الطفل .. الى أن وصل الى شكله وصيغته المعاصرة .. ويرى أن الفن المسرحي الذي أضاع جزءاً من وجودنا لا يمكن بأي حال أن ينعزل عن تاريخ الأمة وعن أصلة تراثها .

ففي التراث العربي المكتوب والمدون وفي الفولكلور العربي المتوازن مواقف بطولية شامخة ، وشخصيات إنسانية أخاذة وأشكال احتفالية ومسرحيات مؤثرة .

وإذا عرفنا أن الفن العقلي الأصيل هو التقاط للظواهر الجوهرية والتيرات الرئيسة في الحياة الإنسانية واستبعاد لكل ما هو سطحي ووقتي ، لعرفنا أهمية استلهام تراثنا العربي في صيغته الجدلية التي تبعث في كل القيم والخصائص الإنسانية المتميزة في حضارتنا العربية الإسلامية وعندئذ نستطيع أن نرکن إلى العصيلة المتقدمة من تراثنا لاستغلالها استغلالاً مجزياً في أعمالنا الفنية بالأسلوب الأمثل والتناول الأنفع والمالجة الأجدى .

من هذه الزاوية يمكننا أن نستنتج العقائق التالية :

١ - ان المسرح العربي العالمي - في معظمها - يقوم في شكله ومضمونه على التراث المسرحي الأوروبي خاصة الاغريقي اليوناني .
وحيث أن تصايل هذا المسرح مهد جذوره في الثقافة العربية يتطلب ايجاد بديل

ومن أهم هذه التجارب والدراسات والارهاسات والمحاولات في هذا المجال دعوة الدكتور يوسف ادريس في مطلع السبعينيات الى ابتداع مسرح عربي أصيل عن طريق الاعتماد على النموذج التراثي المتمثل في مسرح السامر .

وكان يوسف ادريس قد عرض نظريته عن الدراما العربية الأصيلة في ثلاثة مقالات بمجلة الكاتب نشرها عام ١٩٦٤ بعنوان « نحو مسرح مصرى » .

ويشعر يوسف ادريس أن الكاتب المسرحي لكي يبدع مسرحاً عربياً أصيلاً ينبغي أولاً أن يفتش عن الذات والهوية العربية ، ويقترح في هذا السبيل أن ينظر الكاتب إلى ماضي بلاده التاريخي والأدبي ، وهو يشجع الكتاب على البحث عن أدبه الشعبي المنسي فهناك سيدعون هويتهم الأصيلة . ويعبد يوسف ادريس من المصادر القديمة في ابتداع شكل مسرح عربي معتمد على الأشكال التراثية « القافية » أو العوار المقفى الذي هو لون من الكوميديا المرتجلة يمارسها الناس في مجالات عدة ، وكذلك مسرح السامر والفضل المضحك الذي يوجد في الريف ، وكذلك مسرحيات خيال الطفل وأخيراً القراقوز أو الأراجوز .

وفي رأيه أن كل هذه الوجوه من الأدب الفولكلوري كان ينبغي أن تستخدم عندما برزت مسرحيات القرن المشرين ويمتد يوسف ادريس أن المسرح العربي - حتى الآونة الأخيرة - كان مقلداً للدراما الأوروبية في القرن الثامن عشر والتاسع عشر والمئتين . فالكتاب المسرحيون العرب عن طريق الترجمة والاقتباس بل عن طريق الابتكار أيضاً قد عبروا عن أفكار أوروبية .

مستخددين أشكالاً أوروبية ، بل عندما كانوا يكتبون أيضاً عن أوضاع محلية ، كان الوجودان أو الوعي الأوربي هو المائل دائماً وبذلك لم يحصل المسرح العربي على هويته وندينته . وفي رأي يوسف ادريس أن القول بأنه لم يكن أمام الدراما في الشرق الأوسط إلا طريق واحد هو الطريق الأوربي فحسب هو قول مضلل وغير صحيح .

فالآلة العربية قد أوتيت تاريخاً غنياً من الأدب الشعري والفولكلوري ، وشيئاً من الأشكال المسرحية المبكرة بحيث يتاح للكاتب العربي أن يستلهم هذا الموروث الفني من الثقافة العربية الأصيلة .

وفي عام ١٩٦٧ صدر كتاب « قالبنا المسرحي » لتوثيق العكيم دعا فيه إلى ايجاد صيغة مسرحية عربية خاصة تقوم أساساً على العكواتي والمداح ولكن العكيم كمؤلف مسرحي - لم ينشأ أو لم تتع له الفرصة لأن يؤلف مسرحية ضمن هذا القالب ، وبالتالي ظلت دعوه دعوة نظرية لم يختبرها في مجال التطبيق الملمي .

ويجيئنا الكاتب المسرحي سعد الله ونوس من سوريا معتقداً في مسرحياته على شخصية العكواتي .. الشخصية العربية المعروفة في هذا المجال والتي تعتبر احدى الشواهد التي يدلل بها النقاد والمهتمون على أنها تميز مسرحنا العربي .

« فالعكواتي » في مسرح سعد الله ونوس عنصر فعال يفتح الحديث وليس مجرد راو يروي الأحداث وينظر إليها من الخارج أو يعلق عليها دون أن تكون له بها أدنى صلة . ويهدف سعد الله ونوس من استخدامه لصيغة

الحكواتي الى ايجاد لغة مسرحية متميزة تستفيد من التراث العربي مستخدمة العكابية الشعبية او وقائع التراث اطاراً وهيلاً . وتأتي تجارب مجموعة المؤلفين المخرجين العرب الذين توعدوا بكل خبرات التجربة اختباراته من خلال ادراكه الواقعى للتراث .

* * *

البلاغة والبلاغيون العرب في مجلة الفكر العربي :

تقوم مجلة الفكر العربي بتحضير عدد خاص بالبلاغة والبلاغيين العرب . وايماناً من رئاسة التحرير والهيئة الاستشارية للمجلة بالثقة المتبادلة والدور المشترك للعاملين في التراث الاسلامي والمستقلين في الثقافة العربية . فقد وزعت الرسالة التالية :

تعية طيبة وبعد :

تعمل مجلة « الفكـر الـعربي » علـى تـخصـيـص أحـد أـعـدـادـها لـدـرـاسـاتـ وأـبـحـاثـ محـورـهاـ الـبلـاغـةـ الـعـرـبـيـةـ وـرـجـالـاتـهاـ . فـأـيـرـائـدـمـنـ روـادـ هـذـاـ عـلـمـ يـمـكـنـ أنـ يـشـفـلـ -ـ مـنـ خـلـالـ فـكـرـهـ -ـ عـدـةـ أـبـحـاثـ . وـأـيـ مـوـضـوعـ أوـمـفـهـومـ أـسـاسـيـ فـيـ الـبـلـاغـةـ يـمـكـنـ أنـ يـدـرـسـعـنـدـ أحـدـ الـبـلـاغـيـنـ أوـعـنـدـ أـكـثـرـ مـنـ وـاحـدـ . وـأـنـاـ الـبـلـاغـةـ الـعـرـبـيـ منـ جـهـةـ ، وـلـخـصـيـصـاتـ الـبـلـاغـيـنـ شـرـحـ بـنـدـلـكـ إـذـ الـهـدـفـ مـنـ هـذـاـ مـشـرـوـعـ اـطـلـاعـ القـارـئـ وـالـمـشـقـ عـلـىـ صـورـةـ وـاضـحةـ الـعـالـمـ منـ جـهـةـ ثـانـيـةـ . وـهـكـذـاـ يـكـونـ أـمـلـاـنـ أـنـ يـنـهـضـ المـدـدـ المـشـوـدـ بـجـنـاحـيـنـ :

- ١ - البلاغة والبلاغيون من الجاحظ حتى عبدالقاهر العرجاني .
- ٢ - البلاغة والبلاغيون من العرجاني حتى الشريف العرجاني وكتاب « الاتقان » للسيوطى .

وقد جاءت علوم البلاغة منتشرة ومتناهية ضمن أدبيات شتى ، بيننا وبين استقصائناها النظر في أعمال آناس لم يكونوا (بعضهم على الأقل) يفكرون في التأسيس لعلم جديد هو (علم البلاغة) وأولئك القوم يتعمون الى فروع معرفية متعددة ، فمنهم الموسعي كالباحث الذي التزم في البيان والتبيين نصوصاً أدبية نثرية وشعرية بالإضافة الى آراء مختلفة في اللغة والأدب على درجة عالية من الذكاء والبقرية . ومنهم من ينتهي الى اللغة والأدب كـ « الكامل » لمبرأ الذي يستهل الباب ٦٤ من كتابه بقوله : « نذكر في هذا الباب من كل شيء شيئاً لتكون فيه استراحة للقارئ وانتقال يتنفس الملل » وهذه قاعدة بلاغية تليها ثانية في السطر عينه : ونخاطلما فيه من الجد بشيء من الهزل ليستريح اليه القلب وتسكن اليه النفس . تلي ذلك أقوال سبقت كالشواهد لأبي الدرداء وعلى ابن مسعود وابن عباس . ويمكن أن نضيف الى هذين « أدب الكاتب » لابن قتيبة ، وكتاب « التوادر » لأبي علي القالي ، وما سوى هذه الأربع فتبع لها وفروع منها ، كما جاء في

مقدمة ابن خلدون . ويللي مؤلام نوع من الكتابة المتخصصة اذ تعددت المؤلفات في الشعر مفصولا عن النثر من مثل « قواعد الشعر » لثعلب ، و « البديع » لابن المعتز ، و « عيار الشعر » لابن طباطبا الملوى ، و « نقد الشعر » لقادة بن جعفر .

ثم جاءت حلقة جديدة من التخصص قائمة على نقد شاعر واحد أو الموازنة بين شاعرين أو أكثر ك « الموازنة بين أبي تمام والبعترى » للأدمي ، و « الوساطة بين المتنبي وخصوصه » للقاضي البرجاني .

تبع ذلك المؤلفات الاعجازية حيث قام الاعجازيون بجهد بالغ في الكشف عن أسرار اعجاز القرآن . كانما جاشت حميتها ازاء التأليف المختص بالشعر او بالشعر والنثر ، فالفال الرئانى (أبو الحسن علي بن عيسى) كتابه « النكت في اعجاز القرآن » . وتناولوا النقاد من نظار الفنون الكلامية والتاليف في قواعد الجمال التعبيري الكلامي ضائين جناحه المقدس أي القرآن وغير القدس اي الشعر والنثر . وكان الشريف الرضي حلقة الوصل بين هؤلاء ومن سبّهم ، فكتابه « تلخيص البيان في مجازات القرآن » يشكل اشارة الى اشتراك المجاز في القرآن مع المجاز في الشعر والنثر بالاسم ، كما اشترك ابن ناثنيا البغدادي الاثنين في تعبير « التشبيهات » من خلال عنوان كتابه « المجاز في تشبيهات القرآن » . ويقابل هذا الالتفاف كتب مثل كتب « الصناعتين : الشعر والنثر » ، لأبي هلال العسكري . واستفاق الفلسفه فتناولوا موضوع العبارة اللغوية وبالتحديد الفنية . فكتب ابن مينا : « الحكمة المروضية في معانى الشعر » ، ولا يمنع ذلك من تأثير كتاب الغارابي « الموسيقى الكبير » (يغض النظر عن تأثيرهما بأرسطيو) . ويكون بذلك قد انتقلت المدوى الى نظر جدد يتعلمون الى الجمال التعبيري من زاوية تختلف عن زوايا من عددهم ، تمنى بهم أصحاب النظر والحكمة .

خللت الدراسات البلاغية ملتبسة بغيرها من ضروب القول حيث تؤخذ الفكرة البيانية او البلاغية الى عند هذا النص من النثر او هذه المقطوعة من الشعر حتى قيس للبيان رجل عالم عاشق لعلمه ، فاستقدم الى افكاره النصوص من القرآن والشعر الجاهلي وغير الجاهلي والأقوال والخطب وغير ذلك – مبرراً بذلك بقبول الاسلام النظر في ما هو موضع اشكال – ليبنى أول مؤلفين في ما يصح ان نسميه (البلاغة الماءمة) وذلك في كتابيه الشهيرين : « دلائل الاعجاز » و « أسرار البلاغة » . يشير الى تحرره من عقدة الفصل بين كلام الخالق وكلام المخلوق . وظهر أنه غير متخصص بشيء أكثر من تعصبه للعلم الذي وضع « أسراره » : البلاغة كعلم محور تدور بجاذبيته وبدوره سائر النصوص المقطعة من الكلاميين .

بعد البرجاني ، اتضح في المؤلفات الأدبية النقدية فرعان : فرع واصل النظر في علم البلاغة ، مهتمياً بهدي صاحب « الأسرار » ، وفرع واصل النظر والمحاكاة في المباحث الأولى : اعجاز القرآن ، وتفسير الدواوين و « بديع الشعر » والنشر وسرقات الشعراء .

غير أن مؤلفات البلاغة ، على خطى عبدالقاصر ، لم يسعها أن تفوق استاذها مع أنها ناقشت مفاهيم من مفاهيمها ورأتها غير ممارأها، فبدللت في تعرفيتها ، وبعضهم فرع على أصول

البرجاني وفروعه . ثم تلا هذه المرحلة مرحلة التطويل والاختصار أو التلخيص والتنسيق ثم الشروح ومواقف مختلفة .

إلى أن كان النظر المعاصر في قضايا اللغة والأدب بقيام سور في التأسيس لعلم اللسانية فانحرفت الأنوار نحو الأمس التي جاء بها الرجل . وتفرعت الدراسات اللسانية تفرعاً غير تفرع دراساتنا التقديمة ثم البلاغية . ولم ينفتح بعد مجربى دراسات التعبير بالكلام على آفاق دراساتنا البلاغية بمثيل ما تستحقه . ولذلك ظلت علوم البلاغة والبيان العربي في حالتها الأولى دون أن يسمح التيار باستشراف آفاقها في ضرورتها منصة للانطلاق نحو الطور الثاني من علم البلاغة .

فانطلاقاً نحو هذه المرحلة الجديدة المؤمل فيها ندعو كتائباً إلى مراجعة دفاترنا بما عندنا من فكر بلاغي ، والتعريف برجاته من خلال مخاضهم ونشاطهم طريق التأسيس لعلم البلاغة والبيان . فعلينا أن نست婢 هذا العلم ونصيده من مظانه في المؤلفات التي تعتبر بلاغية والتي تتضمن إلى دراسات علم النطق سواء كان يبيّنها الفلسفة أو الدين أو النقد الشعري والشري أو الدراسة اللغوية بشتي فروعها ، سواء كانت أشتاتاً في مجتمع القول أو تتناولها الألسن مشافهة مما حفظه القرآن الكريم في مثل هذه الآية الكريمة : « ألم ترَ كيف ضرب الله مثلاً كلام طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء » .

وبما أن طموحنا كبير وقدراتنا في مجال ضم الجهود البلاغية إلى بعضها يمكن أن تنمو شيئاً فشيئاً ، فإننا ننصر عدداً من العاملين من مجلة « الفكر العربي » على أبحاث في البلاغة البلاغيين الأصوليين راجين أن يربو العمل الذي ننتظر على ما هو في الانتظار . وعلى المكافأة المتواضعة التي نخصص له . وإننا نرسل ببطء قائمة باسماء المشاعر من علماء البلاغة والنقد مع أسماء مؤلفاتهم المتداولة وقد ربّيناها زمانياً لتوخي رؤية التطور من رجل نceği أو بلاغي إلى آخره للتركيز على الوجهة العامة للدراسات التي نطلبها . إن في هؤلاء الرجال من خلال أعمالهم . وإن في فرع من علوم البلاغة تناولته مختلف الأقلام تناولاً جديراً بالرصد البحث . ونعن على استعداد للتشاور معكم ، أخي الكاتب، في الموضوع الذي تريدون . فنرجو أن توافقنا باسم موضوع البحث الذي اختبرتم مع صورة أولية للتصميم لنكون على اتصال وتشاور في ما يلزم . وننبع لو تزودون خزانة مجلتنا بقائمة من أعمالكم المنشورة تبين تاريخ ومكان النشر لغير نرجوه لسمعيكم سعينا . ونرجو لكم التوفيق .

رئيس تحرير مجلة الفكر العربي
د. حسن قيسى

مستشار العدد
نعميم علوية

بعض رواد النقد والبلاغة مع بعض مؤلفاتهم وسلسل وفياتهم

- | | |
|---|---|
| <p>١ - ابن سلام الجمعي ٢ - الباحظ ٣ - ابن قتيبة ٤ - المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد الكامل في الأدب ٥ - ثعلب ، أبو العباس أحمد بن ثعلب قواعد الشعر ٦ - ابن المعتز ٧ - الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٨ - ابن طباطبا الملوى ٩ - ابن وهب (أبو الحسن اسحق الكاتب ١٠ - قدامة بن جعفر ، أبو الفرج ١١ - الفارابى ، أبو النصر ١٢ - القاضى الجرجانى ١٣ - الأمسىدى ١٤ - الرمانى ، أبو الحسن علي بن عيسى ١٥ - المرزبانى ، (أبو عبد الله محمد بن عمران) الموسوعة فى مأخذ العلماء على الشعراء ١٦ - العاتمى ، أبو علي محمد بن الحسن سرقات أبي الطيب المتنبي ١٧ - ابن وكيع التنسى ١٨ - أبو هلال المسكري ١٩ - أبو حيان التوحيدى</p> | <p>طبقات فحول الشعراء البيان والتبيين الشعر والشعراء ، أدب الكاتب ت ٢٣١ م ٢٥٥ م ٢٦٦ م ٢٨٥ م ٢٩١ م ٢٩٦ م ٣١٠ م ٣٢٢ م ٣٢٥ م ٣٢٧ م ٣٢٩ م ٣٦٦ م ٣٧٠ م ٣٨٤ م ٣٨٨ م ٣٩٣ م ٣٩٥ م ٣٩٣ م</p> <p>البرهان في وجوه البيان نقد الشعر ، (نقد النثر) الموسيقى الكبير رسالة في قوانين صناعة الشعر - كتاب الخطابة - كتاب العروض الواسطة بين المتنبي وخصومه المازانة النكت في اعجاز القرآن سرقات أبي الطيب المتنبي وساقط شعره المنصف للسارق المسروق كتاب الصناعتين الهوامل والشواطل ، الامتع والمؤانسة ، المقابلة</p> |
|---|---|

- ٢٠۔ الباقياني ، أبو بكر ت ٤٠٣ هـ اعجاز القرآن
- ٢١۔ الشريف الرضي ت ٤٠٦ هـ تلخيص البيان في مجازات القرآن
- ٢٢۔ القاضي عبدالجبار ت ٤١٥ هـ اعجاز القرآن
- ٢٣۔ المروزيقي ، أبو علي أحمد بن محمد شرح ديوان الحماسة ت ٤٢١ هـ ابن الحسن
- ٢٤۔ ابن سينا العكمة العروضية في مکانی کتاب ت ٤٢٨ هـ ریطوریقا - رسالت في البلاغة والخطابة -
- الفن الناسم : الشعر - أسباب حدوث العروض
- ٢٥۔ ابن رشيق القیروانی ت ٤٥٦ هـ العمدة
- ٢٦۔ ابن حزم (أبو محمد علي الأندلسي الاحكام في أصول الأحكام ت ٤٥٦ هـ سر الفصاحة
- ٢٧۔ ابن سنان الغفاجي ت ٤٦٦ هـ أسرار البلاغة ، دلائل الاعجاز ت ٤٧١ هـ
- ٢٨۔ البرجاني ، عبدالقاهر
- ٢٩۔ الشنتري ، (يوسف بن سليمان) في علم مجازات العرب - شرح ت ٤٧٦ هـ شواهد سبويه
- ٣٠۔ ابن ناقيا البغدادي الجمان في تشبيهات القرآن الشافيةت ٤٨٥ هـ
- ٣١۔ الراغب ، الأصبhani ، أبو القاسم محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراءت ٥٠٢ هـ
- ٣٢۔ الفزالي (أبو حامد) المصطفى من علم الأصول ت ٥٠٥ هـ معيار العلم في فن المنطق
- ٣٣۔ الزمخشري أساس البلاغة ، تفسير الكشاف ت ٥٢٨ هـ عن حقائق التنزيل
- ٣٤۔ الشهريستاني ، محمد نهاية الاقدام في علم الكلام ت ٥٤٨ هـ
- ٣٥۔ أسامة بن منقد البديع في نقد الشعر ت ٥٨٤ هـ
- ٣٦۔ ابن رشد (أبو الوليد محمد) الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الله ت ٥٩٥ هـ
- ٣٧۔ الرازي ، فخر الدين محمد بن عمر نهاية الإيجاز في دراية الاعجاز ت ٦٠٦ هـ التفسير الكبير : مفاتيح الغيب

- ❖ ❖ ❖
- | | |
|---|--|
| <p>٦١٣ ت - بدائع البدائه</p> <p>٦١٦ ت - التبيان في شرح الديوان</p> <p>٦٢٦ ت - مفتاح العلوم</p> <p>٦٢٧ ت - الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور</p> <p>٦٤٣ ت - ابن يعيش (موقف الدين أبو البقاء) شرح الفصل للزمختري</p> <p>٦٥١ ت - شرح التصريف الملوكي</p> <p>٦٥١ ت - التبيان في علوم البيان</p> <p>٦٥٤ ت - البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن</p> <p>٦٥٤ ت - تعريب التعبير</p> <p>٦٨٤ ت - منهاج البلاء وسراج الأدياء</p> <p>٦٧٣٩ ت - التلخيص في علوم البلاغة</p> <p>٦٧٤٩ ت - الطراز ٣ ج</p> <p>٦٩١ ت - التقىنازي ، (سعد الدين مسعود بن عمر) المطول في شرح تلخيص المفتاح</p> <p>٨١٦ ت - الشريف البرجاني (السيد أبو الحسن) حاشية السيد على المطول</p> <p>٩١١ ت - الاتقان في علوم القرآن</p> | <p>٢٨ - علي بن ظافر بن حسين الاذدي</p> <p>٢٩ - أبو البقام المكابري</p> <p>٤٠ - السكاكي ، يوسف بن أبي بكر</p> <p>٤١ - ابن الأثير (ضياء الدين)</p> <p>٤٢ - ابن يعيش (أبو المكارم)</p> <p>٤٤ - الرملakanي (كمال الدين)</p> <p>٤٥ - ابن أبي الصبيح المصري</p> <p>٤٦ - حازم القرطاجني</p> <p>٤٧ - الخطيب القزويني ، جلال الدين</p> <p>٤٨ - يحيى بن حمزه الملوبي</p> <p>٤٩ - التفتنازي ، (سعد الدين مسعود بن عمر) المطول في شرح تلخيص المفتاح</p> <p>٥٠ - الشريف البرجاني (السيد أبو الحسن) حاشية السيد على المطول</p> <p>٥١ - السيوطي</p> |
|---|--|

★ ★ ★

□ منشورات مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية :

- أصدر مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول -
تركيا ، عدداً خاصاً من نشرته الاخبارية ، استعرض فيها أهدافه ونشاطاته
ومنشوراته . وفيما يلي قائمة بالأعمال التي نشرها المركز المذكور :
- ١ - النشرة التعريفية المصورة لمركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية ، ١٩٨١ ٠ (نفذ) ٠
 - ٢ - دليل المؤسسات الثقافية الإسلامية ، باللغة الانجليزية (نفذ) ٠
 - ٣ - النشرة الاخبارية (صدر المدد الأول منها في شعبان ١٤٠٢ ٠ مايو ١٩٨٢ باللغات الثلاث) ٠
 - ٤ - أوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين ، بالعربية والإنجليزية ٠ (نفذ) ٠
 - ٥ - عنوانين المؤسسات الثقافية في الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي ، بالإنجليزية ١٩٨٢ (نفذ) ٠
 - ٦ - الفهرس الموحد للتقويم الميلادي (السالنامات والتوصيات) بالعربية والإنجليزية ، ١٩٨٢ ٠ (نفذ) ٠
 - ٧ - مركز الأبحاث ٠٠ نشرة تعريفية مصورة ، باللغات الثلاث ، ١٩٨٣ ٠ (نفذ) ٠
 - ٨ - الأشرطة الوثائقية (شريطان وثائقيان ، أولهما بعنوان « حياة الخطاط حامد

- الأcmdى وآثاره الهامة وفن الخط الاسلامي ، وثانيهما : « فن التذهيب والزخرفة الاسلامية » . والشريطان بالعربة ، وقد أرفق بها نص بالانجليزية .
- ٩ - الدليل الدولي للمؤسسات الثقافية الاسلامية .
 - ١٠ - فهرس مخطوطات الطب الاسلامي (يشمل حمراً لكتب الطب الاسلامي في ١٢٩ صفحة مكتبة في تركيا) .
 - ١١ - التعليم العربي الاسلامي في السنغال .
 - ١٢ - ببليوغرافيا لأقدم كتب الكيمياء ، ١٩٨٥ .
 - ١٣ - الببليوغرافيا العالمية لترجمات معانى القرآن الكريم ، بالانجليزية ، ١٩٨٦ .
 - ١٤ - فهرس المخطوطات الاسلامية في مكتبة كوبيريلي باستنبول ، بالعربة ، ٣ مجلدات (٢٠٠ صفحه) ، ١٩٨٦ .

★ ★ *

□ الجمعية المغربية للتراث :

أمست مجموعة من أساتذة الجامعات المغربية جمعية علمية أطلقوا عليها اسم « الجمعية المغربية للتراث » ، وذلك بهدف احياء تراث الأمة العربية في مختلف ميادين العلم والمرفقة . وقد اعتمدت الجمعية عدّة وسائل لتحقيق أهدافها ، منها : الفهرسة - التصوير - التحقيق - الطبع والنشر والتوزيع - التأليف والدراسة - الترجمة - اصدار النشرات والمجلات المتخصصة - تنظيم الندوات والمحاضرات - عقد المؤتمرات واللقاءات الثقافية والمشاركة فيها داخل المغرب وخارجها .

وتعقد الجمعية أمالاً كبيرة على الماءadio المؤسسات والجمعيات المعنية بالتراث . وعلى الأفراد من الباحثين والملئام ، في مساعدتها ومد يد العون لها لوضع أهدافها موضوع التنفيذ ، كما تضع بالمقابل كل امكاناتها المتواضعة في خدمتها .

★ ★ *

□ المصادر :

- ١ - نشرة (انباء جامعة حلب) .
- ٢ - نشرة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم العدد ١٢٣ آب ١٩٨٦ .
- ٣ - الميلاد التراث الاسلامي العدد ٢ السنة الثانية مايو ١٩٨٦ .
- ٤ - نشرة « اخبار التراث العربي » العدد ٣٦ تعود - آب ١٩٨٦ .
- ٥ - صحف ومجلات مختلفة من البلاد العربية والاجنبية .

في رحاب الرحمة والخلود

كان هذا العدد من مجلة التراث قد خُتمَ صُفْتُه حين نهى مجمع اللغة العربية بدمشق رئيسه الأستاذ الدكتور الحاج حسني يعني سبع الذي انتقل إلى رحمة الله ورضوانه يوم الثلاثاء ٢٨ ربيع الآخر = ٣٠ كانون الأول ١٩٨٦ وفي ليلة الأربعاء قبيل منتصفها بعد أن ملأ صدر حياته الفاضلة كلها حتى آخر يوم منها علماً وتدريساً وعملاً وجهداً في خدمة الطب ولغة العربية والإدارة العازمة الحسنة .

وكان فيمن شيّعه عصر يوم الأربعاء تلاميذه الأطباء الكثُر وأعضاء مجمع اللغة العربية ، وقد أبنّه فيمن أبنّه عند موته الأخير الدكتور عبدالكريم اليافي عضو المجمع بهذه الأبيات :

سمعت' بنعيه فوجمت' حزنا
لمجعه فوا أسفًا عليه
فكُم خدم العلوم وذاه عنها
الآن النجوم على علاما
ومن للطب" بعد أبي نصیر
حياة من طبيعتها الرزايا
نشيّعه ونعرف من فقدنا
نؤبّنه ونكمّل ما بناه
مضى عَبِق الشمائل والمزايا
مائره كثير ليس تحصى

أشبغ المولى الكريم على الفقيد الغالي فيض رحمته وجميل رضوانه .

رسالة من اتحاد الكتاب العرب الى الكتاب والآباء والأوصياء في العالم

الأصدقاء الأعزاء :

نوجه اليكم مثقفين وزملاه قلم ، تعنون بالحقيقة وتبخثرون عنها ، تؤسسون
قناعاتكم في ضوء وقائع وقيم أخلاقية وروحية وانسانية محكمين في ذلك العقل
والضمير والوعي المعرفي وترفعون أصواتكم مع الحق والعدل ، مهما كانت القوى
التي تمارس الظلم وتحكم بالواقع .

لا نشك في أنه تناهى اليكم ما عاناه شعبنا العربي عامه والشعب الفلسطيني
خاصة من ويلات العرب والاضطهاد والشريد منذ نفاذ الاستعمار البريطاني
تصريح بلفور باقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، حيث أعطي الذي لا يملك
للذى لا يستحق وطن شعب بات مشروداً أو ملاحقاً بالمنابع وأنواع الإرهاب الرامية
إلى ابادته لاثبات الكذبة الكبرى التي روجتها الصهيونية بأن فلسطين أرض بلا
شعب .

واستمرت منذ إقامة دولة إسرائيل في فلسطين أعمال العدوان واحتلال
الأراضي بالقوة واضطهاد الشعب الفلسطيني وملاحقته وإبادته وشرده ،
كما استمرت الغروب وعمليات الاستنزاف الدورية لطبقات شعبنا العربي
وثرواته بهدف منعه من التحرر والتقدم .

وانكم تذکرون دون شك حرب السويس ١٩٥٦ وحرب حزيران ١٩٦٧

واكتوبر (تشرين) ١٩٧٣ وغزو اسرائيل للبنان وحضارها لبيروت عام ١٩٨٢ ومذبحة صبرا وشاتيلا التي كانت آخر سلسلة المذابح العلنية التي ارتكبت ضد شعبنا ، وتذكرون عمليات الارهاب الدولي التي مارستها اسرائيل مثل عملية مطار عنطيبى ، ومحاجة المفاعل النووي العراقي ، والهجوم على تونس ، وممارساتها الارهابية اليومية ضد الشعب اللبناني واحتلالها لجنوب لبنان والجولان السورية ، وقادها على اعتراض الطائرات العربية المدنية وأحياناً تدميرها كما حدث لطائرة ليبية فوق سيناء .

هذا عدا ممارساتها اليومية لأنواع وأشكال تشويه الثقافة الوطنية والتاريخية ونهب الآثار وتزوير الحقائق في المنطقة .

وتقوم اسرائيل بكل ذلك بدعم مستمر يغطي احتلالها ونزعها المدولي يأتي بالدرجة الأولى من الولايات المتحدة الأمريكية حيث يبلغ متوسط الدعم السنوي في الثمانينات ثلاثة مليارات دولار سنوياً عدا المساعدات العسكرية المستترة .

ولأن سوريا بقيادة الرفيق حافظ الأسد الأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي رئيس الجمهورية وقف ووقفت في وجه مخططات أمريكا واسرائيل للسيطرة على المنطقة وتصفية القضية الفلسطينية على نهج كامب ديفيد الذي رفضته جماهيرنا ، ولأنها أحبطت خطة أميركا التي قادت الدول الاستعمارية للسيطرة على لبنان وتقسيمه واحتلاله من جديد وواجهت بحزن المخططات والمؤامرات الامبرialisية والصهيونية في المنطقة ، وقدرت حركة التحرر العربي مطالبة بالحرية وبعث تقرير المصير لشعبنا العربي عامه وللפלסטיני خاصة فقد قررت الامبرialisية الأمريكية والصهيونية بخطيط وتعاون مع بريطانيا حصار سوريا ومنها من ممارسة دور تحرري في المنطقة ، وقد مارست ضدنا حصاراً اقتصادياً وسياسياً بعد طرد القوات الأمريكية من لبنان والفاء اتفاق ١٧ / أيار الذي فرضته اسرائيل على اللبنانيين بقوة العديد والثار ، وعندما لم تفلح بتركيع سوريا ليات الى تشويه سمعتها الدولية ، وبشت ضد أبنائنا خاصة ضد العرب بشكل عام روح العداوة والعنصرية التي أخذت تفوح من بعض الواصلات الامبرialisية متهمة ايها بممارسة الارهاب وتم التواطؤ بين أجهزة المخابرات

الأميركية والبريطانية والإسرائيلية لافتعال قضية، (هنداوي) في مطار لندن من أجل تصعيد حملة العداء ضد سوريا وذلك تمهيداً لشن عدوان مباشر عليها تحت ستار مقاومة الإرهاب ، تدبّر إسرائيل وأميركا وبريطانيا على نسق ما سبق ومارسته تلك الدول من ارهاب دولي في هذا العصر منذ حرب السويس وحتى آخر عمليات قوات التدخل السريع الأميركي مروراً بالعدوان على السكن الشخصي للعقيد القذافي في طرابلس وبعمليات بريطانيا ضد جزر المالديف وممارسات الأسلطيل الأميركي ضد الشعوب في البحار والمحيطات وتهديدها المستمر لتلك الشعوب .

ان شعبنا الذي كان ضحية الإرهاب ، ودفع وما زال يدفع أغلى ثمن لأبشع عملية ارهاب دولي في العصر الحديث وهي انشاء اسرائيل في فلسطين على حساب الشعب الفلسطيني ، يكره الإرهاب ويدينه ويقاومه ولكنه يفرق بين الإرهاب والمقاومة الوطنية المشروعة لتحرير الأرض والارادة واستعادة الحقوق المتصبة وثبتت حق تقرير المصير للشعوب في أوطانها بحرية ، ويرفض محاولات بريطانيا وأميركا وإسرائيل تشويه صورة المقاومة الوطنية وخلط أوراق المقاومين على أرضهم ضد الاحتلال بأوراق الارهابيين الجبناء .

اننا من موقعنا كزملاء لكم في البحث عن الحقيقة والدفاع عنها ، وفي الحفاظ على حقوق الإنسان وحرياته وكرامته ، نعلن ادانتنا لكل أشكال الإرهاب وخاصة تلك العمليات التي توجه ضد المدنيين والطائرات ، ونعلن وقوفنا الى جانب المقاومة الوطنية التي تعمل بشرف من أجل حرية أوطانها وحقوق شعوبها وحريات الإنسان وحقوقه الأساسية ، وننطلق بأمل كبير الى تفهمكم المميت لمخاطر تشويه صورة الشعوب والبلدان التي تدافع عن وجودها ومستقبلها وحياتها وحقها في تحرير أراضيها وتقرير مصيرها .

اننا نتوجه الى عليكم وضمائركم وقيمكم النبيلة وحبكم للحق ، لتعلموا موقفكم بصدق ووضوح من ممارسات بريطانيا وإسرائيل وأميركا ضد شعبنا وبلدنا وثقافتنا ، ولتنبهوا وتبهوا العالم الى التهديد والتهديدات التي تم الآن لشن عدوان جديد على شعبنا في سوريا لأننا نرفض أن نستسلم ونرفض

أن نقدم أرضنا المحتلة الى اسرائيل ، ونرفض أن تخضع للاستعمار الأميركي
ومخططات الهيمنة الامبرالية ، ونصر على أن نعيش بحرية وشرف واستقلال
في أوطاننا .

ان العرص على السلام العادل لجميع الشعوب ، وعلى توجيه الطاقات
والثروات البشرية والجهد العلمي والتكنى لخدمة الانسان ولترسيخ قيم
الحضارة والسلام على انسن دائمة وثابتة ، وعلى حق تقرير المصير لجميع
الشعوب هو الذي يوجه طاقاتنا الابداعية وجهودنا اليوم من أجل عالم ينتفي فيه
كابوس التهديد النسوي عن البشرية ، وتزول عنه آلام المرضى والمقهورين ،
ولا يوت فيه الأطفال جوعاً ، ولا تخرب فيه البيئة ، ولا ينعم فيه الانسان بشمس
الوعي والحرية نتيجة الأممية والاضطهاد والجهل ، من أجل عالم لا تتحكم فيه
نزعات السيطرة على الآخرين والاستلال والثقافة الاستهلاكية ، والتزييف
الاعلامي وأجهزة المخابرات .

يا زملاء الكلمة ، ان شرف كلماتنا يستنبت في الحقيقة والحرية والالتزام
 بالحق والانسان ، والدفاع عن المظلومين وعن الشعوب ، من أجل السلام العادل
 والمستقبل الأفضل والوعي الأعمق بالذات وبالآخر ، من أجل رفع أشرعة الأمل
 أمام البشرية لتعيش بسعادة وهذا ما ندعوك الى الدفاع عنه في وجه الارهاب
 الدولي والعدوان والافتراء الذي تمارسه أميركا وبريطانيا واسرائيل وأطراف
 الأحلاف الاستعمارية ضد شعبنا وبلدنا ، ضد الانسانية ، والنصر للحق وللكلمة
 الشريفة وللإنسان .

المكتب التنفيذي لاتحاد الكتاب العرب

